الدكتور ذوقان قرقوط

تطوّر الحركة الوطنيّة في سورية ١٩٢٠ - ١٩٣٩



دار الطليعة - بيروت

تطور الحركة الوطنية في سورية

الدكتور ذوقان قرقوط

تطوّر الحركة الوطنية في سورية

١٩٢٠ - ١٩٣٩

دار الطّليعة للطّباعة والنشر
بيروت

بيروت - ص.ب ١١١٨١٣

الطبعة الاولى

تموز (يوليو) ١٩٧٥

استهلال : نظرة في الموقع والسكان

في دراسته المستفيضة لسكان سورية . حدد الاب جوسن Jaussen الموظف في مصلحة استعلامات القيادة البحرية الفرنسية ، سوريا بأنها الاسم الذي «يطلق عادة على الشريط من الارض الممتد من اقصى خليج اسكندرونة في الشمال حتى حدود مصر في الجنوب بطول ما يقرب من ٧٠٠ كم وعرض حوالي ١٥٠ كم بين البحر الابيض المتوسط في الغرب والصحراء في الشرق» ، ذلك ان ما يدعى «فلسطين» يعتبر منذ عهد رمسيس جزءا مندمجا ومكملا لسوريا (١) . وفي التقسيمات الادارية العثمانية ليس ثمة ما يشير الى تحديد سوريا على هذا النحو وانما كان اسم سوريا يطلق احيانا على جزء صغير هو الولاية التي تضم اربعة الوية هي : شام شريف وحماه وحوران ومعان (٢) . وقد عرفت طوال العهود العربية والاسلامية ببلاد الشام او بأسماء الدويلات والحكومات التي نشأت فيها او حظيت بما يشبه الاستقلال الذاتي . الا ان ساسة فرنسا ومؤرخيها واقتصادييها درجوا منذ زمن بعيد على الاخذ بذلك التعريف الشامل الواسع لكلمة سوريا ؛ و«الحق التاريخي» الذي اخذ يدّعيه ويطالب به رجال فرنسا الرسميون في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين كان يعني حقهم في سوريا الممتدة من رفح والعقبة جنوبا الى جبال طورس شمالا ومن البحر الابيض غربا الى الصحراء شرقا (٣) . وهو عين ما طالبت به ، بفوارق طفيفة في الحدود غرف التجارة في مرسيليا Marseille وليون Lyon وبيريغو Perigueux وغرينوبل(٤) . Grenoble

وحقيقة الامر ان هذا التحديد لا يشير اليه واقع المنطقة ولا يؤيده تاريخها وانما قيل انها الحدود التي عرفت بها الدولة الارامية وامتدت اليها (٥) . ويظن انه تصور ، الغرض منه دعم ادعاءات فرنسا في حماية الاماكن المقدسة ومصالحها

في الدولة العثمانية . حتى الدولة الارامية لم تكن لها حدود ثابتة ولم تعرف هذه المنطقة يوما من الايام حدودا ثابتة . ذلك انها كانت طوال تاريخها منفتحة من الداخل على طول اكثر من الف كيلومتر على مناطق سهلية تتدرج الى سهوب وشبه صحراوية مأهولة بالسكان الرعاة بل تكتظ بهم في فترات من العام ، مرتبطة بمنبع سكاني فيما ورائها من البوادي المتصلة بقلب شبه الجزيرة العربية ، جعلت من المستحيل على اي اجتياح يأتيها من الخارج التغلب في المدى الطويل على الجنس السكاني الاصلي . بخلاف ما يذهب اليه بعض المؤرخين .

ويبدو ان «اللجنة المركزية للاصلاح والدفاع عن مصالح السوريين» او «اللجنة المركزية السورية» ، اللتين نشأتا في كنف فرنسا هما الوحيدتان من بين جميع الحركات العربية الثورية او التي تدعي الثورية، اللتان تحملان اسم سوريا وتتبنيان تحديدا لسوريا متطابقا مع النظرة الفرنسية . ومن دون ان يكون لحكومة فيصل في دمشق علاقة بهاتين «اللجنتين» . تشكل المؤتمر العربي السوري الذي انعقد في دمشق واعلن استقلال سوريا ونادى بفيصل ملكا عليها (٧) ، ممثلا للاقطار الثلاث فلسطين (٨) وسوريا ولبنان ومن هذا المنطلق ، وعلى اساس «وحدة سوريا الكاملة» تشكلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني المنبثقة عن مؤتمر جميع الاحزاب الممثلة للبنان وسوريا وفلسطين ، الذي انعقد في جنيف (٩) وظل ممثلوها يعملون في هذا الاتجاه ، اتجاه «سوريا الكاملة» حتى الثلاثينات . بينما كان واقع تقسيم المشرق العربي وفقا لاتفاقية سايكس ــ بيكو يسير في اتجاه تثبيت وتدعيم التقسيم تحقيقا للمطامع الدولية والتاريخية . ومع ان قطاعات عريضة من الشعب الفرنسي وفئات عديدة من دوائرها الرسمية لم تكن تؤيد هذا التقسيم ، بل تكاد ترفضه . وترى في مساعي الصهيونية لاقامة «وطن قومي» في فلسطين وفصلها عن سوريا ما يتعارض مع علاقاتها «التاريخية» بالمنطقة وبالاماكن المقدسة خاصة ومع ان انجلترا ومن ورائها امريكا ، من جانب آخر ، هما الدولتان الاكثر حرصا على تقسيم المنطقة وتنفيذ اتفاقية سايكس ــ بيكو ، تحقيقا لاماني الصهيونية ولرغبتها في اختيار انجلترا لتنفيذ هذه الاماني ، كدولة منتدبة من عصبة الامم . على ما بين الدولتين من تباين في المواقف حينئذ .. ، فان العاملين في السياسة العربية ، وعلى راسهم فيصل ، التزموا جانب السياسة البريطانية ــ الامريكية ، وجانب التفاهم مع الصهيونية ، بداية على الاقل وفي السر ، كقوى توصلهم الى امانيهم الاستقلالية ، نكاية بفرنسا ومعاداة لها . ولم يكترثوا بحقيقة الموقف الفرنسي بل ولم يعنوا حتى بدراسته .

* * *

ايا ما كان الاسم الذي يطلق على هذه المنطقة الممتدة من البحر الاحمر جنوبا الى جبال طورس شمالا ومن البحر الابيض المتوسط غربا الى العراق شرقا : بلاد

الشام ، ام المشرق Levant ام سوريا الكبرى «الكاملة» ام الشرق الادنى ، فانها كانت في الماضي كما هي الان ملتقى طرق ، للتجار وللجيوش على حد سواء، وهي المنطقة التي تلتقي وتتلامس على شواطئها اوربا وآسيا وافريقيا . وبرية كانت ام بحرية فانها تبدو سوقا من مئة مدينة . ومرفأ ذا مئة حوض حيث تفضي وتتلاقى طرق العالم القديم التجارية (١٠) . وعليه كانت منذ ما قبل التاريخ حتى الان . حلبة لاصطراع القوى الكبرى في العالم كلما وهنت ارادة اهلها وضعفوا او تهاونوا في حمايتها . فمن رمسيس الى كورش وقمبيز وحمورابي والاسكندر الى سليم الاول والمماليك والعثمانيين كانت اخطـــر الاصطدامات العالمية تحسم فيها او بالسيطرة عليها . ولم يفقدها التطور الحديث للعالم في المواصـــلات والمعدات اهميتها بل زاد فيها (١١) ولم تضعف من قيمتها التكتلات الكبرى وتعاظم القوى وانما زادت في اهميتها وفي حدة الصراع من حولها (١٢) . لذلك هي من المناطق الفريدة التي لا بد لفهم تاريخها مـــن ان يقترن بموقعهـــا الجغرافي ، بخريطتها وسط العالم ولا بد من الاستعانة بالنظرة الجيوبوليتكية Geo - Politique لتوضيح وتعليل احداثها . وسواء اكان الصراع الدائر فيها او عليها لدافـــع استراتيجي ام للسيطرة على الطريق الى التوابل في الشرق ام من اجل السيطرة على الاماكن المقدسة ام لحماية المنافذ الى الهند . درة التاج البريطاني ؛ ام لاعادة اليهود المشتتين الى «ارض الميعاد» فانه بكل تأكيد صراع يدل على اهميتها بالنسبة لامور حيوية تتعلق بكثير من بلدان العالم . فان عبارات «جسر الى آسيا» و«الموقع الستراتيجي في الصراع بين الشرق والغرب» .. الخ ، التي اصبحت مـــن العبارات المألوف تداولها ؛ تدل على استمرار وتزايد اهميتها ، وتزايد ارتباطها بمصالح الدول الشديدة الحيوية في العصر الحديث شأن ارتباطها في الماضي . واذا كان لموقعها الجغرافي مثل هذه الاهمية فمن باب أولى ان يكـــون لاهلها . لانفرادهم بزمام السيطرة عليها والتحكم بمعابرها أهمية اعظم في نظر تلك المصالح ويثير من جانبها اهتماما اكبر .

في تعليقه على قضية من بدأ الشر وسببه في جنة عدن : حواء ام آدم ام الحية . ام ما في التفاحة نفسها من غواية : قال الدكتـــور ج. س. بادو Badeau : «ما دام هناك ثمرة شهية متدلية من شجرة في جنة عدن فان قطافها سيغوي احد الناس . وهذا هو السر في تورط منطقة الشرق الادنى في الشؤون العالمية . فلقد كان في هذه المنطقة . التي هي جنة عدن . بكل ما في المصطلح من معنى «تفاح» شهي يود كل امريء ان يقطف منه : تجارة يريد احتكارها وموارد طبيعية يرغب في تطويرها والانتفاع بها . ومناطق يريد بسط نفـــوذه عليها ... لان العوامل الجغرافية تعمل عملها في هذه المنطقة فشعوبها لم تستطع يوما ان تتصرف بشؤونها حرة طليقة دون ان تكدر صفو عيشها مصالح الـــدول العظمى فيها» (١٢) .

وفي ظل الامبراطورية العثمانية ، الرجل المريض ، وفي غياب ارادة اهلها ، فان حرارة التنافس عليها بين الدول الطامعة جعلت للشرارة التي انطلقت لاغتيال ولي عهد النمسا في سراجيفو . قوة اشعال اول حرب عالمية (١٣) .

***

كان من الطبيعي ان يترك هذا الموقع الجغرافي آثاره على الحياة البشرية في هذه المنطقة . لذلك نجد كثيرا من العروق البشرية متمثلة فيها . وما عدا البراهمية والبوذية فاننا نجد جميع الاديان متمثلة فيها كذلك بما فيها الوثنية وبما فيها المجوس وعبدة الشمس والقمر وعبدة الشيطان (١٤) . وعلى الرغم من ان عدد سكان سوريا «الكاملة» يكاد لا يتجاوز اربعة ملايين نسمة فانه ليسكنها ما يقرب من عشرين طائفة دينية ، تظهر من الفروق الطفيفة في الايمان بينها وطرق العبادة ما يكاد يكون احيانا غير واضح وكثيرا ما يكون عميقا جدا حتى التناقض. يفصل بينها الدين اكثر مما يفرقها الجنس . واذا كان من المتفق عليه بين المؤرخين ان جميع اشكال الفكر الديني ، اسلامية كانت او مسيحية او يهودية . تجد لها اتباعا في سوريا فلا شك في انهم يختلفون في تعليل ذلك . بعضهم يرجعه الى اختلاف الاجناس في حين يرده آخرون الى تباين البيئة بين السهل والجبل والساحل والداخل . وثمة امر واحد ، بين ما يرد في هذا الصدد . يلقى الاجماع الا وهو الدور الهائل الذي ادته هذه المنطقة طيلة قرون في تطور البشرية. فقد كانت بفضل موقعها مسرحا لجميع العبادات في العالم القديم . وقد لاحظ اوغستان برنار Augustin Bernard بحق انها ، وهي التي لا تنفك اسماء الاماكن فيها تتردد في كل صفحة من صفحات العهدين : القديم والجديد ، وقد انجبت الاديان السماوية الثلاث او اثرت فيها (١٥) . ومرد هذا في حقيقة الامر ان هذه المنطقة ، فضلا عن انفتاحها المستمر الى الخارج واستقبالها للتيارات التي تهب من كل جهة من جوانب البحر الابيض المتوسط ، مركز الحركة في العالم القديم ، فانها دائمة الانفتاح الى الداخل . حيث تربطها السهوب بمنابع السكان في شبه الجزيرة العربية التي لا تنفك تمدها ابدا . ولعل في هذا التفاعل بين الحيوية الوافدة من الصحراء والعقائد المتسربة بعض التعليل لجوانب هذا التمذهب في المنطقة .

***

في النصف الاول من القرن التاسع عشر كان الشكل الاقطاعي للانتاج ما يزال سائدا في سوريا هذه . والطريقة المتبعة فيه هي المزارعة على انواعها . وعليه يجد المرء في قمة الهرم الاجتماعي طبقة «الافندية» ، «الطفلية» ، اي الملاكين

الكبار ، الذين يقيمون في المدن ، على الاغلب ، بينما يدير زراعتهم وكلاؤهم . بيد ان ما يلاحظه بعض الكتاب من تزايد في اتجاه الدولة العثمانية ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . لاحتكار اوسع المساحات من الاراضي السلطانية لتاجيرها الى الفلاحين (١٦) . لم يبدل شيئا في جوهر شكل الانتاج ما دام الفلاح هو الذي ظل يتحمل بالنتيجة عبء الضرائب المتزايد وفاء للدين العثماني . ولم يكن للقانون العقاري العثماني من هدف آخر سوى المزيد من تسجيل الاراضي الآيلة للدولة .

وقد فتح تشميل المعاهدة التجارية المعقودة بين انكلترا وتركيا عام ١٩٣٨ لمصر وسوريا امكانية كبيرة لدخول بضائع الدول الراسمالية الى اسواق سوريا وتحت ضغط الراسمال الاجنبي اتخذت الزراعة سمة الانتاج البضائعي . وكان اهم ما اختصت به سوريا وبخاصة سوريا الداخلية هو القطن والحبوب والصوف وخامات الحرير في لبنان . الا ان نشوء الاقتصاد البضائعي تبعا لذلك ، في هذه المنطقة لم يصحبه هنا . تطور الاقتصاد الراسمالي : صحيح ان الفلاح وقع في حالة تبعية السوق الراسمالية العالمية لكنه ظل محافظا في الوقت ذاته على تبعيته للاقطاعي (١٧) .

وعلى الرغم من نجاح بعض الانتفاضات الفلاحية كحركة «العامية» ؛ التي حصلت في جبل حوران (١٨٥٢) لتثبيت الملكية واقتسام نصف ما يملكه الاقطاعيون الذين كان كل منهم يملك ربع ما يملكه فلاحو القرية جميعهم ، وكالحركة التي قادها الحداد طانيوس شاهين في كسروان (عام ١٨٥٩ – ١٨٦٠) للتحرر من الفروض الاقطاعية (١٨) وكحركة فلاحي قرى حماه ضد آل العظم .. فان جوهر النظام الاقطاعي لم يتغير ، كما لم تمسه في الصميم عملية تفسيخ علاقاته الاقتصادية في الريف .

ثمة علاقات اخرى غير العلاقات الاقتصادية كانت ما تزال باقية تعمل عملها للتخفيف من تاثير تلك التغيرات والاحداث . فالى جانب الروابط «القبلية» التي تنقلب في المدينة وفي القرية الى اسوا صورها بسبب الاحتكاك الدائم بين العائلات والاحلاف كانت هناك الروابط الطائفية .

في ظل الحكم العثماني ، وفي ذلك العهد الذي تراعي فيه العلاقات بين الطوائف كانت الروابط بين اعضاء الطائفة ومصلحتها ككل بالنظر الى الطوائف الاخرى ، كثيرا ما تقي اقطاعي الطائفة من غائلة التالب ضدهم واحيانا هي التي تمدهم بمزيد من السلطة والنفوذ . بل ان هذه الروابط هي التي كانت تتضافر لتجعل من خريجي المدارس الاجنبية واسطنبول ، من ابناء طبقة «الافندية» نخبة من ارستقراطية جديدة ، مشدودة دوما الى صفات الاقطاعية .

بعد تركز الفروقات الدينية وتبلور الطوائف والفرق الدينية وما استحكم من عداء سياسي ، زمنا ، بين المسيحية والاسلام ، وبين الطوائف نفسها ، اخذ الحكام بنمون هذه الفروقات ويشجعون الاستقلالات الذاتية الخاصة بمختلف

الطوائف ويعملون على منح زعمائها الروحيين فرمانات وبراءات متجددة ، امتيازا نافلا عن الحق المشترك ، كان يزودهم على اتباعهم بسيادة ادارية معينة بل وقانونية وتشريعية فضلا عن السيادة المعنوية . حتى باتت الجماعة منها تتمتع بلون من الاستقلال الداخلي ، في ظل الحكم العثماني ، حتى في قلب المدن نفسها (١٩) . فما بالك لو كانت متجمعة في منطقة معينة ومستقلة بها . وعلى هذا تكاد تشكل . عنصرية كانت ام دينية . كيانا ذا كفاية ذاتية ، تكون له بنيته كطبقة ، في الحدود التي لا تشكل فيها على الاقل شعبا ــ بل طبقة داخل الشعب . (من الناحية الطائفية شأن الدروز والعلويين والاسماعيلية والزيدية واليزيدية الخ .. ومن الناحية العرقية كالاكراد والارمن والشركس والاشوريين واليهود .. الخ) (٢٠) . ولعب انعدام الطرق وصعوبة المسالك بين جنبات البلاد . في ظل الحكم العثماني خاصة . دورا في انطواء هذه الطوائف وانكفائها على نفسها . وباتت الطائفة هي العشيرة الكبرى وهي الوطن (٢١) . ولما كانت الاسرة تكاد ان تكون في كافة المجتمعات البشرية هي الحادث الاجتماعي الاكثر تأثرا بالدين . بل تبدو وكأنها من خلق الدين مباشرة . فقد كان لكل طائفة نمط خاص من الاسرة كما لها حياتها الخاصة التي تتجلى الى حد ما في مؤسسات وفي فعالية مختلفة وهكذا تعددت أنماط الاسر في سوريا بتعدد الطوائف (٢٢) . وراح التعصب بل العداء (٢٣) ينخر كالسوس فيما يمكن ان يكون قد بقي من الروابط المكونة للامة . وفي حكم همه الاول تحصيل الضرائب ، لا يبالي بمقتنسيات العصر الحديث من مدارس وطرق والعناية بوسائل التقدم المختلفة (٢٤) لا يكون مجافيا للمنطق ان يخرج افراد «الرعية» او الجماعات التي لا تشعر بروابط المواطنة الحقيقية . عن تأدية الواجبات المترتبة عليها ازاء الدولة ، فالبدو والدروز والمسيحيون لا يؤدون الخدمة العسكرية وان اختلفت الاسباب لدى كل منهم وعندما فرضت الجندية على الدروز والاسماعيلية اخذوا يمتنعون ويثورون على الدولة وكان الدروز والحوارنة كثيرا ما يهجرون قراهم هربا من ذلك (٢٥) . وتميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بثورات النصيرية وامتناعهم عن دفع الضرائب (٢٦) كما تعددت ثورات الدروز وحوادث التمرد بينهم . ومن هنا نشوء الفكرة الدينية القائلة بأن مال الدولة حرام ودفع الضريبة حرام . وفي ظل هذه العلاقات العدائية بات اسلوب الحكم السائد هو أسلوب التفرقة واصبحت عبارة «فرق تسد» الشهيرة . شعار الحكم العثماني لا بين الطوائف الاسلامية فحسب وانما بين الطوائف المسيحية كذلك .

ولم يكن تلاشي سلطة الدولة يعني حينئذ الفوضى وانما كانت القوة والتقاليد، وهي في الغالب تقاليد الاقطاعي التي ارتضاها الجميع ، تحكم الامور في الارياف وفي المدن ساعد فقدان قوى الامن على «انتقال السلطات الاجرائية الحكومية الى وجوه الاحياء ومختاريها دفعا للشرور وحمل الناس على احترام الحقوق والشعور. فكل حي يسهر على راحة افراده هيآت من وجوهه واعيانه وهم بمثابة المجلس

الاداري والقضائي والتنفيذي وحماة الحقوق بالنسبة لافراد حيّهم وكل خلاف ينشا مرده الى هذه الهيئة ..» (٢٧) .

***

كانت تلك العلاقات والروابط الطائفية والعشائرية على درجة من التماسك والقوة اوهمت كثيرا من الكتاب ورجال السياسة فحسبوها اقوى من الروابط القومية الكامنة فقد كتبت جرترود لوثيان بل Luthian Gertrude Bell ، متأثرة بهذا الظاهر ، تنفي وجود امة من العرب فقالت : «.. ان الهوة التي تفصل التاجر السوري عن البدوي اعمق من الهوة التي تفصله عن العثماني . ان سوريا بلاد يسكنها عدد من الاجناس التي تتكلم العربية ، يتربص كل واحد منها للامساك بخناق الآخر لولا ان الجند ، الرث الثياب ، السيئي التغذية الذين يقبضون اجرهم من السلطان في فترات متقطعة ، يمنعونهم من ذلك» (٢٨) .

على حين كان هناك ، على عكس ذلك ، من يلمح ، وراء هذه الفوارق الطائفية ، والتناقضات العشائرية ، روابط قومية ، أصيلة ، غافية ، ويرى وراء هذا التعدد والتفكك ومظهر عدم التجانس ، وجود احتمالات عظيمة من الوحدة والعودة الى بعث الحضارة العربية في هذه المنطقة . اشترك في هذا الراي عدد كبير من الباحثين والساسة ورجال الاستخبارات البريطانية من مكتبي القاهرة وبومباي على حد سواء . وعليه اعتمد لورانس لانجاح مهمته في انبعاث الثورة ضد الاتراك . لعل مارك سايكس كان يجمل نظرة هذا الفريق الى مستقبل المشرق العربي ، في خطبته التي القاها في مانشستر عام ١٩١٧ حيث جاء : «ان العرب اليوم متيقظون من الوجهة القومية . هم متحدون في اللغة والجنس . عددهم الان سبعة او ثمانية ملايين . كم سيصبحون في سنة ١٩٥٠ ، لا شك في ان هذا العدد سيصبح عشرين مليونا وعندئذ سيعاد فتح قنوات العراق وستكون سوريا مخزن الغلال . وستصبح بغداد ودمشق وحلب مدنا كبيرة مثل مانشستر، وستكثر فيها الجامعات والمطابع ..» (٢٩) كذلك لم يكن ليغيب عن ذهن الساسة الفرنسيين ، وهم يخططون للفوز بنصيبهم من الدولة العثمانية ما بين شرق البلاد العربية ومستعمراتهم في «شمال افريقيا» من روابط قومية فراحوا يسعون لتعزيز مكانتهم هناك بمكانتهم هنا .

***

في ذلك الوسط نشأت فكرة القومية العربية ونمت وترعرعت متأثرة بالنهضات القومية الاوربية في القرن التاسع عشر التي روجتها وبثتها المدارس الاجنبية والبعثات التبشيرية وغذّتها احقاد الطوائف على الدولة العثمانية ورعتها

مصالح المجتمع السوري التجاري المتنامية مع الهيئات التجارية الاوربية . فكان ابناء الطبقة الاقطاعية ، الطبقة الارستقراطية الجديدة من زعماء مختلف الطوائف، هم حملة مشاعلها : ضباط في الجيش العثماني او اعضاء في مجلس المبعوثان او اصحاب مهن حرة او طلبة في اسطنبول وباريس وغيرهما . وفيما عدا قلة من النابهين كعزيز علي المصري او نوري السعيد وغيرهما ، ممن يكتنف اصولهم وطريقة وصولهم الغموض فاننا نجد اسماء العائلات الكبرى ، في المدن والارياف ، هي التي تتردد في قيادات الاحزاب والجمعيات التي تنظمت وتصدت لمرحلة الصدام مع الدولة العثمانية من اجل الحقوق العربية : اللامركزي ، العربية الفتاة ، العهد ، الاصلاح البيروتي .. الخ . من هنا ما اتصفت به تلك الحركات «القومية» من تعميم وتجريد وعدم تطرق لعلاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وعدم وضع برامج للمستقبل واحتمالاته ، سواء في ذلك من نادى منها بالوحدة العربية ام من قصر آراءه على سوريا وحدها . فقد كان همها العمل على ضم شخصيات معروفة وذات مركز اجتماعي هام وظل الغالب عليها اعتبار جماهير الشعب جاهلة ، غير قادرة على العمل الحزبي يجب ان توجه وتدفع دفعا ، وان طبقة الذوات هي وحدها القادرة وهي وحدها المؤهلة .

لم يختلف تكوين الاحزاب في طبيعته وأسلوبه ابان العمل العلني عنه في المرحلة السرية في ظل الحكم العثماني . فقد ظل عمادها ابناء طبقة الملاكين الكبار في المدن والارياف وابناء العائلات الكبرى ذات الارتباطات العشائرية الواسعة والمكانة الموروثة والمستظلون في ذرى نفوذهم من ابناء البورجوازية الناشئة في كنف العلاقات الاقتصادية الجديدة مع الغرب . ذلك ان هؤلاء جميعا ما زالوا يرون ـ رغم تدفق صور الحياة الاوربية ومظاهرها الى بلادهم ، انهم هم وحدهم المؤهلون للقيام بالعمل السياسي وهم وحدهم المسؤولون عن البلاد . لا لان مصالح العمال والفلاحين والتجار الصغار لم تضار بالانتداب ـ فقد راينا ، على الاقل ، الخلخلة الاقتصادية التي ترتبت على تقسيم البلاد وادخال العملة الجديدة ، وتغيير وجهة الاستيراد والتصدير وصعوبة الوصول الى الموانىء .. ـ وانما لان القائمين على الاحزاب كانوا يعتبرون الجماهير غير قادرة على العمل الحزبي من جهة ولانهم لا يؤمنون بمزايا التنظيم وفعاليته . ومن واقع انكارهم على الشعب حقوقه الاجتماعية كانوا يأبون مشاركته في تقرير مصير البلاد . وعليه كانت مجموعة من الافراد يتنادون ، تطورا لموقف سابق او ردا على ظروف معينة طارئة ، او املا بنجاح تيار ما يتراءى ازدياد نفوذه ، الى تأليف حزب واعلان مبادئه في اجتماع عام ، وليس كنتيجة لدراسة عميقة ، منظمة تصل بهم الى قناعات صلبة . وعلى ذلك كان الاسم المعروف اللامع ، المركز الاجتماعي ، الملاءة المالية التي يتمتع بها الشخص اهم في الحزب من الاستقامة على المبدأ والتعلق به . فلم يكن غريبا ان ينتمي الشخص الى اكثر من حزب وان يغير مواقفه ، تبعا لمصالحه الخاصة واحيانا تبعا لمصالح عائلته او عشيرته .

الفصل الاول

الصلات التاريخية

لقد ربطت فرنسا علاقات الصداقة مع الدولة العثمانية ، التي نشات بين فرانسوا الاول والسلطان سليمان القانوني ، فاخذت أواصرها تقوى ، بماضيها في الحروب الصليبية في بلاد الشام ؛ ثم راحت تبلور هذه العلاقات المزدوجة بالباب العالي وبطوائف المنطقة العربية ، تارة بـ «حق تاريخي» لها في المنطقة واخرى بروابط روحية وحماية دينية او بصلات ثقافية متزايدة .. الخ. ومن خلال ذلك، لم يهل القرن العشرون حتى اوصلت تلك الصلات ، على اختلاف أوجهها ـ تدعمها مصالح اقتصادية كبرى، متمثلة في مؤسسات وبيوتات وشركات تجارية متنامية ـ حدا اصبحت معه بعض الطوائف في المنطقة تشعر باندماجها في فرنسا وتشعر بأنها جزء منها في المشرق .. ، ذلك ان فرنسا ، مع شدة حرصها وتنافسها مع انكلترا والمانيا خاصة لربط حركات التقدم الناشئة في المنطقة ، للتحرر من الدولة العثمانية . ربطا وثيقا بها ، والسعي الى احتواء حركات الاصلاح ، ظلت تقيم سياستها . ككل دول اوربا ، خارج حدودها ، على النزعات الدينية .

ومن جهة اخرى فالاسلام الذي كان اهم عامل يجمع العرب والاتراك في رابطة متينة وكانت له من الحيوية الخلاقة والقدرة على التقدم واستيعاب الخصوم والتفاعل في الحركة مع الآخرين ، تحوّل ، بعد نجاح الفتوحات ، في ظل الحكم العثماني الراكد . الآسن الى حالة من الجمود تبرر ، بل تحفز تشبث الآخرين

بالطائفية والتمترس وراءها . وعلى هذ .. سور الحكم في الامبراطورية العثمانية ، منذ زمن بعيد على طرفي نقيض مع تطورها في الغرب . فعلى حين اخذ الحكم في الغرب يتطور باتجاه القومية مما اضطر الكنيسة في كل دولة من دوله الى التلاؤم مع روح الحكم حتى لقد اضطرها هذا التلاؤم الى الانفصال عن روما (شأن الكنيسة في المانيا ، انكلترا ، فرنسا ، روسيا) فان الحكم العثماني عجز عن التطور الى ما يبرر له وجوده ويثبت دعائم امبراطوريته بغير المغالاة في الدين والتعصب له . وقد برر الغلو الديني ــ الى جانب اغراض واسباب اخرى قد تكون هي الاصل ــ للقوى المسيحية الكبرى ان تجعل من «الامتيازات» (١) نفوذا حقيقيا لها داخل الامبراطورية العثمانية امتد الى ان كاد يصبح دولة داخل الدولة ، فاستغلت على هذا النحو بدراية وتبصر المنافسات الطائفية والعشائرية واججتها . فالانجليز ، الذين عجزوا عن العثور على اقلية تشترك وإياهم في المعتقد لان الانجيليين العرب اقلية ضئيلة جدا ، اتخذوا جانب الدروز (٢) واليهود في فلسطين وسوريا والاقباط في القدس ونصب الفرنسيون انفسهم حماة للموارنة في حين كان الروس يسهرون بعناية قصوى على مصالح الطائفة الارثوذكسية (٣) . وعلى الرغم من منافسة الالمان لفرنسا في الحماية على الكاثوليك وما كان يطرا احيانا من تعكير لصفو علاقتها التقليدية القديمة بالباب العالي ، كانت حمايتها اليقظة لمسيحيي الشرق تجعل منهم كانهم فئة من رعاياها داخل الامبراطورية العثمانية . حتى لقد كان من التقاليد الدينية المتبعة ان يشهد القنصل اداء الصلاة في الاعياد ليعبر امامه وله الرؤساء الروحيون عن ابتهالاتهم لله ان يقوي فرنسا ويمنحها الخير والبركة ثم «يذهب الناس بعد الصلاة الى البطريركية فيلقي رجالات البلاد امام ممثل فرنسا خطبا بالعربية او بالفرنسية ، موضوعها الاخلاص لفرنسا وتجديد الولاء لها اعترافا بفضلها كدولة حاميةللكاثوليك في الشرق ..» حيث كان يردد القول : «من ذا الذي لم تصبه اعمالها الطيبة وتطبعه بطابعها ؟ واية مؤسسات لا تدين لها بعيشها بل وبوجودها نفسه ؟ ومن هم الشباب الذين لا يدينون لها بتربيتهم ؟ اليس ما نحس به من طمأنينة ومن هناء يرجع فضله الى فرنسا ، فرنسا النبيلة ، العطوف .. التي جعلت واجبها دائما حماية بلداننا ، مهد المسيحية التي ضرب لها غودفروي دي بويون Godefroy de Bouillon والصليبيون البواسل اروع الامثلة» (٤) . ومنذ القرن السابع عشر ــ والدولة العثمانية ما تزال قوية ــ تشير وثائق وزارة الخارجية الفرنسية الى ان قناصلها كانوا يتدخلون حتى في السلوك الخاص لرجال الدين المسيحي وضبطه وتوجيهه مما كان يؤدي احيانا بالاتصال بالرؤساء الى التنحية او النقل (٥) .

لقد ساد الاعتقاد في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين ، كثيرا من الاوساط في الامبراطورية العثمانية انه لا بد لاي «اصلاح» او مطلب لاية جماعة من الناس قِبَل الحكم من ان تدعمه احدى الدول الكبرى (٦) . كما ان «الغرب

اليوم مقتدى الشرق» (٧) في كل اصلاح . وعلى هذا ، فان اصحاب المطالب ، اذا لم يكن القناصل يتصلون بهم ، بمثل تلك الدوافع للحصول على دعم ، يتوجهون اليهم ويطلبون تدخلهم (٨) . ومن واقع العداء الطائفي والتناحر العشائري ، شأن ما كان من جراء العداء بين الدروز والموارنة من التجاء كل من الطائفتين الى دولة كبرى وتذرع كل من الدولتين الكبيرتين بطائفتها لتكون مبررا لتدخلها في شؤون الامبراطورية العثمانية ، لم يكن غريبا ان يلجأ زعماء الطوائف والعشائر الى الدول الكبرى التماسا لقوة ومنعة من عاديات الايام . يغذي هذه الدوافع احساسهم بقرب انهيار الامبراطورية العثمانية وضعف روابطهم بها وتعاظم دعاية الغرب وتضخيم قوته . وكل ذلك في غياب من الوعي القومي . ومن هنا ما نجده في رسائل قناصل فرنسا من اتصال كثير من الزعماء العرب بهم لاستعداء فرنسا على الدولة العثمانية وتحريضها على عدم مدها بالمعونة لاعتبارهم ان اية معونة تقدم لها سوف توجه ضد اصدقاء فرنسا خاصة والغرب عامة من العرب (٩) ، بل ثمة هيئات وحركات نشأت في كنف الدول الاستعمارية ولم تر غضاضة او انتقاصا من شأنها العمل على الاستقلال عن الدولة العثمانية في حماية احدى هذه الدول «كالجمعية اللبنانية» و«الجمعية الاصلاحية» و«اللجنة المركزية للاصلاح والدفاع عن مصالح السوريين» و«اللجنة المركزية السورية» في باريس و«المنتدى العربي» (١٠) .. الخ .

كانت تدعم نفوذ فرنسا السياسي في الامبراطورية العثمانية المتمثل في حق تقدم ممثليها السياسيين على غيرهم من ممثلي الدول الكبرى الاخرى ، ثقافة واسعة الانتشار في سوريا . فمنذ العقد الثالث من القرن التاسع عشر فتح اليسوعيون مدارس في بيروت وغزير وزحلة ودمشق وحلب واعاد الآباء العازاريون فتح كليتهم في عينطورا (١١) وتوالى ايفاد البعثات التبشيرية وانشاء المؤسسات الثقافية ، دينية كانت ام علمانية وعلى راسها الجامعة اليسوعية (مدارس ، كليات ، مدارس راهبات ، اديرة ، مستشفيات ، ملاجىء للايتام ، مستوصفات) امتدت اقامتها او آثارها الى المناطق النائية . وبذلك انتشرت اللغة الفرنسية على نطاق واسع بين المسيحيين والمسلمين على السواء (١٢) اذ جعلت الحكومة الفرنسية امداداتها المالية اليها على اساس نجاحها في نشر التعليم ومقامها في المجتمع وما تقدمه لفرنسا من خدمات (١٣) . ومع تقدير ارسالية المسيحية الامريكية حق قدرها ، وهي التي قدمت لبنان سنة ١٨٢٠ وفتحت حتى سنة ١٨٦٠ لا اقل من ٣٣ مدرسة (١٤) ، ونشاط الروس في بناء الكنائس والمدارس خاصة على اثر ما نالته من امتيازات منذ سنة ١٧٧٤ بمعاهدة كوتشك كاناردجي حتى بلغ عدد مدارسها في سوريا سنة ١٩١٠ اكثر من مئة مدرسة يتعلم فيها اكثر من عشرة آلاف طالب (١٥) . فان الاسس الغربية التي نجحت تلك الارساليات في تنشئة الاجيال الجديدة عليها كانت متشبعة اكثر ما تكون بالروح الفرنسية وطرائق الفكر الفرنسي . في البداية تمثل ذلك في وسيلتين : تقديم الخدمات الطبية

للمرضى والتبشير بالانجيل وهما وسيلتان متلازمتان ، كما يقول غريغوري وورتبيرت Gregory Worthebert وهو من افضل المبشرين ، تكمل الواحدة الاخرى» .. لكن اثر هاتين الوسيلتين : الوعظ والتطبيب ، يظهر في نفوس البالغين والمتقدمين في السن ... غير ان هنالك وسيلة ينحصر اثرها العميق في نفوس الصغار . وسيلة تكون اذا احسن استعمالها ، وبمعونة الله جل جلاله ، السبيل السوي لبعث الحياة الجديدة في البلاد السورية ، اعني تربية النشء الصغير في هذه البلاد .. وحجتي هي اننا اذا اسسنا اليوم في جميع انحاء سوريا مدارس كالمدارس التي اشرت اليها آنفا – لاسيما ان الحاجة ماسة اليها، والناس يطالبون بها – فمن منا يستطيع ان يتصور خطورة النتائج التي ستسفر عنها هذه المدارس في الاجيال الطالعة .. ومن منا يشك لحظة في قيمة الاثر الذي تتركه هذه المدارس في حياة سوريا الاجتماعية والخلقية» (١٦) .

الى جانب ذلك سعت فرنسا قبل الحرب العامة بزمن طويل الى ان تكون لها صحافتها التي تعبر عن وجهة نظرها وتحارب بها نفوذ الدول الاخرى كلما امكن ذلك . فالسكان والاتحاد اللبناني والاحوال والنفير وزحله الفتاة والثبات والبشير كلها جرائد تعمل على توطيد النفوذ الفرنسي وتبشر لها في البلاد (١٧) . ومهدت لاعوانها البارزين من الكتاب مجالات اوسع لخدمتها فعينت خير الله «الداعية العربي» المعروف، عضو المؤتمر العربيالاول في جريدة الطان Le Temps في باريس ليكتب لها الفصول عن احوال سوريا ولبنان ومكنت رزق الله ارقش وخليل زينيه ، عضو المؤتمر العربي الاول ، من الهرب الى مصر . وكان المال احيانا كفيلا باسكات الصحف المناوئة . وهكذا ما لبث محمد كرد علي صاحب القبس ، الذي كان يناهض التيارات الغربية صراحة ، ان اخذ يكتب داعيا الى ضرورة افتتاح مدارس افرنسية على ان تكون علمانية وذلك لتعلق المسلمين بالثقافة الفرنسية ولتوفير عناء ارسال اولادهم الى مدارس بيروت (١٨) . ثم ما لبث ان انتقل من الدعوة للثقافة الفرنسية الى امتداح الاستعمار الفرنسي وتفضيله على الاستعمار الالماني «اذ شتان ما بين الفرنسيين الوديعين ، خفاف الروح ، الاجتماعيين والالمان المنطوين على انفسهم ، الذين يعيشون في احياء منعزلة . مغلقة على نفسها كالجيتو (شأن الاسر الثمانين التي عاشت في حيفا عام ١٨٦٨) في حياة متكاملة تكفي نفسها بنفسها لم تتعلم من العربية حتى ولا تلك العبارات القليلة الضرورية للاحتكاك بالاهالي . على عكس الفرنسيين فان اللغة الفرنسية بآدابها وتاريخها وحضارتها المنتشرة في سوريا بفضل البعثات الدينية التي تمدها الحكومة الفرنسية تجعل الفرنسي القادم الى هذه البلاد يحسب انه في بلاده وان السوري المسافر الى فرنسا لا يجد نفسه غريبا فيها (١٩). ورأى القنصل الفرنسي في قلق صاحب جريدة الكرمل فيحيفا من تغلغل النفوذ الالماني بواسطة الصهيونية واندفاعه لمهاجمته بدافع كراهيته للصهيونية وتسربها الى فلسطين ، ما يؤيد النفوذ الفرنسي بصورة غير مباشرة (٢٠) فراح يشجعه ويستميله حتى انتقل الى

التأييد صراحة : «فما دامت حكومتنا ـ الحكومة العثمانية ـ تجد نفسها مضطرة لمنح فرنسا امتيازات موانيء وطرق حديدية ومشاريع اقتصادية اخرى في سوريا للحصول منها على المال اللازم للانفاق على الجيش والموظفين والدفاع عن البلاد... وبالنظر الى ان الدول الاوروبية متفاهمة مع فرنسا ومتواطئة على عدم معارضتها في سوريا .. فلسنا نملك ، نحن امر حرمان فرنسا من مزاياها الاقتصادية . بل يجب ان نتأكد من ان كل مقاومة من جبتنا يمكنها الاضرار بمصالحنا الخاصة...» وفضلا عن هذا كان الالحاح متواصلا من جانب وزارة الخارجية الفرنسية على قناصلها للعمل على اصدار صحف تنطق باللغة الفرنسية وايجاد مدراء مسؤولين محليين وتقدير المعونات المالية اللازمة لذلك (٢١) .

كثيرا ما قيل بأن فرنسا لا تملك في سوريا الا مصالح عاطفية على حد قول بيكونفيلد (٢٢) Beaconfild وانها لا تسعى الى الاستعمار كانجلترا لاسباب اقتصادية وانما لاعلاء شأن الامة الفرنسية والحضارة الفرنسية وتوفير المجال لاعمال الوطنيين المتحمسين (٢٣) . والحقيقة ان المصالح الاقتصادية كانت تختفي وراء اصوات الاعتزاز بالثقافة الفرنسية ومظاهر التهويل من دور الحضارة الفرنسية (٢٤) . فان مصالح فرنسا المادية في تركيا ، سواء اكانت على شكل قروض للدولة او موظفة في امور اقتصادية وتجارية ، كانت تبلغ ٦٥ بالمئة اذا ما قيست باجمالي مصالح الدول الاخرى ، وكانت غالبية البنوك والسكك الحديدية والموانيء في ايدي فرنسية وكذلك المشاريع الاخرى من مناجم ومياه وغاز وتبغ وطرق واستثمارات زراعية وصرافة وشركات عقارية (٢٥) .

كانت تؤمن هذه المصالح منذ زمن طويل ثلاثة خطوط بحرية فرنسية تربط موانيء فرنسا بشرق البحر الابيض المتوسط : ١ ـ المساجيري Messageries البحرية التي تملك مصلحتين متميزتين : النقل السريع والنقل العادي ، ٢ ـ شركة شبريان فابر Cyprien Faber وتملك خطا مباشرا بين بيروت ومارسيليا مارا بيافا والى نيويورك مارا ببيروت ويافا والقسطنطنية وبيريه ، ٣ ـ الشركة البحرية الاستعمارية التي تربط بيروت وشرق البحر الابيض المتوسط بمارسيليا بالدرجة الاولى (٢٦) . وذكرت نشرة غرفة التجارة بليون Lyon «ان سوريا وهي بلاد الحرير المرتبطة بسوق ليون العظيم الذي اصبح منذ افتتاح قناة السويس اعظم مراكز العالم للمواد الحريرية ، ترسل لنا مقدار خمسمائةالف كيلو من الحرير سنويا بما قيمته ٢٥ مليون فرنك . ولم يكتف مواطنونا باستيراد المنتجات المعدة محليا بل اقاموا هناك وخاصة في لبنان مصانع للغزل واصبحت الشرانق التي كان شراؤها يتطلب ربيع كل سنة رؤوس اموال هائلة ، تشتري بأرباح اموالهم الموظفة هناك . وفضلا عن انهم اصبحوا يعرفون مراكز الانتاج في تلك البلاد فقد اقاموا علاقات وثيقة مع الاهالي في كافة المناطق الزراعية حتى حوافي الصحراء وباتوا ، في تلك الديار ، يجسدون فرنسا التاريخية» (٢٧) . وفي الداخل عززت فرنسا هذه العلاقات بشبكة من السكك الحديدية . صحيح

ان الماليين الفرنسيين كانوا ينظرون لاي مشروع من مشاريع السكك الحديدية من زاوية المردود فحسب ولا يهتمون بغير ذلك ، كما قال السيد شارل رابوت Charles Rabot ، لذلك نراها جميعها تنطلق من ميناء مثلا (طرابلس ، بيروت ، يافا) للانتهاء بمدينة في الداخل تتجمع فيها المصالح (٢٨) ؛ الا انها كانت تؤمن المطلوب منها . وهي : أ ــ الطريق العريض الذي بنته شركة تأسست سنة ١٩٠٣ ويرمي الى ربط شمالي سوريا ببغداد ثم بالبصرة ولم ينفذ كله ؛ وكان القسم المنفذ منه ينطلق من حلب فينقسم الى فرعين احدهما يقطع الحدود السورية التركية عند شوبان باي Tchoben - Bey وينتهي عند نصيبين مارا بجرابلس وراس العين والثاني ويخترق تركيا الى القسطنطينية مارا بطوبراق كاليه Toprak - Kalé وادن وينيجه Yenidjé وكونيا Kania واسكي شير Eski - Cheir وهو طريق قطار الشرق السريع الذي يربط باريس بحلب في خمسة ايام . ب ــ الـ D.H.P. وهي شركة فرنسية تتفرع الى ثلاثة طرق: دمشق ــ بيروت ، رياق ــ حلب (١٩٠٢) ، حمص ــ طرابلس (وفي عام ١٩١٤ حصلت فرنسا على امتياز خط من حمص الى دير الزور : لم ينفذ) . جـ ــ خط الحجاز ويصل دمشق بدرعا ثم المزيريب (١٨٩٤) ؛ وفي درعا يتفرع الى فرعين يتجه احدهما الى حيفا ويقطع فلسطين الى مصر ويتفرع منه طريق الى القدس والثاني يتجه من درعا الى عمان ويقود الى الحجاز (٢٩) . وفي عام ١٩١١ كانت رؤوس الاموال الفرنسية المستخدمة في سوريا تتجاوز (١٥٠) مليون فرنك (٣٠) . فضلا عن امتلاكها لشركة الترام اللبناني شمال وجنوب بيروت ومساهمتها في شركات الجر والتنوير في سوريا الداخلية (٣١) .

في العقد الثاني من القرن العشرين كانت مصالح الدول الكبرى المتنافسة على تركة الرجل المريض ، من خلال تلك العلاقات العجيبة بينها وبين الامبراطورية العثمانية الهرمة ـ المنهارة ـ قد توضحت وتركزت . فما ان اندلعت الحرب حتى كان قد آن للحلفاء ان يحزموا فكرهم وامرهم في حماية هذه المصالح الخاصة في تركيا وان يحلوا المسألة الشرقية التي طال أمدها حلا نهائيا وذلك بالاتفاق على تجزئة الامبراطورية العثمانية . والواقع ان فكرة التقسيم كانت قد اختمرت عندما توصلت بريطانيا بالاشتراك مع فرنسا بعد تردد «طال امده الى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في شهر آذار (مارس) ١٩١٥ تذعن بموجبها هاتان الدولتان الى مطالب روسيا من انه في حال انتصار الحلفاء فان استانبول والمضايق تضم الى ممتلكات القيصر (٣٢) . بقي الشق الثاني من القضية وهو حصة كل من بريطانيا وفرنسا من غنائم الحرب عندما تنهزم تركيا ، ليس من وجهة تسوية المسألة الشرقية فحسب وانما من حيث الابقاء على توازن القوى في البحر الابيض المتوسط وفي منطقة الشرق الاوسط ايضا . والواقع انه عندما تم الاتفاق على اتفاقية استانبول وافقت روسيا على الاعتراف «بحقوق بريطانيا العظمى وفرنسا في الممتلكات العثمانية الآسيوية» («La reconnaissance des droits de l'Angleterre)

et de la France dans la Turquie d'Asie») كما انها وافقت ايضا على ان تكون الاماكن الاسلامية المقدسة والجزيرة العربية ضمن حكومة اسلامية(٣٣). وفي الوقت الذي لم تكن فيه بريطانيا قد حددت نهائيا ما كانت «تتمنى» الحصول عليه من تركة الامبراطورية العثمانية، كانت فرنسا تطالب بصورة محددة بضم سوريا وخليج الاسكندرونة حيث كانت تتطلع منذ زمن بعيد، وتملك من المصالح المتراكمة اكثر مما تملك في اي قطر من الامبراطورية العثمانية، وكثيرا ما عبر لها الاهلون عن آيات الاخلاص والمودة والترحيب، ولم يكن ثمة من احد ينازعها حقوقها هذه في هذا الاقليم ومنذ عام ١٩١٢ حصل بوانكاريه Poincarée وهو وزير للخارجية من السير ادوارد غراي Grey وزير خارجية انكلترا على تصريح بأن انجلترا تؤكد عدم اهتمامها السياسي فيما يتعلق بسوريا (٣٤) كما كانت ترنو الى كيليكيا Cilicie وهو امر وافق عليه القيصر وكان من الطبيعي آنذاك، كما كان من الضروري ان يعقب الاتفاق حول استانبول والمضايق اتفاق آخر اصبح يعرف فيما بعد باتفاقية سايكس ـ بيكو. وهي التي سماها الفيكونت غراي Grey بـ «الاتفاقية الفرنسية ـ البريطانية ـ الروسية السرية حول مناطق النفوذ في آسيا الصغرى» (٣٥). ويتضح من «مراسلات حسين مكماهون» التي كانت تمهيداتها تترتب في ذلك الحين. ومع انها لم تكن واضحة لدى الفرنسيين او يكونوا على علم تام بها (٣٦) ان بريطانيا كانت تستثني من الاتفاق مع الشريف بعض المناطق الداخلة في الحدود التي كانت تشعر بانها ليست حرة التصرف فيها «دون ان تمس مصالح حليفتها فرنسا» (٣٧).

في ٣ يونيو من عام ١٩١٥ افتتحت غرفة تجارة غرونوبل Grenoble سلسلة من المطالب والدراسات تقدمت بها غرف تجارة فرنسا وخاصة في المدن المحاذية او المتجهة الى البحر الابيض المتوسط اخذت تبدي امنيتها الملحة الى وزير الخارجية الفرنسية في «حماية مصالحنا في سوريا والتوسع ما امكن في هذه البلاد» (٣٨). وكانت بعض الشائعات قد راجت عن احتمال تخلي فرنسا عن سوريا كليا او جزئيا اذا قسمت الامبراطورية العثمانية بين الحلفاء وايدتها مقالات متفرقة في عدد من الصحف والمجلات الرصينة. وفي هذا الوقت من عام ١٩١٥ رفع رئيس غرفة تجارة ليون Lyon مذكرة الى وزير الخارجية يطالب فيها باسم الغرفة بالمحافظة على «حق» فرنسا في سوريا، مدعومة بتحليل سياسي واقتصادي لعلاقات فرنسا بسوريا منذ العصور الوسطى (٣٩). وفي ٢٣ يونيو (حزيران) من العام نفسه رفع أدريان ارتو Adrien Artaud رئيس غرفة تجارة مارسيليا، بعد مداولات مجلس الغرفة، مذكرة مطبوعة مرفقة بدراسة تاريخية واقتصادية. الى وزير الخارجية يطالب فيها بسوريا لفرنسا استهلها بقوله ان غرفة تجارة مارسيليا اذ تفكر باحتمال تقسيم الامبراطورية العثمانية ترى انها تخون مهمتها اذا لم تفصح عن امنيتها في ضرورة اهتمام فرنسا بسوريا، تلك

الارض التي وضع وطننا بصماته عليها منذ عصور الى حد امكن تسميتها بفرنسا الشرق . لذلك نعتقد من واجبنا التذكير بالاسباب التاريخية والاقتصادية التي تدعونا الى الانضمام الى صف أولئك الذين يطالبون - من اجل فرنسا - بحق الاستمرار في اتمام رسالتها التاريخية في سوريا وفلسطين .. ومن اجدر من غرفة تجارة مارسيليا بهذه المطالبة وهي التي نشأت منذ عام ١٥٩٩ على علاقة بالشرق فكانت ممارسة تجارها العامل الفعال في تأثير فرنسا وتوطيد نفوذها وخاصة في سوريا بما يسرته اقامة الاسر والبيوتات الفرنسية ، وسط الصعوبات الجمة ، من نشر محبة فرنسا ولغتها في شرق البحر الابيض المتوسط (٤٠) . وفي أكتوبر (تشرين الاول) من عام ١٩١٥ قدم ديكو ـ لاغوت Decaux - Lagoutte عضو غرفة تجارة بيريغو Perigueux الى مجلس الغرفة المنعقد دراسة مطبوعة حول المسألة السورية . ثم رفع رئيس المجلس هذه الدراسة بعد اقرارها الى وزير الخارجية بكتاب استهله بقوله : ان غرفة تجارة بيريغو ، بالنظر الى احتمال تقسيم الامبراطورية العثمانية القريب وبالنظر الى حقوق فرنسا في سوريا ، تلك البلاد التي يرجع نفوذنا المعنوي فيها وسياستنا الى عهد الصليبيين، وحيث ان مواطنينا قد وظفوا فيها رؤوس أموال طائلة في منافع عظيمة عامة كما وظفوها في مشاريع خاصة عديدة . تعرب عن امنيتها في العمل لكي تكون سوريا بحدودها الطبيعية من طوروس ونهر توشماسو Tochmassau (جزء من الفرات) وهضاب جبل طور فوق ماردين ونصيبين والحساوي Hassawi والخابور وخط يذهب من المنعطف الكبير لنهر الفرات الى فردي Verdi حتى العقبة والعريش وجميع جزر سواحل البحر الابيض المتوسط من العريش الى الايا Alaya بلا استثناء وبدون تحفظ ، الى فرنسا (٤١) .

وفي اعقاب الحرب ، عندما حان الوقت لاقتسام الغنائم . نشطت غرفة تجارة مارسيليا في اثارة الراي العام الفرنسي للمضي في المطالبة بسوريا كاملة غير مجزاة. وهبّت موجة من النقد لاذعة لاتفاقيات عام ١٩١٦ لتخليها عن مصالح فرنسا وخيانتها لعلاقاتها التاريخية ، شاركت فيها قطاعات عديدة ومختلفة من الناس(٤٢) وبلغت غرفة تجارة مارسيليا ذروة نشاطها عندما تولت الدعوة الى عقد مؤتمر فرنسي ـ سوري من اجل سوريا في يوم ٣ و٤ و٥ من شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩١٩ تراسه Franklin Bouillon ، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي وانتخب مساعدا له شكري غانم ، رئيس اللجنة المركزية السورية (احد اعضاء المؤتمر العربي الاول البارزين) ؛ وكان عدد المؤتمرين ١٥٤ عضوا بينهم عدد كبير من السوريين ، فتدارسوا جميع القضايا المتعلقة بسوريا : اقتصادية وتعليمية وصحية واثرية وتاريخية وجغرافية وجنسية (٤٣) . واذا كانت قضايا التعليم والتاريخ والدراسات الجنسية ، ذات دلالات هامة ، على المدى الابعد . في توضيح مرامي السياسة الفرنسية خاصة والغربية بوجه عام ،

للتشكيك في اصول سوريا العربية ولتوجيه هذه العلوم الى ابراز الفروق العرقية بين طوائفها ، خدمة لاهداف الاستعمار ، وبالتالي الى التركيز على فصل سوريا عن العالم العربي (٤٤) . فان اهتمامات المؤتمر بالقضايا الاقتصادية كانت ذات اثر فعال مباشرة ، فقد كان المؤتمر دعوة حارة للبيوتات الفرنسية التجارية الكبرى وشحذاً لعزائمها للعودة الى ممارسة نشاطها الاقتصادي في سوريا الى جانب الكريدي ليونيه وبنك سالونيك والبنك العثماني .

هذا الحرص الشديد على «دور فرنسا التاريخي» في سوريا وعلى«رسالتها» فيها ، لم يكن دافعه ، في حقيقة الامر ، حرص فرنسا على مصالحها الاقتصادية والثقافية في سوريا فحسب . بل كان كذلك للمحافظة على «ممتلكاتها» العربية الاسلامية في شمال افريقية (تونس والجزائر ومراكش) فقد كان المقيم العام في تونس السيد فلاندان Flandin ينادي بانه «من الضروري الحفاظ على تفوق فرنسا المعنوي والسياسي في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط .. فان المراكز الفرنسية في تونس ، شأنها في سائر الشمال الافريقي ، لا تملك ان تقدم ضمانات دائمة اذا لم تمتد الى سوريا ، الى حلب ودمشق خاصة ، هذا المركز الاسلامي العظيم» (٤٥) . ولم يكن هذا الموقف من وحي الظروف المستجدة في شمال افريقيا بعد الحرب فحسب وانما كان هذا هو موقف فرنسا الدائم . فقبل الحرب ومنذ زمن طويل كانت تراعي انعكاس اعمالها في المشرق العربي على مغربه وظلت تدخل ذلك في اعتبارها بعد ذلك ما استطاعت اليه . ففي عام ١٩٣٤ قال السيد غراسيان قوداس Gratien Caudace ، على اثر رحلة الى تركيا وسوريا ، في مداخلته في البرلمان ، ما يلي : «لا بد من ان نأخذ حذرنا من ان اي اضطراب في تلك البلاد الاسلامية يرتد اثره الى «منطقتنا» الافريقية . لقد قيل بحق انه يمكن اعتبار البحر الابيض المتوسط نطاق دوي واحد ، واسع المدى. تتردد امواج اصدائه سريعا عبر الاسلام والعربية من شواطئه في المشرق الى شواطئه في المغرب ، على مشارف المحيط . فعلينا ان نوحي الى سكان هذه المناطق باحترامنا للعدالة المطلقة ..» (٤٦) .

***

قسمت اتفاقية سايكس ــ بيكو منطقة الشرق العربي الى منطقتي ادارة مباشرة : زرقاء لفرنسا وتضم الساحل السوري ــ اللبناني ، دون فلسطين ، مجتازة سيواس في قلب الاناضول ، وحمراء لانكلترا تضم العراق الاسفل ابتداء من شمال بغداد ، محتفظة من الساحل الفلسطيني بمينائي عكا وحيفا . ثم الى منطقتي نفوذ : زرقاء لفرنسا تضم حوران ودمشق الى حدود حلب شمالا والموصل شرقا حتى حدود ايران وحمراء لانكلترا تبتدىء من العقبة الى جنوب غزة محاذية في الشمال منطقة النفوذ الفرنسية ، مجتازة كركوك ، راسمة في الصحراء العربية

قوسا مماسة خط غزة ــ النجف تقريبا (٤٧) .

هكذا تقلّص «الحلم الفرنسي» عندما ترجم على الورق ، في اتفاقية رسمية، متراجعا امام ضغط المصالح البريطانية ، فتخلى عن جنوب سوريا اي عن الشطر الاكبر من فلسطين ، كمنطقة نفوذ بريطانية لتبقى ظهيرا لمصالح بريطانيا في مصر من جهة ومن جهة اخرى لتحقيق وعود ازجيت للصهيونية ، لـــم تكن فرنسا تعلم بها .

وبعد توقيع الهدنة مع تركيا واستسلام المانيا كانت المسألة هي الوصول الى تطبيق اتفاقية سايكس ــ بيكو وكيفية اخراجها للرأي العام المتغير في الظروف المعقدة التي خلقتها الحرب وفي ضوء ما كشفته من تشابك المصالح ومن التطلعات. والمعضلة ان فرنسا لم تتمكن من انفاذ حملة لتحرير سوريا كما تقتضي ادعاءاتها «التاريخية» في سوريا وحمايتها وبحسب ما تزعمه من تشبث قطاعات عديدة من الاهلين بها (٤٨) على الرغم من الحاح سفارتها في القاهرة بضرورة قيامها بذلــك ومطالبة أعوانها وعملائها بل وبعض احرار سوريا في الداخل والخارج (٤٩) وذلك لان الجبهة الغربية ؛ ضد المانيا . كانت تشغلها وتستوعب جميع طاقاتها . فــان انكلترا هي التي قامت بالحملة المطلوبة في سوريا وانفردت بالتخطيط لها مع العرب وجندتهم لها بأموال ومعونات اكثرها انجليزية (٥٠) وبذلك اتاحت مجالا واسعـــا لجميع أولئك الافراد او الجماعات والقوى الناقمة على علاقات فرنسا الطائفيـة بسوريا ان تتجمع حول سياسة فيصل المنفذة لسياسة الانكليز . وانفرد الانكليز في تحرير العراق ولم يشركوا حتى العرب الذين كانوا يقدمون العروض لذلـــك ويزعمون قدرتهم على تحقيقه (٥١) بل جندوا العراقيين والمنتمين «للعهد» منهم في سوريـــا .

الفصل الثاني

اثر متغيرات الحرب على صلات فرنسا بسورية

لم تكن سنوات الحرب العامة الاولى الاربعة بالمدة التي تذكر بالقياس الى تاريخ العلاقات الطويل بين فرنسا وسوريا «الطبيعية» «الكاملة» ؛ لكن ما استجد اثناءها من ارتباطات وما وقع من أحداث وردود الفعل كان كفيلا بتغيير وزعزعة القناعات القديمة وصور التفكير وتبديد الاماني والخطط المتعلقة بهذه المنطقة . وكان على الفرنسيين ان يواجهوا هذه المتغيرات وصولا الى تحقيق حلمهم القديم في سوريا والى استلام مهام الانتداب ـ في لغة عصبة الامم ، لقيادة خطى سوريا الى «الحضارة» . ودراسة هذه الفترة القصيرة ، وانما الغنية بحوادثها ـ وان كان لا يستجليها حيز صغير من كتاب ـ امر لا بد منه ، لاستعراض ملامح وقائعها الرئيسية . لاهميتها في فهم دوافع السياسة الفرنسية طوال فترة وجودهم في سوريا .

بدخول الدولة العثمانية الحرب ضرب الحلفاء الحصار على الطريق البحرية المؤدية الى سوريا واحكمت الدولة من جهتها قبضتها عليها . ثم سادها بمجيء جمال باشا ارهاب لا مثيل له في التاريخ في ظل الاعتقالات بالجملة وعمليات التهجير (١) . والمحاكم العرفية والمشانق لمن قيل انهم ارادوا «بيع أوطانهم للاجنبي» (٢) . والمجاعات التي حلت بسبب جمع مواسم الحبوب للجيشين التركي والالماني وجشع التجار وتحجر قلوبهم . ازاء بؤس المواطنين وشقائهم والحصار

المضروب على البلاد وظهور الجراد سنة ١٩١٥ ، بأسراب كانت تحجب نور الشمس في رابعة النهار في كل من سوريا ولبنان وفلسطين فأكل كل شيء اخضر (٣) . وقبل ان يطلق الشريف حسين رصاصته الاولى ايذانا ببدء الثورة على الدولة العثمانية ، كان حمى الانجليز في القاهرة هو المنفذ الوحيد ، والامل الوحيد للانفلات من وطأة هذا الكابوس الرهيب ، سواء أكان الطريق الى هذا الحمى من جهة العراق فالهند ثم القاهرة ام من سوريا الجنوبية فالحجاز .

في مصر التقى «اللاجئون» العرب الجدد ، من سوريا وغيرها ، الموالون ، القانعون بعدالة «قضية» الحلفاء ، بالجالية السورية ، النشطة ، التي تكاثرت قبيل الحرب ، وتعددت مشاربها السياسية .. وراح الانجليز يستعينون بالنابهين منهم لاقناع الاسرى من العرب المعتقلين في معسكرات المعادي وتجنيدهم في صفوف الحلفاء وحشدهم للدور المنتظر في حركة الحسين . وما لبث تيار الموالاة للسياسة البريطانية بينهم ان تغلب على تيار الموالاة للفرنسيين رغم عراقة وقدم صلة الفرنسيين بالسوريين ، غلبة ظاهرة ، يتضح مداها وشعور الفرنسيين بخطورتها في المرارة التي يلمسها كل من يراجع تقارير بعثاتهم الدبلوماسية والعسكرية في مصر والحجاز . حتى لقد بات دي فرانس De France القنصل العام في مصر يخشى اثرها على سياسة الوفاق بين الدولتين ، فرنسا وانجلترا في الحرب (٤) . ولعبت صحف السوريين ، على الرغم من ان وثائق وزارة الخارجية الفرنسية تشير الى ان بعضها كان يتلقى منها كذلك معونة ــ وان تكن متقطعة ــ دورا عظيما في ترويج الدعاية للانجليز وتغليب وجهة نظرهم وخاصة جريدة الكوكب التي كان يتولى ادارة سياستها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ويشرف عليها مباشرة الجنرال كلايتون (٥) وتبشر المصادر الفرنسية الى ان الانجليز كثيرا ما كانوا ينفردون بالاتصال بداخل البلاد وبالدعاية لهم فيها بالقاء المناشير من الطائرات في داخل البلاد او بايصالها بوسائل اخرى الى قرى الساحل .

ومنذ الايام الاولى من الحرب حصل الانجليز على تفويض من روسيا وفرنسا لتتولى حكومة الهند التصريح بتعهد انجلترا بحماية الاماكن المقدسة في حال دخول الدولة العثمانية الحرب (٦) . ثم كان من الواضح ، رغم كل دعاية الشريف حسين ، وعلى الرغم من وجود البعثة العسكرية الفرنسية الى جواره ومعونة فرنسا له ، ان الانجليز هم الذين يمدون «الثورة العربية» بالسلاح والمؤن ويخططون لها . وعندما اخذ الناس يتوافدون الى العقبة ، كان ما تمتد اليهم به ، في «الصرة» ، يد «الشريف» فيصل هو من ذهب الانجليز لا من ذهب الشريف حسين المكتنز .

وفي ذروة الاندفاع لمحاربة العثمانيين لم تجد محاولات بذر الشك والريبة بين الحلفاء والعرب (٧) فقد ابدت الحكومة البريطانية «عظيم الارتياح» ، «للدوافع المخلصة» التي دفعت بالملك حسين الى اطلاعها على الكتابين اللذين وجههما القائد العام التركي في سوريا الى سمو الامير فيصل وجعفر باشا . واعلنت انها ..

«مصممة كذلك على مساندة الشعوب العربية في كفاحها لانشاء عالم عربي يحل فيه القانون محل المظالم العثمانية ، عالم عربي جديد تحل فيه الوحدة محل المنافسات والحزازات المصطنعة التي كانت تثيرها سياسة الموظفين الاتراك . ان حكومة جلالته تؤكد مرة اخرى تمسكها بتعهدها المتعلق بتحرير الشعوب العربية ..» (٨) وفي ٤ كانون الثاني ١٩١٨ تلقى الملك حسين بطريق السيد د.ج. هوجارت Hogarthe رسالة أكدت «عزم دول الحلفاء على افساح المجال التام امام العرب مرة ثانية لينشئوا لانفسهم دولة في هذا العالم . ولا يمكن ان يتحقق هذا الامر الا على أيدي العرب انفسهم اذا ما اتحدوا ، وستستمر بريطانيا العظمى مع حلفائها في اتباع سياسة تستهدف هذه الوحدة العربية»(٩) .

ولم تمض ستة اشهر على ذلك حتى اصدرت الحكومة البريطانية ، منفردة ايضا . تصريحا حول استقلال العرب وسيادتهم ، يعرف بالتصريح الى السبعة السوريين (١٠) وصفه بعضهم انه «أخطر ما اصدرته بريطانيا لتوضح سياستها نحو الثورة العربية» (١١) وذلك على اثر هياج شعور العرب بصدور وعد بلفور واذاعة اتفاقية سايكس ـ بيكو والشكوك والمخاوف التي سادت العالم العربي وما انتاب اعتقاد الناس من زعزعة بصدق الحلفاء تقدم سبعة من السوريين الموجودين في مصر بكتاب الى الحكومة البريطانية بطريق «المكتب العربي» في القاهرة . توخوا فيه ان يعرفوا ما اذا كان هدف الحكومة البريطانية ان ينعم سكان البلاد العربية «بالاستقلال التام الناجز» واذا كانت تؤثر «اقامة حكومة عربية لا مركزية» وما اذا يمكن لسوريا ان تقيم لنفسها ادارة حكومية مستقلة ضمن مملكة عربية مستقلة . ولم يغفلوا التنويه بثقة العرب ببريطانيا واعتمادهم عليها واستعدادهم لمناصرتها (١٢) وعليه صدر ما عرف بالتصريح الى السبعة السوريين في ١٦ يونيو (حزيران) ١٩١٨ وتسلمه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في القاهرة في ٢٢ منه من والروند Walrand والكومندان هوغارث (١٣) .

فضلا عن ذلك لم يستطع الفرنسيون لاسباب عديدة ، لا مجال هنا للتعرض لها ، المشاركة بدور فعال ، معادل ومواز على الاقل لدور الانجليز في حملة اللنبي لتحرير سوريا . وكان تعيين جورج بيكو (٩ نيسان ـ ابريل ـ ١٩١٧) الذي عرفت الاتفاقية الثلاثية لتقسيم المنطقة ، باسمه ، مفوضا ساميا في سوريا وفلسطين ، في ذروة هياج الشعور العربي ، بالغ الحمق وقصر النظر ، في حين كان الانجليز يقلصون ما أمكنهم من ذكر زميله مارك سايكس ، على المسرح . واذا كان ما نشر حينئذ وروّج له ، على انه تعليمات وزارة الخارجية الفرنسية اليه للعمل بموجبها في فلسطين وسوريا (١٤) صحيحا ، غير مدسوس او مشوه ، فان قصر نظر السياسة الفرنسية يكون قد تجاوز الحدود . وبعد تحرير فلسطين واتاحة فرصة المشاركة فيه للفيلق اليهودي وللجنة اغاثة يهود فلسطين ، وكانت في حقيقتها لجنة عمل ولا تخفي عداءها للفرنسيين (١٥) ، ثم دخول اللنبي الى دمشق ، حرص الانجليز ، وان بقي ضباطهم ملازمين لممثلي فيصل اينما ذهبوا

في ارجاء سوريا ولبنان ، على ان يتواروا خلف الدعاية الشريفية وعلى ان يعلنوا، بدهاء ، رضاءهم وتأييدهم لقيام دولة عربية مستقلة في سوريا الداخلية ، على الاقل . اي في «بلاد العدو المحتلة» .

وفي بيروت كان عمر الداعوق قد شكل حكومة عربية بعد مغادرة الاتراك لها. وفي بعبدا ، مقر الحكومة اللبنانية ، انتخب الموظفون مالك شهاب وعادل ارسلان لتسلم رئاسة الحكومة وبعد ايام من وصول شكري باشا وارتفاع العلم العربي على دوائر الحكومة في بيروت امام اعين القائد البحري الفرنسي ، الذي كانت بواخره الحربية تنتظر الاشارة خارج الميناء لانزال جيوشه الى البر ، جرى الاحتفال رسميا في بعبدا بتعيين حبيب باشا السعد ، بعد مداولات طويلة ، رئيسا للحكومة الجديدة في لبنان باسم الملك حسين . ورفع العلم العربي فوق سرايا بعبدا واقسم رئيس الحكومة يمين الولاء والاخلاص لحكومة فيصل العربية في دمشق وللملك حسين .. ولم يكن يهم الاهالي ان يعرفوا من الذي اوفد شكري باشا ولم تشغلهم خفايا السياسة ، بل كان المهم لديهم انهم رأوا العلم العربي يرفع على دوائر الحكومة وصارت الخطبة باسم الملك حسين وان التاريخ العربي بعث من جديد .

وبعد نزول الفرنسيين الى البر قادمين من بور سعيد ومن حيفا «أنزلت جميع الاعلام العربية في ظلمة الليل عن مباني الحكومة» وعمل على مغادرة القوات «الحجازية» مدينة بيروت وان كان اللنبي قد اعطى للامير فيصل «تطمينات» (١٦) توحي بأنه لن يكون ثمة تغيير جوهري خارج الارادة العربية . ثم ما لبث مندوبو فرنسا ان نقضوا بصورة رسمية ما انشاه شكري باشا من اقامة حكومة عربية هاشمية في حفلة رسمية اخرى اقيمت في بعبدا (١٧) . وتعجلوا الامور ولم يطيقوا صبرا مع مجريات الواقع فقاموا بمنع الخطبة باسم الحسين في الجوامع . وفي غمرة ذلك الحماس العربي حيث لم يكن يملك مؤيدو الانتداب الفرنسي انفسهم الا مسايرته والا ان يشاركوا المحتجين احتجاجهم على السياسة الفرنسية (١٨) ظل الفرنسيون يصرون كما تقول السيدة غوليس Gaulis بمكابرة ، على عدم الاعتراف بوجود رأي عام عربي في هذه المنطقة يعادي مطامعهم . وهكذا كانت تواجه الفرنسيين في هذه المنطقة بانتهاء الحرب مع تركيا المشاكل الاساسية الثلاث التالية :

١ ـ ان قيام حكومة عربية في سوريا الداخلية (المخصصة للنفوذ الفرنسي بحسب اتفاقية سايكس ـ بيكو) اصبح امرا واقعا ، جاء متلائما مع «تصريح الحكومة البريطانية للعرب السبعة» ومحققا له وهو التصريح الذي اعلنت فيه انها تعترف بسيادة واستقلال العرب الذين يقطنون «الاراضي التي تتحرر من السيطرة التركية بعمل العرب انفسهم» (١٩) بل حاولت هذه الحكومة التي قامت في ظل الادارة العسكرية الانكليزية الامتداد لتشمل جبل لبنان وبيروت ، في حركة اوحت للفرنسيين ان ثمة «امبراطورية عربية» تتحقق بتدعيم الانكليز على حساب

«الحقوق» الفرنسية .

٢ ــ لقد تعهدت انكلترا بوعد بلفور بانشاء وطن قومي لليهـــود في فلسطين وفضلا عن ان مشكلة فلسطين كانت قد اصبحت في نهاية الحرب اكثر تعقيـــدا بسبب مطالب الايطاليين والفاتيكان بحماية مصالحهم في الارض المقدسة ، فان الفرنسيين يعتبرونها جزءا لا ينفصل عن سوريا كما «ان الصهاينة من جهتهـــم يقاومون بشدة تولي فرنسا السيطرة على فلسطين» (٢٠) ذلك انهم حاولوا الحصول من فرنسا قبل الحرب العامة على موافقة لاستيطانهم في فلسطين لم يحظـــوا بتأييدها ورفضت ان تعطيهم وعودا بمشاريع اقل كثيرا من وعد بلفور (٢١) .

٣ ــ احتل الجنرال مارشال Marshall قائد القوات البريطانية فـــي العراق منطقة الموصل (الداخلة في منطقة النفوذ الفرنسي بحسب منطوق اتفاقية سايكس ــ بيكو) مع العلم انه عندما وقع على هدنة مودروس ، كانت لا تزال في يد الاتراك وعلى بعد ثلاثين ميلا من الخط البريطاني الى الشمال . إلا انه بموجب المادة السابعة من اتفاقية الهدنة التي تنص على انه «في حال قيام وضع يهـــدد سلامة الحلفاء فان للحلفاء الحق في احتلال جميع النقاط الستراتيجية لضمان سلامتهم» ، طلب من علي احسان باشا قائد الجيش التركـــي السادس ان يجلو بقواته عن الموصل وامام ضغط قائد الاسطول البريطاني كالثروب Calthrop اصدر الصدر الاعظم عزت باشا أوامره الى القائد التركي بتسليم الموصل فدخلتها الجيوش البريطانية في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) (٢٢) باسم الحلفاء .

كان الموقف بعد الحرب اذن على هذا النحو : الانكليز يحتلون الموصل وهو في منطقة أ التابعة للنفوذ الفرنسي حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو وهم يريدون هذه الولاية لبترولها ولتكون بيدهم عامل تهديد للحركة الوطنية في العـــراق (٢٣) . ويحتلون فلسطين وسوريا الداخلية ويقيمون فيها ادارة عسكرية تابعة لقيادةاللنبي في القاهرة ، غرضهم في فلسطين ، المقرر ان توضع تحت ادارة دولية وفقـــا لاتفاقية سايكس ــ بيكو ، ان يبعدوا فرنسا عنها واذا لم تكن من نصيبهم فلا بأس ان تكون لامريكا (٢٤) . يستندون في ذلك الى انهم اصحاب وعد بلفور والى دعم الحركة الصهيونية لهم ومحاربتها تحت لوائهم وامرتهم في فلسطين وتنسيقها في المحافل الدولية . ومن اجل ذلك كله تبقى سوريا الداخلية ، وقد تركزت فيها وتجمعت حول فيصل آمال العرب ، ما كان منها متجليا في الحركات والتنظيمات السرية . وما تفجر بفعل «الثورة العربية» وما رافقها من دعاية ووعود ، عامـــل تهديد لفرنسا بيد الانكليز لاقناعها بضرورة القبول بالامر الواقع والانصيـــاع للتسوية التي يعرضها الانكليز . يساعدهم في ذلك ، بصورة غير مباشرة ، المأزق الذي ما زالت فرنسا مرتبكة فيه وهو حربها في قلقيليا .

يروي لويد جورج عرض المسألة بينه وبين كليمنصو على الوجه التالي . قال: «عندما قدم كليمنصو الى لندن بعد الحرب ذهبت معه بالسيـــارة الى السفارة الفرنسية .. وعندما وصلنا سألني كليمنصو عما تريده بريطانيا على وجه التحديد

من فرنسا فأجبته فورا انني أريد ضم الموصل الى العراق وفلسطين من دان الى بئر السبع تحت سيطرة بريطانيا . ودون تردد وافق كليمنصو على طلبي» (٢٥) لكن اندريه تارديو André Tardieu لم يقر ، وهو يتصدى للضجة التي ثارت على تنازل كليمنصو ، هذه البساطة في التسوية بل ذكر ان كليمنصو وافق على نقل الموصل الى منطقة نفوذ بريطانيا على ثلاثة شروط : ١ – ان تنال فرنسا حصة من نفط الموصل وذلك بتعديل الاتفاقية المعقودة في ١٥ – ١٧ مايو (ايار) ١٩١٦ ، ٢ – ان تؤيد بريطانيا فرنسا تاييدا تاما ضد الولايات المتحدة الامريكية، ٣ – وضع دمشق وحلب والاسكندرون وبيروت اذا عمل بنظام الانتداب تحت انتداب فرنسي واحد (٢٦) . وسواء أكانت الحقيقة هي ما يرويه هذا او ذاك فاننا نجد فرنسا هنا تتراجع مرة اخرى امام ضغط المصالح البريطانية وبعد نظر سياستها .

وأيا ما كان الامر فان الانجليز لم ينكروا على فرنسا «حقها» في سوريا . فمن اول نقاش جدي جرى في شقة رئيس الوزارة البريطانية في باريس في الاجتماع السري الذي عقده رؤساء الدول الاربع الكبرى يتضح ان لويد جورج «لا يحيد عن مضمون اتفاقية ١٩١٦ الا بالنسبة الى الموصل وفلسطين ...» (٢٧) . كان ذلك في العشرين من شهر اذار (مارس) ١٩١٩ ، وفي ٢١ ايار (مايو) ١٩١٩ قدم لويد جورج مشروع تسوية لقضية الامبراطورية العثمانية نص البند السابع منه على ان «تحصل فرنسا على انتداب مؤقت على سوريا الى ان تقدم اللجنة التي هي في طريقها الان الى منطقة الشرق الادنى تقريرها» (٢٨) . بل اكثر من ذلك طلب الى اللنبي في ١٢ حزيران (يونيو) ابلاغ فيصل «ان حكومة جلالته قد اعربت عن عدم رغبتها في قبول الانتداب على سوريا ..» كما قال اللورد كرزن ، وزير الخارجية البريطانية لسفير فرنسا في لندن انه : «اذا كانت هناك من منطقة ينبغي لفرنسا ان تكون شديدة الامتنان لمناصرتنا لها فيها فان تلك المنطقة هي سوريا ذاتها ..» وفي هذه الاثناء كتبت التايمس اللندنية تقول انه لا ينبغي ان يقلق حلفاؤنا بسبب السياسة التي نتبعها في الشرق فان بريطانيا كانت دوما تعترف بحق فرنسا باعتبارها سوريا منطقة نفوذ لها .. والآن ينبغي ان يعهد بالانتداب على سوريا الى دولة ما . اما بريطانيا فانها زاهدة فيه وقد اعلن لويد جورج هذا الزهد على العالم كله . وهكذا فان الدولة الثانية الوحيدة التي ترغب فيه هي فرنسا ..»(٢٩)

ومن جانب آخر فان توسلات فيصل الملحة بكل ما اوتي من قوة لتجنب النفوذ الفرنسي او لحمل الانكليز على البقاء في سوريا لم تجده نفعا . فقد اجتمع بإيعاز من الجنرال اللنبي ومستشاره اليهودي لورنس بالدكتور حاييم وايزمن في اليوم الرابع من حزيران (يونيو) ١٩١٨ «في مقر قيادته في الفويرة التي تقع بين العقبة ومعان وجرى بينهما تبادل مرض في وجهات النظر» (٣٠) وجرى تدبير لعقد اجتماع ثان بينه وبين وايزمن في لندن حضره لورانس كترجمان «وقد ركز فيصل في هذا الاجتماع على تباين الخطر الذي تتعرض له المصالح اليهودية والعربية من

جراء السياسة الفرنسية ومن جراء اتفاقية سايكس ـ بيكو» ثم اجتمع بزعماء يهود آخرين في وليمة اقامها اللورد روتشيلد على شرفه (٣١) . ولم يكن يضن بمساعدته لليهود لمصلحة بقاء الانجليز في فلسطين وفي سوريا كما يقول لويد جورج (٣٢) ولعلمه بتمسك الانجليز بالعراق تقدم الوفد الحجازي الذي يراسه في باريس بمذكرة الى لويد جورج بتوحيد سوريا والعراق «تحت حكومة واحدة» مؤلفة من ولايات فيدرالية «يكون لكل ولاية نوع من الحكم الذاتي الذي يتجاوب مع تقاليد السكان في تلك الولاية ومع عاداتهم ودرجة رقيهم الاجتماعي» (٣٣) ولكن ذلك كله لم يغير من موقف انجلترا في حقيقة الامر فقد بعث بلفور من باريس الى الجنرال اللنبي في القاهرة بالبرقية التالية : «ان حكومة جلالته لم تحد عن رأيها الذي عبرت عنه شفهيا بواسطة رئيس الوزارة ـ واظن ان ذلك كان بحضورك ـ لدى كليمنصو وبحضور الرئيس ولسون والسنيور اورلندو ، من ان انجلترا لا تقبل ، بصورة ما وفي ظرف ما الانتداب على سوريا ...» وما لبث ان بعث من باريس الى لويد جورج بمذكرة حول «توزيع الممتلكات التركية» ، كانت اهم خطوطها فصل الشعوب الناطقة بالعربية نهائيا عن تركيا ووضعها تحت الانتداب وان يكون الانتداب على سوريا لفرنسا وعلى العراق لبريطانيا وعلى فلسطين للامريكيين او البريطانيين .

***

الا ان ما كان يهم فرنسا ليس فحسب الاعتراف بحقها التاريخي في سوريا وانما جلاء القوات البريطانية واحلال قوات او حاميات فرنسية محلها . فكان مخاوفها لم تخف بشكل من الاشكال لبقاء هذه القوات ولتلكؤ الانجليز . اذ اتهمت الضباط والموظفين البريطانيين في الشرق الادنى علنا انهم يحاولون التاثير في السكان ضد فرنسا . واخذ الراي العام الفرنسي الذي كان دوما يتطلع بحنين الى الشرق يعتبر وجود البريطانيين فيه سببا في عدم استحالة حلم وطني رومنطيقي الى حقيقة . فقد اثارت حفيظة الفرنسيين تلك التقارير التي كان يبعث بها الوفد الامريكي عن موقف السوريين السلبي المعادي لفكرة انتداب فرنسا (٣٤) ولم يكن يخف على الفرنسيين معنى ازدواج السلطة في سوريا الداخلية . كانت ترى في السلطات العسكرية البريطانية المرجع الاعلى . تعرقل تشكيلات الدولة وتحول دون تنظيم الامور وتوجيهها بحرية في غير صالحها (٣٥) وتشرف على الصحافة وعلى البريد وعقد الاجتماعات العامة وتحكم أمور السفر الى سوريا فلا تمنحه الا لمن يتابع سياستها (٣٦) .

صحيح ان كليمنصو لم يكن ينتمي الى ذلك الجناح السياسي الفرنسي او الديني الفرنسي الذي يبلغ اهتمامه بسوريا درجة التعصب والهوس وانه لم يشارك قط في الجوقة التي كانت تردد «نحن سائرون الى سوريا» (٣٧) الا انه بدا يخشى

على مركزه السياسي من التعرض الى الخطر بسبب النقد الذي صارت توجهه اليه تلك الاوساط من رجال الدين ومن رجال السياسة المحافظين وتأخذ عليه عدم اهتمامه الجدي بالقضية السورية وابدائه الحماسة اللازمة لها ، لذلك راح يمهد لتراجعه عن تسوياته مع لويد جورج متذرعا بانه لم يكن يدرك قيمة ما اعطى ؛ ثم رفض اتفاقية نفط بيرنجيه ـ لونك Beranger - Long التي نصت مادتها الرابعة على اعطاء فرنسا نصيب المانيا من راس مال شركة النفط التركية في الموصل وبغداد لانه شعر بخسارة الموصل الفادحة وبقيت معلقة الى ان استقال في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ (٣٨) وراحت الصحافة الفرنسية تشن هجوما عنيفا على انجلترا لدعايتها الموجهة ضد فرنسا في المشرق معتبرة ان تبني الانجليز للوحدة العربية في سوريا غرضه محاربة النفوذ الفرنسي (٣٩) . وابرز ما كتب في ذلك كان مقال موريس باريس Barrés ، الكاتب والمؤلف المشهور وعضو البرلمان الفرنسي جاء فيه : «.. ان احدا من الناس لا يمكنه ان يشك في ان لفرنسا حق الانتداب على المدن الاربع : دمشق وحمص وحماه وحلب . والراي الفرنسي العام لن يسمح لنا اطلاقا أن نطرد من تلك المنطقة : ان الدهشة عمت فرنسا لدى سماعها انه لن يسمح للجنرال غورو باحتلال هذه المدن . ان هذه المسرحية الهزلية التي يقوم بتمثيلها الامير فيصل قد تمادت اكثر مما يجب لها التمادي . ليس هناك من امة سوى الامة الفرنسية لها من العبقرية والصداقة قسطا وافرا يؤهلها ان تكون الامة التي تعرف كيف تتصرف مع الشعب العربي.. ان النظرية البريطانية القائلة باقامة حكومة عربية حجازية في سوريا امر لا يمكن لانسان أن يدافع عن صوابيته ..» (٤٠) وحملت جريدة الطان Le Temps على فكرة التخلي عن الموصل وطالبت بالتمسك باتفاقيات ١٩١٦ (٤١) وشجبت ادعاءات الصحف البريطانية باعتبار المسالة منتهية منذ زمن طويل (٤٢) ، وانتقال الموصل الى المنطقة البريطانية .

هكذا اضطرت انكلترا بعد مضي سنة من افلاحها في اقامة حكومة فيصل الى التراجع وعقد اتفاق ١٣ ايلول بين لويد جورج وكليمنصو «على ان ينتهي جلاء القوات البريطانية عن سوريا في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٩» وبذلك بلغت القضية السورية نقطة تحول اساسية . ولم يكن الضغط الفرنسي العامل الوحيد بل كانت ثمة عوامل اخرى الى جانبه حملت لويد جورج على اتخاذ قراره . كانت الثورة في مصر قد عمت البلاد والوضع في العراق آخذا بالتدهور. ويوشك الفرنسيون على النجاح في اعتبار مراكش بلدا «لفرنسا وحدها مصالح عليا فيها» ويهددون بتدويل طنجة ؛ كما ان الجبهة الداخلية في انكلترا نفسها تمر بأسباب التذمر والشكوى في الحقل الصناعي وفي مالية البلاد وتفاقم المشكلة الايرلندية ، وعلى ذلك كانت اتفاقية ١٣ ايلول مدخلا لتسوية سائر القضايا . فقبل انعقاد مؤتمر سان ريمو بيوم واحد اي في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ وضعت صيغةمذكرة الاتفاقية حولالنفط ووقع عليها كلمن السير فيليببرتلو Berthelot

المدير العام للشؤون السياسية والتجارية في وزارة الخارجية الفرنسية والاستاذ السير جون كادمن Cadmen المدير المسؤول في دائرة النفط الملكية(٤٣) . فتمكن مجلس الحلفاء الاعلى في اثناء ست جلسات عقدت بين ١٩ و٢٤ من شهر نيسان (ابريل) ١٩٢٠ من وضع الصيغة النهائية لمعاهدة سيفر Sevres التركية وفيها تقرر الاخذ بمبدأ الانتداب الذي اقترحه الجنرال سمطس Smuts وبرره بتخلف الشعوب التي خلفها انهيار روسيا والنمسا وتركيا سياسيا (٤٤) . وقد نصت المادة الرابعة والتسعون من معاهدة سيفر على ما يلي : «يوافق الطرفان المتعاقدان الساميان على ان تكون سوريا والعراق ، وفقا للفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين الجزء الاول من ميثاق عصبة الامم ، بلدين مستقلين معترفا بهما اعترافا مؤقتا على ان تتلقيا العون والمشورة في الادارة من قبل دولة منتدبة الى ان يحين الوقت عندما تجد الدولتان انهما بغنى عن مثل هذا العون والمشورة .. وفي الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩٢٠ تم توزيع الانتداب على الشعوب من فئة أ فكانت الدولة المنتدبة التي «اختارتها الدول الحليفة الكبرى» فرنسا على سوريا بما في ذلك لبنان وبريطانيا على العراق وفلسطين . وبذلك يكون الحلفاء قد توصلوا بعد سنتين من المداولات وقدح زناد الفكر الى ايجاد صيغة جديدة ملائمة للمرحلة اقتنعت بها «الدول الحليفة الكبرى» في عصبة الامم لتنفيذ اتفاقية سايكس ــ بيكو الاستعمارية» (٤٦) .

يبدو ان الاتفاقات التي عقدها فيصل مع الفرنسيين لتسوية المشكلة وللاعتراف بنفوذهم في سوريا قد بيّت التحلل منها باختفاء كليمنصو عن المسرح السياسي نتيجة فشله في الانتخابات الفرنسية العامة ومجيء ملليران Millerand وتولي زمرة الاستعماريين المتطرفين في الكاي دورسيه وعلى راسهم برتلو Berthelot ، وكما ان التطرف ، باقتراب الجهود في مؤتمرات الحلفاء من الوصول الى الحلول بشأن قضايا الانتداب . اخذ يتزايد في فرنسا فان مختلف الاطراف ، في سوريا كانت تعتبره اقرب وسيلة لنيل الحظوة لدى الجماهير ، فراحت تتسابق اليه وتبتدع وسائله . ومن هنا ، من منطلق التطرف والمزاودة ما ظهر في سوريا ، بانتهاء الحرب العامة ، بغاية اعدادها لمواجهة المستقبل . وكان هدفه التأليب على النفوذ الفرنسي فحسب .

***

في معمعان القلق على مصير سوريا جرت محاولات عديدة للتنظيم الحزبي . فقد رات هيئة العربية الفتاة ، التنظيم السري الاقوى ، الذي قاد التحالف مع فيصل للقيام بالثورة على الاتراك ، ان الحاجة الى الكتمان قد زالت بعد ان اصبحت هي الحاكمة في دمشق فأذاعت في ٥ فبراير (شباط) ١٩١٩ سر وجودها واعلنت انها ستستمر في عملها السياسي بصورة علنية وباسم (حزب الاستقلال

العربي) (٤٧) فزاد عدد الاعضاء بذلك زيادة كبيرة وامتد نشاط الحزب ونفوذه . وتبنى الحزب في علانيته اهداف الفتاة التي احتجبت وراءه : استقلال العرب ووحدتهم الشاملة ووضعت نظاما داخليا ينظم الاجتماعات الدورية ومراسم الدخول لم يختلف عما كان متبعا في الفتاة وظلت الهيئة الادارية العامة التي تشرف عليه خاضعة لتوجيهات الهيئة المركزية للفتاة (٤٨) وقام الحزب بتأسيس فروع له في انحاء سوريا والعراق الا ان اهم مظاهر نشاطه تجلى في نشاط النادي العربي وفروعه حيث كان فيصل يلقي بعض خطبه واعتبره الفرنسيون مصدر النشاط ضدهم .

وردا على المساعي المنظمة التي بذلت لاهاجة الجمهور ضد فيصل بسبب تكتمه الذي وصف صراحة بأنه موضع شك بعد عودته من اوربا واتفاقه مع كليمنصو واضطراب الافكار وانتشار الذعر بين الناس على مصير البلاد ، اقترح حزب الاستقلال تشكيل مجلس وطني . فأيد فيصل الحركة محاولا توجيهها في طريق دستوري ونظامي فأجريت انتخابات سريعة لم تقتصر على ذلك الجزء من سوريا الواقع تحت الادارة العربية (اي المنطقة الشرقية من بلاد العدو المحتلة) بل تجاوزته الى المنطقة الغربية التي يديرها الفرنسيون والمنطقة الجنوبية التي يديرها البريطانيون . وفي الثاني من شهر يوليو (تموز) التام في دمشق مجلس من تسعة وستين مندوبا من مجموع خمسة وثمانين ، انتخبوا لتمثيل سوريا وفلسطين (منعت السلطات الفرنسية ممثلي المنطقة الغربية من السفر الى دمشق) واصبح معروفا من ذلك التاريخ باسم المؤتمر السوري العام (٤٩) .

وفي فترة اطلقت فيها حرية القول والفعل فتجسدت الوطنية ونمت كما ساد الشعور المتطرف مدن حمص وحماه وحلب ودمشق وبغداد والهبت الاحزاب المتطرفة شعور «الراي العام الشرقي ، تشجعها فوضى مستشرية ..»(٥٠) ، وضع المؤتمر السوري العام «الذي يمثل الامة العربية» قراره التاريخي الخطير معلنا بالاجماع : «استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين ، استقلالا تاما لا شائبة فيه ، على الاساس المدني النيابي وحفظ حقوق الاقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود او محل هجرة لهم .» وطلب «.. استقلال القطر العراقي استقلالا تاما ، على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي» (٥١) . واعلن فيصل ملكا «دستوريا على البلاد السورية المستقلة بحدودها الطبيعية «اي على سوريا ولبنان وفلسطين» .

وبميلاد المؤتمر السوري ولد حزب التقدم كمظهر برلماني لجمعية الفتاة وحزب الاستقلال . تبنى اعضاؤه بعض الافكار والمقترحات المتقدمة في اطار المناقشات البرلمانية (٥٢) . فتألف كجبهة برلمانية مقابلة له ، الحزب الديمقراطي ضم ثلاثين نائبا من الاقطاعيين والمحافظين المتشددين والمعتدلين ولكنهم ناقمون على الحكومة وعلى الفتاة .

وكان ما دعي باسم التصريح الى السبعة السوريين في زمن الحرب حافزا لهم

لتأليف حزب يمثل جميع الهيئات السياسية في المطالبة بحقوق الوطن العامة مع المحافظة على مبادىء كل حزب . ووضعوا برنامجا من اربعة عشر مادة تهدف الى تكوين دولة سوريا «بوحدتها القومية» من طوروس شمالا الى العقبة جنوبا ومن الفرات والصحراء شرقا الى البحر الابيض المتوسط غربا على ان تكون مستقلة استقلالا تاما بضمانة عصبة الامم ولها حكومة ديمقراطية على مبدأ اللامركزية وبقوانين مدنية ما عدا ما يتعلق منها بالاحوال الشخصية فانها تبقى على ما هي عليه . كما نص البرنامج على حماية الاقليات وعلى وجوب توحيد برامج التعليم وقبول الانضمام الى الوحدة العربية عند قيامها مع المحافظة على «كيان البلاد القومي» (٥٣) وقد اختير لرئاسة الحزب الامير ميشيل لطف الله «اللبناني» لرئاسته والشيخ محمد رشيد رضا وكيلا لهوالدكتور الشهبندر وسليم سركيس سكرتيرين. ويمكن القول ان هذا البرنامج هو تطور لبرنامج حزب اللامركزية . الا ان شكل الحكم بقي غامضا لم يوضح فيه الى ان اضطر الى تعديل خطته للتلاؤم مع الجو الذي ساد دمشق بالحكم الفيصلي وبانضمام الدكتور الشهبندر الى جمعية الفتاة الحاكمة ودخوله الوزارة الدفاعية .

وبعد ان تسربت انباء اتفاقية فيصل ـ كليمنصو وتازمت الامور في سوريا وتشكيل حكومة جديدة برئاسة الامير زيد سميت حكومة المديرين (٥٤) تجمع اعيان الارستقراطية في حزب سموه الحزب الوطني السوري وكان وليد الصراع الذي نشأ بين اعضاء الفتاة انفسهم على النفوذ والحكم . ولم يكن - وان سمي باسم حزب الذوات اكثر رجعية من الفتاة كما يقول دروزة او ان الفتاة اكثر تقدمية منه . كان فيه بعض مؤسسي الفتاة واعضائها (مثل الشريقي) . واذا كان بعض اعضائه من الموسرين فلم يكن اعضاء الفتاة من الفقراء . كانوا جميعا من طبقة واحدة وان تفاوتوا جاها ومكانة وغنى . يعزو الدكتور احمد قدري اسباب تأليفه الى مساعي مستشار الامير الخاص نسيب البكري . والحقيقة انه تألف بعد ان دب الخلاف واستحكم بسرعة توالي الاحداث بين الفتاة وتشكيلات اللجنة الوطنية العليا ولم يجد الملك من يعتمد عليه في خطته الجديدة لمسايرة الفرنسيين ، يتضح ذلك من الاسماء البارزة فيه ؛ فقد كان على راسه عبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى ووالي الشام علاء الدروبي ، رئيس مستشاري الامارة وبديع المؤيد المعروف بموالاته للفرنسيين ومحمد كرد علي .. ولم يختلف الحزب في مبادئه عن مبادىء الفتاة ، بصورة عامة ، الا انه نص على ان يكون الحكم ملكيا دستوريا وعلى استقلال سوريا بحدودها الطبيعية وتقوية الصلات القومية والادبية والاقتصادية بين الشعوب العربية والسعي الى تقوية الفكرة العلمية والسعي لتحسين حالة النظام الاجتماعي في سوريا بتأسيس صناديق التعاون الاقتصادي والخيري وتنشيط النقابات الزراعية والتجارب وجمعيات العمال (٥٥) . بيد ان هذا الحزب ـ على الرغم مما ابدى من الاستعداد للتقرب من الجماهير ومعالجة بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، ظل تكتلا من الاعيان محصورا في دمشق ولم تمكنه الاحداث من تشكيل لجنة ادارية لوضع نظام داخلي ليكون دستورا للعمل

كما لم تنعقد الهيئة العمومية التي تقرر عقدها بعد ستة اشهر بواقع اثنين عن كل فرع ..

في هذه الاثناء كان الوضع يتردى في العراق ويسفر بالتالي عن قيام ثورة خطيرة ضد الانجليز خطط لها الضباط العراقيون الذين كانوا في الجيش التركي ثم انضموا الى الثورة العربية وصاروا عمادها واهم اركان فيصل فيها وفي الحكم في سوريا . ثم نتيجة لما اصبح واضحا من ان فيصلا قد تخلى عن فكرة توقيع معاهدة مع فرنسا بسبب الضغط الذي تعرض له من قبل الاوساط المتطرفة ولمساعي الوفد اللبناني برئاسة المونسنيور عبد الله خوري الذي اوفده البطريرك، على اثر التطورات الاخيرة في سوريا ونتيجة لاضطراب الراي العام الماروني وحركة عرائض الاحتجاج على ضم لبنان لسوريا لدى البطريركية المارونية .. بدافع من كل ذلك عقد اجتماع في بعبدا ، عاصمة لبنان القديمة حضره مجلس الادارة وجمهرة من اعيان لبنان ووجهائه وممثلون عن مختلف الطوائف المسيحية فأعلنوا استقلال لبنان ورفع اول علم لبناني على سرايا بعبدا ادت له التحية كتائب من جيش لبناني (٥٧) .

وفي فلسطين كانت مطامع الحركة الصهيونية قد اتضحت لكل ذي بصيرة . وبعد عامين من الادارة العسكرية البريطانية صدر صك الانتداب فاذا به يعترف بالوكالة اليهودية لاسداء المشورة الى الادارة في فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية واعترف باللغة العبرية على قدم المساواة مع العربية والانجليزية ووضع اليهود الذين لم تكن نسبتهم تتجاوز ٧ بالمئة من السكان على قدم المساواة مع العرب فأصبح ما يجري في فلسطين يشد اليه انتباه ابنائها الملتفين حول فيصل ويستحوذ على جهودهم .

وهكذا تشتتت جهود العاملين من رجال السياسة والعسكرية الذين يؤمنون بالفكرة العربية ويسعون لاقامة دولة عربية واحدة ، وكانوا الكثرة الغالبة على المسرح العام ، الا ان التطرف والجموح العاطفي وسرعة الانفعال اضاعت عليهم فرص الترابط الصحيح لتشكيل قوة واحدة فعالة ودائمة ، واعية وقادرة على تحقيق طموحها . وظلوا ينادون بالوحدة العربية ويفطنون لضرورة التعاون او التعاطف والتكاتف كلما اجتذبتهم حدة الاحداث في هذه المنطقة او تلك وهم غارقون في العمل الاقليمي والمحلي الى قمة رؤوسهم ، بل كانوا يستعينون بروابطهم القومية والدعوة القومية التي يعلنون رايتها احيانا ، لتقوية مراكزهم الاقليمية واكتساب الراي العام المحلي على الخصوم .

***

في ظل هذه الظروف تم اقرار الانتداب الفرنسي على سوريا ثم كان ما هو معروف من افتعال الحوادث وانذار غورو والزحف الى دمشق وحلب . وكانت الاحوال عندئذ قد تبدلت بالناس . انقشعت الغشاوات عن عيونهم فاتضح لهم ان

الفردوس الذي منوا به انفسهم ، وهم تحت الكابوس التركي ، بمعونة فرنسا ، كان وهما . ففرنسا التي جاءت تطارد فلول العثمانيين غير فرنسا التي تخيلوها من خلال الكتب وأحلام الظلم على مدى تلك العلاقات العاطفية الطويلة . وعبثا ذهبت تحذيرات اصدقاء فرنسا «التقليديين» ونصائحهم بالتريث (٥٨) فقد صمّت الآذان اذ لم يعد الناس في فرنسا ، كما قال دالاديه Daladier يتكلمون عن ذلك التغلغل السلمي ، اصبحوا يتكلمون عن الانتداب ويعرضونه في الحقيقة على السوريين برؤوس الحراب» (٥٩) .

الفصل الثالث

انتداب .. وفي الواقع احتلال

تكشف دراسة تنفيذ «الانتداب» عن الفارق الكبير بين ما كانت تصوغه ثقافة فرنسا ودعايتها في الاذهان من مباديء وقيم واماني وما حققه في الواقع قادتها العسكريون وسياسيوها المتشبعون بعقلية القرن التاسع عشر الاستعمارية وبروح العداء التاريخي «الصليبي» . لم يعد يستقيم مع الحقيقة والواقع ذلك التغني الذي دفع رئيس وزراء فرنسا ملليران Millerand الى القول في وجه منتقديها: «نفتري على فرنسا اذا نحن عزونا لها في سوريا غرض القيام بسياسة الفتح والاكراه .. ذلك ان فرنسا حيثما ذهبت وحيثما كانت . تجلب معها الحرية والعدالة . .» فقد اصبحت السياسة التي انتهجها الفرنسيون تثير «الحسرة» على تلك المباديء حتى في نفوس اولئك المندمجين فيها والذين قضوا عمرهم في خدمتها من امثال شكري غانم وخير الله خير الله والدكتور جورج سمنة وعبد الله باشا صفير .. الخ . اذ انها جاءت معارضة ليس لاماني البلاد الوطنية ولروابطها القومية فحسب بل ومخالفة لمنطوق العرائض التي تقدم بها اصدقاء فرنسا الى اللجنة الامريكية (كينغ ــ كراين) للمطالبة بالانتداب الفرنسي . ذلك ان هذه العرائض ، التي تحتفظ وزارة الخارجية الفرنسية بصور عنها ، كانت تؤكد جميعها ، على اختلاف «طائفية» اصحابها ، على مطلب الوحدة السورية الى

جانب طلب الانتداب الفرنسي ، بل واحيانا قبله (١) .
وبعد التسوية التي تمت بين فرنسا وانكلترا على الموصل ثم بين فرنسا وتركيا على كيليكيا ، نظر في معاهدة سيفر ان تتلقى المنطقة الزرقاء المخططة الخاصة بفرنسا والمنطقة الحمراء المخططة الخاصة بانكلترا المعونة والمشورة في الادارة من الدولة المنتدبة . فقد ذهب مشروع «ميثاق» عصبة الامم ، الذي قدمه ولسن Wilson في جلسة ١٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٨ ، في بنده ١٩ الى ان «ثمة جماعات كانت تنتمي فيما مضى للامبراطورية العثمانية قد بلغت شأوا من التطور بحيث يمكن الاعتراف موقتا بوجودها كأمم مستقلة شريطة ان تأخذ بيدها في الادارة نصائح ومعونة دولة منتدبة الى ان تصبح قادرة على المضي بمفردها . ولا بد ان تؤخذ اماني هذه الجماعات في المقام الاول بالنسبة لاختيار الدولة المنتدبة» (٢) .
الاصل في الانتداب وصاية عصبة الامم على الشعوب التي اعتبرت متخلفة بدرجات متفاوتة بسبب خضوعها للدول المقهورة فتنتدب من قبلها ، وفقا لمنطوق المادة ٢٢ من معاهدة فرساي (١٨ يونيو ١٩١٩) دولة متقدمة قادرة بفضل مواردها وتجربتها وموقعها الجغرافي على القيام بهذه المسؤولية راضية بتحمل اعبائها لتمارس هذه الوصاية بوصفها منتدبة باسم عصبة الامم باعتبار ان رفاه وتطور هذه الشعوب يشكل رسالة مقدسة حضارية (٣) . على ان تراعي رغبة السكان في الدولة المنتدبة . الا ان هذا الانتداب اقره المجلس الاعلى للحلفاء دون اشتراك عصبة الامم . بل ان سكرتيرها العام وجه مذكرة للمجلس بتاريخ ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٢٠ تضمنت عدم اعترافه بأية قيمة حقوقية لهذا الانتداب (٤) ولم تعترف العصبة به وتصادق عليه الا في ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٢٢ اي في الذكرى الثانية ليوم ميسلون .
هذه الصيغة التي طال البحث سعيا وراءها ، انقاذا للمظاهر وتجنبا للتناقض الصريح في وعود الحلفاء وتغطية لعمليات الاحتلال الفظة (٥) ، كانت تعني فحسب اقتسام المناطق المحتلة بين المنتصرين كما قال اللورد كرزن Lord Curzon (٦). ومن هنا كان غلاة المستعمرين وعلى راسهم الجنرال غورو الذي اختير لتنفيذ خطتهم . كلما تراجع فيصل امام مطالبهم وأعلن استعداده لقبول شروطهم قدموا له شروطا جديدة اكثر اجحافا حتى ببنود اتفاقية سايكس ــ بيكو وبمبادىء الانتداب كانما كانت النية مبيتة على الاحتلال والوصول الى ما يترتب على الاحتلال (٧) . وقد كشفت الايام ان احلال الجيوش الفرنسية محل الجيوش البريطانية . في سوريا الداخلية . في «ارض العدو المحتلة» كان معدا منذ ٥ فبراير (شباط) ١٩١٩ من قبل هيئة أركان حرب الحلفاء (٨) لكن تنفيذه قد علق بانتظار ان تحشد فرنسا مئة الف جندي وهو العدد الذي قدر لها لاحتلال سوريا والصمود في وجه أولئك «المشاغبين من الفيصليين» (٩) ؛ وعبثا تمنى على الجنرال

غورو قطاع من الراي العام الفرنسي ، ان لا يتخذ من مناوشة جرت على طريق دمشق ذريعة لاحتلال مدينة دمشق والبلاد بأمل ان لا تتضامن البلاد مع «الامير فيصل» وان يحرص الجنرال غورو على التعريف بأن معركة ميسلون وقعت برغبة التهدئة لا بنوايا عدوانية ضد السكان العرب «اذ لا مصلحة لنا في جرح الشعور الوطني لاهالي افريقيا . .» (١٠) فقد راح هؤلاء الغلاة الاستعماريون يربطون دخولهم الى سوريا بـ «الوجود» الفرنسي في سوريا ايام الصليبيين ويعملون ما استطاعوا على إحياء امجادها ، بل ويتفاخرون بمواقفهم الطائفية عام ١٨٦٠ (١١) .

كانت مدة هذا الانتداب غير محدودة ، لا سلطة تنفيذية لعصبة الامم عليه ، فيه تناقض بين الاستقلال والوصاية واجحاف بحق المنتدب عليه الذي لم يكن يسمح له بإبداء رأيه الا بواسطة المنتدب . على حين ان اتفاقية سايكس ــ بيكو تضمن للدول العربية كما يقول غونتو ــ بيرون Gontaut - Biron استقلالا يكاد ان يكون مطلقا بإزاء فرنسا اذ تتعهد فرنسا ، وفقا للبند الاول بتقديم الموظفين والمستشارين بناء على طلب هذه الدول . بل يرى ان البند الثاني يجعل فرنسا اكثر تبعية لتلك الدول اذ يمنع عنها حق اقامة اي نوع من الادارة والاشراف في المنطقة الخاصة بها الا بالتفاهم مع تلك الدول .. الخ (١٢) فان البند الاول من الانتداب يوحي باستقلالات محلية «في كل مدى تسمح له الظروف» ويسمح البند الثاني بالاحتلال العسكري ويمنع الثالث التمثيل الخارجي ، ويشجع الثامن التعليم باللغات المحلية ويقيم التاسع والعاشر دولا دينية ضمن الدولة ويقرر السادس عشر اللغة الفرنسية لغة رسمية الى جانب العربية (١٢) . وهذا لا يعني الاحتلال فحسب وانما تفريق البلاد وتمزيقها : قلب الحقائق ، يجعل العارض ، الخلافات المذهبية والعشائرية وهي وليدة الانحطاط ، اساسا ثابتا . والسمات المشتركة ، القومية ، وهي الاصيلة الثابتة ، عارضا يجب ان يزول ..

***

حدد الجنرال غوابيه ، باسم الجنرال غورو ، المعونة التي ستتلقاها حكومة الدروبي وهي الحكومة التي اوكل اليها فيصل اعباء الحكم وهو يهم بمغادرة البلاد، بالشروط التالية : أ ــ ان تأخذ على عاتقها تقديم غرامة حربية قدرها مئتا الف دينار من الذهب (١٤) ؛ ب ــ ان تعاقب المجرمين المتذرعين بذريعة الوطنية وتجازي الذين أعانوهم وتسقطهم من الحقوق المدنية في حالة فرارهم وتصادر أملاكهم ، جـ ــ ان تدرس المسائل التي تتعلق بالاهلين او التي لها مساس بمستقبل البلاد مع رئيس البعثة الفرنسية الكولونيل تولا Tola وتعرضها بعد ذلك عليه ، د ــ واخيرا ان تخفض الجيش وتجعله قوة امن تقوم بصيانة السكينة ويكون الكولونيل بتلا رئيس أركان الحرب في جيش الشرق مرجع اموره يحلها بالاتفاق مع وزير الحربية ، ثم اعلن ان البلدة مشتركة في المسؤولية في كل ما يقع وانه

سيقمع العمل العدائي بأقصى الشدة (١٥) .

لم يعد الكلام يجري في اطار الحق التاريخي . كما لم يحن بعد الكلام بحق الانتداب اذ ان «ثمة عدد من الصعوبات ذات المستوى القومي ، كما قال وزير الخارجية الفرنسية في تعليماته الى المفوض السامي ، تؤخر التشييد النهائي لانتدابنا في سوريا . لاسيما انه لوحظ في جنيف بأن مناقشة آجال الانتدابات يجب ان تكون مناطه بوضع معاهدة السلم مع تركيا موضع التنفيذ . فقد كان الاتجاه فيها هو اعتبار القرار المخول بالانتدابات الذي اتخذه المجلس الاعلى في سان ريمو San Rémo (وهو القرار الذي تحفظت فيه ايطاليا ضمانا للابقاء على الاتفاق الثلاثي) . كأنه لا مفعول له موقتا : حيث رؤي ان عملنا الحالي في سوريا يجب ان لا يتعدى على حقوق السيادة المحلية السورية التي علينا ان نقود خطاها الاولى .. وعليه فان عملنا لا يمكن ان يكون مؤسسا الا على حق الحرب والاحتلال العسكري .. لذلك يحسن ان نعتمد على الشعور الشعبي . عجلوا اذن، ما امكن ، بالتنظيم الداخلي لدول سوريا ، التي سبق ان تكونت واعدوا تنظيم الدول السورية التي ما زالت بعد في طور التكوين ...» (١٦)

كانت الخطوة الاولى في هذا الصدد قرار غورو (في ٣١ اغسطس ــ آب ١٩٢٠) بتحديد دولة لبنان الكبير ، وتحقيقا لما توخاه القرار من توفير الحد الادنى من مقومات الوجود لهذه الدولة ، دمج «جبل لبنان القديم» مع لواء بيروت المؤلف من اقضية صيدا وصور ومرجعيون وضم اربعة اقضية اليه من جهة الشرق هي: بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع وذلك بدعوى ان هناك عرائض مقدمة من فئات معينة من سكان هذه الاقضية تطالب بالانضمام الى لبنان (١٧) . ومن مراجعة الموجود من هذه العرائض في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يتضح انها ، الى جانب صدورها من فئات معينة ، تشكل اقلية في هذه المناطق ، تكاد ان تكون جميعها صورة واحدة ، حتى لنجد التواقيع الصادرة عن القرية الواحدة مكتوبة بحبر واحد وبخط واحد بل كأنما استعمل لوضع اختام كل قرية ، حبر واحد... وقد اخذ بها ولم يؤخذ بعرائض الجانب الآخر ، وهو الاكثرية ، الذي فطن الى ذلك فتقدم هو ايضا يطالب بالانضمام الى سوريا ، وظل هذا مطلبه الاساسي . كما بقي احد المطالب الاساسية للحركة الوطنية وللفئات المتعاونة مع الانتداب . على حد سواء . في سوريا الداخلية حتى عقد المعاهدة في عام ١٩٣٦ . وبدافع الحرص على بقاء اكثرية مسيحية مسيطرة في لبنان من جهة وعلى عدم تمكين «دولة دمشق» من تطويق لبنان (١٨) من جهة اخرى ، ابقى غورو منطقة طرابلس، التي تعتبر منفذها الى البحر من ناحية حمص ــ حماه ، معلقة لم يبت في امرها، وجعلها موضوعا للمساومة .

وفي اليوم الذي حدد فيه دولة لبنان الكبير اصدر غورو قرارا بتحديد «بلاد العلويين» وانشاء دولة فيها وقرارا بضم قضاء مصياف اليها «باعتبار معظم اهاليه من العلويين» (١٩) ولكن بغير رغبة من احد منهم وانما على العكس رغما عن

العرائض المقدمة من الاهالي احتجاجا على هذا الضم (٢٠) . وعلى اثر تجاوز والي حلب ، الفريق كامل باشا القدسي، المعين من قبل الجنرال دي لاموط Lamotte قائد الجيش المحتل ، لأصول علاقته وتبعيته لحكومة دمشق (٢١) ، وجّه الجنرال كاتـرو Catrou ، رئيس البعثة الفرنسية في دمشق ، كتابا الى حكومة دمشق يحيطها به علما باتخاذ الجنرال غورو قرارا (تاريخ الاول من ايلول – سبتمبر) بجعل ولاية حلب حكومة مستقلة «تنفيذا لاماني اهالي الولاية التي ابدوها بحرية ولوضع حد لادارة مركزية تعرقل ادارة حكومة دمشق» (٢٢) مع بقاء لواء اسكندرونة جزءا منها كما كان ، فظل هذا شانه حتى صيف عام ١٩٢٤ حين اصدر المفوض السامي ، على اثر اتفاقية انقره ، قرارا يقضي باستقلاله المالي والاداري وباعتبار اللغة التركية كالعربية والفرنسية فيه ، لغة رسمية (٢٣) .

كانت «دولة جبل الدروز» هي الدولة «المستقلة» الرابعة التي انشاها الفرنسيون (٢٤) ، تنفيذا كما قيل للرغبات التي أبدتها «مؤتمرات درزية» عقدت برئاسة الزعماء الروحيين لتقرير مصير الجبل (٢٥) في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ . اما الدولة الخامسة التي يمكن اضافتها الى هذه الدول الاربع فهي «دولة البدو» التي ابتدع الفرنسيون مصلحة خاصة بها ، مرتبطة مباشرة بالمفوضية العليا ، سموها مصلحة العشائر . يدير جميع هذه «الدول» مندوبون فرنسيون، مفرزون اليها من قبل المفوض السامي في بيروت ، ادارة مباشرة بواسطة موظفين ثانويين محليين ، كثيرا ما يكونون شبه اميين .



يحمل ممثل الجمهورية الفرنسية في سوريا ولبنان وفقا للقانون النظامي تاريخ ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠ لقب المفوض السامي ويكون تابعا لوزير الشؤون الخارجية وتكون الحكومة الفرنسية هي الوسيطة بينه وبين عصبة الامم (٢٦) . ونظمت المفوضية السامية التي جعلت مقرها بيروت عددا من المصالح المركزية ربطتها بها مباشرة هي : ١ – مكتب سياسي مكلف بسلطات قنصلية وبالعلاقات مع القنصليات الاجنبية ، ٢ – مكتب للدراسات التشريعية يعد ويضع القوانين والقرارات ، ٣ – مكتب استشاري للامور المالية يعين بموازنة المفوضية العليا ويسهل وضع موازنات الدول ويراقب تنفيذها ويسهر على النظام النقدي وحسن سير مختلف البنوك ويتدخل في الموازنة الخاصة بالجمارك ، ٤ – مكتب رئيس مصلحة الاستخبارات الذي يشرف على دراسات جهاز عسكري واسع منتشر في الشرق يضم ٧١ ضابطا ومساعديهم ، ٥ – مكتب تفتيش الجمارك ، ٦ – مكتب رئيس المصالح الصحفية والاستعلامات ، ٧ – مصالح الشؤون الاقتصادية والزراعية ومهمتها : دراسة : أ – اصلاح الاراضي البور ، ب – زيادة وتوفير مشاكل الفراس – ج – انشاء شبكات الري – د – مكافحة الآفات

الزراعية ـ هـ ـ التوسع في تربية دودة القز والقطن ، ٨ ـ مكتب رئيس مصلحة الشؤون الفرنسية في الشرق والمستشار العام للتعليم يساعد الدول تحت الانتداب في اعمالها التعليمية ويشرف عليها ويوزع المنح الدراسية ويعد الامتحانات ويقدم المساعدات المالية ، ٩ ـ مكتب مستشار للشؤون الاثرية يسهر على الحفريات ويكشف على الآثار التاريخية ، ١٠ ـ مصالح الاشراف على البوليس المحلي في الدول ، بما له من جانب حيوي هام في الامن العام ، ١١ ـ مصالح مستشار الصحة والاسعاف العام يتبعها التفتيش على المستشفيات وجمع الدراسات الاحصائية والخدمات الصحية في الميناء ، ١٢ ـ مصلحة تفتيش مراكز البريد والتلغراف والهاتف . والى جانب ذلك فللمفوض السامي مندوبوه في الدول الواقعة تحت الانتداب : في العلويين يحمل مندوبه لقب حاكم وكذلك في جبل الدروز ودوره هو الاشراف على اعمال الحاكم المدني ورؤساء المصالح من الاهلين ، تحت امرته ضباط يسهرون على مصالح الاستخبارات وموظفون هم المستشارون الفنيون لرؤساء المصالح المحلية (٢٧) .

هكذا لم تتقلص أحلام فرنسا «التاريخية» فحسب بالتخلي عن فلسطين والخضوع فيها لسياسة الانجليز ، بل نراها تخالف نظريتها التاريخية حتى لوحدة سوريا الشمالية وسلامة حدودها الطبيعية فتتخلى لتركيا عن كيليكيا وتبقى الاسكندرون بل وحلب نفسها موضع مساومة . ولم تكتف بذلك وراحت تقسم ما تبقى من سوريا نفسها (٢٧ مكرر) .

في حقيقة الامر كان لجوء غورو الى تقسيم سوريا على هذا النحو اجراء يرمي الى اظهار تباين واضح بين الاوضاع في سوريا والاوضاع في العراق للتخفيف والتمويه من حدةالشعور بالوحدةالعربية الذي يخشى الفرنسيون ان يولده المؤتمر الذي عقده تشرشل في مصر خاصة واتجاهات السياسة الانجليزية في المنطقة عامة (٢٨) وبهذا التنظيم تصبح الموازنات المحلية أقدر على استيعاب الاعباء الملقاة على عاتق البلدان الخاضعة للانتداب (٢٩) . ويشكل وجود «دولة جبل الدروز» حصنا في وجه الدول العربية التي يحكمها ابناء الشريف حسين بدعم من الانجليز وفي وجه دمشق على حد سواء (٣٠) كما تجعل سيطرتهم على «بلاد العلويين» وعلى منطقة طرابلس بالحاقها بلبنان . دمشق ، البلد التجاري ، تحت رحمتهم . وإحكاما لقبضتهم وضعوا «المصالح المشتركة» بيدهم وهو مصدر امداد اساسي لبعض هذه الدول التي خلقوها . ثم راحوا يفلسفون هذا التصرف ويسبغون عليه قيما ومبادىء ..

فقد كان الجنرال غورو يعلل هذا التقسيم تارة بأنه افضل طريقة تدريبية تعلم الامة على الحكم الذاتي اذ يسهل على كل فرد النظر في مصالح دولته، واخرى بتحقيق رغبة الاهالي باختيار حكام وطنيين او بارضاء النزعات الخاصة واعطائها مجالا تتمكن معه من تأليف مجموع متناسب الاجزاء وقد اثبت الاختيار ان هذه الخطة ؛ خطة التجزئة تمنع من ان تتحول تلك الفروقات وهي اكبر من العوامل

لغنى البلاد ، الى عداوات ومخاصمات (٣١). ودافع كتاب فرنسيون وعلى راسهم كلود فارير Claude Farrère بأن فرنسا «لم تفرق لتسود» كما يتهمها «المسلمون» دائما وانما جزات لتعزل وبالتالي لتخفيف حدة التعصب (٣٢). والحقيقة ان السياسة الفرنسية ارادت بذلك ان تجعل من «الطائفة» قومية ، ارادت ان تخلق امة مارونية وأمة درزية وعلوية (٣٣) وان تعزز الاقليمية بين المدن الكبرى وبين الحضر والبدو ، ومن وراء ذلك يمكن كسب المتنفذين والانصار بخلق وظائف اضافية ترضي غرورهم او طمعهم ، وفوق ذلك كله يتلهى الناس بأمر التجزئة الواقع وبالكفاح من اجل الغائها عن الاماني القومية والتطلع عبر الحدود. ومن هنا ما مضى اليه بعض كتاب المفوضية العليا من أمثال غونتو ـ بيرون في اثارة الشكوك حتى في الروابط العربية التي تربط بين أواصر البلاد. فقد عبر عن ذلك غونتو ـ بيرون ، بقوله : «لنذكر ، في هذا الصدد ان سكان دمشق وحلب ليسوا ، وان تكلموا اللسان العربي ، من اصل عربي واحد بل لا اصل مشترك يربطهم ببدو البلاد العربية ..» (٣٤) ثم خلص الى القول ان القومية العربية التي يزداد تفسيرها اختلافا بحسب المناطق ، ما هي الا ستارا من شأنه اخفاء تطلعات ذات نطاق آخر تماما.

حتى ان نزعة المغالاة لدى الاستعماريين من الفرنسيين كانت تشتط بهم احيانا الى اعتبار «سوريا ولبنان قطرين متممين لفرنسا» وتسول لهم نفسهم ان يسلكوا معها كما سلكوا في الجزائر قبل قرن. فقد خطب دي جوفنيل قائلا : حين يأتي اليوم الذي لا تكتفي فيه الصناعة الفرنسية بالصوف والحرير اللذين نجدهما في سوريا واذ تتهيأ الاراضي التي يصح تسميتها اراضي قطن فرنسا فتصبح ثروة فرنسا وثروة السوريين واللبنانيين ثروة مشتركة فان الانتداب المعزز بالقوة المسلحة يغدو معززا بقوة اعظم وهي المصالح المشتركة» (٣٥) وكتب الجنرال غورو (٣٦) الى روبير دي كيه : «بينما كان الجيش وكنتم انتم ومعاونوكم تعملون على توطيد الامن في سوريا تمكنت من مواصلة سعيي في باريس لاجل المصالح المشتركة بين سوريا وفرنسا .. فما خلا هؤلاء الرجال (رؤساء الجمهورية ورؤساء الوزارات ..) السياسيين الساميين ، تمكنت بمعاونة المساعدين النجباء الذين استقدمتهم الى باريس من ان اعرّف الناس هناك بنوع اجلى ، بحالة سوريا ولبنان ومواردهما ومستقبلهما وقد أتيح لي ان أخابر عددا من مديري الشركات المالية وشركات المشاريع فأثبت لهم ما يرجى من المنافع من هذه الاراضي التي فتحت جيدا لمساعيهم النشيطة باشتراك العمل مع ذوي الخبرة ورؤوس الاموال المحليين ..» وقالت جريدة الرأي انه «لا يمكن لاحد ان ينكر أقدمية المصالح الافرنسية في سوريا . ان الاعمال الكبرى التي تستثمرها شركات فرنسية انشأها هنالك المهندسون الافرنسيون بأموال فرنسية .. ومنذ عقد الهدنة فتح في بيروت خمسة عشر محلا تجاريا فرنسيا . وقد صدر مرفأ بيروت ، الذي يتسع في حالته الحاضرة الى ١٢ مركبا من الجلود والشرانق بقيمة ١٣ مليون فرنك

ودخله من الصادرات الفرنسية بقيمة اربعة ملايين ونصف من أصناف الحلي والمصاغات والمربيات والحرير وحدها ..» (٣٧) وكتب الجنرال ويغان يحث التجار الفرنسيين على فتح شعبة باسم شعبة سوريا في الغرف التجارية كما حصل في غرفتي ليون ومارسيليا قائلا ان الخطة المتبعة بمقتضى الانتداب هي خطة التزاحم الحر لكل الدول الداخلة في عصبة الامم فلا يمكنه ان يجعل لفرنسا مركزا اكثر تعزيزا ولكن للفرنسيين علاوة هي الفرنك الذي يجري به التعامل فالاشغال يمكن ان تسير بدون ادنى خوف من تقلب اسعار العملة ... (٣٨) فقد رفعت السلطة الفرنسية التعريفة الجمركية للدول من فئة (ا) اي الدول الاعضاء المعترفة بالانتداب الفرنسي من ١١ بالمئة الى ١٥ بالمئة (ثم الى ٢٥ بالمئة في سنة ١٩٢٦) ورفعتها بالنسبة للدول من فئة (ب) الى ٣٠ بالمئة (ثم الى ٥٠ بالمئة سنة ١٩٢٦) وهذا ما دفع الولايات المتحدة الامريكية – التي كانت تبحث عن اسواق الى الاعتراف بالانتداب في ابريل (نيسان) ١٩٢٤ . وبذلك ارتفعت ايرادات الجمارك (وهي داخلة في «المصالح المشتركة») من لا شيء تقريبا الى اكثر من ٩٥ مليون فرنك عام ١٩٢٤ والى اكثر من ١٢٨ مليون فرنك سنة ١٩٢٥ (٣٩) . فقد بلغت هذه العاصفة من المغالاة في تطبيق الانتداب حدا اخذ يذكر باساليب العصور الماضية مما جعل عددا من الاصوات ترتفع في مجلس الشيوخ الفرنسي لتحذر من ان يؤول الامر في سوريا الى مجازفات تكون شرا من مجازفات فرنسا ومخاطرها في الجزائر (٤٠) .

***

كانت الاحوال الاقتصادية تتضافر مع هذه الاضطرابات السياسية فتزيد في اوضاع البلاد سوءا وارتباكا . فمن جهة احدث سقوط الدولة العثمانية واقتسام البلاد العربية تفكيكا في مسار الوحدة الاقتصادية . وسدت ابواب تركيا في وجه الانتاج السوري فشلت المنطقة الشمالية وتفشت فيها البطالة ومن جهة اخرى عرقلت الاوضاع الجديدة التي قامت في العراق ومخافر الجمرك حركة ذلك الطريق القديم الذي كان يربط شمال سوريا منذ اقدم العصور بالشرق وبالخليج (٤١) . وفضلا عن تقسيم سوريا نفسها وما اوقعه من ارتباك وخلل في الحركة الاقتصادية عموما والتجارية خصوصا فان الاتفاق الجمركي المعقود بين المفوضية العليا في سوريا والمفوضية العليا في فلسطين بتاريخ ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٢١ اصاب المنطقة الجنوبية بالشلل . فقد اثبت التحقيق الدقيق ، الذي قامت لجنة التجارة والصناعة انه يشتغل في سوريا مئتان وخمسون الف عامل في مختلف الصناعات الوطنية التي تصدر الى فلسطين وما وراء الاردن فقط وتصدر البلاد السورية الى هذه البلاد المجاورة من مختلف البضائع ما تقارب قيمته الثلاثة ملايين ليرة عثمانية ذهبا ويوجد في سوريا اكثر من مئتي صناعة معروفة منذ القديم حياتها

وحياة عمالها متوقفة على سهولة التبادل التجاري بيننا وبين هذه البلاد المجاورة (٤٢) . لذلك قر رأي التجار على عقد اجتماع حضره عموم تجار المنسوجات والصادرات والمانيفاتورة وارباب الحرف والصناعات انتخبوا بعد المداولة ، بالاقتراع السري ، لجنة مؤلفة من عشرة اشخاص فوضت بالاحتجاج على الاتفاق الجمركي واظهار اضراره بتقديم الاحصاءات الدقيقة . وكان من رأيها ان الحواجز الاقتصادية ليست في مصلحة هذه البلدان وانه يجب ان تكون الجمارك في سوريا من العريش والحجاز جنوبا الى الاسكندرونة والاناضول شمالا ومن العراق شرقا الى موانىء البحر الابيض غربا مقتصرة على الثغور البحرية وان تكون هذه على قاعدة الجمارك المشتركة (٤٣) . وما لبثت «الرسوم التي تتقاضاها حكومة فلسطين من بضائع سوريا ان اوجبت جمود الحال وزادت دولاب الاعمال وقوفا واصبح اعظم التجار ولاسيما تجار سوق مدحت باشا عاجزين عن فتح حوانيتهم . يفضلون اقفالها ..» (٤٤) ولم تقنع التجار حجج وآراء مدير مالية المفوضية ومدير النافعة والتجار والزراعة ووكيل نائب المندوب السامي وممثل لجنة تجار العاصمة ، في الاجتماعات العديدة التي عقدت .. فان الركود ظل مخيما على البلاد (٤٥) وظل الميزان التجاري مختلا اختلالا مخيفا (٤٦) . وفضلا عما اصاب الصناعات المحلية من كساد من جراء هذه الظروف الجديدة فان مزاحمة الصناعات الغربية جاءت تتعاون معها للقضاء على صناعات البلاد التقليدية كصناعة الاواني البللورية . والاوعية الخزفية وصناعة الفخار والنحاس والصناعات الخشبية (٤٧) .

ومن جهة اخرى كانت مسألة النقد تبعث على مزيد من البلبلة والاضطراب في الاسواق وفي حياة الناس . كان الجنيه العثماني الورقي قد فقد صفته النقدية واصبح الجنيه المصري الورقي هو العملة القانونية في سوريا ولبنان لان قوات الاحتلال احضرت معها جنيهات مصرية ورقية تتبع قاعدة الاسترليني . وفي ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ صدر قرار من القيادة العامة للجيش البريطاني يمنع تداول العملة الورقية العثمانية واحلال الجنيه المصري محلها (٤٨) ومع ان اوراق البنكنوت المصرية جعلت العملة الوحيدة القانونية لسوريا ولبنان ذات السعر الالزامي وفرض لها سعر تعادل مع الجنيه الذهبي العثماني على اساس سعر الذهب فقد استمر التعامل بالجنيه العثماني وبالمجيدي .. ووقعت البلاد في بلبلة نقدية حتى الى ما بعد ٢ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ عندما الغت فرنسا السعر القانوني للجنيه وخلقت في سوريا ولبنان العملة الورقية المستندة الى الفرنك الفرنسوي وبدورها عجزت الليرة السورية اللبنانية عن ان تكون العملة الوحيدة فظل النظام النقدي الجديد مضطرب المعالم غامض المصير ولم تتحدد علاقته بالنقود التي درج الاهالي على استخدامها (٤٩) . وبقي هذا شانه حتى سعت السلطات الفرنسية لحمل حكومات سوريا ولبنان على تدعيم الليرة واسباغ صفة المشروعية عليها وتوصلت معها الى اتفاق كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤ تعدل به النظام النقدي (٥٠).

ولم تقف مسألة النقد عند حد الاكراه على التعامل بالعملة الورقية الجديدة وتحمل أضرارها البالغة .. فقد اخذ البنك يحتكر الذهب وراحت السلطة تفرض غراماتها بالذهب (٥١) . ولم يكن تقرير لجنة الانتدابات متجنيا اذ اتهم الدولـــة المنتدبة نفسها باستخدام وسائل متعددة لجمع العملة الذهبية المتداولة في سوريا واخراجها من البلاد (٥٢) .

خلاصة القول ان حقيقة الازمة لا ترجع الى فقر البلاد وليس صحيحا ان تغري الى كسل الاهالي او قلة نشاطهم وميلهم الى التسول (٥٣) ولكنها نشـــأت نتيجة الانقلاب العظيم الذي طرأ على الشرق الادنى العربي فزالت اسواق وحلت اسواق جديدة محلها ومن جراء التغيير الكبير في الحالة الاقتصادية العامة التي تغيرت عما كانت عليه قبل الحرب (٥٤) . فأمسك الضيق بخناق الناس وانتشر «الجوع الكافر» في أرياف البلاد وقراها واغلقت ابـــواب الرزق في وجـــوه العمال (٥٥) . واشد ما كان يعاني منه الناس غلاء المعيشة وتقلب اسعار الليرة السورية (٥٦) وهذا ما اخذ يدفع الناس الى الهجرة من البلاد وصار اتساع حركتها يذكر بأفواج المهاجرين في أواخر عهد الاتراك العثمانيين . وبلغ من تفاقمها ان اضطرت الحكومة الفرنسية الى ايفاد السيد بونامي Bonamie من حكـــام المستعمرات منتدبا من وزارة الخارجية «لدرس الحالة الاقتصادية في البـــلاد الخاضعة للانتداب الفرنسوي والنظر في اسباب استمرار هجرة السوريين مـــن بلادهم وما أدت اليه من النتائج سواء من الوجهة الاقتصادية او العمرانية» (٥٧) .

الفصل الرابع

الرفض والمقاومة

لقد رفضت سوريا الداخلية ، لاعتبارات متعددة ، «الانتداب الفرنسي» قبل ان يعرض عليها وقبل ان تتم التسوية بين الانكليز والفرنسيين ، فقد جاء في تقرير بتاريخ ١٦ ايار ١٩١٩ حول «الوضع السياسي في البلاد العربية» اعده الكولونيل ك. كورنواليس Cornwalis «ان رجال السياسة في دمشق يعتنقون مبداين اساسيين لا ثالث لهما : اولا يريدون الاستقلال وثانيا انهم لا يريدون فرنسا . ان شعور العداء لدى النخبة منهم نحو الفرنسيين عنيف الى حد يدعو الى الاستغراب ..» (١) . ذكر اللورد ريدل Riddel في مذكراته عن لويد جورج قوله «ان السوريين لا يريدون الانتداب الفرنسي وانه ليتساءل كيف يمكن للحلفاء ان يحملوا السوريين على قبول دولة منتدبة هي في نظرهم دولة غير مستحبة ..» (٢) ويشير غونتو بيرون بمرارة الى «المضابط» التي كانت توقع بكثرة في كل مكان رافضة الانتداب الفرنسي والى الخطب الحماسية في جامع بني أمية التي تدعو للانخراط في صفوف الجيش للدفاع عن الوطن في وجه الفرنسيين والى ما كانت تكتبه «البلاغ» و«الحقيقة» من ان البلاد لا حاجة بها الى الخبراء والمستشارين الاجانب (٣) ذلك انه لم يرد في خلد العرب وهم يحاربون الاتراك ان تجزا بلادهم لتقتسمها فرنسا وبريطانيا ..

وايا ما كانت الحقيقة في حكومة فيصل في سوريا فلا شك في انها اثارت

في أذهان الناس املا قويا لتحقيق امانيهم التي طالما غذتها من قبل ورعتها الجمعيات والحركات السرية منذ أواخر القرن التاسع عشر ثم جاءت الثورة العربية وما اثير حولها من دعايات وما اعقبها من وعود الحلفاء وتصريحاتهم المشتركة تضخمها وتنفخ فيها . وعلى الرغم من فصل لبنان وولاية بيروت، بنزول الفرنسيين فيها منذ نهاية الحرب ومن اعطاء فلسطين كيانا خاصا تمهيدا لتنفيذ وعد بلفور فيها والتأكد من وجود اتفاقية سايكس ـ بيكو لتقسيم منطقة المشرق العربي فقد تجمع العاملون في القضية العربية من مختلف احزابها وجمعياتها في دمشق ، بغية تحقيق تلك الآمال فكان العراقي والحجازي الى جانب الفلسطيني والاردني واللبناني - مسيحيين ومسلمين ، ينمون معا أحلام الاستقلال والوحدة العربية واقبل العرب من كل مكان على الاشتراك بالثورة والمشاركة في ثمرتها بدافع الوطنية وحب الحرية والاستقلال ، واصبحت دمشق كعبة الاحرار من العرب وبحق قلب العروبة النابض ودماغ الامة العربية ويدها العاملة ومصدر النور الذي تستضيء به في طريقها الى الحرية والحياة . كان رجالات العرب الذين اجتمعوا فيها يعملون في حياتها «الاستقلالية» القصيرة كرجل واحد في سبيل غاية واحدة (٤) .

في هذه الحقبة ظهر الفرنسيون . وهم الذين عرف عنهم انهم «حماة الاماكن المقدسة» ودعاة وحدة سوريا الطبيعية ، في ثياب العداء للاماني العربية . فقد منعت سلطاتهم ممثلي المنطقة الغربية من السفر الى دمشق لحضور المؤتمر السوري العام . وفضلا عن اتيانهم اعمالا كثيرة مثل هذا العمل المعادي .. فانها تسرعت في افتعال دواعي الاصطدام مع فيصل ، خلافا لاتفاقية فيصل ـ كليمنصو التي لم يجف حبرها ، وعلى الرغم مما كانت تتضمنه من احتمالات طيبة في صالح الفرنسيين ؛ وتغلب التطرف في اعقاب خروج كليمنصو من الحكم ومجيء وزارة مللران Milleran الخاضعة لجوقة المنادين بالسير الى سوريا . ولم ينتظر المتعجلون حتى تتكشف حقيقة السياسة الانجليزية لاعين العرب وخاصة في فلسطين والاردن .. فعجلوا باخراج فيصل من سوريا ولما تزل اكاليل الغار التي توج بها زاهية بعد في أعين الناس .. وبمغادرته البلاد ، في غمرة ذلك الحماس العارم ، غادرها كثيرون من رجالات البلاد ، الى فلسطين والاردن ومصر والعراق ، اي الى البلاد العربية الخاضعة للانجليز ، فبدا الامر على غير حقيقته، مرة اخرى ، كأن الانجليز هم الذين يؤيدون تحقيق الاماني العربية وان الفرنسيين هم الذين يعادونها .

وجاء تطور الاوضاع في تركيا وتصريحات مسؤوليها تعزز حق العرب الذي ثاروا من اجله فقد تحدث وزير خارجيتها قائلا : «ان ميثاقنا الملي يعترف بمقتضى نصوصه المقدسة التي وضعتها الامة العثمانية بأسرها وآلت على نفسها الاحتفاظ به الى النهاية ـ بأن الشعوب العربية تملك حق مصيرها فهي اذن بهذا الاعتبار حرة في ادارة شؤونها بنفسها . تنتخب حكومتها كما شاءت ارادتها وليس لاحد ما حق السيطرة عليها ..» (٥) ورحبت صحفهم بفكرة اتحاد العرب وتكوينهم كملة

واحدة بالروابط الجنسية ليتعاونوا جميعا لاعادة عظمة العرب ومجدهم التالدين واستنكرت ان يكون هذا الاتحاد آلة يحركها الانجليز كما يشاؤون .. (٦)

لذلك بات من العسير على الناس ان يتقبلوا الفرنسيين بوجههم الجديد كمنتدبين فما بالك كمحتلين . تبددت صورة فرنسا الجميلة «الام الرحيمة» وفرنسا التي كان يتطلع اليها احرار المشرق العربي ورجالاته ويتداعون لعقد مؤتمرهم الاول في كنفها ويتوقعون منها العون ، ينفضون عنها الان فلا تجد وهي تحكم «دول سوريا» الخمسة من يتعاونون معها الا الموتورين او من بقايا العثمانيين او المغمورين . فلقد هال السوريين ان يحشروا في زمرة الشعوب القاصرة ، غير القادرة على حكم نفسها بنفسها ، يعيّرون بحكم فيصل «ذلك البدوي القادم من الصحراء» وبالخضوع للحجازيين .. في حين يعترف باستقلال ألبانيا وارمينيا والحجاز نفسه . ولعل ما قاله السيد بوانكاريه Poincarré رئيس الجمهورية وهو يحسم النقاش الذي دار بين المسيو بومبار Bompard سفير فرنسا السابق في الاستانة الذي عايش النضال العربي في ظل الحكم العثماني وغلاة المستعمرين في البرلمان الفرنسي يعتبر القول الفصل في ذلك : «زارني مندوبون سوريون ولبنانيون مفوضون بالكلام باسم بلادهم . فأجمعوا على القول انهم قد تحققوا وهم ينتظرون من فرنسا حريتهم ، من ان الجيوش الفرنسية حملت اليهم العبودية في ثنايا العلم الفرنسي» (٧) .

* * *

اتخذت مقاومة الانتداب في سوريا مظاهر مختلفة تتدرج من الاحتجاج السلمي والمواقف السياسية في المحافل الدولية والمقالات في الصحف خارج البلاد وداخلها والعرائض الشعبية وبرقيات الاحتجاج والوفود والاجتماعات السرية والعلنية ، الى التظاهرات الشعبية والهبّات المسلحة والاغتيالات والثورات (٨). ولوضع الحركة الوطنية ، في هذه المرحلة ، في اطارها الصحيح ، لا بد من التعرض لها لابراز ملامحها الرئيسية ، على صعيديها : الخارجي والداخلي ، العربي العام والمحلي الاقليمي :

اولا :

بمبادرة من اللجنة التنفيذية لحزب الاتحاد السوري ، الذي كان يعمل حينئذ في مصر بنشاط كبير وفتح ناديه لجميع الوطنيين ، عقدت الاحزاب السورية مؤتمرا في جنيف في أواخر أغسطس (آب) ١٩٢١ تمثل فيه : حزب الاتحاد السوري ، الاستقلال العربي ، الجمعية الاسلامية في نابلس ، الوفد الفلسطيني واللجنة الفلسطينية في مصر ، الجمعية السورية الوطنية في بوسطن، الحزب الوطني العربي في الارجنتين ، حزب تحرير سوريا في نيويورك ، وحزب

استقلال سوريا ووحدتها في سانتياغو في تشيلي (٩) . الغرض منه توحيد الجهود للحصول على الاستقلال من دول اوربا لسوريا وفلسطين ولبنان حتى اذا ما تحقق ذلك وشاء كل من هذه الاقطار الاتحاد مع الاخرى فعل ذلك بملء اختياره (١٠) . وقد نشأت عن هذا المؤتمر ، في نهاية عشرين جلسة ، اللجنة التنفيذية السورية الفلسطينية التي جعلت مركزها في مصر ، ألفت من مندوب واحد عن كل حزب اشترك في المؤتمر (١١) وانبثق عن هذه اللجنة وفد دائم في اوربا ، اتخذ مقرا له جنيف ، من ثلاثة اعضاء هم الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري وسليمان كنعان وقد حل رياض الصلح مكان الاخير فيما بعد (١٢) . واصدر المؤتمر بيانا مسهبا ، موجها الى رئيس عصبة الامم ومندوبي الاعضاء فيها ، ذكرهم بمبادىء العصبة القائمة على احترام القوميات ومبادىء ولسن وعهود الحلفاء للعرب ودور العرب في الحرب واظهر قومية الروابط بين البلدان العربية في الشرق في السلالة واللغة وكفاءتها لنيل الاستقلال (١٣) وكانت اللجنة تنشط بنشاط الحركة في سوريا وفلسطين وتضعف بضعفها ، كما كانت خير صلة بين الداخل والخارج . وقدمت للقضية السورية الفلسطينية اعظم دعاية يمكن ان تقوم بها لجنة سياسية مهما تكن مواردها عظيمة (١٤) اذ قلما وقع حدث داخلي او خارجي يتعلق بالاقطار العربية الثلاث : سوريا وفلسطين ولبنان الا وكان لها راي فيه واعلنته على الملأ او تقدم به وفدها الدائم في جنيف الى الجهات المسؤولة (١٥) . ولم يرتفع في وجهها صوت الا من لبنان (١٦) .

تحول العمل السياسي في داخل البلاد بعد دخول الفرنسيين الى ما يشبه النضال السري . وكانت هذه الفترة دليلا على خطل نظرة رجال الاحزاب والقائمين على الحكم لجماهير الشعب . فقد استولت على هذه الجماهير فكرة الدفاع عن البلاد والمقاومة . واثبتت بذلك انها هي المتقدمة وما ان تتوفر لها فرصة التنظيم والتوجيه حتى تكون سخية في البذل والتضحيات . وفي هذه المرحلة تذكر وثائق وزارة الخارجية الفرنسية وجود الحزب الحديدي السوري Parti de Fer Syrien وحزب الشبيبة وحزب الاحرار وحزب سوريا الفتاة . كانت تصدر منشوراتها وتلصقها في اماكن مختلفة في أحياء دمشق ، وعلى الرغم من الحواجز المقامة بين المدن السورية ومناطقها ومن عيون السلطات العسكرية الساهرة كانت هذه المنشورات تصل الى كافة المدن وتتحدث فيها المجالس والاندية وقد بلغ عدد ما اصدره احد هذه الاحزاب من النشرات الرقم ١٢١ في ٢ يوليو (تموز) ١٩٢٢ (١٧) عثرنا على ترجمة لبعضها ولم نعثر على نصها العربي .

مكثت سوريا في هذا الجو المضغوط تحبس عنها الحريات ، ويخيم عليها الارهاب ، لا تعرف القرية فيها او الحي حتى تهبط كوكبة من فرسان الجيش فيه بحثا عن شخص مطلوب او لفرض وجباية غرامة من الذهب او من السلاح العين ، حتى أواخر عام ١٩٢٤ حين جاء الجنرال ويغان فحل القيد قليلا فأفسح المجال للاتصال بالشعب واستمع الى مطالب الوفود ثم خطا الجنرال ساراي

Sarrail العلماني ، الماسوني خطوة اوسع فلما ذهبت الوفود للترحيب به في بيروت ومطالبته بتحقيق اماني البلاد وكانت السلطات الفرنسية قد بدأت تشعر باستقرار الاوضاع التي أسسها وبأوان التزامها في تنفيذ صك الانتداب ، نصح المفوض السامي رجال هذه الوفود بأن يحققوا الوحدة في انفسهم اولا ثـــم يطالبونه بتحقيقها . فكيف يطالبونه بالاستقلال ودعوة جمعية تأسيسية ووضع قانون اساسي .. والبلاد خالية من الاحزاب التي تنظم وتدير الحياة السياسية. عندئذ عرج الوفد الحلبي على دمشق فعقد مع وفدها اجتماعا بحضور مندوبـــو حزب الاصلاح السوري في بيروت صدر على اثره بيان بتأليف حزب الشعب على اساس تأمين الوحدة السورية والسيادة القومية (١٨) . وفي أواخر ابريل (نيسان) ١٩٢٥ صادقت المفوضية العليا على برنامجه السياسي ونظامه الداخلي (١٩) . وفي حفلة افتتاح الحزب التي أقيمت بمقهى العباسية ، حدد فارس الخوري برنامجه بما يلي : ١ ــ استقلال سوريا والاعتراف بسيادتها الوطنية وحقوقها في الحصول على حكومة ديموقراطية ، ٢ ــ توحيد سوريا لتضم كل الاقطار المشمولة بحدودها الطبيعية ، ٣ ــ الحصول على الحرية الشخصيـــة وحرية الصحافة وحريـــة الاجتماعات ، ٤ ــ تربية الشعب تربية ديموقراطية ، ٥ ــ تشجيع المصنوعات الوطنية واصلاح الحالة الاقتصادية ، ٦ ــ توحيد التربية وتعميم التعليم الاجباري، واعلن انه اذا لم يتحقق هذا البرنامج تكون سوريا قد فقدت آمال شهدائها . وقد لاحظ الدكتور مجيد خدوري ان هذا البرنامج يمثل اعتراضات الوطنيين علـى برنامج الادارة الفرنسية (٢٠) .

وفي حياة هذا الحزب القصيرة ، داخل البلاد ، قام بدور كبير في عرقلة وتفشيل خطة وزارة الخارجية الفرنسية لوضع النظامات الاساسية للبلدان الواقعة تحت الانتداب الفرنسي . ذلك انها شكلت لجنة سمتها لجنة استشارة الاهالي برئاسة بول بونكور Paul Boncour قامت بتوجيه اسئلة معينة لشخصيات وهيئات حددها المفوض السامي (٢١) . فعلم بها الحزب وتصدى لها يتقصى اثرها ويفضحها ويحتج عليها لدى السلطات الرسمية والهيئات الدولية ويبين مخالفتها للاصول ولشروط الانتداب (٢٢) وكان اهم ما قام به تلك الارتباطات والمواثيق التي عقدها مع رجال من جبل الدروز في اجتماعات عديدة عقدت في دمشق كان اكثرها يجري في غفلة عن عيون السلطة .

وقرر الحزب لدى نشوب الثورة ان تتحد الكلمة باسمها وان لا يبقى مكان للحزبيات واوفد من يتصل بها باسم الاحزاب عامة . وما ان شعرت السلطـات بالامر حتى صدر الامر بحل الحزب وتحريم اي نشاط عليه (٢٣) وبملاحقة رجاله فقبض على بعضهم كفوزي الغزي وفارس الخوري واحسان الشريف ونفـــوا واستطاع بعضهم الآخر الافلات من قبضة السلطات والالتحاق بالثورة كالشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر .. وبانتهاء الثورة في البلاد انتهى الحزب بنزوح

اكثر رجالاته الى مصر وكانت آخر مواقفه في الداخل ما ذهب اليه فارس الخوري ولطفي الحفار من اجتهاد في التعاون مع دي جوفنيل في وزارة الداماد .

على الرغم من حد الارهاب الذي ساد البلاد (٢٤) بالاحتلال الفرنسي وانكفاء ذوي المكانة الوطنية عن التعاون معه وقبول الوزارة لبنود الانذار وادانتها لفيصل وتحميله المسؤولية وترديدها في بلاغها الذي اعلنته على الاهلين لتصريحات الفرنسيين وتهديداتهم واسراعها بفرض الغرامة الحربية ومباشرتها بتأديات السلاح فان رئيس الوزارة آنذاك لم يملك نفسه ، وفي رده على الجنرال غورو في الوليمة التي أولمتها الحكومة له ، الا ان هتف في نهاية كلمته : فلتحي سوريا حرة مستقلة (٢٥) . ولقد اجتاحت البلاد موجات من السخط وتيارات من الاثارة ، لم تستطع احتواءها الاحزاب وتنظيمها ، ولم تكن ، في اكثريتها ، بدوافع خارجية او اجنبية . بل كثيرا ما كانت ذاتية ، محلية ، عفو الخاطر ، حتى لقد قيل ، نقلا عن تصريح للجنرال ساراي Sarrail ان سوريا ، شهدت سنة ١٩٢٢ وحدها خمس وثلاثين ثورة دفن فيها من الجيش الفرنسي خمسة آلاف جندي (٢٦) قد جعلت من الانتداب حملا من الاشواك على عاتق فرنسا (٢٧) . فبعد مغادرة فيصل للبلاد وعدم استجابته لفكرة استمرار المقاومة وانفضاض الجموع من اربد ونكوص بيارق قرى الجبل على أعقابها .. لم يطق اهالي حوران رؤية وزراء متعاونين مع المحتل ، الفرنسي ، يمرون من قراهم ، فهبوا في خربة غزالة ، بصورة تلقائية ، متوافدين من الجوار ، بدون تدبير سابق او تهيئة ففتكوا بعدد من الوزراء وبضابط فرنسي .. (٢٨)

يذكر احمد قدري (٢٩) ان الاضطرابات الجدية بدات بالظهور قبل منتصف شهر مايو (ايار) ١٩١٩ في جبل العلويين حيث قاوم السكان برئاسة الشيخ صالح العلي السلطة الفرنسية بقوة السلاح الذي كان متوفرا بعد انسحاب الجيش التركي وكان الشيخ صالح العلي قد لبى نداء الشريف حسين بالثورة على الاتراك فبادر الى قطع الطريق عليهم التي تصل طرطوس بحماة فتوفرت له الخبرة التي ساعدته على جمع المشايخ وتنظيم أعوانه المقاتلين وخوض معارك ناجحة قد اجمل «الكتاب الذهبي الفرنسي» ذلك بقوله : «على اثر احتلالنا مدينة اللاذقية في اواخر سنة ١٩١٨ اعلن بعض العلويين العصيان علينا يقودهم ويديرهم صالح العلي فاستطاع هو وانصاره ان يحتفظوا بالجبل العلوي حتى نهاية عام ١٩٢١ ولم ينفكوا طوال هذه المدة يهاجمون وينكدون مراكز جنودنا ومعسكراتنا واحيانا يقلقون ويعكرون صفو مدن الشاطىء ...» (٣٠)

وكان ابراهيم هنانو من أوائل من فطنوا الى مأزق الثورة التركية فقدر انها تمده بالسلاح فعقد مع مصطفى كمال اتفاقية في ٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ في ذلك وعلى اثرها اوفد مصطفى كمال اربعة ضباط مزودين ببعض السلاح وبرسالة الى الشيخ صالح العلي (٣١) وقبل ان تأخذ حركات المقاومة في لواء الاسكندرون وفي حارم وفي الشيخ بدر طريقها الى السكون كانت الاضطرابات تنتقل الى

الحولة ومرجعيون وتلكلخ حيث كانت الاصطدامات تتوالى وتنتشر العصابات لمنازلة الفرنسيين (٣٣) وما لبثت نيران المقاومة ان اضطرمت في دير الزور ولم تهدأ القبائل الثائرة الا بعد معارك ضارية وعديدة دامت طيلة الشهور الاولى من عام ١٩٢٠ ولم تهدأ الا في اوائل شهر كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٢١ (٣٤) ثم عادت نار الثورة تشتعل في جنوب البلاد عندما اعترض خمسة خيالة ، على مسافة ٤٥ كم من دمشق موكب الجنرال غورو وهو في طريقه الى حضور مادبة الفاعور يوم ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٢١ فاطلقوا على سيارته النار فقتلوا مرافقه واصيب حقي العظم حاكم دمشق حامل وسام جوقة الشرف في رتبة كومندور واخترق الرصاص بذة الجنرال ولم يصب باذى (٣٥) . الا ان السلطات الفرنسية القت انقبض على أدهم خنجر احد المتهمين في الحادث اثناء عروجه الى «القرية» قرية سلطان الاطرش وهو في طريقه الى الاردن وادى عدم اطلاق سراحه الى اعتراض سلطان الاطرش لقافلة المصفحات التي ظن انها تنقل السجين من السويداء الى درعا فحطم احداها واسر اخرى وكرت الباقيات على اعقابها (٣٦) وهكذا كان اندلاع الشرارة الاولى في ثورة «الجبل» التي اضطرت الفرنسيين الى ارتكاب حماقات كان لها آثار بعيدة في تصرفات الاهالي فيما بعد ، خاصة في الثورة الكبرى .

***

واذا كانت الفورة في الحركات المسلحة لمقاومة الفرنسيين قد سكنت بعد هذه الهبّة الا ان «العصابات» التي اطلق عليها الفرنسيون اسم «قطاع الطرق» ، لم تتوقف . بل لعلها تحظى ذات يوم بما هي جديرة به من الدراسة والتحليل . فقد سجل القائمون بها بطولات انسانية ما زال الاهالي يتناقلون قصصها ويروون سجاياها لاولادهم . في وادي الحرير ، ووادي القرن عقدتي المواصلات بين دمشق وبيروت ، اشتهرت اكثر من عصابة باسم قائدها : «ملحم قاسم» او «فؤاد علامة» وفي قضاء القنيطرة اشتهرت عصابة «شريف شاهين البعلبكي» كما اشتهرت عصابات عديدة في جبال اللاذقية وجسر الشغور وحارم وادلب ـ كان رجالها كثيرا ما يسلبون كبار الموظفين الفرنسيين ويوزعون ما سلبوه على الفقراء في المنطقة كما حدث لمدير مالية المفوضية العليا وقد انتزع منه حذاؤه وبعض البسته وأرغم على السير حافيا على قدميه مسافة طويلة في منطقة جليدية على الطريق بين بيروت ودمشق مما كان يضطر السلطات الفرنسية الى ان تبقي مفارز كاملة في حالة تأهب دائم لمطاردة هذه العصابات في مناطق عديدة متفرقة من انحاء سوريا (٣٧) . وكانت هذه العصابات تتوارى وتندمج بالاهالي ويغيب ذكرها احيانا ثم تظهر فجأة في قلب المدن الكبرى كدمشق وحلب وباعداد تزيد عن الثلاثين شخصا مزودين بالقنابل والبنادق فيسطون على المخافر ويسلبونها اسلحتها

ومعداتها ويكبلون افرادها ، تاركين وراءهم بعض الكتابات الوطنية او التهديدات الموجهة الى افراد متعاونين مع السلطة او مسؤولين فيهـــــا (٣٨) . فكان على الفرنسيين ان يحشدوا سبعين الفا من جيوشهم ليستطيعوا ضبط وتهدئة تلــك الحركات المتفجرة فقط لا لاخمادها (٣٩) الى جانب ما لجأوا اليـــه من اساليب كفرض غرامات مالية او كميات من الاسلحة تجبـــى من الاهالــــي متكافلين متضامنين (٤٠) .

***

اذا كان كراين (٤١) احد اعضاء لجنة التحقيق وتقصي الحقيقة الامريكية ، يمثل في نظر الفرنسيين تلك الفترة من المناورات والتسويات الدولية التي عورض فيها انتداب فرنسا على سوريا وارتفعت أسهم امريكا وانكلترا في البلاد ، فانه يمثل في نظر عرب سوريا ذلك «التقرير الذي يزيح الغطاء عن مطامع الحلفـــاء المتضاربة في الاستانة ويبين مساوىء المعاهدات السرية ويوضـــح التناقض بين العهود التي قطعتها اوربا لشعوب الشرق والخطة الاستعمارية التــــي سارت عليها . .» كما قالت التايمس الامريكية في تقديمها للتقرير (٤٢) . لذلك كان من الطبيعي ان يفجر مجيئه الى سوريا موجة من الغضب والاحتجاج لاسيما اذ صرح بأن مجرى السياسة يتطلب اظهار مدى صحة التقرير الذي شارك فيه (٤٢) وعليه طلب الاجتماع بأهل البلاد .

كانت زيارته لدمشق في ٢ ابريل (نيسان) ١٩٢٢ مناسبة لا لحشد نخبة من العلماء «المشايخ» ورجال السياسة من محامين وتجار وزعماء الاحياء في المآدب فحسب ، وانما كذلك لاظهار بعض الوقائع الباعثة على التذمــــر من الانتداب الفرنسي (٤٤) وتداولها بينهم ونشرها . فقد اراد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من وراء تلك الوقائع التي قصها مطلعون على مسامع المستر كراين وعرضوا وثائقها وساقوا بياناتها ان ينتهي الى ابراز المطالب الوطنية ليكون المستر كراين داعيتها في اوربا وامريكا حيث لا يزال هناك أفراد بضمائر حرة يحيون الانسانية ويغارون على الحرية (٤٥) وقد اجملها الدكتور خالد الحكيم في كلمته بانها : ١ ــ الاستقلال ، ٢ ــ وحدة سوريا في حلف عربي ، ٣ ــ ترك البت في امر الخلافة للمسلمين(٤٦) .

بعد تلك اللقاءات العامة قام كراين بزيارة لزوجات شهداء جمال باشا وزيارة الميتم السوري وحي الميدان . وعندما قرر مغادرة البلاد جعل الوطنيون من وداعه مسيرة شعبية انطلقت من امام فندقه في المرجة (مركز المدينة) حتى الخروج منها تعالى الهتاف فيها بحياة الامة العربية وبالاستقلال وسقوط الانتداب الفرنســـي وسقوط الخائنين . اثناء الخطب التي القيت في وقفـــات الموكب الكثيرة (٤٧) . وخشية استفحال الامر سارعت الحكومة في اليوم التالي ، استنادا الى قانـــون التجمع العثماني باعتقال الدكتور الشهبندر والشاب المصري الذي انشد بوحدة

مصر والشام ثم تابعت الاعتقالات فألقت القبض على حسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وغيرهم. وعلى اثر ذلك ولما كانت الحكومة لم تطلق سراحهم كما وعدت بعض الذين توسطوا لديها . كثرت الاجتماعات والمداولات وكانت المدينة تمور بالحركة وافضى الامر الى ايجاد لجنة تنظم العمل للقيام بمظاهرة في اليوم التالي من الجامع الاموي بعد صلاة الجمعة (٤٨) . وكانت صيغة الاحتجاج الذي قدمه المتظاهرون باسم الشعب السوري الى قناصل الدول على اعتقال خيرة رجال سوريا لمجرد هتافهم للحرية والاستقلال وهما رائدا كل شعب حي .. وعملت السلطة جهدها على تفريق شمل المظاهرة .. ولم ينته اليوم الا وكانت قد اعتقلت ثلاثين شخصا ممن اشتركوا فيها (٤٩) .

وعلى الرغم من اعلان الاحكام العرفية في ٩ ابريل (نيسان) ، فان دمشق اضربت يوم العاشر منه وقام طلاب المدارس بمظاهرات متفرقة وخرجت مظاهرة من السيدات في الرابعة من بعد الظهر تهتف للاستقلال والحرية على رأسها عقيلات الشهداء . وفي اليوم التالي اشتدت المظاهرات فحاول الجند تفريقها بالسلاح قتل في ذلك طالبان وجرح ستة . فقامت السلطة باحتلال المدينة واذاع قائد «جيوش» دولة دمشق بيانا على الاهالي بالاستناد الى الاحكام العرفية «منع التجمع في الطرق العامة وقمعه بالسلاح ومنع التجول من الساعة السابعة مساء حتى السادسة صباحا وبوجوب العودة الى العمل كالمعتاد تحت طائلة الاحالة الى الديوان العرفي لكل مخالف ..» (٥٠) وعلى اثر ذلك طلبت الحكومة من (١٥٠) تاجرا الاقلاع عن الاضراب فلما ابوا زجتهم في السجن وانتشر الاضطراب الى مدن اخرى في البلاد . وفي نهاية مطاف المظاهرات الصاخبة التي قامت في حمص حاول بعض المسلحين بالعصي والهراوات اقتحام دار الحكومة. ولما كادت الجماهير ان تتغلب على رجال الشرطة تدخلت القطع العسكرية فابعدتها عن دار الحكومة بعد اصطدام اطلقت فيه العيارات النارية على الجنود وضربوا بالحجارة واسفر الامر عن قتيلين واربعة جرحى. فاذاع قائد المنطقة بلاغا بمنع التجمع بالقوة وتحديد اوقات التجول وتحديد فتح المحال العامة (٥١) .

وبعد منتصف ليلة ١٨ ابريل (نيسان) ١٩٢٢ نقل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وتوفيق الحلبي وعبد الوهاب العفيفي والدكتور خالد الخطيب من سجن القلعة الى نظارة الشرطة في الطابق الاسفل في بناية العابد لمحاكمتهم امام الديوان العرفي الفرنسوي (٥٢) بتهمة محاولة تغيير شكل الحكم واكتفت المحكمة بسماع ثلاثة من شهود النفي وكان عددهم (١٥٠) شاهدا ؛ قائلة «لو جئنا بسكان دمشق كلهم لشهدوا في مصلحة المعتقلين» (٥٣) وكانت الاحكام في النتيجة تتراوح بين خمسة و عشرين عاما . ثم أعيد السجناء الى سجنهم ورحلوا في ٢١ ابريل (نيسان) الى بيت الدين في لبنان ومنها الى ارواد ولم يطلق سراحهم الا في ليلة الجمعة ٢٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ . وايا ما قيل في محاكمة الدكتور الشهبندر بعد ذلك وما أشير بالشبهة

الى علاقته مع كراين . فالمهم هو هذه المناسبة التي وجدت فيها المشاعر الوطنية فرصة للتعبير عن خلجاتها . فقد هزت البلاد واجمع رجالاتها من حلب الى دمشق على تأييده وشد أزره . وبها تقدم الشهبندر الى الصفوف الامامية في القيادة الوطنية ورفع لوائها (٥٤) . ومنذ ذلك الحين صارت صفة «الزعيم» تطلق عليه بين الحين والآخر .

ولم تقف نتيجة هذه الاضطرابات واضراب دمشق بجميع مرافقها ثمانية ايام عند حد هذه الاحكام فقد قامت السلطات بنفي بعض الاشخاص (٥٥) الى خارج ولم يسمح لهم بالعودة الا عام ١٩٢٨ بصدور العفو وحاكمت آخرين بتهمة القيام بمخابرات سياسية مع الدول الاجنبية وملوك العرب ضد الانتداب الفرنسي وتأليف جمعية سرية غايتها البطش والاغتيال باحكام تتراوح بين سنتين وخمس سنوات وغرامة ثلاثة آلاف فرنك (٥٦) ثم ارسلتهم الى جزيرة ارواد .

***

هكذا لم يثن تقسيم سوريا الى دويلات صغيرة ، اهاليها عن مقاومة الانتداب الفرنسي ، كما لم يبعدهم عن التعاطف مع البلدان العربية في قضاياها والمشاركة فيها ، وعلى ذلك وبعد ان تبين غورو فشل سياسة التجزئة واصرار البلاد على وحدتها قرر انشاء اتحاد بين «الدول السورية» الثلاث : دولة حلب ودولة دمشق واراضي العلويين المستقلة (٥٧) ، بزعم ان هذه «الدول» متقاربة في مستواها الحضاري وفي بناها الاجتماعية والدينية (٥٨) . واوفد لذلك الجنرال كاترو ليبشر بمزايا هذا الاتحاد . وقد فصلت المادة الحادية عشر اختصاصاته بأن «يكون للاتحاد قانون واحد في المواد الآتية : قانون العقارات ، القانون المدني (الاتفاقات والعقود) قانون التجارة ، اصول المحاكمات التجارية والحقوقية ، قانون الجزاء ، المحافظة على الممتلكات الصناعية والتجارية والفنية والادبية» . ونصت المادة الرابعة على احداث ثلاث مديريات مشتركة : المالية والاشغال العامة والامور الحقوقية يرشد المديرين فيها مستشارون افرنسيون . ويتألف المجلس الاتحادي من خمسة ممثلين عن كل من الدول الثلاث على ان ينتخب رئيسه من بين اعضائه باكثرية الاصوات المطلقة لمدة سنة واحدة الا ان السلطة اختارت صبحي بركات رئيسا لاول اتحاد وقرر له ان يلتئم مجلسه وفقا للمادة السابعة بالتناوب تارة في دمشق وتارة في حلب من كل سنة (٥٩) . ويتولى اعداد وتنفيذ الموازنة المتعلقة بالاتحاد وتسمية موظفي الادارات الاتحادية في الوظائف العامة ولا بد لقراراته من موافقة المفوض السامي (٦٠) . وفي ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ تقرر ان تكون دمشق هي مركز الاتحاد الدائم (٦١) .

وقد قوبل انشاء مجلس الاتحاد بفتور عام ، رغم تمسك البلاد بوحدتها ، بل رغبة منها في هذه الوحدة . واعترف غورو في خطبة الافتتاح في ٢٨ حزيران

(يونيو) ١٩٢٢ بانه لم يلق ترحيبا عاما من الاهالي (٦٢) . ذلك ان النظام الموضوع له يسلبه كل سلطة في معالجة الامور السياسية الوطنية المتعلقة بمصير البلاد ويجعل قراراته حتى في الحدود المقررة له غير نافذة الا بعد التصديق عليها من المفوض السامي ولان عمله محدود في الامور الحقوقية والجزائية والعقارات ومحافظة الممتلكات الصناعية والتجارية وهي لا تشبع ولا تسمن ولأن اعضاءه معينون تعيينا . وقد تلكأ مندوبو حمص «المعينون» عن الاشتراك فيه بادىء ذي بدء وحذا اهل حماه حذوهم ونشرت الصحف احتجاجات من البلدين عليه (٦٣) .

وكان الناس يقابلون الجنرال ويغان Weygand اثناء تطوافه بالبلاد ، مطالبين بالوحدة وباعادة الاقضية الاربعة وبضم لبنان باتحاد مع سوريا (٦٤) ولدى زيارته لدمشق صدرت الصحف مجللة بالسواد ولوحظت فيها فراغات كثيرة بيضاء . فصدر في سبتمبر ١٩٢٣ قرار تزويد دولتي دمشق وحلب بمجلسين تمثيليين منتخبين لهما صفة استشارية (٦٥) ونظم القرار رقم ٢١٤٤ طريقة الانتخاب فجعل لكل ٦٠٠٠ ناخب في القضاء ممثلا بشرط التمثيل النسبي للاديان ولكي يكون الانسان منتخبا من الدرجة الاولى وناخبا في الثانية يجب ان يكون سنه ٢٥ سنة والسن التي يجب توفرها في منتخب الدرجة الثانية هي ٣٠ سنة ونسبة ناخبي الدرجة الاولى للثانية يجب ان تكون ١/١٠٠ وعلى هذا كان لحلب ٢٨ منتخبا ولدمشق ٣٠ (٦٦) .

الا ان البلاد قاطعت ، في دمشق وفي حلب ، الانتخابات فأذاعت السلطة بلاغا تدين فيه «ارتياب اقلية قليلة العدد جدا من نتائج الانتخابات النيابية ..» وحمل المنشور على القلة من الوطنيين لما يروجونه من دعاية «ترتكز على وسائط لا صحة لها فانه لم يدر في خلد فرنسا وفي ذهن ممثلها في سوريا ان يحملا السوريين على دفع الاقساط المستحقة للديون العامة ذهباً ولفرض الخدمة العسكرية الاجبارية ..» ونفى وجود اي صلة للاحصاء العام بالتجنيد او زيادة الضرائب . ونوه بعمل المفوض السامي على تخفيض تعرفة السكة الحديدية بعض الشيء كما نفى ان يؤدي تأسيس المجالس التمثيلية الى تحويل الانتداب الى حماية او استعمار ، وتكذيبا لكل هذه الدعايات تجيب السلطة بالغاء المراقبة التي كانت موضوعة على الصحف في اثناء مدة الانتخابات (٦٧) .

ومع ذلك قابلت دمشق الانتخابات باغلاق اسواقها تماما وخوفا من وقوع حوادث مخلة بالامن كانت دوريات كثيرة من الشرطة والدرك مسلحة بالبنادق تجول في سائر انحاء المدينة بين خيالة ومشاة وبالسيارات . ورابطت شلة منهم امام البلدية وأمام الجامع الاموي (٦٨) . ووصفت جريدة المقتبس قدوم ناخبي الدرجة الثانية تحت ضغط رجال الشرطة والدرك للادلاء بأصواتهم (٦٩) وبلغ من سخط الناس على الانتخابات انهم قاطعوا الاشخاص الذين «ضمنت لهم السلطة نجاحهم» (٧٠) .

ولقد علل فارس الخوري ، عضو المجلس التمثيلي ، عن طائفة الروم الارثوذكس

بدمشق ذلك في خطبة امام الجنرال ويغان بان «الناس يطلبون اكثر مما وعدتم اذ ان مجالس الحكومة التي نوهتم بها لاتفي بالغاية التي يتوخاها اهالي سوريا واسمحوا لي بأن انبئكم انه ما من احد راض عن الحالة التي نحن فيها : اننا نطلب انتخاب مجلس نيابي يكون له ما لبقية المجالس النيابية من حقوق» (٧١) وطالب وفد المجلس التمثيلي نفسه الجنرال ويغان بزيادة اختصاصاته فاجابه ان الطفرة محال وعندما ابلغ الوفد هذا الرد الى المجلس حين انعقاده في اليوم الثاني اقترح الدكتور شاكر القيم ارسال وفد الى بيروت لابلاغ الجنرال مطالب المجلس شفاها فعارضه راشد البرازي قائلا ان المذكرات والاقوال الشفاهية لا تؤدي الى نتيجة مقبولة ولما كانت الامة سئمت حالتها الحاضرة وصارت في ضيق شديد فلذلك نطلب : ١ ـ توحيد البلاد السورية على اساس توسيع الاختصاص ، ٢ ـ انشاء مجلس تاسيسي (جمعية وطنية) يقرر شكل الحكومة . ٣ ـ تأليف وزارة مسؤولة امام مجلس نيابي . وطلب فيضي الاتاسي الشروع في اجراء استفتاء عام في البلاد باشراف لجنة عامة تتألف من ١٥ عضوا باعتبار خمسة من كل منطقة لاقامة الحجة على المكابرين من رجال الانتداب الذين يقولون ان اهالي حلب والعلويين غير راغبين في الوحدة . ولدى بحث النفقات اجاب شاكر الحنبلي : اننا نتبرع بهذه النفقات ثم قال : «ان من أقدس واجبات اعضاء مجلس الاتحاد السوري المطالبة بالوحدة وبانشاء مجلس مؤسسين وارى ان يقرر المجلس تنظيم لائحة بالمسائل العامة المطلوب تحقيقها» (٧٢) وقال راشد البرازي مندوب حماه في جلسة افتتاح المجلس الاتحادي «ان التجارب التي قضيناها في المجلسين الاتحادي والتمثيلي علمتنا انه لا فائدة ترجى، ولا نفع من هذه المجالس ما دام شكل الحكومة على حالته المعروفة» وطالب بتذكير رئيس الوزارة الفرنسية والجنرال ويغان بسرعة تحقيق الاماني السورية (٧٣) . وقد اعتبر المجلس الاتحادي نفسه ان «تأليف مجالس انتخابية يكون الخطوة الاولى نحو حكم الشعب نفسه بنفسه على ان يتلو هذه الخطوة خطى اخرى تحقق جميع اماني الشعب الاستقلالية (٧٤) . .» كما جاء في برقيته الى رئيس الجمهورية الفرنسية . وهلل الناس لاقتراح راشد البرازي بجعل جميع رؤساء دوائر الحكومة من الوطنيين وبأن لا يعين بعد الان لرئاسة المصالح سوى موظفين وطنيين معتبرا ان الانتداب هو الاشراف وان وجود هؤلاء الرؤساء (الفرنسيين) يمس بالحكم الذاتي (٧٥) وبمناسبة زيارة روبير ده كيه Robert de Caix لدمشق طالب مستقبلوه «بالوحدة السورية الحقيقية» . وأمام هذا الاجماع لم تملك حكومة دمشق الا ان كتبت الى مجلس الاتحاد تقول : «ان تشكيلات حكومتنا قد اعيدت الى اصغر مما كانت عليه في العهد التركي اما اذا كانت الغاية المقصودة من هذا القرار اعلان الوحدة في الحكومات السورية فان حكومة دمشق لا ترى سبيلا للتردد في قبوله . . والاحسن ان تعلن الوحدة التامة في المناطق الثلاث» (٧٦) .

خطب الجنرال ويغان ، ثالث مفوض سام ، بعد مضي سنة على وجوده في سوريا فقال ان مجلسي دمشق وجلب التمثيليين اللذين اعطاه انتخابهما صورة عن

أماني البلاد ، قد طلبا الوحدة ورفضها مجلس العلويين وانه وضع برنامجا وافقت عليه الحكومة الفرنسية لذلك قرر اقامة الوحدة بين دمشق وحلب (٧٧) وفي ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٤ اصدر قرار رقم ٢٩٨٠ (٧٨) بتنظيم الوحدة بين دولتي حلب ودمشق باسم الدولة السورية وقرر الحاق مدينتي الاسكندرون وانطاكيا بها باسم سنجق الاسكندرون المستقل استقلالا ذاتيا في الادارة والمالية على ان تكون له ثلاث لغات : عربية وتركية وفرنسية (٧٩) . وعين صبحي بركات رئيس الاتحاد رئيسا للوحدة ، وكان مسؤولا امام مندوب المفوض السامي بدمشق ، وتقوم المجالس التمثيلية المنتخبة عام ١٩٢٣ ، وقد اصبح مقرها دمشق ، بدور السلطة التشريعية وانما تتمتع باختصاصات محدودة وتكون الحكومة مؤلفة من خمسة وزراء : للعدلية والداخلية والمالية والتربية العامة والاشغال العامة .

***

هكذا لم يأت عام ١٩٢٥ ، عندما جاء الجنرال ساراي Sarrail . رابع مفوض سام الى سوريا ولبنان ، العلماني ، الماسوني ، حتى كانت خطوط السياسة الوطنية قد اصبحت واضحة فحملت اليه وفود سوريا التي امت بيروت للترحيب به «لوائح مفصلة عن الوحدة السورية وعن سيئات التجزئة المبنية على التفرقة الطائفية والاساليب الاستعمارية المتبعة في التعليم وخاصة في بلاد العلويين» (٨٠) والفت دمشق وفدا كبيرا من رجالها سلمه مضبطة «موقعة من مختلف طبقات الشعب السوري» تتضمن ثلاثة عشر بندا اهمها وحدة سوريا الطبيعية بما في ذلك بلاد العلويين وجبل الدروز ولواء الاسكندرونة ودعوة جمعية تاسيسية تنتخب انتخابا حرا (٨١) .. والفت حلب وفدا حمل اليه طلباتها التي لم تختلف عن طلبات دمشق ثم عاد من بيروت الى دمشق لتوحيد الصفوف وقبل مغادرتها اذاع بيانا حيا فيه دمشق عاصمة الامويين ومصدر روح القومية والاستقلال التي انجذب اليها لتوحيد العمل معها من اجل تحقيق آمال الامة (٨١) وبمناسبة اجتماع مجلس سوريا التمثيلي ، لاول مرة في عهده ، ابرق اليه طالبا توحيد سوريا وضم منطقة العلويين اليه (٨٢) كما تجلى امر اخر بدخول الفرنسيين الى سوريا ، لم تكن تتوقعه السلطات الفرنسية ، وهو تآلف وتآخي مختلف طوائف الشعب فيما يشبه الوحدة الوطنية . ومن هنا كان احباط هدف «الاغنية الفرنسية» المعهودة لبسط حمايتها الطائفية . فمنذ الاحتلال الفرنسي ، في عام ١٩٢٠ ، رفع رجال الطوائف ، غير الاسلامية ، الى ممثلي «الدولة الحامية» في دمشق عريضة تمجيد بمواقف رجال المسلمين من طوائفهم ويشكرونهم على اعمالهم (٨٣) . وما فتيء ابناء هذه الطوائف ان راحوا يتقدمون الصفوف الوطنية في النضال من اجل تحقيق مطالب البلاد فتحملوا النفي والتشريد والسجن كما يتحمله العرب المؤمنون بقضيتهم وحق بلادهم دون النظر الى الطائفة التي ينتمون اليها . وما كانت تحدث حادثة بين مسلمين ومسيحيين او يقع اشكال ، كما قد

يجري في الاسرة الواحدة ، حتى يبادر أولو الراي من المسيحيين قبل المسلمين في تسفيهه . لعل ما كتبه صاحب الف باء تعليقا على شجار بين شباب اغرار يكفي في هذا المقام : قال : «حكاية الشجار الدائــم بين المسيحيين والمسلمين حكاية كدنا ننساها لتقادم عهدها ولاننا دفناها في سنة ١٩٠٨ يوم اعلن الدستور العثماني وتنبه شعور الشعوب وفهمت ان الدنيا ميدان عراك بين القوميات لا بين ابناء القومية الواحدة (٨٤) . .»

الفصل الخامس

ذروة الرفض : الثورة الوطنية

في السنوات الاربع الماضية ، التي انقضت على وجود الفرنسيين في سوريا والتي تطورت في اثنائها الحياة السياسية وشكل الحكم من دول متعددة ، مستقل بعضها عن بعض ، مرتبطة مباشرة بمندوبي المفوضية العليا ، الى اتحاد ذي مجالس استشارية ، ثم الى اتحاد يتمتع بمجالس تمثيلية منتخبة ، ذات اختصاصات محدودة وبعد ذلك الى وحدة بين حلب ودمشق مع الاحتفاظ بعلاقات شبه اتحادية مع سنجق الاسكندرون و«بلاد العلويين» .. ظل وضع «دولة جبل الدروز المستقلة» كما انتهى اليه منذ قدوم الفرنسيين ، كأنما لا علاقة تربط اهالي هذا الجبل بسوريا ولا شأن لهم بما يجري فيها .

ومن حيث لم تتوقع سلطات الانتداب وفي وقت تراخت فيه قواتها وانخفض عددها ، انطلقت الثورة . فكانت مفاجأة لها وللجنة الانتدابات على السواء (١) ذلك انها اقامت حكمها على اساس طائفي ، بل على ان «طوائف» سوريا تشكل «شعوبا» منفصلة بعضها عن بعض ، حتى وصل الظن بها الى ان حسبت تعدد الطوائف نتيجة لفوارق عرقية بعيدة الجذور ، ولم تفطن ، او تعمدت الا تفطن ، لما بين هذه الطوائف من روابط قومية اعمق من خلافاتها الدينية واكثر اصالة ، وان مصالحها المتشابكة اقوى واغلب من تلك الاحقاد والضغائن والعداوات التي غرسها

الحكم العثماني وعصور الانحطاط . ومن ذرى «جبل الدروز» ، الذي اقام الفرنسيون دولته لتكون حصنا لهم ، يفصل دمشق عن عمان وبغداد ، استجمعت البلاد كلها تقريبا ، قواها لتطرح امانيها الوطنية والقومية ، بمنطق الثورة وتطالب بتحقيقها .

***

تصور صحافة تلك الايام ومصادر الانباء انقسام اهل الجبل عندئذ الى فئتين او حزبين : احدهما يطالب بحاكم وطني وآخر يؤيد الحاكم الفرنسي، وان المطالبين بحاكم وطني ذهبوا لمقابلة المندوب السامي ، الجنرال ساراي في بيروت فرفض مقابلتهم او اساء استقبالهم ولم يقبل شكواهم على موظف فرنسي ، في اجازة ، وان السلطات اعتقلتهم ، او اعتقلت بعضهم في دمشق وهم في طريق عودتهم الى الجبل ونفتهم .. فكان هذا سببا في قيام «سلطان الاطرش زعيم هذا الحزب» بثورته على الفرنسيين (٢) .. كما صورت بعضها المسألة انتصارا لنفوذ «عائلة» كاد يعصف به وجود كاربيه Carbillet في الحكم الذي كانت سياسته تقوم على تقوية التيار الشعبي ضد الاقطاع ... والحقيقة ان حركة الاحتجاجات على تصرفات الحاكم الفرنسي والمطالبة باستبداله ، سواء بحاكم وطني او بفرنسي آخر، والعرائض التي كتبت في ذلك كانت وسيلة القوى الوطنية الى اهدافها في كفاح الانتداب الفرنسي ولم تكن هدفا (٣) . فالحزبان المعنيان هما اصلا من مؤيدي الانتداب ومن قبل كانا من مؤيدي الحكم العثماني . واقطابهما من المنتفعين بالسلطة في كل عهد . في حين ان الجانب الاقوى والاكثر عددا كان يتمثل في تلك الجماعات ، وعلى راسها سلطان الاطرش ، التي لعبت دورا كبيرا في «الثورة العربية الكبرى» ضد الاتراك ، الى جانب الحلفاء ورفضت الانتداب الفرنسي ثم طالبت بالوحدة وقاطعت «مهزلة دولة الجبل المستقلة» . ولم يكن من شأن وجود هذا الحاكم الفرنسي الظالم الارعن ، في نظرها ، الا انه فاقم الاستياء الشعبي . وقلما انقضى عام واحد دون ان نجد من يشارك منها في اثارة الاضطراب في وجه الحكم الفرنسي (٤) .

***

ذلك ان جبل حوران ، الذي اصر الفرنسيون على تسميته بجبل الدروز بإضفاء الصفة الطائفية عليه كان من اشد مناطق سوريا ارتباطا بفكرة الثورة العربية التي ركب تيارها الهاشميون في المشرق العربي . اذ على الرغم من توالي تجريدات الدولة العلية عليه لاخضاعه فان اخبار ثوراتهم طغت على تاريخ المنطقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وظل الجبل من بين المناطق العربية القليلة المنطقة

التي لم يستطع العلم العثماني ، رغم جميع مآسيه ، ان يستقر فيه (٥) وتشبث اهله باستقلالهم الذاتي بوحشية وحافظوا على عزتهم الوطنية وعدائهم للاجنبي(٦). ومن هنا كان اهاليه من اوائل المبادرين لتلبية نداء الشريف حسين بالثـــورة والالتحاق بفيصل وهو ما يزال في العقبة ، خاصة منهم اهالي القضاء الجنوبي . كما كان الجبل هو المعبر المأمون اليها . ويذكر الدكتور احمد قدري ، كيف كان، بواسطة الدكتور عبد العزيز الكنفاني واقاربه في جرمانا يخفي اعضاء جمعية الفتاة ثم ينقلهم الى قرية خلخلة احدى القرى الامامية في الجبل ومنها الى القريا ، بلد سلطان الاطرش ، قاصدين بعدها الى العقبة . ويستدل مما كتبه ان المرء منهم ما ان تطأ قدماه ارض الجبل حتى كان يشعر بالامان والاطمئنان «يمر بالمخفر» بغير اكتراث وتولم له الولائم ويلتف حوله السامرون ينشدهم شاعر القرية على الربابة حتى الفجر (٧) ويمكث او يتنقل فيه اياما بلا وجل . وكانت القريا مقرا يأوي اليه الملاحقون والمتوارون عن عيون الاتراك او محطة على طريق الحجاز . قد افرد لهم مكانا ينزلون فيه بدار محمد شلهوب : كان منهم جورج صيدح وخليل سكاكيني.. ولا يزال سكان القرية المعمرون يذكرون بعضا من نوادرهما وطرائفهما (٨) ، وقد انشدا في جمع من الاهالي نشيد الوطن العربي ورفع سلطان الاطرش ، بحضور تحسين قدري ونزيه المؤيد ، العلم العربي ، قبل دخول الحلفاء وفيصل الـــى سوريا (٩) .

ومنذ بداية الحرب ابدى سلطان الاطرش استعداده للثورة ضد الاتراك فارسل كتابا الى المعتمد الانجليزي في القدس الا ان الجواب جاءه من المعتمد الفرنســـي حداد باشا (١٠) وكرر الكتابة الى المعتمد البريطاني فأجابـــه حداد باشا مـــرة اخرى (١١) . كما اوفد حسين الاطرش ، شيخ قرية عنز ، للالتقاء برسول الامير فيصل في «كاف» لطلب مدد من الاسلحة للقيام بثورة ضد الاتـراك وحضر اللقاء نسيب البكري وزكي الدروبي (١٢) . وكانت قيادة الثورة توالي موافاته بالانبـاء الهامة وهو بدوره يراسل بها عيون القرى والمتنفذين فيها ، عاملا بذلك على بثها بين الناس (١٣) وهذا ما اشار اليه سليم باشا الاطرش ، زعيم الجبل التقليدي ومن والاه من مؤيدي الاتراك والحكم القائم في كل عهد (١٤) . وفي صيف ١٩١٨ عاد نسيب البكري الى الجبل يحمل منشور فيصل الى اهاليه (١٥) فأذاع سلطان الاطرش على اثره منشورا على الجبل يدعو الى الثورة على الاتراك ، ضاربا موعدا للحاق به في بصرى الشام لملاقاة الشريف في درعا .

بعد ان تم تحرير دمشق من الاتراك انسحب سلطان باشا ومن معه من الدروز الى الجبل وظلوا محافظين على عهدهم للحكم الجديد وعلى احترامهم لفيصل واملهم فيه . وداوم ، من جهته ، على الاتصال بهم كعادته كلما كانت تتأزم الامور فـــي استطلاع آراء مؤيديه فكان يجدهم دائما على عهده بهم مخلصين ثابتين على المبدأ. وبعد ميسلون وانسحاب فيصل الى الكسوة هب الدروز لنجدة الجيش العربي فتقدمت بيارقهم (اعلام القرى) حتى وصلت بصر الحرير في سهل حوران ، الا ان

فيصلا كان قد مر بدرعا ، مغادرا البلاد الى فلسطين ولم يصدع لنصيحة حمد البربور ، من الجبل ، بنقل الحكومة الى السويداء ، عاصمة الجبل ، والاستمرار في محاربة الفرنسيين كما اشار عليه كثيرون من وطنيي البلاد (١٦) . وبقيت ذكريات هذا العهد ، مشرقة في ذهن اهالي الجبل ، وخاصة في قضاء صلخد ، فلم يكن من السهل نسيان «ايام الشريف» الحلوة و«عزها» . فكان ذلك باعثا على صمود اكثرهم في وجه الاغراءات الفرنسية . كان هؤلاء يقولون ان فلاحة الارض ادر مالا من عطايا غورو وذهبه حتى ان احدهم استصلح قطعة من الارض البور على اطراف المعمور وأطلق عليها اسم غورو وصارت مضربا للتندر على المتعاونين مع الفرنسيين وما زالت تعرف به حتى الان (١٧) .

ومن هنا القول بأن نسائم «الثورة العربية الكبرى» عام ١٩١٦ كانت لا تزال في عام ١٩٢٥ تحرك بعد لواعج النفوس .

***

ومن جهة اخرى كان للسلطة اعوانها . هناك الذين استمروا على ولائهم للدولة العثمانية حتى النهاية ونكاية بفوز الآخرين في ايام «الشريف» ، مدوا ايديهم للتعاون مع الفرنسيين في بيروت ، وهناك الذين كانت السياسة الفرنسية قد كسبتهم الى جانبها ، منذ زمن طويل لخدمة ما او بسط حماية او اي امر من الامور التي كانت مظالم الحكم العثماني تدفع اليها . وكان على راس هؤلاء ، في جبل حوران ، يحيى الاطرش ، شيخ قرية عرى ، التي يعترف « دروز جبل حوران» لكبير آل الاطرش فيها بالزعامة . ففي مايو (ايار) من عام ١٩١٣ ، بينما كان منفيا في رودس (١٨) تدخل قنصل فرنسا فيها لدى الجنرال اميجليو Ameglio لاطلاق سراحه وعدم سوقه مع سائر المنفيين الى ايطاليا مقابل وعد بالعمل على مساندة السياسة الفرنسية مستقبلا بكل قواه (١٩) . فكان حقا ، وفيا ، مقيما على العهد ، وورث خلفاؤه هذا الوفاء بعده . ومن خلال المنافسات العشائرية وحب الظهور لدى «المتزعمين» والاحقاد والخصومات العائلية تمكن الفرنسيون ، بعد الحرب من كسب مؤيدين وانصار ، ساعدهم على ذلك تزعزع الحكم الفيصلي والدعاية بأنه وشيك السقوط . وعرفوا ان «للمال ، للذهب الرنان ، في مثل تلك الظروف الف لسان» فبذلوه بكل سخاء ، نافسوا فيه فيصلا ولورنس والانجليز . وبكل وسيلة راحوا يلقون شباكهم من وراء الحكم الفيصلي ــ الانجليزي ، لتجنيد الاعوان . واستطاعوا منذ أوائل عام ١٩١٨ ايجاد جماعات تتولى بث الدعاية لهم وكتابة العرائض بطلب الانتداب الفرنسي (٢٠) ، وكانت تقدم الى معتمدهم في دمشق الكولونيل كوس Coss . وعندما عين الجنرال غورو Gouraud مفوضا سياسيا وقائدا عاما لجيوش فرنسا في الشرق اختار حرسه الخاص من ابناء جبل حوران بمعرفة متعب الاطرش ، وخص

الجبل باكثر من ثلاثة آلاف صورة من صوره وهو في زيه العسكري ويحيط به حرسه واوحى بالاكثار من دعوة الوفود من الجبل الى بيروت ، بمناسبة وبغير مناسبة ، حيث كانت تنزل في ضيافة المفوضية العليا وتحظى باكرامها و« تنام على الاسرة الوثيرة» وتنتفخ أوداجها زهواً لدى مشاهدتها لمواكب المفوض السامي الفخمة «يحف بها حرس من ابنائها بثيابهم العربية المزركشة وسيوفهم المتوهجة» (٢١) .

كان من الطبيعي ان تتكاثر هذه الوفود الى دمشق بعد الاحتلال وان تكثر الوعود وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠ ، اي بعد شهور من دخول الفرنسيين اذاع رئيس بعثتهم في دمشق منشورا على الجبل بتأييد «وعد المندوب السامي بمنح سكان الجبل الاستقلال الاداري الواسع وجعله حكومة مستقلة تدير ذاتها تحت الانتداب الفرنسي واستعداد الحكومة الفرنسية لتقديم المستشارين والاختصاصيين .. وتقديم ما يلزم من المساعدة المالية اللازمة بواسطة الشركات الفرنسية ..» وما الى ذلك من الاماني المعسولة التي لا يحتاج تحقيقها لجعل الجبل جنة تجري من تحتها الانهار الا الى «حفظ النظام والامن التام في البلاد (٢٢) ..» واستجابة لبلاغات رئيس البعثة الفرنسية بدمشق المتكررة الى الجبل رفع اليه مشروع سمي «برنامج الاستقلال» رجا الموقعون عليه منه ان يرفعه الى المندوب السامي لـ «يتوسل بالتصديق عليه من قبل حكومة الجمهورية الفرنسية المعظمة» (٢٣) يتضح من معرفة اسماء الموقعين ومستواهم الثقافي والاجتماعي انه ليس من وضعهم . والمهم في هذا «البرنامج» انه كرس فئة «مشايخ العقل» كزعامات روحية ونصبهم مدى الحياة وجعلهم مصدر الفتوى لعزل الحاكم فوطد بذلك التحالف بين الزعامة التقليدية ورجال الدين . وفي مطلع مارس (آذار) من عام ١٩٢١ استدعى مندوب فرنسا الى دمشق الرئيس الديني ابو فخر ومعه خمسة عشر شخصا فقط يحملون اسماء تسع عائلات فقط فوقع معهم اتفاقية مستمدة من «برنامج الاستقلال» ، صادق عليها وكيل المندوب السامي حينئذ في بيروت روبير ده كيه Robert de Caix اعتبرت كنظام اساسي لدولة الجبل ثم انعم المندوب السامي على سليم باشا الاطرش خليفة يحيى بلقب امير وعيّنه حاكما على الجبل وطلب منه السماح لفرقة عسكرية بدخول السويداء فلم يمانع وتقدم الفرنسيون اليه بالقومندان ترانكا Tranka مستشارا فرحب به (٢٤) . وفي ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٢ اصدر الجنرال غورو قراره رقم ١٦٤١ باعطاء جبل حوران استقلاله باسم «دولة جبل الدروز المستقلة» . وهكذا خلقت دولة لم يكن عدد سكانها يتجاوز الخمسين الفا (٢٥) ، ووجد لها علم مستمد من رموز طائفية ، ومجلس تمثيلي يكاد اعضاؤه جميعهم ان يكونوا اميين (٢٦) ، وتكريسا لهذا الكيان الطائفي وتعميقا له صارت تقام ، منذ ذلك الحين ، احتفالات تبدأ في ٥ نيسان (ابريل) من كل عام وتمتد خمسة عشر يوما ، باسم اعياد الاستقلال تشترك فيها جميع القرى باقامة نزل خاص لكل منها،

تشارك في نفقاته عائلات القرية كلها ؛ فتتبارى القرى في الكرم وتقديم الـوان الفولكلور الشعبي واظهار الابتهاج ، يحضرها المندوب السامي احيانا بنفسه .

وفي يوليو (تموز) ١٩٢٣ عين الكابتن كاربيه Carbillet مستشارا جديدا لحاكم الجبل الوطني . وعلى اثر وفاة هذا الحاكم في أواسط سبتمبر ١٩٢٣ عمل المستشار على ان ينتخبه (المجلس الوطني) ، وعدد اعضائه ١٢ ، حاكما بالوكالة لمدة ثلاثة اشهر ، ريثما يتم الاتفاق ؛ بين المتنافسين من دار عرى والسويداء ، على اختيار الحاكم الوطني (٢٧) . الا انه ظل يدير هذا المنصب (وكالة) حتى أعيد انتخاب المجلس الوطني في اكتوبر (تشرين الاول) من عام ١٩٢٤ فجمع اعضاءه وتكلم فيهم وهو يمد يده بقبعته السوداء قائلا : من يريد اختيار حاكم وطني يضع ورقة سوداء ومن يريد اختياري يضع ورقة بيضاء . فكانت النتيجة انه انتخب باجماع الاصوات (٢٨) . وهكذا ضاعت ، باختلاف وتزاحم «دار» عرى مع «دار» السويداء اي بتزاحم الامير حمد ، خليفة الامير سليم وعبد الغفار باشا الاطرش على منصب حاكم الجبل ، فرصة اختيار احد ابناء الجبل .



لم تكن «ازمة حاكمية» الجبل سببا للثورة بل اتخذت وسيلة اليها . فقد اكد سلطان الاطرش بدء الاتصالات والتشاور للعمل ضد الفرنسيين في اعقاب اخراج فيصل من البلاد وعلى اثر فشل محاولة اغتيال غورو (٢٢ يوليو ١٩٢١) والقاء القبض على ادهم خنجر احد ابطالها وهو يدخل في حِمى القريا وخروج سلطان على الفرنسيين ثأرا لهذا الاعتداء على الديار والتقاليد ؛ استبشرت دمشق بحركته وراح المجاهد الشيخ محمد الاشمر يسعى للتفاهم على عمل مشترك بين دمشق والجبل وتقدم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بمشروع توفير مرتبات شهرية للثائرين مع سلطان الاطرش (٢٩) وذهب الامر ببعضهم الى حد مقابلة رضا الركابي . رئيس وزراء حكومة الشرق العربي لحثه على «اغتنام الهياج» ودخول سوريا (٣٠) تحقيقا لوعيد الامير عبد الله (٣١) ظانا ان وعيده كان جدا . وذكر اسعد داغر انه وجد رشيد طليع ، في الاسكندرية ، قبل نشوب الثورة في الجبل بستة شهور . شديد الانهماك برسائل تلقاها من هناك ولما سأله في ذلك قال ان الحالة اصبحت لا تطاق في سوريا وان بعض زعماء الدروز عازمون على القيام في وجه السلطة وانهم يسألونه رايه في الموضوع وان البلاد في رايه على استعداد الان للقيام بعمل واسع النطاق وانه سعى الى تنظيم هذا العمل من مدة . ولكن مساعيه لم تكلل بالنجاح المطلوب حتى الان (٣٢) . وفي مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ما يفيد تحول فئة المتعاونين انفسهم الى اعتناق فكرة الوحدة والاستقلال «من غير ان يكون قد جرى في ذلك للاحزاب الرسمية وغيرها اقل

اتصال مباشر» وقد اخذت على ذلك العهود والمواثيق بصورة سرية في اجتماعات عقدت في بيت القاسم الهيماني صاحب جريدة الفيحاء وفي بيته (٣٣) ومن هنا القول بأن الثورة تمت وهبت سوريا لتأييدها «طبقا للاتفاق القديم» (٣٤) وقد ذكر حسن الحكيم ان وفدا من رجالات الجبل قوامه ٢٨ شخصا قابل النائب اوغست برنو الذي اوفدته الحكومة الفرنسية لدراسة الحالة في سوريا وقدم له مذكرة طالب فيها اعتبار «الجبل جزءا لا يتجزأ من سوريا .. فهو يرتبط بدمشق بروابط لا تنفصم (٣٥) ..» .

والحقيقة انه لم يكن ثمة خلاف بين مختلف الاتجاهات السياسية على الوحدة . فحتى اصدقاء فرنسا باستثناء قلة ضئيلة جدا من الطائفيين المتفشين الحاقدين . كانوا يطالبون بالوحدة السورية الى جانب مطلبهم بالانتداب الفرنسي في عرائضهم الى لجنة كينغ ــ كراين . وطالب المسيحيون جميعا ، باستثناء قلة كانت تسحب حقدها المتولد من اعمال الاتراك العثمانيين . المسلمين ، على سائر المسلمين ، بوحدة سوريا الطبيعية الى جانب مطالبتهم بالانتداب الفرنسي .

لذلك يمكن القول ان سلطان الاطرش وجماعته استغلوا الهياج الناشىء عن تلك الازمة وذيولها بل ازموها وحاول في اجتماعات سرية بآل الاطرش وحدهم ان يثني المعتدلين منهم والمتعاونين عن فكرة تشكيل وفد لمواجهة المفوض السامي بشانها ويقال انه حذرهم من الاعتقال والغدر بهم على غرار الاتراك وان سلطات الانتداب لا تفهم الا «لغة القوة» وعندما بلغه ما آلت اليه مساعي «وفد الشكوى والاحتجاج» (٣٦) كان اسلوبه للرد على ذلك انه اخذ يحشد القوى الناقمة ، المتفجرة ، بادئا بإثارتها من الجنوب والجنوب الشرقي . متجها بها الى مركز السلطة في السويداء ، وفي اقل من عشرين يوما كانت مخافر الدرك قد تخلت جميعها عن مراكزها وكانت الجموع التي التفت حوله قد اقتحمت مركز البعثة الفرنسية في قضاء صلخد واحرقته ثم انقضت بغتة في ٢١ يوليو (تموز) اي في الذكرى الثالثة لثورة سلطان الاولى على حملة تعدادها حوالي ١٧٤ ضابطا وجنديا، معسكرة على ماء في قرية الكفر . غرضها تعقب سلطان الاطرش وقطع طريق السويداء عليه ، فلم ينج منها الا القليل (٣٧) . وفي اليوم التالي كان الثوار يحاصرون قلعة السويداء وقد لجأ اليها جميع الفرنسيين وعائلاتهم مع قلة من انصارهم الخلص . فسير الفرنسيون حملة لانقاذهم «قوامها ١٦٦ ضابطا وجنديا قطع عليها الثوار الطريق وانقضوا عليها فلم يسلم منها سوى ستين فردا تقريبا (٣٨) ..» واعادوا الكرة بحملة اضخم بقيادة الجنرال ميشو Michaud منوا فيها بهزيمة نكراء وخسائر فادحة في القتلى والجرحى والعتاد الحربي والمؤن عدا اكثر من اربعمائة واثنين وثلاثين مفقودا (٣٩) فروا من الجيش ، في الحقيقة فمنهم من التحق بالثوار ومنهم من وصل الى الاردن وفلسطين فأعادتهم السلطات الانجليزية (٤٠) ولم يتمكن الفرنسيون من فك الحصار عن الحامية الا بعد استلام الجنرال غاملان Gamelin للقيادة العسكرية والفخ الذي نصبه للثوار في

معركة المسيفرة في ١٦–١٧ ايلول (سبتمبر) . الا انه لم يستطع الصمود في السويداء لان الثوار كانوا يسيطرون على منابع المياه ولأن نيران الثورة كانت تندلع في اماكن اخرى داخل البلاد . وهكذا اخلى الفرنسيون الجبل و«لولا بعض قنابل المدافع التي كانت تنطلق من قلاع في بصرى الشام وازرع على الحدود وزيادة الطائرات المتوالية لقلنا ان الجبل ظل خاليا من اي اثر اجنبي منذ أوائل اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٥ حتى أواخر نيسان (ابريل) ١٩٢٦ (٤١) .

ما كاد ينقضي يومان على معركة الكفر ، اي في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٢٥ حتى كان رسول سلطان الاطرش (الضابط محمد كيوان) في طريقه الى دمشق يحمل رسائله الى رجالها وعلى رأسهم نسيب البكري والدكتور عبد الرحمن الشهبندر. وقد عقد الاجتماع المتداول في الامر في القابون ، في نفس المكان الذي تم التحالف فيه مع فيصل للقيام بالثورة العربية على الاتراك . ومع ان حزب الشعب كان منذ ايام قد اختار في اجتماعاته ان يسلك سبيل الدعوة الى الثورة الفكرية فان الحماس بلغ مداه عندما سألهم الدكتور الشهبندر رايهم من جديد في الامر فاجابوا انهم مستعدون للموت جميعا في سبيل الوطن وانهم يرون الاشتراك بالثورة والالتحاق بها في الجبل ومخابرة عموم زعماء سوريا لجعلها ثورة سورية عامة . ثم تقرر عقد اجتماع آخر في دمشق كان اهم ما اتخذ فيه من قرارات بعد نقاش ساعتين : تجميد الخلافات الحزبية وتوحيد الصفوف باسم الثورة الوطنية السورية العامة وجلاء الفرنسيين من جميع الاراضي السورية وتشكيل وفد للاتصال بثوار الجبل لتكون «المخابرات باسم سوريا عموما» وتكليف آخرين للقيام بترتيبات الثورة داخل دمشق (٤٢) . وعلى هذا اخذ رجالات دمشق يتوافدون الى الجبل للالتحاق بالثورة والمشاركة في تنظيمها وتوجيهها (٤٣) . بل يذهب صاحب «وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى» الى انه «هيء لها بين بني معروف وبين الوطنيين الذين انتظم اكثرهم في حزب الشعب ..» وكانت «المراسلات دائمة بينهم» وهم اصحاب الكلمة المسموعة في البلاد (٤٤) . وقد ايد لي سلطان الاطرش هذا الرأي كما ان احكام المجلس العدلي الذي شكلته السلطات الفرنسية لمحاكمة بعض ثوار دمشق تؤكد هذه الحقيقة (٤٥) .. كذلك يستدل من الضبوط التي نظمت بشأن المظاهرات التي قامت بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف اشترك فيها مسيحيون ومسلمون ، تهتف: «لا إله الا الله ، محمد رسول الله ، الفرنساوي عدو الله يا ساري ارحل عنا ...» ثم احيلت الى المجلس العدلي بعد تشكيله وصدرت فيها الاحكام على المتهمين بالاعتقال لمدة عشر سنوات ؛ ان تلك المظاهرات «لم تكن الا تعبئة عامة للثورة وللفرق الثائرة» كما جاء في حيثيات الحكمين الاول والثاني المتعلقين بها (٤٦) . وتسرب الحماس الى الفرقة السورية التي كان الفرنسيون قد شكلوها والى الدرك فبدأوا يتركون مراكزهم ويلتحقون بالثورة بأسلحتهم (٤٧) . بعضهم كان يعود الى محاربة قوى الفرنسيين على راس الثوار وبعضهم كان يوقت التحاقه بالثورة مع هجوم الثوار على المخافر (٤٨) .

***

وفي أواخر سبتمبر (ايلول) وصل الى الجبل بطريق شرق الاردن . موفدان من حماه يحملان صورة اتفاق أمضاه بعض كبارها لاشعال نار الثورة في تلك المدينة ومن مقتضاه ان تحصل مناوشات تمهيدية في الفوطة في اول شهر اكتوبر (تشرين الاول) وأن تتقدم قوة من الجبل الى جهات القريتين في محافظة حمص . وان لا يعقد الصلح مع الفرنسيين الا مشتركا وتسلم الدكتور الشهبندر نص الاتفاق فقبله ومضى يباحث سلطان الاطرش فيه فقبله هو ايضا ووقعاه ثم ارسل الى حماه (٤٩) . واندلعت نيران ثورة حماه في الوقت الذي تقرر ان تكون فيه من مساء الاحد الواقع في ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٥ (٥٠) .

وقبيل منتصف اكتوبر (تشرين الاول) ، في الوقت الذي كانت المعارك فيه على أشدها في دمشق وضواحيها وفي القلمون وحماه ، وقد خلا الجبل من الفرنسيين تماما ، كان اكثر من ١٥٠ خيالا يجتازون منطقة دمشق الى اقليم «البلان» اي منطقة جبل الشيخ فيتخذون مجدل شمس قاعدة لهم ويباشرون بشن هجماتهم لتطهير وادي التيم من الفرنسيين ويحرروا بالتالي «الاقضية الاربعة» من سيطرتهم (٥١) فتداعى فريق من زعماء جبل عامل ومرجعيون للاجتماع في حاصبيا ، في دار الحكومة حيث تلا على الوفود الحاضرة خطاب مفتوح موجه من قائد جيش الثورة الغربي زيد الاطرش الى عموم ابناء الوطن خلاصته ان الثوار قادمون الى هذه الديار لانقاذها من النفوذ الاجنبي وانهم قاموا باسم الوطن لا باسم طائفة دون طائفة والناس آمنون على انفسهم وعلى اموالهم ولهم حريتهم الشخصية وان الثائرين لم يثوروا على الشعب الفرنسي وانما ثورتهم على الحزب الاستعماري الذي قلب الانتداب الى استعباد .. وانه يجب على ابناء الوطن معاونتهم لادراك هذه الغاية . ومن يخل بذلك يعتبر خائنا للوطن . وعلى اثر هذا الفت لجنة للرد رات ان تبين للثوار المخاطر من قدومهم نظرا لوجود انقسام بين الاهلين من المنتظر تسويته (٥٢) . وفي اوائل نوفمبر (تشرين الثاني) احتل الثوار حاصبيا . مركز القضاء بدون مقاومة ودخلوها «بين اناشيد الرجال وزغاريد النساء والفوا حكومة وطنية برئاسة نسيب غبريل من اعيان مسيحييها» (٥٣) . وكان عددهم قد تجاوز الـ ١٥٠٠ فارسا ورفعوا على المنطقة العلم العربي (٥٣ مكرر) . وكان المستشار الفرنسي قد لجأ الى شيخ البلد فأمنه وحماه وأوصله مع رجاله الى النبطية سالمين . وجاءت اليهم الرسل الموالية من اهالي الجديدة والقرى المجاورة من مسلمين ومسيحيين . فلما تبينوا ان ثمة معارضة لدخولهم الى تلك الجهات من الفئات الموالية للفرنسيين كفوا عن دخولها مع انهم قادرون . الا ان تلك الفئات الموالية ، ما لبثت ، بسبب من قلتها . ان اخلت الجديدة ولحقت بمراكز الجيش في صيدا (٥٤) وأثرت بيانات قيادة الثورة في المنطقة الغربية التي كانت تصدر بعنوان : «الدين لله والوطن للجميع» (٥٥) تأثيرا بعيد المدى الف من حولها الناس . فقد ذكر احد الموظفين المطلعين في بيروت استنادا الى معلومات مخاتير القرى ان روح الثورة تفشت بين الناس اذ التحق بالثوار من الشوف وحدها

اربعون شخصا وكثر الاقبال على شراء الاسلحة (٥٦) .

وفي ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) كانت جموع الثوار ، تناهز الالفين ، تهاجم قلعة راشيا ، ببسالة تكاد ان لا يصدقها العقل (٥٧) وغرضها ان تحتل هذا المركز الستراتيجي الهام للتقدم الى سهل البقاع واحتلال رياق وقطع خط الاتصال بين دمشق وبيروت . الا ان القيادة الفرنسية . ادراكا منها لاهمية هذا الموقـــــع وخطورة سقوطه بيد الثوار على مصيرها تمكنت بالنجدات السريعة والكثيفة من مدفعية وجند وطائرات وبحركة تطويق استولت على المراكز الهامة المحيطة مـــن احباط خطة الثوار رغم تضحياتهم الجسيمة . كما لم يتمكن الثوار من تحقيق هذه الغاية في حملتهم الثانية في منتصف ديسمبر (كانون الاول) لان الفرنسيين كانوا قد تحصنوا في هذه المناطق وجندوا ، فضلا عن النجدات التي كانت تصلهم بصورة متواصلة من فرنسا . متطوعة ماجورين من الاهالي .

ولقد جاءت محاولة الثوار من جانب آخر لاحتلال بعلبك واشغال قـــــوات الفرنسيين في جهات رياق ، متاخرة اذ ان حركاتهم بدأت في هذه الانحاء باحتلال مدينة بعلبك نفسها مساء ١٨ مايو (ايار) ١٩٢٦ ؛ ولعلهم لم يفطنوا من قبل الـــى اهمية هذه المنطقة للتنسيق مع الثوار في اقليم البلان فقد كان قادة الثوار فـــي بعلبك والهرمل يشتركون قبل ذلك مع ثوار دمشق واشترك بعضهم في مؤتمر «دامة» الهام الذي عقده قادة الثورة . ربما كان مصير الثورة قد تغير لو لم تأت حركاتهم هذه متاخرة . كان يمكنها بما لقيته من تأييد جماهير الشعب وتعضيدها ان تسيطر على المنطقة وتمتد لتطهير رياق من الفرنسيين حينما لم يكونوا فيها الا قلة وكانت قواهم تتجمع كلها في حوران وفي تلاع دمشق لحماية العاصمة ولم تكن النجدات قد وصلت بعد من فرنسا . وعلى كل حال لم ينقض عام على انطلاق الشرارة الاولى في الثورة الا وكانت قواها ، بشكل او بآخر تسيطر سيطرة تكاد ان تكون كاملة على جبل حوران واللجاة ومدينة دمشق نفسها وغوطتها وجبـــال القلمون وحمص وحماه حتى المعرة واقليم البلان الذي يضم وادي العجم والقنيطرة ومجدل شمس وحاصبيا ومساحات واسعة من قضاء بعلبك والهرمل ولا يسيطر الفرنسيون الا على بعض المراكز المتحصنين بها كثكنات دمشق الحصينة وثكنـــة حماه وقلعة راشيا بعد ان اخلاها الثوار ، وعلى سكة حديد دمشق ــ درعا ــ بصرى الشام ودرعا ــ ازرع ولكن بصعوبة بالغة. ولئن كان الثوار لم يستطيعوا التمركز في «الاقضية الاربعة» الا ان ما قوبلوا به من ترحيب الاهالي ــ باستثناء قلة من المنتفعين بوجود الفرنسيين ــ كان استفتاء صريحا على خطأ غورو باقتطاع هذه الاقضية من سوريا وإلحاقها بلبنان .

***

كانت القضية التي تقاتل من اجلها الثورة قد اصبحت واضحة لقيادتها منذ

شهرها الاول ، ففي ٢٢ آب (اغسطس) ١٩٢٥ نقلت جريدة الطان الفرنسية عن مجلة في برلين «ان هدف سلطان الاطرش ليس ان يرى الدروز مستقلين استقلالا ذاتيا بل مطلبه استقلال سوريا كلها وان يكون لها مجلس نواب وجيش وحكومة وطنية .. وينبغي على الفرنسيين ان يقتصروا على دور المستشارين» (٥٨) ..
وفي ٢٣ منه اذاعت الثورة نداءها «الى السلاح الى السلاح» موجها الى «العرب السوريين» بتوقيع سلطان الاطرش ، قائد جيوش الثورة الوطنية العام ، جاء فيه:
«يا احفاد العرب الامجاد ! هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم ، والعاملين في سبيل الحرية والاستقلال عملهم ، هذا يوم انتباه الامم والشعوب فلننهض من رقادنا ولنبدد ظلام التحكم الاجنبي عن سماء بلادنا .. تذكروا أجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القومي ، تذكروا ان يد الله مع الجماعة وان ارادة الشعب من ارادة الله ، وان الامم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغي .. الى السلاح ايها الوطنيون الى السلاح .. ان حربنا اليوم هي حرب مقدسة ومطالبنا هي :

١ ـ وحدة البلاد السورية ، ساحلها وداخلها ، والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة ، مستقلة استقلالا تاما .

٢ ـ قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التأسيسي لوضع قانون اساسي على مبدأ سيادة الامة سيادة مطلقة .

٣ ـ سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأليف جيش محلي لصيانة الامن .

٤ ـ تأييد مبدأ الثورة الفرنسية وحقوق الانسان في الحرية والمساواة والاخاء .

الى السلاح ولنكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها اجدادنا من قبلنا . الى السلاح والله معنا والانسانية معنا ولتحي سوريا حرة مستقلة » (٥٩) .

«ايها المواطنون العرب : اناديكم من معاقل الجبل المنيع ، وهو داركم وسلاحكم ، وحرزكم وملاذكم ان هبوا الى المنافحة عن أوطانكم ، أوطان آبائكم واجدادكم وحطموا اغلال الاستعمار في دياركم ...

«فهيا ايها العرب الاماجد .. وصابحوا العدو الجانس خلال دياركم ببارود الثورة وخذوا عليه الطرق وارصدوا له المكامن وقطعوا الاسلاك وانسفوا الجسور واهبطوا على مخافره في كل مكان واقتلوه حيث تفتنموه واغنموا سلاحه واعتاده ...» (٦٠)

وحددت الثورة في منشورها الثالث : «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى» سبيل القضاء على العدو : «يا بني وطني : ليس لكم بعد الان على اختلاف المذاهب والفئات الا عدو واحد هو الحكم العسكري الجائر ، والاستعمار الاجنبي .. فليتحد الدرزي والسني والعلوي والشيعي والمسيحي اتحادا وثيقا .. فان الثورة

تطلب من كل العرب السوريين : ١ ـ اعلان الاخاء الوطني بين كافة الطوائف . ٢ ـ قيام الاحياء (الحارات) في كل مدينة بصيانة الامن الداخلي كل بحسب جهته عند دخول جيوش الثورة الوطنية وانهزام المستعمرين . ٣ ـ تأليف دوريات ومخافر وطنية يمشي على راسها الزعماء المخلصون المحترمون من الامة لتأسيس الاتصال الداخلي لحفظ الامن وصيانة الاموال ومنع التعدي. ٤ ـ ارسال قوة محلية من المتطوعين الى خارج المدينة او القرية لاستقبال كتائب الثوار الوطنيين بالاهازيج الحماسية عند وصولهم باعتبار جميع الامة جيشا واحدا لهذه الثورة المقدسة ..» (٦١) .

وقد انصرف الاهتمام الى تنظيم مناطق الثورة ووضع اسس الاتفاق وتقليص الفوضى ما امكن . ففي الجبل تم اختيار سلطان الاطرش «قائدا عاما لجيوش الثورة الوطنية» في اجتماع عام عقد في كفر اللحف ثم جرت تسمية مجلس وطني للثورة مثلت فيه اهم قرى الجبل وعائلاته . وكانت اجتماعاته تعقد بدعوة من سلطان الاطرش للتواجد في احدى القرى التي تحددها ظروف الثورة ومعاركها، وأغلب الظن ان بعضا من اعضائه على الاقل ، لم يكونوا دائميين ، كما ان رئيسه لم يكن دائما . مرة يراسه القائد العام ومرة يختار الاعضاء رئيسهم ، مثلما حصل في مؤتمر مفعلة حيث تم اختيار الشيخ يوسف الهجري رئيسا ورشيد طليع نائبا للرئيس . ومن الوثائق والمعلومات التي استطعنا جمعها كانت قراراته الجديرة بالذكر تنحصر في تدارس الاوضاع والعمل على متابعة الثورة واحيانا تقدير الاموال الواجب جبايتها وكميات الحنطة الواجب فرضها على القرى او الافراد القادرين (٦٢) لاسباب تقدرها قيادة الثورة والمجلس الوطني . ومن اهم اجتماعات هذا المجلس الوطني ذلك الذي عقد في داما على مقربة من جبهة القتال في اللجاة للبحث في الدعوة السلمية التي نشرها دي جوفنيل وكان لقراراته اثر حاسم على مصير الثورة كما قال الدكتور الشهبندر .

كذلك تم تنظيم درك وطني يؤخذ مما لدينا من اوراق انه كان يقوم بمهام متعددة كتأمين اعاشة للمقاتلين في مكانهم من جبهات القتال او جباية كميات من الحنطة تفرضها قيادة الثورة على الجهات القادرة لتخلفها وتخاذلها ام لانها ضالعة مع الاجنبي ، لتوزيعها على المقاتلين وعلى أسرهم المحتاجة ، المتضررة ، او القيام بشراء ذخيرة ومتفجرات وايصالها الى الاماكن المعينة .. الخ (٦٣) . كما انشأت قيادة الثورة محكمة ثورية كانت تنظر في قضايا الخيانة والتجسس والتعاون مع العدو او التخاذل وتثبيط الهمم (٦٤) . الا ان كثيرا من الامور والمسائل كان يتداعى الى النظر فيها أولو الراي من الرؤساء الروحيين او الزعماء وممن تأخذهم الحمية والغيرة على حسن سير الثورة وسمعتها وحفاظا على الجبهة الوطنية كما حصل بشأن تشكيل لجنة لاسترداد «المنهوبات» او للوقوف في وجه من تسول له نفسه باستغلال ظروف الثورة لثأر او للتعبير عن أحقاد طائفية (٦٥) .

وعلى غرار ما جرى في منطقة الجبل تألف في دمشق لجنة لقيادة الثورة وذلك ، على ما يبدو ، بعد فشل حملتي الثوار على دمشق لاحتلالها بالتعاون مع

قوى الثورة فيها (٦٦) ، اذ انكفأ الثوار على الفوطة وضواحي دمشق وتمركزوا في «بؤر ثورية آخذة في الانتشار» (٦٧) وكان من الطبيعي بعد ان تراجعت قيادة الثورة عن توجيه حشود ضخمة من الثوار على دمشق ان تتولى قيادات هذه «البؤر الثورية» ترتيب عمليات الهجوم والقتال وفي ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٢٦ استقر رأي رؤسائها على تاليف «المجلس الوطني للجنة الثورة السورية في الفوطة وضواحي دمشق» الذي تم انتخاب اعضائه بتفويض خطي وحدد هذا المجلس ، في نظامه الداخلي . صلاحيته ووظيفته كما عين حدود مناطق القيادات وانبثقت عنه شعب ثلاث هي : شعبة المالية وشعبة الحركات الحربية وشعبة الدعاية والاستخبارات (٦٨) كما تألفت محكمة للثورة كانت تضم في بعض الاحيان ذوي كفاءات حقوقية اما شؤون التنسيق مع القيادة العليا للثورة فقد تولاها قائد هذا المجلس كما تشير الى ذلك بعض المراسلات التي عثرنا عليها وخاصة في اوراق المرحوم نسيب البكري (٦٩) ثم ما لبثت الظروف ان دفعت المسؤولين في الثورة الى خطوة احكم في تنظيمها بإيجاد قيادة مشتركة الى جانب القائد العام أريد لها. كما يتضح من قرار تشكيلها ، ان تمثل كافة مناطق الثورة (٧٠) .

وقد راى اولئك الذين غادروا سوريا مع فيصل ولجأوا الى حكومة الشرق العربي او الى مصر والحجاز ، انه لا بد لدوام هذه الثورة من دعم مادي الى جانب الدعم المعنوي . فقبل ان يسارعوا للالتحاق بصفوف المقاتلين عملوا على تأليف لجنة اعانة عامة لها في القدس راسها الحاج امين الحسيني ، «استطاعت ان تكفل لجرحى الثوار ونسائهم واطفالهم الاغذية والملابس والعقاقير» (٧١) واصبحت المركز الرئيسي لتلقي الاعانات والتبرعات ترد اليها من كافة انحاء العالم العربي ومن الجاليات العربية في المهجر الذين راحوا يتسابقون للبذل بسخاء . وبصورة تلقائية تنادى اهل الحمية والوطنية لتأليف اللجان فكانت تلك التي رأسها الشيخ موسى الطويل في دمشق من اهمها (٧٢) وقامت الى جانب توزيع جزء من المال الذي تتلقاه على مراكز الثورة وقياداتها ، بشراء الدقيق وشحنه بطريق القدس ـ عمان الى محطة «الفدين» او «المفرق» الان ، تبعد عن حدود الجبل حوالي عشرة كيلومترات ومن هناك كانت تنقلها قوافل الجمال فتوزعها على القرى المحتاجة المتضررة وفقا لقواعد تقررها اللجان المختصة . ومن هنا اتهام السلطات الفرنسية للثورة بأنها تتلقى الامداد من ذهب وسلاح وذخيرة من فلسطين وقصدهم من الانجليز (٧٣) .

الفصل السادس

تفكيك أواصر الثورة

في جبل حوران «جبل الدروز» . هب الناس يتسابقون لئلا يفوتهم شرف الاشتراك في الثورة وهي في اوج انتصاراتها وذروة الحماس لها . الا انها ما ان اخذت تمنى بالخسائر والانكسارات حتى عادت علاقات الواقع المتخلف القديم ؛ بين الناس ، بإحنها وثاراتها ومنافساتها العشائرية وطمع بالغنائم .. الى الظهور. وفي المدن ، وخاصة منها دمشق ، انساقت البورجوازية وكبار الملاك مع اندفاع الجماهير الى الثورة وانفعالها بتيارها ، في بداياتها ولكن بعدما عجزت الثورة عن السيطرة على دمشق ، وبعد ان الحق الفرنسيون خسائر فادحة ببيوتات دمشق الكبرى من جراء الحرائق والتهديم واطلاق يد الجنود بالنهب وبسبب ما اثارته سيطرة فئات معينة على مجلس قيادة الثورة في الغوطة في نفوس خصومها ومنافسيها من العائلات الاخرى ، من حسد وغيرة .. فأخذت روح التخاذل والتقاعس تدب في صفوفها وراح اكثرها يراجع حساباته خشية على مصالحه اذا طالت الثورة ، واحتمال عدم القدرة على التحكم في ضبطها . ولئن كانت هذه العناصر ، هنا وهناك ، في دمشق والجبل ، لم تتنكر صراحة لاهداف الثورة. الا ان الفرنسيين وجدوا في اعتدالها ، وفي عدم قبولها للعنف كوسيلة اخيرة للوصول الى الحق ، منفذا لتفكيك أواصر الثورة ، ساعدهم على الوصول الى غايتهم فيه ان الاعداد للثورة لم يكن كافيا ولم يأت تنظيمها الذي املته ظروفها ، وافيا بمقتضيات الحاجة كما تضافرت ، من جهة اخرى ، ظروف المناطق المحيطة بسوريا ، مباشرة أو بصورة غير مباشرة على عدم التمكين لها من النجاح .

فالذين اثارتهم ازمة حاكم السويداء : هل يكون فرنسيا ام من الاهالي ، واذا كان من الاهالي ، هل يكون من «دار عرى» ، خليفة للحاكم السابق ، فيأخذ الحكم الطابع الوراثي ، كالزعامة التقليدية . ام يختار من «دار السويداء» . لم يدر في خلدهم ان يدفعوا بالامور الى الثورة ، فحتى بعد انتصارات الثورة الاولى وحصار قلعة السويداء . اطلق الفرنسيون سراح الذين اعتقلوا ونفوا من «وفد الاحتجاج» واوفدوا بعضهم يتقدمون حملة ميشو Michaud ، التي خاضت معركة المزرعة. لتحذير الثوار من مغبة الاستمرار في المواجهة مع حشود الفرنسيين . والعمل على تثبيط الهمم وانه لا قبل ولا طاقة للثوار بالصمود امـــام اعداد الفرنسيين وضخامة معداتهم . وذكر سلطان الاطرش انهم اذ اعيتهم حيل الاقناع امام حماس الثوار واندفاعهم لجأوا الى حيلة ماكرة لها ظاهرها المقبول في مجتمع الجبل وهي اعلانهم الانسحاب الى المرتفعات الواقعة غربي السويداء بحجة الدفاع عن نسائهم واطفالهم وبيوتهم وانفضت الجموع بعد مناوشات وانسحب سلطان بربعه الى قرية سليم (١) . ولولا تدخل عوامل أخرى لتغيرت نتيجة المعركة وربما انتهت الثورة عندها . وبعد انزال هزيمة ساحقة بالفرنسيين في هذه المعركة وانكفاء اكثر الثوار الى قراهم بدلا من ملاحقة فلول الجيش المنكسر ومتابعة الزحف الى دمشق ، لعب الانهزاميون دورا كبيرا في تمييع الموقف عندما ارسل المفوض السامي وفدا من دروز لبنان لعقد الصلح ثم لحق به الكابتن رينو Renault وبصحبتـــــه عبد الله النجار ، مدير معارف الجبل ويوسف الشدياق الترجمان ومن الشروط التي طلبها الفرنسيون كان واضحا انهم يريدون كسب الوقت لوصول النجدات التي سارعت فرنسا بارسالها (٢) اذ لم يكن لديهم في سوريا كلها الا ما يقرب من عشرين الف . وقد ادرك سلطان الاطرش ومن معه من الوطنيين مرامي هـــذه المفاوضة ورفض مقابلة الكابتن رينو وما لبثت روح الثورة ان تغلبت واستجهـل الثوار ان تفرض عليهم غرامة حربية وهم منتصرون وان يكونوا مسؤولين عن اضرار الحوادث وأن تنحصر اهدافهم في المطالبة بوضع دستور خاص لجبل الدروز . وبعد معركة المسيفرة وتمركز الفرنسيين في نقاط متقدمة من سهل حوران على حدود الجبل واخذوا يبثون عيونهم ويطلقون دعاياتهم ويلقون مناشيرهم بالطائرات على قرى الجبل فكثر المتعاونون والمتخاذلون والداعون الى تثبيط الهمم . وتقاعس المقاتلون مما دعا الى اصدار تعميم على القرى بوجوب خروج ربع رجالها الـــى القتال (٣) .

لا شك في انه كان للخلافات الحزبية اثرها البعيد على مصير الثورة . فقد شارك فيها عدا المستقلين . حزبان همـــا : الشعب والاستقلال . وتسابقـــا لاحتضانها ، فالتحق بها من دمشق الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وكثيرون من اعضاء حزب الشعب وتولى بعضهم مهام لنصرتها في الخارج وانخرط في صفوفها الامير عادل ارسلان ورشيد طليع وغيرهما كثيرون ممن الفوا في عمان اللجنـــة المركزية لحزب الاستقلال . وفي حين ان الشهبندر قصر اهتمامه على الامـــور

السياسية متنقلا في ارجاء الجبل ملازما لسلطان الاطرش في الاجتماعات العامة حتى قيل انهما غادراه معا الى الازرق (٤) وكان يأنف من ممارسة مهنته كطبيب محتجا بأنه «زعيم سياسي» (٥) ، كان «الاستقلاليون» وعلى راسهم الامير عادل جنودا يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، يجوعون مع من يجوع منهم ويعرون مع من يعرى . في ذلك الحين لم يكن ثمة خلاف على خطـــوة «الهاشميين» او فيصل على الاقل . ولم تكن السعودية قد ركزت امورها بعد لتمد نظرتها الـــى العمل في سوريا حفظا للتوازن بينها وبين العراق (٦) . فربما كان ما اتسمت به مواقف الاستقلاليين من تطرف يرجع الى ان روح القتال كانت تمليها عليهم لا السياسة . يذكر سلطان الاطرش انهم كانوا يرفعون شعار لا مفاوضة قبل الجلاء وانهم في مؤتمر داما الذيعقد للنظر في دعوة دي جوفنيل السلمية تجاوزوا حدود المنطق والاعتدال ويعتبر الشهبندر ان مطالب المؤتمر التي كانت خالية من المرونة السياسية دعت المفوض السامي ان ينشر بيانا مختصرا اشد منها : ان لا سلم ولا مفاوضة الا بعد ان يخضع الثوار ويلقوا سلاحهم (٧) .

روى لي احسان الجابري وكان يومئذ من اهم العاملين على مد الثورة بالسلاح انه تمكن بواسطة صديقه البارون فون هافن من ان يحصل ، مـــن هامبورغ ، بخمسة آلاف ليرة عثمانية ذهبا ، على كميات من السلاح تساوي مئة الف ليرة عثمانية ذهبا بينها مدافع ضد الطائرات وضد الدرع وتولى شحنها الى ميناء رابغ في السعودية وقام باخطار شكري القوتلي بذلك وكان يومئذ هناك . وقد بلغه ان الشحنة وصلت الى الميناء وانزلت الى البر ولكن الاسلحة لم تصل الى الثوار في سوريا (٨) وقد سألت سلطان الاطرش عن هذه الواقعة فأكد لي علمه بها وقال ربما غيرت هذه الاسلحة لو وصلت الى ايدي الثوار ، مصير الثورة . بل ذهب الى ابعد من هذا في قوله «ان الامر وصل بالاستقلاليين الى حد ان احدهم كتب الى شكري القوتلي وعادل ارسلان يفضل اخفاق الثورة وحتى وجوب تخريبها ثـــم القيام بثورة خالصة لصالح حزب الاستقلال . .» (٩)

بعد ان هزت فرنسا كلها الانكسارات التي مني بها جيشهـــا في سوريا ، وباستفحال امر الثورة في دمشق ووحشية سلطات الانتداب في مواجهتها وثورة الراي العام العالمي على تلك التصرفات ، التي لم يكن فيها ما يشير الى انها جديرة بالاضطلاع ب «رسالة تمدينية» (١٠) ، اوفدت الحكومة الفرنسية الجنرال ديبور Duport للتحقيق واستدعت الجنرال ساراي **Sarrail** لتقديم تقريـــره والتحدث امام لجنة الشؤون الخارجية (١١) ؛ وبالنتيجة عينت مفوضا ساميا ؛ مدنيا ، عضوا في مجلس الشيوخ ، عرف بحنكته السياسية وسعة حيلته وبعد نظره . واذ سبقته شائعات السلم والمصالحة روجت لها اوساط عديدة ، فطنت قيادة الثورة الى ما يمكن ان تحمله هذه الشائعات قبل الاوان ، قبل الحصول على ضمانات وتأكيدات بالاستجابة لمطالب البلاد ، من بذور للتفرقـــة فأسرعت باصدار بيانها في اليوم الثاني لتعيين دي جوفنيل مفوضا ساميا لفرنسا فـــي

سوريا ولبنان (١٢) فشجبت اي تفاوض لا يقوم به اولئك الذين هبوا لمفاداة الوطن وتحريره وحدهم او من ينيبونهم للتحدث بلسانهم .

ومن جانبه بادر دي جوفنيل De Jouvenel ، في اليوم التالي لصدور قرار تعيينه ايضا الى تحديد مهمته فراى : «ان يعمل جاهدا على تهدئة احوال سوريا وتنظيمها وفقا للانتداب الذي قبلته فرنسا من اجل تحضير سوريا ومنح الشعوب السورية العدالة والحرية والازدهار ..» (١٣) . ويؤخذ مما اطلعنا عليه من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ان كلمة «شعوب سوريا» لم تكن تعني طوائف مختلفة تنتمي الى قومية واحدة وانما كانت تعني في ذهن المفوض السامي شعوبا ذات قوميات مختلفة وبهذا المعنى كانت تفسر حتى ذلك الحين عبارة «.. حقوق ومصالح واماني جميع السكان ..» الواردة في المادة الاولى من صك الانتداب .

وعلى الرغم من ان تصريحات دي جوفنيل كانت واضحة المخالفة لمبادىء الثورة فقد تقدمت هيئات متعددة للاتصال به . سارعت الجمعية السورية في باريس بتحديد المطالب الوطنية في ستة بنود (١٤) ، في مذكرة قدمها عبد الله اليافي الى المفوض السامي الجديد . وتبرع مكتب الاستعلامات السوري . التابع للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري ـ الفلسطيني ؛ باذاعة نشرة رسمية في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) تؤكد بأن ما شاع عن التعليمات التي تلقاها المفوض السامي من وزارة الخارجية الفرنسية بشأن سوريا يبعث على الارتياح (١٥) وعلى اثر اتصالات جرت في باريس من قبل الامير شكيب ارسلان والطالب نجيب الارمنازي (١٦) ابدى دي جوفنيل في تصريح للاهرام في باريس رغبته بالاجتماع باللجنة التنفيذية اثناء مروره بالقاهرة في طريقه الى سوريا . ولدى وصول هذا الخبر الى اللجنة دعت عددا من السوريين الموجودين في مصر الى تداول استمر ثلاثة ايام انتهت بوضع مذكرة تقدم اليه باسم المجتمعين لا باسم اللجنة وحدها ، اذا هو طلب الاجتماع بها مباشرة او بواسطة السفارة حتى اذا قبلها يتوسط اعضاء اللجنة بينه وبين زعماء الثورة على اساسها (١٧) وقد تعرضت المذكرة للقضية السورية في اطارها من القضية العربية في مشرقها منذ نشوء التصادم بين مبداي القومية : التركية والعربية . منوهة بما اظهره السوريون من كفاءة في تنظيم فروع الادارة ووضع اساسات الرقي العلمي والاقتصادي اثناء الشهور الخمسة التي اضطلعوا فيها بالاستقلال عقب مناداة مؤتمرهم السوري بالاستقلال ووضعه دستورا للبلاد ، بما لا يقل عن كثير من الامم المستقلة في اوربا ولم يكن ما تمخضت عنه البلاد من حركات وثورات جاءت هذه الثورة العامة تتوجها الا سعيا لاعادة اسس الحكومة التي وضعها المؤتمر السوري في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ تحقيقا لرغبات الامة بأسرها كما نص على ذلك منشور الثورة ثم انتهت الى تحديد اساسي للبحث في قواعد ستة هي :

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي وأما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة

او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ــ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل والخارج.

٤ ــ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسوريا باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية . ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ــ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ ــ تسجيل الاتفاق لدى عصبة الامم ودخول سوريا في عداد هذه العصبة (١٨) .

واذ لم يتلق الوفد جوابا على المذكرة راى ان يرسل اليه كتابا يتقدم فيه باقتراح «ان يسافر وفد في الحال الى سوريا للعمل على حقن الدم ولتمهيد طريق صالح للمفاوضة بين المفوض السامي ومندوبي زعماء الثورة وانجاحا لهذا المسعى طلب منه ابلاغ الوفد بموافقته على المبادىء الستة التي تضمنتها المذكرة السابقة (١٩) ..» فاجاب المفوض السامي عندئذ انه كان من الافضل لو لم يكتب الوفد كتابه الاخير وانه من بواعث اسفه الشديد ان يكون الحل المقترح غير مستطاع القبول بتاتا وان يكون في هذه الدرجة من قلة المطابقة للمحادثة التي دارت بين الوفد وبينه والتي حفظ محضرها ...» (٢٠) واسرعت اللجنة التنفيذية فردت ببيان مسهب اكدت فيه ان المطالب الستة التي قدمتها في مذكرتها وفي كتابها الى المفوض السامي لا تختلف من حيث الاساس عن القواعد التي جرى الاتفاق عليها في باريس (٢١) .

وحقيقة الامر ان تقرير كل من السيد نجيب الارمنازي ، وجورج لطف الله، والامير شكيب ارسلان بشأن اتصالاتهم بدي جوفنيل وهو ما يزال في باريس لا يرد فيها هذه القواعد بالتحديد فنجيب الارمنازي يذكر بوضوح انالمندوب السامي انكر عليه قوله بالغاء الانتداب قبل كل شيء وكانت المقترحات التي قدمها الامير شكيب تتلخص في طلب الاستقلال التام الكامل لسوريا وللبنان وترك الخيار الحر لصيدا وصور ومرجعيون والبقاع وراشيا وحاصبيا وبعلبك وطرابلس وضم بلاد العلويين الى سوريا وحق التمثيل الخارجي وعقد محالفة مع فرنسا مدتها ثلاثون سنة والاعتراف بمزايا لفرنسا في سوريا تتعلق بعقد القروض وتدريب الجيش وبقاعدة بحرية والدفاع على قاعدة التبادل (٢٢) ومع ذلك ورغم ان المفوض السامي غادر الاسكندرية الى بيروت «فان ما حدث لم يفل من عزيمة اللجنة ولم تياس من الوصول الى حل سلمي ..» (٢٣) فكلفت السيد نجيب الارمنازي بالكتابة اليه لاعادة وصل ما انقطع فرد عليه قائلا «ان لبنان سيبدأ بوضع دستوره» وكان افضل

لسوريا لو انها بدلا من أن تحارب تضع قانونها الاساسي وسنرى بعد ذلك الامور الاخرى ..» ودعاه الى مقابلته في بيروت . ويؤخذ من التقرير الذي قدمه السيد نجيب الارمنازي الى اللجنة بنتيجة مساعيه واحاديثه مع دي جوفنيل وكبار مساعديه في بيروت تراجع نجيب الارمنازي نفسه في تفسير مذكرة اللجنة الى المفوض السامي بقوله ان المعاهدة تحل محل الانتداب لا تلغيه وان المذكرة لا تطلب جلاء سريعا وان دي جوفنيل ذكر ان ثمة طريقة ثالثة لا هي طريقة الحرب ولا هي طريقة السلم لحل القضية السورية حلا نهائيا وانما تكون حربية وسلمية في آن واحد وان فرنسا عملت من جانبها اعمالا كثيرة تبرهن على حسن نيتها فقد اقامت مندوبا ساميا مدنيا بدل المندوب السامي العسكري وجاء هذا المندوب واقام البرهان على نياته الحسنة بما صنعه في لبنان (٢٤) .

لم يصل دي جوفنيل بيروت حتى اعلن شعاره : الحرب لمن يريد الحرب والسلم لمن يريد السلم . وفي المجلس التمثيلي الذي انشأه في لبنان قال وهو يخاطب بقوله سوريا : «.. ومن العبث ان يعرض العصاة عليّ شروطا او ان يطلبوا مني وعودا فان العمل الذي اقوم به هنا هو الجواب ، فالحرب الان لم يعد لها مبرر» . ثم اذاع بيانا في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) موجها الى اهالي سوريا و«جبل الدروز» ؛ ايا كانوا مسلمين او نصارى او اسرائيليين ومهما تكن الطوائف التي ينتمون اليها ، قائلا لهم ان «مصيركم في يدكم وهذا المصير هو الاقتداء بما يجري في لبنان من انتخاب مجلس تأسيسي وانتخاب حكومة ووضع قانون اساسي» (٢٥) وفي هذا ما فيه من التلويح بالمشاركة في الحكم .

مع ذلك ندب الامير امين ارسلان نفسه ، على زعمه (٢٦) . غيرة منه على مصير «الطائفة الدرزية» للسفر على رأس وفد الى جبل حوران سعيا للصلح والتوفيق. ولم يضع قبل سفره قواعد معينة يجري سعيه على ضوئها . كما لم يبحث ذلك مع المفوض السامي ؛ لتبقى سلطات الانتداب طليقة لا تلتزم بشيء (٢٧) . وصحبه من دمشق فوزي الغزي ولطفي الحفار وعفيف الصلح فوافاهم سلطان الاطرش من ساحة المعارك (في اللجاة) الى قرية عرى ونقل اليهم راي «المؤتمر الوطني» الذي عقد في قرية داما ، للتداول في امر الصلح ، بعدم القاء السلاح حتى تجاب طلبات البلاد وهي : توحيد الحكومات السورية واعلان عفو عام بلا قيد ولا شرط وتأليف حكومة مؤقتة يرضى عنها الثوار وعقد معاهدة بين فرنسا وسوريا وتعويض المنكوبين عن خسائرهم (٢٨) . فرفض المفوض السامي هذه الطلبات (٢٩).

راحت الطائرات الفرنسية تلقي ، مع قنابلها ؛ على قرى الجبل ؛ منشورا بامضاء المفوض السامي ، يتهم فيه سلطان الاطرش برفض مساعي الصلح التي قام بها وفد الامير امين . ومضت سلطات الانتداب توجه نشراتها الى : «الشعب الدرزي وحده» ، حاملة على أولئك الذين يحرضون الدروز ضد مصالحهم الحقيقية ، طالبة عدم الاصغاء لتخرصاتهم ؛ فانهم «.. ليسوا سوى اجانب عن بلادكم وهم يكذبون عليكم ..» (٣٠) فلماذا القتال ما دامت فرنسا على استعداد

لتلبية المطالب «المعقولة» واصدار عفو عام باستثناء مسببي الحوادث ، ومنح الجبل استقلاله ودستوره ..؟

واصدر الثوار ، ردا على الدعوة الى السلم ، مع قنابل الطائرات ، منشورا «من زعماء الثورة الوطنية في جبل الدروز الى ممثلي السلطة المحتلةفي سوريا»، فنّد مزاعم الفرنسيين في هذه الدعوة المزيفة . فالثوار «لا يقاتلون الا دفاعا عن الشرف القومي الذي عبث به الموظفون الفرنسيون» وما من احد ينكر على الجيش الفرنسي بسالته في الدفاع عن كيان فرنسا .. لكنه في دفاعه عن رجال الاستعمار كان اضعف من اولئك الذين دافعوا عن قضيتهم العادلة وحقهم الطبيعي في الحرية والاستقلال في معارك الكفر والمزرعة والمسيفرة .. «تدعوننا الى القاء السلاح وان نتقلد بدلا منه المحراث . اننا ما حملنا السلاح الا دفاعا عن هذا المحراث الذي فخرنا به . اننا نريد ان نحمل المحراث لنحصد منه الخير لنا ولاولادنا . ولكن اذا كانت ثمرة اتعابنا تذهب الى بطون رجال امثال من غرّمونا آلاف القروش لفقد هرة في السويداء وصفعوا شرفنا واخيارنا لاستنزاف اموالهم فان السلاح يكون خير ضامن لهذا المحراث» (٣١) .

بيد ان هدف المفوض السامي لشق الثورة كان قد تحقق . فقد استنكر عبد الغفار باشا الاطرش ، زعيم السويداء ، ما اشارت اليه نشرات السلطة الفرنسية من قطع المفاوضات . ولما كان يرى ان ما انتهى اليه لقاء سلطان باشا ومن معه من المشايخ بوفد الامير امين في عرى ، هو الاتفاق على وجوب العودة الى «عقد جمعية عمومية من الرجال المعتمدين لاستشارتهم بمطالب الجبل ..» ، ولما كان «هذا الاجتماع المطلوب قد وقع وبنتيجته حررنا ما كلفنا رسولنا بإيصاله لكم ..» ، فانه ينتدب الشيخ اسماعيل عبد الدين لابلاغ النتيجة ــ بواسطة الامير امين ــ الى المفوض السامي في رسالة بتوقيع «الشعب الدرزي» (٣٢) .

يؤخذ من هذه الرسالة الموقعة باسم «الشعب الدرزي» ، ردا على المنشور الموجه الى الشعب الدرزي من المفوض السامي ان الاتفاق على توجيهها تم في اجتماع ، غير اجتماع المجلس الوطني المعقود في داما ، بل ينوي معارضته ان لم يكن عداءه . وفيما عدا تكرارها لعبارة « الشعب الدرزي » وتعرضها لسرد الاسباب المحلية للثورة واستنكارها لاعتماد السلطات الفرنسية على التقارير السرية المغرضة .. فانها لم تخرج عن المنطلقات العامة للثورة الوطنية واهدافها فالدروز يحاربون في سبيل حرية البلاد السورية واستقلالها . والبلاد غير مستعدة لقبول التجزئة المضرة .. ومطالب البلاد هي الاعتراف بالاستقلال واستبدال الحالة الحاضرة بشكل يتفق عليه يضمن لفرنسا مصالحها .. الا ان حقيقة هذه الاتصالات ومراميها يكشفها رد دي جوفنيل نفسه بوضوحه . فقد ابدى فيه استعداده لمنح الشعب الدرزي حقوقه المشروعة «وفقا لميثاق جمعية الامم والانتداب كما منحها للبلاد اللبنانية والسورية التي لم يقع اضطرابات فيها .. انما لا يمكن المطالبة بهذه الحقوق الا بالوسائل المشروعة ..» فاذا كف الجبل عن الحرب يقدم له قانون

اساسي بالاتفاق مع السلطات الوطنية ذات الصلاحية تراعى فيه حقوق جميع الاهالي القاطنين فيه ومصالحهم وتمنياتهم . وعليه يشكل مجلس في الجبل وهو الذي يصرح اذا كان يريد تأليف امة مستقلة او الارتباط بدمشق فينتخب رئيسا للحكومة اذا بقي الجبل مستقلا والا اجتمع ممثلو الدروز مع ممثلي المناطق الاخرى التي تطلب ذلك لتعيين حكومة واحدة والاقتراع على قانون اساسي واحد .. واما الشروط التفصيلية فيسأل عنها بيير اليب P. Alyppe والجنرال اندريا Andréa (٣٣) الذي يعسكر بقواه عند اطراف الجبل في سهل حوران ، استعدادا للهجوم .

وفي هذه الاثناء اوعزت السلطات العسكرية في دمشق بالعمل على تأليف وفد من دمشق لنقل طلباتها الى المفوض السامي في بيروت . فعقدت اجتماعات عديدة في دار البلدية بدمشق انتهت بانتخاب عشرين وجيها وبالاتفاق على المطالب التالية : ١ ـ انشاء حكومة وطنية موقتة ، ٢ ـ تدعو هذه الحكومة الشعب لانتخاب مجلس تأسيسي انتخابا حرا ، ٣ ـ وحدة سوريا بحدودها الطبيعية . ٤ ـ تأجيل العقوبات المتعلقة بالثورة (٣٤) . وفي بيروت ابلغ اعضاء الوفد ان المفوض السامي يرغب في مقابلتهم منفردين الا انهم تمسكوا بمقابلته مجتمعين او العودة . فقابلهم مقدار نصف ساعة قدموا اليه فيها مطالبهم ثم عاد يجتمع بكل واحد منهم على انفراد وبعد ثلاث ساعات دخلوا عليه مجتمعين فالقى فيهم بيانا مطولا جاء فيه : «.. سأحسب في دراستي لمطالبكم حساب الارتجال الذي لا يقوم عليه عمل دائم في حين اننا نريد القيام بعمل وطيد واني انتظر منكم ان تعملوا معي بقدر امكانكم في سبيل السلام فالسلام هو شرط العفو والدستور ويخشى ان تفضي اطالة الحركات العدائية في سوريا الى الخراب والجوع . فقولوا هذا للمقاتلين الذين يحاربون انفسهم . ويحاربون تحقيق امانيهم وآمالهم نفسها لانهم لو القوا السلاح لاستطاعوا الاشتراك في الانتخابات التي ستجري في كل مناطق سوريا المتمتعة في الوقت الحاضر بالسلم . كما اني أفوض اليكم القول لهؤلاء المقاتلين الذين لم يرتكبوا جرائم تتعلق بالحق العام والذين لم يتولوا اية قيادة في تلك الثورة ان كل من جاء منهم في مدة خمسة عشر يوما الى مركز قيادة الكولونيل اندريا العامة وسلم سلاحه يستطيع العودة الى منزله بدون خشية . وأما الزعماء الذين يقدمون خضوعهم في المهلة نفسها فلا يسعني أن اعدهم قبل السلم الا بتأمين حياتهم واني أتمنى من كل قلبي ان لا يكرهوني على استخدام النجدات التي أمدتني بها بلادي كي اتمكن في وقت قريب من القول لفرنسا ان تمتنع عن ارسال الجنود ..» (٣٥) وعلى اثر ذلك انتدب الوفد لجنة من ثلاثة اعضاء هم فارس الخوري ورشدي الصفدي وعارف القوتلي للبقاء في بيروت وتسليم تحفظاته على جواب المندوب السامي . وكانت هذه التحفظات عبارة عن دراسة مستفيضة ترتكز على النقاط التالية : ١ ـ ان الدروز لم يعتادوا تسليم سلاحهم منذ عهد العثمانيين ولا يقبلون بتسليمه ما دامت البادية المحيطة بهم مسلحة . فتعليق العفو

على القاء السلاح لا يقنع الثائرين منهم . ٢ ـ لا سلاح بيد الثائرين الآخرين الموجودين في جوار دمشق وسائر المناطق السورية اذ ان اكثرهم غير مسلحين بالبنادق او الاسلحة الحربية الاخرى وشرط تسليم سلاحهم للعفو عنهم يعني ارهاقهم او حبسهم . ٣ ـ ان قصر العفو عن الزعماء على ضمان سلامتهم فقط بدون حريتهم لا يدفعهم الى بذل نفوذهم لدى الثوار لالقاء سلاحهم . ٤ ـ الاعتراض على اجراء الانتخابات للمجلس التأسيسي في كل منطقة او لواء على حدة وافساح المجال بذلك لدعاة الانفصال لتحقيق مآربهم . ٥ ـ المطالبة باسترداد الاقضية الاربعة من دولة لبنان الكبير (٢٦) .

لعل ما جاء في كتاب استقالة رئيس الحكومة السورية ، صبحي بركات ، عشية الموعد المضروب من قبل المفوض السامي لاستقبال وفد دمشق في بيروت، حاملا اليه المطالب الوطنية ، يعتبر من شخص تركي الاصل ، غير متطرف للقومية العربية ، ربط مصيره بسوريا وبالانتداب الفرنسي فيها ، اهم وثيقة موضوعية تحكم بصحة المطالب الوطنية وتحددها في هذه الفترة وذلك في ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٥ (٢٧) . وقد جاء فيها قوله : «لا بد لي وانا في الساعة الاخيرة من الحكم ان الفت نظركم الى ان هذه البلاد لا يستقر قرارها الحقيقي ولا تعود لها امانيها وطمأنينتها الا اذا أجيبت الى مطالبها العادلة مثل تاليف مجلس تأسيسي يضع قانونها الاساسي على اساس السيادة القومية وانشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسؤولة عن سياسة البلاد وادارتها وان يعلن فيها عفو عام بدون استثناء الا فيما يتعلق بالحق الخاص وان تؤيدوا سوريا في دخول جمعية الامم .. اما المسألة ذات العقد الكثيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تؤلف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التي أضيفت الى لبنان من جانب ، فان حلها يحتاج الى اقدام وبعد نظر .. لان الوطنيين السوريين يعتبرون ان في بلادهم وحدة حقيقية في العادات والتقاليد والآمال والآلام والعنصر واللغة ..»

كذلك تقدم الشيخ تاج الدين الحسني ابن الشيخ بدر الدين مفتي الديار الشامية وصديق فرنسا المعروف ببرنامج واسع على امل ارضاء الوطنيين وتسكين النفوس القلقة تألف من عشر نقاط كان اهمها : عقد معاهدة مع فرنسا على قاعدة السلطان القومي مع الاحتفاظ بما لا يتعارض معه من نفوذ سياسي ورجحان اقتصادي لفرنسا والجلاء التدريجي وتحقيق العفو العام مع حفظ الحق الشخصي والتعويض على منكوبي الثورة وتحقيق الوحدة السورية مع تقدير وضع خاص للبنان (٢٨) . وكاد ينجح في تأليف وزارته ، اذ اشارت بعض الصحف الى انه اتم اختيار اعضائها والى انهم عقدوا معه عدة اجتماعات اشتركوا فيها بوضع برنامج الوزارة (٢٩) الا ان المفوض السامي رفض الموافقة على البرنامج وألقى على العناصر الوطنية التي تخلفت عن وفد دمشق في بيروت لتقديم تحفظات هذا الوفد على بيان المفوض السامي ، مسؤولية عرقلة المساعي لتأليف حكومة وطنية بما اظهرته

من التطرف (٤٠) .

الحقيقة ان الوطنيين كانوا يرون تأليف وزارة على اساس المطالب التي افصحت عنها العرائض المقدمة من كافة انحاء البلاد ثم تقوم هذه الوزارة بالتشاور مع المفوض السامي ، باجراء الانتخابات ونقل البلاد الى المرحلة الدستورية ، وظل هذا هو مطلبهم والمنطلق الذي يفرقهم عن الآخرين ، بيد ان المفوض السامي ، من جهته ، كان يرى في الانتخابات الاستفتاء الاصح لاستطلاع الراي في البلاد والاصدق من «العرائض» بحجة انه وجد بعض الاسماء في عرائض متناقضة (٤١) من بين عشرات الآلاف من التواقيع . في حين ان اجراء مثل هذه الانتخابات في ظل الارهاب الذي يرافق اعمال انهاء الثورة لا يمكنه توفير الجو السياسي الملائم لاظهار صحتها . وهكذا بحجة الوقوف على الآراء العامة استبق المفوض السامي تأليف الوزارة فأصدر في ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) قرارا باجراء الانتخابات ، اي بعد تكليف الشيخ تاج بتأليف الوزارة بستة ايام وقبل اتمام مشاوراته بل كان ما يزال بعد لم يغادر بيروت الى دمشق . وقضى القرار ان تجري الانتخابات في ٨ يناير (كانون الثاني) في الانحاء التي لا يوجد فيها حالة عرفية وباجرائها في المناطق الاخرى بعد رفع الاحكام العرفية منها بشهر ، كانما أريد ان يكون اغراء لالقاء السلاح. واعلن باسم «العفو العام» مرسوما لا يفي بالمطلب الوطني (٤٢) واطلق سراح المنفيين من حزب الشعب فقط (٤٣) .

وكان قرارا يدعو حقا للدهشة اذا كانت سلطات الانتداب تنوي فعلا الاستجابة للمطالب الوطنية والتنازل ولو قليلا عن مواقفها ، الا انه من الواضح انها سعت من ورائه لايجاد ذرائع تتمسك بها للتراجع او على الاصح لعدم الاستجابة لمطلب الوحدة ، محور المطالب الوطنية خاصة اذا نظرنا بعين الاعتبار الى المادة الثالثة منه وهي أخطر ما فيه ، التي تقضي بأن يجتمع مندوبو كل سنجق وولاية في المحل الذي يعينونه بأنفسهم ، قبل اجتماع المجلس التمثيلي فيعبروا عن تمنياتهم في الموقف السياسي الذي يرونه موافقا في السناجق التي يمثلونها وباقي الدوائر العمومية السورية (٤٤) ... فكان لا بد ، حتى لشخص كالشيخ تاج من الاعتذار عن تأليف الوزارة وللبلاد من المقاطعة .

وبدافع المكابرة في تنفيذ الانتخابات ، رغم المقاطعة العامة الظاهرة ، كان من الغريب حقا ان تبقى سلطات الانتداب ماضية في خطتها . وبلغت مكابرتها حد الاعلان بأن نتيجة الانتخابات جاءت افضل مما قدر لها وزعمت ان «عدد الناخبين الذين ادلوا بأصواتهم في الدرجة الاولى كان ٥٥ بالمئة وفي الدرجة الثانية ٨٩بالمئة وكان عدد الذين فازوا بالنصاب الضروري للانتخاب ٣١ من ٣٩ مقعدا» (٤٥) . لكن الواقع يخالف هذا الكلام . فاذا لم نأخذ راي اللجنة المنبثقة عن وفد دمشق التي تخلفت في بيروت لدراسة خطاب المفوض السامي وتقديم تحفظاتها عليه ــ باعتبار ان الاحكام العرفية لم ترفع بعد عن منطقة دمشق وبالتالي لم تجر الانتخابات فيها ، فاننا نجد المقاطعة في حمص وحماه وحلب تكاد ان تكون شاملة بحيث لم

تجد السلطات من بين المرشحين او الناجحين من هو جدير ، حتى من اعوانها ، بتمثيل الرأي الذي تريده فقد انتهت المهلة الثانية للانتخابات في حمص ولم يقدم احد على ترشيح نفسه (٤٦) واذاعت لجنة مقاطعة الانتخابات في حلب بيانا يذكر المواطن بأن ما من قوة تجبره على الانتخاب وتهيب به الا يعبأ باعتقال او تهديد ايا كان مصدره لانه في حماية الامة التي خلق القانون لضمان حريتها واحترام ارادتها . كما جاء فيه : «في هذا الوقت العصيب وبينما الامة تسعى لتحقيق وحدتها السياسية وسيادتها القومية على الاسس التي اجمعت البلاد على المطالبة بها عمدت المفوضية الفرنسية السامية الى اجراء الانتخابات للمجالس التمثيلية في حلب وفي بعض الالوية كل على حدة مهملة الركن الاعظم والاهم منها لتكون هذه المجالس آلة لتجزئة البلاد وتفريقها ...» (٤٧) وارسلت نخبة من اهالي حلب برقية الى المفوض السامي تحتج فيها على قراره القاضي «بأن يكون انتخاب المجلس النيابي على اساس القضاء ويعطيه حق تقرير مصير الارتباط مع الالوية الاخرى مما يفسح مجالا للدسائس الرامية الى الانفصال عن الوحدة السورية اذ تكون الاكثرية العظمى في المجلس من اهل الاقضية والقرى الذين لا تؤهلهم خبرتهم لمعرفة صالح البلاد والنظر في القانون الاساسي ولا يملكون حرية الفكر بدليل توقيعهم مضابط الانفصال التي اكرهوا عليها بقوة الدرك والمستشارين والقائمقامين مع عدم معرفة ما وقعوا عليه ..» (٤٨) طالبين اجابة المطالب التي تقدم بها الوفد الدمشقي . ولم تحل الاعتقالات بالجملة ولا النفي دون الاستمرار في المقاطعة بل على الرغم من ذلك وقع اعضاء المجلس البلدي في حمص مضبطة بمقاطعة الانتخابات انهم «بحسب التمثيل المشروع الذي يحملونه من الشعب لحمص وبالنظر لما شعروا به من اجماع الاهالي على مقاطعة انتخاب المجلس التمثيلي بحسب القرار الآخر لمخالفته للاماني الوطنية — قرروا تنفيذا لرغائب الشعب الذي ائتمنهم على مصالحه رفض الاشتراك باجراء هذا الانتخاب» (٤٩) وحذا المجلس البلدي في حماه حذوهم .

ولم يقف الامر عند حد المقاطعة فقد قابل الاهالي في كل من حلب وحماه وحمص ما بدا من استفزاز السلطات بالعنف . ففي حلب قام الاهالي لاخلاء سبيل ١٣٠٠ معتقل في يوم اجراء الانتخابات ، اسفر الامر عن مقتل ثمانية منهم وفي حمص وحماه انقلبت المقاطعة الى عنف راح ضحيته بعض الشهداء (٥٠) . ولم تغير زيارة حاكم سوريا بيير اليب Pierre Alyppe لهذه المناطق من امر المقاطعة شيئا، وانما استغل الاهالي هذه الفرصة في لقائه لاظهار اصرارهم على اعتبار اجراء الانتخابات ، في بعض المدن دون بعض ، تجزئة للبلاد يتجنبه كل وطني مخلص ويرفضه (٥١) . كما ان المعارضة كانت تزداد عنفا ولم يخفف من حدتها نفي قادتها الى جزيرة ارواد بل بلغ الهزال في امر الذين انتخبوا ، انفسهم ، لم يقبلوا في تشكيل المجلس التأسيسي . ونتيجة لتقرير مندوب المفوض السامي، بيير آليب ، عن الاوضاع ، لم يجد دي جوفنيل مخرجا الا ان يكلف مبعوثه

بالحكم المباشر بموجب القرار الصادر في ٩ فبراير (شباط) ١٩٢٦ في «ادارة بعثة الشؤون الادارية لدولة سوريا» (٥٢) كما سماها . وذلك بعد ان وجه اليها كتابا مسهبا ، مشيدا بقوة فرنسا وقدرتها على التضحيات ، مستهينا بما قد تبذله ازاء عناد السوريين اذا قيس بما بذلته لقهر الاعمال الحربية في المغرب اذ ان الجهود لا تثقل كاهلها كثيرا «لذلك ليس ما يوجب علينا العجلة . فانني قررت ان امنح البلاد قوانين اساسية تقيها لمستقبل بعيد من الحرب الاهلية والحرب الدينية والحرب الاجنبية التي هي فريستها من اجيال عديدة سواء تطلب الامر شهور ام سنين فذلك لا اهمية له . فأنا عندي الوقت الكافي . .» (٥٣)

وقد قضى قرار تعيير بيير آليب بالبقاء «الى ان يوضع نظام نهائي بعد انتهاء الانتخابات وبعد انتهاء مندوب المفوض السامي من اختيار مساعديه» . ولكن الانتخابات لم تتم أو انها بالاحرى تمت في بعض الجهات ولم تكن وافية بالغرض، ولم تجر في جهات اخرى لان الثورة لم تنته فيها ولم ترفع الاحكام العرفية . كما نص قرار الانتخابات .

بعد ثلاثة شهور من الحكم المباشر تمكن مندوب المفوض السامي على ما يبدو من اختيار موظفين «متعاونين» لاعادة النظام الى المصالح والخدمات والمرافق التي تقوضت في الثورة ولكنه لم يتمكن من انهاء الثورة . فلم يجد المفوض السامي بدا من اسناد مهمة تأليف الوزارة الى الداماد احمد نامي ، زوج البنت التاسعة من بنات السلطان عبد الحميد واحد العناصر الشهيرة في خدمة فرنسا وقد نصت المادة الاولى من قرار التعيين على ان «احمد نامي بك عين رئيسا لدولة سوريا الى ان يلتئم البرلمان المنتخب قانونا ويعين بنفسه رئيس الدولة» . وفي ٣٠ ابريل (نيسان) وصل دي جوفنيل ومعه الداماد واخذا في تأليف الوزارة فتم لهما ذلك في ٤ مايو (ايار) واعلنت الحكومة بيانا مسهبا ضمنته برنامجا عريضا ، متطرفا ، يجمل المطالب الوطنية حقا ، ولكن تحقيقه منوط بالمستقبل ، يستند الى وعود شفهية ومكتوبة من العميد ، لم تعلن قط . وقد استمر الداماد في الحكم حتى ٨ فبراير (شباط) عام ١٩٢٨ ولم يحقق بندا واحدا من بنود برنامجه العشرة . الا انه تحقق في ظلها اخماد الثورة .

بيد ان ما يدعو الى التساؤل هو اشتراك «وطنيين» (٥٤) ثلاثة في الوزارة احدهم سكرتير حزب الشعب الذي احتضن الثورة وكان جميع اعضاء لجنته الادارية من المشاركين فيها بادوار قتالية او سياسية واعلامية . ودور رئيس الحزب في قيادة الثورة لا يحتاج الى تعريف . في حين رفض الحزب التعاون مع الشيخ تاج في تاليفه للوزارة . مع ان البرنامج الذي اعلنه الشيخ تاج لوزارته اقوى من برنامج وزارة الداماد (٥٥) . يعلل لطفي الحفار (احد المشتركين) ذلك بما «نص عليه برنامج الوزارة من ابدال الانتداب بمعاهدة تعترف باستقلال البلاد السورية ووحدتها وحريتها» (٥٦) . ويضيف فارس الخوري الى الشروط التي دخل «الوزراء الوطنيون» الحكم على اساسها شرط «عدم مقاومة الثائرين حربيا»

وان الداماد كان متعاهدا معهم بأن يستقيل اذا استقالوا وعلى هذا بدأت مفاوضاتهم مع دي جوفنيل (٥٧) ، الذي سافر الى باريس لاقناع حكومته بهذا البرنامج فلم يحالفه الحظ لوقوف العناصر اليمينية في وجهه او لمعارضة الحزب العسكري فاستقال (٥٨) . وعندئذ اعلن الجنرال غوابيه Goibiet للوزراء الوطنيين ان الوزارة الفرنسية لم توافق على البرنامج الوطني وانه سيكون حرا في اعماله العسكرية فحصلت مشادة بينهم وبينه فاستقالوا على اثرها . فاعتقلتهم السلطات ونفتهم .

غير ان هذا الكلام لا يستقيم مع الوقائع ولا حتى مع بيان الوزارة نفسها التي اشتركوا فيها وربما شاركوا في وضعه ، فقد جاء تعيين الداماد لرئاسة دولة سوريا في اليوم التالي لهجوم الجيش الفرنسي على جبل حوران واعادة فتح السويداء ومحاصرة اللجاة وملاحقة الثوار . وصباح ٢٦ ابريل (نيسان) ، اي اليوم الذي اذاع فيه بيان الوزارة او منشوره الى الشعب وقع الاعتداء الثاني على الميدان وصدر بلاغ السلطة العسكرية بدفع غرامة الف ليرة عثمانية ذهب او قطع مياه الفيجة عن المدينة (٥٩) . وذلك بعد بدء الزحف والقتال في الجبل بأيام . وجاء البيان واضحا في قوله : «اننا لا نقدر ان نصل الى غايتنا بالقوة بل بالمخابرات وبالاعتماد على الحق .. وليس علينا ضد الدولة المنتدبة ان ننال نجاحا بل بمساعدتها ، وليس بمحاربة اخواننا الذين ولدوا على ارض هذا الوطن مثلنا توجد الوحدة السورية بل باستمالتهم الينا» وهو كلام يعني بلغة الواقع ان الجند المرتزقة والمتعاونين اخوان مواطنون يجب على الثورة حفاظا على الوحدة معهم ان تقدم لهم تنازلات ، اذ بالالتقاء بين الفئتين وبالصبر والتحلي بفضائله يجد الشعب نهاية «العذاب والشقاء» اللذين خلقتهما الثورة ، اي انها بانهاء الثورة او على حد تعبير البيان «في السلم والراحة تتحقق مطاليب القلوب السورية ..»(٦٠) وليس في البيان اشارة واحدة ايجابية عن الثورة ، انه ادانة كاملة لها فقد «كلفت الوفا من الضحايا البشرية وخربت مدنا كاملة وحكمت على الفلال ان تهرأ .. بل انها زادت في عمق الهوة التي تفصلنا عن الاسكندرونة والعلويين ولبنان في حين ان ضرورات حياتنا الوطنية تامرنا ان نطمر هذه الهوة بفتح منفذ على البحر لحلب ودمشق وستسعى حكومتي لنيله بالطرق السلمية ..» (٦١)

ومن جواب المفوض السامي على برنامج الحكومة يتضح ان الامر لم يكن مصالحة لا غالب فيها ولا مغلوب ، بل كان المطلب هو التسليم ، القاء السلاح وبعدها قد تعطي فرنسا من تلقاء نفسها ما تمنحه للسوريين من مطالبهم . فقد اكد على امور ثلاثة اساسية: قبل بالامر الاول الذي ينص على اعطاء الانتداب شكل معاهدة لثلاثين سنة تعقد مع الدول المشمولة بالانتداب مستمدة من المعاهدة المعقودة بين انكلترا والعراق وبالثاني وهو حق سوريا بوضع دستورها وعلق الامر الثالث وهو الوحدة والاراضي المقتطعة على المفاوضات في المستقبل حيث قال : «اعلمكم بالوصول الى تحقيق المطالب السورية بواسطة المخابرات الحبية بين بقية

الدول ـ انه يجب ان يفهم ان هذه المخابرات لا يمكن الشروع فيها قبل مصادقة البرلمان المقبل على المعاهدة التي تتعهد فيها سوريا ان لا تستعمل القوة في اي حال ضد جاراتها وأن تلجأ الى تحكيم الدولة المنتدبة عند وقوع الخلاف» (٦٢) .

***

لا شك في انه من المستبعد تواطؤ شخص مع الثورة كالداماد ، مرتبط بالانتداب وله ما له من المطامح من خلاله ولاسيما في عهد صديقه دي جوفنيل الذي جعله يحس بأن حلمه بالعرش السوري ليس مستحيلا . والاقرب الى الظن ان يكون الداماد ، بداية ، هو الذي اجتذب اليه «الوزراء الوطنيين» بنفوذه كرئيس للمحافل الماسونية (٦٣) التي كانوا رؤساء محافل فيها . وعندما حاصرت جماعات الثوار مدينة دمشق ، وبدا قيام الثورة من داخلها محتملا ، احسوا بمدى تورطهم فامتنعوا عن التوقيع على نشرة تضع على عاتق الثوار ، وقد رفضوا العروض التي قدمت لهم لالقاء السلاح ، مسؤولية الاستمرار في القتال ونتائجه المؤسفة على البلاد . هذا التعاطف ، لا ما اتهموا به من تواطؤ ، هو الذي دفع السلطة ، التي «تحمل مسئولية اقرار السلام واعادة النظام ، الى اتخاذ اجراء تحديد اقامة الوزراء الثلاثة ..» (٦٤)

الفصل السابع

محاصرة الثورة وانهاؤها

يلقي بعض الكتاب والسياسيين مسؤولية ما آلت اليه مفاوضات الصلح مع دي جوفنيل من فشل في تحقيق أماني البلاد وتفرقة صفوفها على نعنت الحزب العسكري المهيمن في فرنسا الذي يستهويه المجد الحربي والرغبة في سيطرة فرنسا على العالم واثر هذا الحزب على دي جوفنيل (١) . كأنه كان في نية دي جوفنيل ان ينهي الانتداب ويستجيب لمطالب الثورة . كما ان القاء مسؤولية فشل الثورة على المتطرفين وحدهم يكون مجانبا للحقيقة ولا يستقيم مع الواقع ، بل لعله اقرب الى الصواب ان نقول بأن التطرف في غياب القيادة السياسية الموحدة ، القادرة على استجماع امر المفاوضة في يدها باسم الثورة وبرغبة تحقيق اهدافها ، لا على حسابها ، وفي ظل ذلك المناخ الذي هيأته سلطات الانتداب بدعوتها الى السلم والى حياة الاستقرار والرفاه .. قد شجع على رجحان كفة المعتدلين وقدم لهم الحجج لمد يدهم للفرنسيين . فان تفكيك أواصر الجبهة الداخلية من خلال استطلاع راي السوريين كان جزءا من خطة عامة رسمها دي جوفنيل ، الذي كان قانعا انه لم يكن للثورة ما يبرر قيامها في وجود الفرنسيين في سوريا وتصرفاتهم (٢) ، بدأها بزيارة لندن قبل ان يحضر الى سوريا ، مرورا

بالقاهرة ، وانهاها باتفاقاته مع الدول المحيطة بسوريا ليتمكن من السيطرة على الثـورة .

في الوقت الذي كانت فيه الثورة ، في مناطق : جبل حوران ، وغوطة دمشق والقلمون وحمص وحماه وريف حلب والجزيرة واقليم البلان ، تتمتع بنفوذ تام ، اما لسيطرتها المباشرة او لموالاة الاهالي لها ، ولا يسيطر الفرنسيون الا على حاميات في دمشق ، حصينة ولكنها مهددة بانقضاض اهالي دمشق عليها او بهجوم «العصابات» من حولها ، ترتبط ، من جهة ، بلبنان ، مركز امدادها الرئيسي ، بسكة حديد دمشق ـ رياق وهو طريق ، لوعورة المنطقة التي يخترقها، وعلو الجبال المحيطة به ، وصعوبة مسالكها ، يحتاج الى اضعاف قوة الجيش الفرنسي الموجودة حينئذ لحمايته ، ومن جهة ثانية ، ترتبط بسكة حديد دمشق ـ درعا ، التي اختارها الفرنسيون مركز تجمع للزحف على الجبل ، مركز الثورة ، ولكنه هو الآخر ، طريق معرض في كل وقت لانقضاض الاهالي عليه وعلى خط مواصلاته (٣) .. في هذا الوقت جاء دي جوفنيل ، ولم يكن الفرنسيون قد خاضوا بعد الا معركتين ناجحتين ، ولكن بخسائر فادحة ، هما المسيفرة (في حوران) وقلعة جندل (في سفح جبل الشيخ) فاستطاع بالمفاوضات ، التي بدأها باسم السلم . وباسلوب استطلاع الرأي لاستجرار رجال السياسة للاتصال به أن يكسر حدة الثورة واندفاعها وان يجزئها ، من جهة وان يكسب الوقت من جهة اخرى لوصول الامدادات التي بدأ الاعداد لارسالها في نفس الوقت الذي بدأ فيه دي جوفنيل تحركه السياسي الى لندن والى القاهرة . كانت البلاد توشك ان تتناسى الطائفية والعنعنات العشائرية بما ضربته الثورة من أمثله رائعة في التعاطف والتآخي والتطوع العفوي لحماية «الاقليات» من التعديات المحتملة . وبالاعلان عن نية فرنسا في التغيير واستعدادها للتباحث في مطالب البلاد رات فئات كثيرة في ذلك آفاقا لتحقيق تطلعاتها ومصالحها وبذلك اتاحت المجال من جديد للكلام بنغمة الطائفية .

فعلى حين كان دي جوفنيل يستجر بشكل او بآخر اقطاب السياسة في البلاد وخارجها الى التفاوض كانت السلطات الفرنسية ، بعد ان ركزت الاوضاع في لبنان وفقا للخطة الجديدة ، تعمل جاهدة للاستيلاء على قلعة راشيا واخضاع سفوح جبل الشيخ الغربية والشمالية للزحف على مجدل شمس . وقد استمرت معاركها في هذه المنطقة من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ الى اواسط نيسان (ابريل) ١٩٢٦ حتى تمكنت قوات الفرنسيين من الوصول الى السفوح الشرقية من جبل الشيخ في معارك جباثا الخشب والقنيطرة والاطمئنان الى ان مؤخرة وجودها في دمشق اصبحت في أمان .

هكذا بدأت مناطق الثورة تضيق ثم ما لبثت السلطات ان تمكنت من «خلق ما يشبه القطيعة او الانشقاق الكامل بين فئة من زعماء الجبل ودمشق اذ اخذت كل فئة تشد الامور نحو مصالحها» (٤) ولم يعد يجدي حداء «الشعراء» وصرخات

الحث على المصابرة والثبات في الثورة (٥) فقد راح عدد المستسلمين الذين يلقون سلاحهم ، سرا وعلنا يتزايد حتى تمكن «المتعاونون» اخيرا ان يجهروا في وجه الثوار ان «لا تجعلوا قرانا ساحة حرب» (٦) ثم جاءت مفارز الخيالة من «المتطوعة المرتزقة» ، الذين جندتهم سلطات الانتداب من ابناء الدروز ، ومن الاقليات القومية ، بقيادة ضباط فرنسيين ، شكل عاملا حاسما في فصل مناطق الثورة بعضها عن بعض وعزلها ومحاصرتها في بؤر يسهل القضاء عليها . وكان هؤلاء الخيالة ، وهم العارفون بمداخل البلاد ومسالكها ، اقل حذرا ، رغم جميع قرارات الثورة بإباحة دماء الخونة وفرش ارزاقهم ، في مواجهة الثوار من الثوار انفسهم ، لشعور «الخونة» باستقرار سلطة الانتداب وقدرتها على حمايتهم من الثارات العشائرية ، وان كانت ساحات القتال قد شهدت ألوانا من الوطنية وقف فيها الوالد ضد ولده وجها لوجه (٧) . وبعد ان باتت مناطق الثورة معزولة بعضها عن بعض تمكنت تلك المفارز ، تساندها قوات من الجيش النظامي وترفدها امدادات متواصلة ، من تعقب الثوار المعتصمين باللجاة ، حيث ظلوا يهددون مواصلات العدو واخراجهم الى الصفاة . وباشاعة الارهاب وتطبيق ضروب العنف وبالغرامات الباهظة (٨) وعمليات «تأدية السلاح» العين وباخذ التعهدات الجماعية من الاهالي ، متضامنين ، متكافلين في ان يتعاونوا مع السلطة لتطهير مناطقهم وحمايتها من الثوار ، استطاعت سلطات الانتداب اخماد الثورة (٩) في الجبل واخراج فلول الثائرين منه الى الاردن ، ثم انصرفت لتعقبها في الغوطة والقلمون والشمال .

كتبت جريدة الطان في تحليلها لزيارة دي جوفنيل الى لندن التي بدأ بها خطته لتطويق الثورة ، قبل ان يتوجه الى الشرق ، فقالت «اذا لم يكن من المؤكد ان التسوية النهائية لقضية الموصل قد تمت في هذه الزيارة فمن المؤكد انه تم التوصل فيها الى التوفيق بين سياستي فرنسا وبريطانيا للحد من طموحات العرب» (١٠) . ثم اكمل دي جوفنيل هذه الزيارة بزيارته للورد بلومر Plumer في فلسطين فكانت الموافقة على «انشاء خط حديدي من حيفا الى طرابلس الشام» ثمنا ، في بحث المواضيع التي تهم الانتدابين الانجليزي والفرنسي في سوريا وفلسطين ، لتوطيد العلاقة الضرورية بين اداريي المنطقتين» (١١) . وفي الاردن، اي «حكومة الشرق العربي» فما احتاج الامر الى تعديل في حدود الجبل مع الانجليز فيها وتحديد انتماء بعض القبائل حتى اعلن الامير عبد الله ، متجاهلا تهديداته السابقة للفرنسيين ، ووعوده للسوريين (١٢) ، الاحكام العرفية في المنطقة (١٣) التي اجلى الثوار اسرهم اليها ومنها صاروا يشنون غاراتهم على الفرنسيين فطوقتهم قوات الجنرال بيك باشا Peck ومنعت عنهم وعن أسرهم الماء . وجاء الكولونيل ارنو Arnaud ، مدير المخابرات العامة في المفوضية العليا يفاوضهم ، وهم في هذه الحالة ، على التسليم والعودة الى قراهم (١٤) . وهكذا أجلت السلطات الانجليزية ، صاحبة الارادة الفعلية في البلاد ، ١٣٦٠

شخصا هم فلول الثورة ، كان قد انهكهم الجوع والمرض وكادوا ان يموتوا عطشا، الى وادي السرحان ، في اراضي المملكة العربية السعودية حيث حددت اقامتهم.
وبعد ايام أذيع على الاهالي والعشائر في حدود سوريا والعراق ، باللغات العربية والفرنسية والانجليزية ، المنشور التالي : «الى الاهالي والعشائر الساكنين والمخيمين بجوار حدود سوريا والعراق : تعلمكم الحكومتان السورية والعراقية بانهما قد اتخذتا بعد التفاهم المتبادل والاتفاق المشترك القرار الآتي : ممنوع الغزو والسوسكة والسرقة وممنوع ارسال جماعة من الرجال المسلحة الى ما وراء الحدود وعند مخالفة هذا القرار تتخذ كل من الحكومتين التدابير لاجل معاقبة المذنبين في اراضيها» (١٥) .
اما من الشمال ، من جهة تركيا ، فقد كان اظهار فرنسا حرصها على تنفيذ التزاماتها في اتفاقية انقرة (فرانكلان بويثون ـ كمال) كفيلا ببقاء تركيا على الحياد تجاه القضية السورية (١٦) .
بالفشل وتبدد الآمال تكبر الهنات والصغائر التي تشوب بعض العلاقات وتتضخم الاخطاء ويبدأ التراشق بالتهم فتتآكل العلاقات وينقلب الهدف الواحد اهدافا متعددة ، كل طرف من الاطراف يزعم انه على الطريق الاصوب اليه ، خصوصا اذا لم تكن ظاهرة التفكك هذه صحية بمعنى انها صحوة فكرية ووجدانية تدفع اليها حمية ايجابية للتنافس على تحقيق ما هو افضل ، ككل حالة تأتي بعد الانكسار لا تنشأ فيها قيادة جديدة ، قادرة على لم الشتات والتبعثر لمواجهة مرحلة جديدة وللنهوض من التردّي ، نهوضا اقوى . واذا كان المرء اليوم ، بعد الاطلاع على نجاحات الثورة ، يقف مشدوها كيف انهارت ، فانه ليكون أشد ذهولا اذا هو اطلع على مدى ما حل بعلاقات السوريين ، خارج القطر من تفكك .
واذا كانت الخلافات بين الاحزاب وخاصة منها الحزبين الكبيرين : الاستقلال والشعب ومفاوضات الصلح وما كان من المواقف في الثورة ومنها ، هي السبب فلا شك في ان هذه الامور لم تكن وحدها السبب كما لم تكن دوافع الخلاف دوافع ذاتية فحسب .
وأيا ما كان الامر فقد انشقت لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني في مصر ، الى لجنتين (١٧) . تدّعي كل منهما انها هي التي على حق وراحت تصدر بياناتها للتدليل على التزامها بالاهداف الوطنية وعلى اخطاء الاخرى (١٨) واخذت برقيات التأييد او العرائض تتوارد على هذه اللجنة او تلك وانساقت كل منهما وراء كسب التأييد واظهاره على الملأ ولم تدر انها بذلك تعمق الشقاق الذي ترمي به غيرها وتلقي بأسبابه عليها . وسعى الوسطاء للصلح . وبعد ان توصلوا الى التوفيق بين الطرفين على ان يصدر الامير ميشيل لطف الله نصا لتصريح ، ينشر في الصحف كتبه الشيخ محمد رشيد رضا بخطه اذا به ينتشر في الكشاف بغير العبارة المرتضى عليها فعاد التراشق من جديد في اليوم التالي بالبيانات اشد مما كان عليه . وقد حدد بيان الوسطاء ان الخلاف «كان على امر جوهري واحد

هو مسألة لبنان وهي في امرين : أولهما الرجوع الى حدوده كما كانت في سنة ١٩١٤ وثانيهما ان المقاطعات الاربع المضافة اليه يجب ارجاعها الى سوريا كما كانت واما بقية الاراضي المسلوخة من سوريا فيكون امرها موكولا لارادة اهاليها في استفتاء حر عام كما هو مسطور في الميثاق القومي ..» (١٩) وقالت احدى الصحف انه «ثبت بالبرهان ان الخلاف متكون بين اكثرية اعضاء اللجنة التنفيذية والوفد السوري والاحزاب الاستقلالية وكبار طائفة المجاهدين من جهة وبين المنشقين من جهة اخرى وهؤلاء فريقان : فريق لطف الله الذين جعلوا القضية الوطنية مطية لامارة لبنان على اساس تجزئة سوريا وضم العلويين الى لبنان وفريق الشهبندريين الذين اخرجهم الحرص على المال والحقد على كبار العاملين فالقوا بأنفسهم في أحضان اولاد لطف الله املا ان يجدوا فيهم قوة الرفد ويتبع هؤلاء نفر من موظفي اولاد اطف الله مثل شكري فران وحسن الحكيم وابراهيم خوري وتوفيق اليازجي» (٢٠) .

وبين اوراق المرحوم نسيب البكري رسالة صادرة من جنيف بخط وتوقيع احسان الجابري موجهة «لحضرة الفاضل حسن افندي ابو صلاح الشربجي ومن فضله لصاحب السعادة ابو غالب بك الافخم اينما وجد» يؤيد ما جاء فيها ما ذكره الوسطاء في بيانهم . اذ يحمد الله الكاتب «على ان الامر جرى هكذا فالانقطاع كان منهم وليس منا لان الاميرين تساهلا في أمور متعددة كان من المتعسر الرجوع عنها مثلا قبلا عدم اجراء الانتخابات للمجلس التاسيسي ووافقا على عدم تشكيل الحكومة الوطنية في الحال .. وقبلا المراجعة في الاراضي المغصوبة من لبنان وسلما بأمر العلويين بدون رابطة معنا ..» (٢١)

ومن جانب آخر راح نزيه المؤيد ؛ صهر الدكتور الشهبندر ، الذي اصبح سكرتير حزب الشعب ، ينشر الفسيل على أوسع نطاق . فقد حصل على رسالة من احسان الجابري موجهة الى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر يتساءل فيها عن اسباب عدم وصول شحنة من الاسلحة الى الثوار كان قد ارسلها من المانيا الى رابغ في السعودية وعلم بوصولها ولكنها لم تصل الى ايدي الثوار ، فنشر فقرة منها تشير الى بعضهم بأصابع الاتهام (٢٢) ورد احسان الجابري برسالة هادئة ، طويلة محاولا نفي الاتهام وغرض التواطؤ عن الذين عناهم (٢٣) (الملك عبد العزيز وشكري القوتلي) ولكنه لم ينكر الواقعة بحد ذاتها (اي وصول السلاح الى رابغ وعلم شكري القوتلي به في حينه) . الا ان مقالات نزيه المؤيد لم تتوقف بل اخذ يصدرها نشرات باسم حزب الشعب بعنوان «الصحائف السوداء في تاريخ الثورة السورية المجيد» (٢٤) ذكر في اولاها ان «معالي الزعيم الجليل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر» دعا الاستقلاليين للاشتراك معه في تنظيم الثورة فرفضوا وان الزعيم عاد الى منطقة الجهاد فباشر الامير عادل ارسلان (احد زعمائهم في الثورة) تنظيم حملاته عليه ثم اتهم الاستقلاليين بأنهم فروا من منطقة الثورة ووصف ضغائنهم وما اثارته من احقادهم زيارة «الزعيم» للعراق وما لقيه من حفاوة فيها ..

واذا كانت حملات نزيه المؤيد لم تخل من بعض الحقائق الا انها لم تكن تخلو كذلك من التجني وخاصة اطلاق تهمة عدم الصمود في ساحات القتال على الاستقلاليين عامة . وكثيرا ما كانت تبلغ حد الاسفاف . والغرابة في الامر ان يسكت الدكتور عبد الرحمن الشهبندر عن النزول الى هذا المستوى من المهاترات وهو من علمنا انه في طليعة مفكري ذلك الزمن ورواد البحث فيه .. ومن جانبهم كان الاستقلاليون يدفعون من نكراتهم من يتصدى للرد على هذه الهجمات باسمه الحقيقي او باسم مستعار (٢٥) . وأيا كان الامر فقد بلغ الشعور بالتفكك والتقزز من الحالة ، بل واليأس حدا دعا حسن الحكيم سكرتير حزب الشعب واحد عناصر الخلاف ، الى اعلان اعتزاله العمل السياسي (٢٦) .

وقد اضاعت هذه المهاترات كثيرا من الحقائق فلم تصل الى الشعب وكان يمكنها ان تؤثر في بعض مصائر الامور . ذلك ان الناس في بلادنا يتأثرون في تفكيرهم بالعلاقات العشائرية ، فيضعف التعصب «العشائري» مقدار التفاعل مع الحقيقة والبحث عنها . فلا نرى ما في هذا الجانب من صح وما في ذلك من خطأ وانما نندفع لاخذها او معارضتها ككل . ومن هنا لم تنكشف حقيقة علاقة نزيه المؤيد او عبد الرحمن الشهبندر بالمستر كراين وحقيقة اغراضه في سوريا وفي شبه الجزيرة العربية وفي اليمن . فقد اسقطنا من أمانينا وخيالاتنا ومثاليتنا على شخصية ما ليس فيها (٢٧) . ولا انكشفت علاقة الامير ميشيل لطف الله بالمستر انكيري والدور الذي لعبه هذا الصحفي في التوفيق بين آل لطف الله والحكومة الفرنسية (٢٨) . كما لم تتضح من جانب آخر صورة العلاقة بين الشيخ محمد رشيد رضا وكامل القصاب وشكري القوتلي واترابهم من جهة والملك عبد العزيز آل سعود من جهة اخرى . ولا حقيقة العلاقة واغراضها بين الامير شكيب ارسلان والخديوي عباس والملك فيصل والملك عبد العزيز آل سعود واسباب العون المادي الذي كان يتقاضاه احيانا منهم ثلاثتهم في وقت واحد (٢٩) .

***

لقد امتد هذا الخلاف الى صفوف الثوار في معاقلهم او كان الخلاف هنا امتدادا للخلاف هناك . وانقسموا على انفسهم وكان اهم ما يشغلهم في هذا الانقسام لجان تلقي الاعانات والشكوك الناشئة من حولها في الانحياز الى هذا الحزب او ذاك . فمنذ الشهور الاولى لاندلاع الثورة ظهرت بوادر التحيز في توزيع الاعانات على الاعوان والانصار والاقارب ، بل ظهرت بوادر الطمع الشخصي (٣٠) . الا ان الحماس ونشوة الانتصار وانصراف الاذهان الى العدو حينئذ كان يدفع الى التجاوز عن هذه الهنات .

بيد ان هذه الهنات كبرت بالفشل والخيبة وتبدد الآمال . فما ان وطات اقدام فلول الثوار الازرق حتى استعرت نيران الخلاف على الاعانات واتخذها

بعضهم ذريعة لالقاء السلاح والعودة الى الفرنسيين (٣١) . وما لبث بعد قليل ، ان اصبح الهم الاول «للثائر» هو تدبير معيشة اسرته . وعندها تضخمت اهمية الاعانات لدى الصغار ولدى الكبار على حد سواء ، ولاسيما لدى هؤلاء اذ صارت اهميتها مزدوجة : من اجلهم هم وللمحافظة على القلة من الاتباع التي تؤمن بزعامتهم . وكان هذا مسوغا لاعطاء النزاع طابعا حزبيا سياسيا ما دامت الاحزاب بالتالي وحتى المبادىء ترتبط بالزعامات .

عندما اندلعت الثورة بادر عدد من اعضاء حزب الاستقلال الى العمل على تشكيل لجنة تتولى امر جمع المساعدات وتلقي التبرعات راسها الحاج امين الحسيني . قامت بجهد عظيم واوفدت الوفود الى انحاء مختلفة لهذه الغاية وظلت طيلة احتدام الثورة تمد المناطق التي شلت فيها المرافق الاقتصادية وتعطلت موارد الرزق ، بالمؤن ، كما كانت توفر ، احيانا كثيرة ، كميات من الاسلحة والذخيرة ومن مواردها المالية كانت تدفع المعاشات في الشهور الاخيرة من الثورة عندما تقرر تخصيص راتب للمقاتلين . وبعد اخماد الثورة وانكفاء الثوار الى خارج الحدود ثم القائهم السلاح واستقرارهم في وادي السرحان «كثرت اخبار عدم ورود كثير من الاموال اليهم وتواترت الحوادث فكتب سلطان الاطرش الى الحاج امين يشكره على ما قام به ويعلمه ان الثوار اعتمدوا التاجر حمدي منكو في عمان» (٣٢) ويبدو ان المسألة لم تنته عند هذا الحد . فقد ظهر اكثر من معتمد واكثر من لجنة بل نجد في المهجر ، وهو المصدر الاساسي لامداد الثوار ، فرعا باسم كل زعيم من زعماء الثورة وقادتها ، حتى الى ما بعد صدور بيان عام ، عن قيادة الثورة ، في عام ١٩٣٥ باختيار لجنة موحدة لتلقي التبرعات وايداعها البنك العربي (٣٣) .

وما ان تفجر النزاع في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني وبدأ الانحياز الى هذا الجانب او ذاك في صفوف الثوار حتى اجتمعت «لجنة عليا» للمجاهدين المرابطين في الصحراء لدراسة الوضع واذاعت بيانا من البنك (٧ يناير ١٩٢٨) اظهرت فيه المها لما يجري في القاهرة واكدت على ان حق الكلام باسم القضية منوط بمن لم يفارق بعد ساحة الجهاد الوطني قط وايدت قرار الغاء رئاسة الامير ميشيل لطف الله للجنة التنفيذية وغمزت من قناة بعض المتزعمين الذين يهضمون حقوق الوطنيين المناضلين «لارضاء بعض الذين لم يقوموا بعمل يذكر» وشكرت الداعين الى اتحاد السوريين وتضامنهم وتجاوز هذه الخلافات، ومع ان هذا البيان يطعن بموقف آل لطف الله وبالتالي بالشهبندر الا ان القائد العام صادق عليه (٣٤) .

وقامت فئة اخرى بالرد على هذا البيان ببيان آخر شرح اضطرار المجاهدين بعد خروجهم من منطقة الثورة الى ان يتخذوا مجالين للاقامة فبعضهم اتجه الى المعمور : شرق الاردن وفلسطين ومصر وبعضهم اتجه الى النبك والحصيدات وقريات الملح . وكثيرا ما طالب هؤلاء بالمجيء الى المعمور فكان قرار المنع من جانب السلطات يقف في وجههم . ثم ذكر البيان بأن «آخر حملة قام بها المجاهدون

من ابناء سوريا كانت في أواخر نيسان ١٩٢٧ بقيادة المجاهد الشهيد عز الدين الجزائري والقائد سعيد العاصي والزعيم الشهيد ابي خالد نجيب فانتهت بدخولهم للغوطة وضربهم للعدو على ابواب دمشق ثم بفشلهم» وعزا العامل الاكبر في هذا الفشل الى المستأثرين بأموال الثورة «الذين يلقبون انفسهم حزب الاستقلال» ، والذين وعدوا ولم ينفذوا وعدهم : «اذن فالمرابطة التي يطنطن بها بعض من زرعوا التحزّب القتّال الذي فكك اوصال ثورتنا المباركة ليس لها غرض سوى التفريق بين المجاهدين واستغلال دمائهم» . وانكر البيان قيمة منع السلطات البريطانية والاردنية لاولئك المرابطين في الصحراء من العودة الى السكنى في المعمور ، غامزا من قناة القائد العام نفسه ، الذي طلب العودة ولم يجب الى طلبه ، آسفا لتأثره بدسائس الآخرين (٣٥) .

ومن جانب آخر راحت كل فئة تسعى ما امكنها السعي للايقاع بالاخرى والكيد لها . فقد سعى شكري القوتلي ، احد اقطاب الاستقلاليين ، المقربين من عبد العزيز ابن سعود الى الايقاع لدى الملك فيصل بالدكتور الشهبندر والعمل على قطع المعونة عنه فقد كتب الى الدكتور احمد قدري رسالة يطلب فيها منه ان يوقع الرسالة المرفقة بها والموجهة الى الملك فيصل وكأنها صادرة منه او ان يرفعها الى الملك على انها وردته من مجهول ومفادها التوسل اليه للكف عن تقديم العون المادي الى الدكتور الشهبندر لانه لا ينفق ما يرسل اليه من اموال على «القضية» وانما يستغلها لمآربه الشخصية (٣٦) .

هكذا كان «المال» سواء اكان الطمع فيه لذاته او لجلب النفوذ وتحقيق الاهداف السياسية مدعاة للتفرق وتفكيك عرى الثورة . فقد تلاطم اصحاب الزعامات عليه وتراشقوا بالتهم فتكشفت الثورة عن ضروب من الاستغلال والارتشاء عجلت في اخمادها اذ استأثر بأموال الاعانات افراد بينما جاعت اسر استشهد معظم رجالها فأقسرت على الاستسلام (٣٧) . وقد اخذت الانباء المشيرة الى الخلافات حول اموال الاعانات تتسرب الى الرأي العام بعد نزوح الثوار من الازرق الى اراضي الحجاز . الا ان سلطان الاطرش يذكر انها تفاقمت في الازرق نفسه وكانت سببا مباشرا لاستسلام عبد الغفار الاطرش ومتعب الاطرش ومن معهما(٣٨). وحقيقة الامر ان رائحة التلاعب بدات تفوح من هؤلاء انفسهم الذين تذرعوا بحجة استغلال اموال الاعانات لصالح حزب الاستقلال ، للتراجع والعودة الى التعاون مع الفرنسيين كما يشير الى ذلك كتاب عبد الغفار الاطرش المرسل الى قائد الدرك الوطني بشان تسليم كميات من الطحين الى حسين الاطرش وكان قد خرج من صفوف الثورة فضلا عن انه لم يكن في حاجة اليها (٣٩) . وفي النبك ـ قريات الملح ـ من ارض الحجاز ، حيث لجأ الثوار كان من نتيجة هذه الخلافات ان اصدرت اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سورية المؤلفة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ بيانا بحل نفسها واناطة الامر بلجنة ينتخبها الثوار (٤٠) . وفي ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٢٧ اجتمعت «الهيئة العامة للمنكوبين السوريين» في النبك

وانتخبت لجنة اخرى (٤١) .

صحيح ان البلاد شعرت بعد اخماد ثورتها انها افرغت من قواها وطاقاتها وبالفت السلطات في ملاحقة فلولها وكان المتعاونون ، العملاء اقسى واشد ايلاما. فران على البلاد كابوس ثقيل . ولكن هذه الثورة كانت بعيدة الاثر رغم اخفاقها. فالى جانب انها زادت في ترابط ابناء مختلف المناطق بعضهم مع بعض لتأديتهم ضريبة الدم وبين مختلف الطوائف ولم تبق هناك طائفة تتمنى ان يحميها الانتداب، علنا على الاقل ، وابرزت ظروف النضال ، وساحات القتال قيادات مسيحية لعبت دورا ايجابيا عظيما في الحياة الوطنية والمحافل الدولية دفاعا عن العرب ولا ندري ايتهما كانت اكثر تأثيرا على الاخرى : الجبهة الوطنية في داخل البلاد ام وحدة السوريين خاصة والعرب عامة في المهجر واعتزازهم بهذه الثورة واسراعهم لنجدتها . فقد ظل هؤلاء يحدون لها ويمدونها بالمال ، مسيحيين ومسلمين متآلفين حول فكرتها ، لا يطلبون ثمنا لما يقدمونه من العون الا الحفاظ على وحدة الثورة ووحدة الثوار (٤٢) . ومن جانب آخر لا نبالغ اذا قلنا بأنها ازالت تلك الافكار بل «تلك الظنون السيئة» التي لازمت الدعوة الى العروبة في المشرق لدى ابناء مصر خاصة والمغرب عامة حيث كان ينظر لحركات المشرق ضد «الدولة العلية» نظرات الريبة . وبعد ان تجاوبت في هذه الديار ما عرف من اعمال السوريين وتضحياتهم واستبسالهم في سبيل حريتهم وفي مقارعة الاستعمار الغربي اخذت مصر تفسح صدرها للفكرة العربية (٤٣) واستقبلت اللائذين بها من ابناء المشرق بعد ذلك بغير ما استقبلتهم به يوم وفدوا اليها قبل الحرب العامة الاولى واثناءها .

ثمة محاولة اخرى لرفع معنويات البلاد واخراجها من بؤسها ، جرت في تلك الايام الحالكة ، التي كانت الثورة تخمد فيها بقسوة ، وتطارد فلولها الى خارج الحدود وتنكفىء فيها دمشق وغوطتها وملحقاتها ، تلعق جراحها ، ثكلى ، يائسة، والوزراء يساقون من مناصبهم الى المنفى ، والقبائل البدوية التي شاركت الثورة مصيرها او التي انقلبت من نفسها على الفرنسيين في مناطق حلب ودير الزور ، تضطر الى النزوح الى البادية ، ويعود الناس يتربص بعضهم ببعض .. تلك هي المناداة بضرورة ايجاد ميثاق قومي تجتمع عليه جميع الاطراف .

كانت بداية الكلام فيه ما روي على لسان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من ان زعماء الثورة وجدوا في برنامج وزارة الداماد الذي وضع بالاتفاق مع المندوب السامي دي جوفنيل ، شيئا من تحقيق الرغائب ولكن بعض عباراته كانت مرنة محفوفة بالغموض وعلقت تنفيذ بعض المطالب الاساسية على الاقدار وجعلت بعضها الآخر من الاماني والاحلام ، فانتهزوا هذه الفرصة ليأخذوا فرنسا بأقوالها ويمسكوها بحججها فدرسوا هذا البرنامج وعدلوه وجعلوه عمليا لا يستطيع الفرنسيون اتهام واضعيه بالشطط . واهم ما فيه : اعتراف فرنسا باستقلال سوريا وبحقها في التمثيل الخارجي وتأليف مجلس تاسيسي يتولى سن الدستور على اساس السيادة القومية وعقد معاهدة مع فرنسا لمدة ١٥ سنة وتحقيق الوحدة

السورية وفيها لواء طرابلس الشام واقضية عكا وحصن الاكراد وبعلبك ، اما بقية البلاد التي ضمت الى لبنان فيستفتى اهلها في تقرير مصيرهم وتاليف جيش وطني في خلال ثلاث سنوات يتم فيها الجلاء التام عن البلاد (٤٤) . وفي مذكرات الشهبندر التي نشرتها دار الجزيرة ما يؤيد هذا الكلام (٤٥) .

يبدو ان الاخذ بهذا الميثاق لم يكن عاما ، فقد تكشف ذلك على اثر اول انتخابات تجري بعد الثورة اذ اذاعت «لجنة عابدين» (احد فرعي اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري ـ الفلسطيني بالقاهرة) بيانا بابتهاجها لفوز الوطنيين الذين رشحوا انفسهم على اساس الميثاق القومي (٤٦) فردت عليها «لجنة المدابغ» ببيان فندت فيه قصة هذا الميثاق قائلة ان الامة السورية لم تتخذ تلك البنود ميثاقا وطنيا في وقت من الاوقات وانما هي مواد وضعت في مركز القيادة العامة للثورة ردا على برنامج الداماد وسميت يومئذ البرنامج الوزاري المعدل وجيء بها الى مصر فنقحت في اجتماع خاص عقد خارج اللجنة التنفيذية ثم ارسلت الى الوفد السوري في اوروبا ليتخذها اساسا لمفاوضاته (٤٧) . وذلك عندما انس الوفد من اتصاله بدي جوفنيل اثناء حضوره لجلسات لجنة الانتدابات ما يشجع على الدخول في مباحثات مع المسؤولين الفرنسيين وطلب الوفد من اللجنة التنفيذية ان تزوده بتعليماتها فكتبت الى «جميع زعماء الحركة الوطنية تسالهم رايهم في الحل الذي يرونه وانتهت الى وضع برنامج وافق عليه الجميع ..» (٤٨) ، ارسل الى الوفد ليكون قاعدة لمفاوضاته . وسمحت الحكومة الفرنسية لعضوي الوفد (الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري) بدخول فرنسا حيث وافاهما الامير ميشيل لطف الله وتم بينهم وبين دي جوفنيل وضع معاهدة اوشكوا على توقيعها بالاحرف الاولى الا ان دي جوفنيل الغى الموعد المضروب لذلك (٤٩) .

وبالاطلاع على بنود هذا الميثاق يتبين انه وضع في ظروف خاصة اذ نص البند الاول على ان تؤلف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة وتوقف حالة الحرب ولا تجري في غضون الانتخاب حركة عسكرية .. ونص البند التاسع على الغاء الغرامات الحربية والعاشر على التعويض على منكوبي الثورة . فهي بنود لا تخلو بمجموعها من شبه ببرنامج وزارة الداماد ولا ببرنامج وزارة الشيخ تاج كما ان بينها وبين تعليمات اللجنة الى الوفد شبها كبيرا . وايا ما كان اصلها فان اهم ما يؤخذ عليها عجزها عن ان تكون ميثاقا وطنيا اذ انها لم تنص على المطلب الذي كان يتصدر جميع المطالب الوطنية يومئذ وهو الوحدة السورية بحدودها الطبيعية واستقلالها التام وجاءت قاصرة عن المبادىء الاساسية التي اقرها مؤتمر جنيف سنة ١٩٢١ ولذلك ما لبثت «لجنة عابدين» ، التي فاخرت بأنه من وضعها او وضع احد قادتها ، ان تراجعت عن تسميتها بالميثاق القومي .

وأيا ما كان الامر فان مواد ذلك «الميثاق القومي» تشير بالتحليل الاخير الى ان قوى البلاد الظاهرة كانت عاجزة عن تحقيق هذه المواد رغم نقصها وعدم ايفائها بالحاجة ولذلك جعلت من الاماني والاهداف المتعلقة بالمستقبل . وهذا عين ما

ذهب اليه الدكتور عبد الرحمن الكيالي في تخيله، وهو في سجن ارواد، للميثاق الوطني . فكان مرادفا في رايه للمثل الاعلى او يجب ان يكون المثل الاعلى الذي تجاهد الامة من اجل تحقيقه . وقد خلص الى القول : «اما الميثاق الوطني فالزعماء المجاهدون لم يقرروا حتى الان مواده النهائية لان الاحوال السياسية والاضطهادات والتشريد والمنافي ابعدت معظمهم عن الديار ومنعتهم من تقرير ما يريدون كما انها لم تساعد على تأليف هيئة مسؤولة تضع الميثاق وتعمل على تنفيذه» والميثاق لا يصح ان يفرض على الامة ما لم يكن صادرا عن ارادتها ومعبرا عن رغباتها وامانيها ولا يعبر عن ارادة الامة ما لم يكن منتخبا شرعيا من قبلها . وقد استخلص من مذكرات الوفود الرسمية - الشعبية الى ممثلي السلطة الفرنسية والى دول الغرب ما يصح اتخاذه اساسا للميثاق القومي في اثني عشر بندا (٥٠) اهمها : ١ - السلطان القومي للسوريين ومعناه الاستقلال والسيادة فيحكم السوريون بلادهم بذاتهم ويديرون شؤونها ومصالحها بواسطة نوابهم وحكومتهم الشعبية الدستورية التي يختارونها ويضعون القوانين والانظمة بواسطة مجلسهم النيابي الممثل الشرعي لهم ويدافعون عن حدود وطنهم بجيشهم . ٢ - الوحدة السورية لجميع الاجزاء التي تتالف منها سوريا جغرافيا واقتصاديا. ٣ - ربط الاجزاء السورية التي تؤلف وحدة الوطن بنظام لا مركزي خاص كما قرره المؤتمر السوري في عام١٩١٩ . ٤ - تحديد العلاقات السياسية والاقتصادية مع فرنسا بمعاهدة لمدة معينة لا تمس سيادة الدولة واستقلالها . ٥ - الغاء السياسة الطائفية وجعل القومية والكفاءة هما الاساس .. الخ .

ولعلنا اذا سمينا الامور باسمائها لا نخالف الحقيقة اذا قلنا بأن برنامج حكومة الداماد سواء أكان بنصه ام بالتعديل ، لا يمثل مرحلة اسباغ الشرعية على اعمال انهاء الثورة فحسب وانما مرحلة الاعتراف بالانتداب وبالانطلاق من هذا الاعتراف به لتنظيم العلائق ، بأسلوب التفاوض ، بين سوريا وفرنسا . فهو لم يكن برنامجا للتطبيق المباشر وانما جعل من تلك الرغبات والمطالب الوطنية الملحة، اهدافا للمستقبل ، للنضال من اجلها في المستقبل . ومن هنا كان القول بتداعي «الثوار في الازرق ، بعد نزوحهم عن سوريا» لتعديله ثم اعتباره ميثاقا وطنيا يجب ان تنعقد حوله الجهود وتتضافر لتحقيقه ينطوي على مفارقة كبيرة حقا . واذا كان اناطة الاماني الوطنية بالمستقبل تدل على الامل وقوة تخيله فان عدم تحقيقها في الحاضر ، خصوصا اذا كانت مصيرية يدل على العجز . وبهذا يمكن ان نصف فترة السنتين التاليتين اللتين يبدأ بهما المفوض السامي بوتسو فترة حكمه التي تعتبر اطول فترة يقضيها مفوض سام فرنسي .

غير ان ما احدثته هذه الثورة من تاثير في فرنسا نفسها وبالتالي من تغيير في سياستها لا يقل اهمية بل لعله كان الى جانب اظهار الشخصية السورية اهم عامل في تقرير مصير سوريا . نقد قدمت حججا دامغة الى أولئك الذين رفعوا اصواتهم من قبل في البرلمان الفرنسي يطالبون باجلاء الجيوش الفرنسية عن

سوريا وترك الحرية لابنائها في حكم انفسهم بأنفسهم مذكرين بتضحياتهم التي قدموها في الحرب العامة في سبيل ذلك وان السبعة آلاف الذين قتلوا منهم هم ضحية كافية لانالتهم حقهم المشروع (٥١) . فما ان اندلعت نيران الثورة حتى راحت الصحافة التقدمية تنعي على الصحافة البورجوازية صمتها عما يجري في سوريا وتنشر رسائل الجنود ورسائل آبائهم القلقين على مصيرهم وتفضح تحالف الامبريالية الفرنسية ـ الانجليزية ضد الفلاحين السوريين (٥٢) فقد سقط . بهذه الحرب التي يشنها الطامحون بالنياشين ، قناع الديموقراطية الزائف وظهر الوجه الحقيقي لامبريالية اصحاب رؤوس الاموال واتباعهم من الاحتكاريين الكارتيليين من اصحاب البنوك ، وتحت شعار التآخي على جميع الجهات من اجل انقاذ الرفاق من الموت اخذت تطالب بمضاعفة الجهود وجعل العمل اكثر فعالية لغرض الجلاء عن سوريا (٥٣) . وفي البرلمان وصل الامر في المناقشات حول الاوضاع في سوريا الى ان تقدم السادة النواب سيمون رينو Simond Reynaud وغروس Gross وبوللي Boully بمشروع باقتراح يرمي الى دعوة الحكومة فورا لاجراء محادثات مع مجلس عصبة الامم بقصد التخلي عن الانتداب الذي تمارسه فرنسا في سوريا حاليا (٥٤) ولم تتخل هذه الفئات التقدمية عن موقفها من سوريا وظلت صحافتها تدافع عنه حتى قيض للتحالف اليساري الاشتراكي تولي الحكم تتويجا للجبهة الوطنية التي تحققت في الثلاثينات فرحب بعقد معاهدة مع سوريا للحلول محل الانتداب .

كان لا بد من ان تحدث ثورة عام ١٩٢٥ : «الثورة السورية الكبرى» فتدوم في بعض المناطق ما يقرب من سنتين . لكي تقتنع الدولة المنتدبة بتحديد وجهة نظرها في سوريا وغرضها في حكمها ، من فوق أكوام التصريحات المتباعدة والمتعارضة التي اعلنها رجالها (٥٥) . فقد قضت المادة الاولى من صك الانتداب على الدولة المنتدبة . بأن تساعد الحكومات المحلية على سن دستور لها في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تنفيذ هذا الصك (٥٦) . وقد نفذت السلطات الفرنسية ذلك في لبنان في بحر ثلاث سنوات ولكن بطريقة لا تتفق مع النص . . اما في سوريا فقد تاخرت عن الوقت المحدد حتى باتت تخشى وقوف لجنة الانتدابات موقفا معاديا منها (٥٧) رغم توسلها في كل جلسة بشتى الاعذار . وستنقضي ثمان سنوات على اعلان الانتداب الفرنسي عليها حتى يتم الاتفاق بين الفرنسيين والوطنيين على انتخاب جمعية تاسيسية وحين تتم وضع الدستور لا يرضى به المفوض السامي فيجري عليه تعديلا اساسيا بدون رضى الوطنيين (٥٨) يجعله كان لم يكن .

اثناء تلك الفترة ، فترة السنوات الثمان ، حكم التطرف علاقات ومواقف الجانبين السوري والفرنسي على حد سواء . فمنذ البداية رفض السوريون انتداب فرنسا وأبوا الاعتراف به شكلا واساسا او ان يذعنوا لاحكامه كلا او بعضا واعتبروا الوجود الفرنسي بقوة الاحتلال (٥٩) . وعبرت البلاد عن ذلك بسلسلة

متصلة من الحركات والانتفاضات والمواقف كانت ثورة عام ١٩٢٥ تتويجا لها .
وبالمقابل فان السلطات الفرنسية سلكت مسلك المحتل على أعنف شكل ثم راحت تقسم البلاد وتنمي الفوارق الطائفية والاقليمية وتعمل على خلق زعامات مرتبطة بها ، فلم يعوزها ان تجد او ان يوجد تلقائيا من يطالب بالانفصال عن الوحدة السورية وبكيان مستقل حتى في دير الزور او في حوران فما بالك في حلب التي قد تثير غيرتها دمشق وقد ترجع ضائقتها الاقتصادية بسبب القيود الجديدة على الحركة التجارية بينها وبين العراق وتركيا ، الى ربطها بدمشق او في بلاد العلويين وفي جبل الدروز (٦٠) فتارة يريد رجال الانتداب ان يفرطوا عقد الصلات والروابط التي تربط اجزاء هذه البلاد منذ القديم ليعيدوا تكوينها وتنظيمها من جديد على نحو يختلف باختلاف مستوى كل من اجزائها (٦١) وهو ما يؤدي بالطبع الى ابراز وتقوية الفوارق بينها . وتارة يرون ان الاستقلال يتطلب توفير الكوادر اللازمة للقيام بأعبائه وهذه تحتاج الى تربية أجيال يعدها الانتداب فعلى سوريا ان تصبر اذن ولا تتعجل الامور (٦٢) . كما نجدهم احيانا يعودون من جديد الى الكلام عن الحماية الطائفية بعبارات القرن التاسع عشر التي تخشى ان يفتح تخلي فرنسا عن سوريا ابواب الفتن في البلاد وان يكون جلاؤها عنها سببا في تذبيح المسيحيين (٦٣) . فثمة قطاع من الفرنسيين كانوا قد استقر في عقولهم ، بتأثير افكار ذلك القرن ان العرب وافدون على بلاد سوريا وانهم اذا كانوا «قد فرضوا بالقوة على السوريين دينهم ولغتهم فانهم لم يغيروا من اصل هؤلاء السوريين اكثر مما غير الحلفاء في الغرب من اصل الاسبان الذين اسلموا . ذلك ان مسلمي سوريا ، هم في الغالب ، سوريون !» (٦٤) .

ومن هذا الجانب او ذاك ما لبثت المواقف ان تعدلت ، في اعقاب الثورة السورية ، صحيح ان المفوض السامي لم يعترف في سياسته بوحدة الثورة ، وبالتالي بالوحدة السورية . الا انه بات من الواضح ان السياسة الذي يتبناها دي جوفنيل منذ عام ١٩٢٦ ليضع حدا للصعوبات التي يواجهها في سوريا ترتكز على مبداين اساسيين : ١ ــ انتخاب جمعية تأسيسية ، ٢ ــ عقد معاهدة من شأنها تنظيم العلاقات بين«الدول السورية» والدولة المنتدبة في اطار الانتداب(٦٥). واهمية ذلك انها ستحدد ، الى حقبة طويلة سياسة فرنسا في سوريا (٦٦) .
وجوهر التعديل في موقف السوريين انهمبعد ان كانوا يستندون الى المادة٢٢ (٦٧) من صك عصبة الامم التي تنص على انه «يجب قبل كل شيء ان تراعي اماني تلك الجماعات في انتخاب الحكومة المنتدبة» ، ليرفضوا الانتداب الفرنسي بالمطالبة بغيره ، اصبحوا يطلبون ، بشكل او بآخر عقد معاهدة تنظم العلاقة بين سوريا وفرنسا او بمعنى آخر تعطي للانتداب ، للعلاقة بفرنسا ، قوية كانت ام ضعيفة ، صفتها الشرعية ، لا تختلف في هذا ، في الحقيقة ، فئة من السوريين عن الاخرى : وجه الاختلاف صار في التفاصيل او الفروق وفي الاسلوب لا في الجوهر . وتساوى الجميع : مؤيدو الانتداب والوطنيون المتطرفون في المطالبة

بالدستور والمعاهدة واختلفوا في مدى التنازلات ..

لسوف يتولى اخراج هذا التوافق ، هذا التركيب الجديد في العلاقـــات السورية ـ الفرنسية الى حيز الوجود ، عن الجانب السوري ، الكتلة الوطنية والجبهة الشعبية عن الجانب الفرنسي ، بعد سلسلة من التطورات ، تمر بها البلاد في سلسلة من المحاولات المستميتة من سلطات الانتداب لتأخير هذه النتيجة ، الى ان تطيح الظروف السياسية العاصفة في اوربا بالجبهة الشعبية وبهذا الامـــل المشترك .



الفصل الثامن

ظهور الكتلة الوطنية :
ودورها في تدعيم «الكيان» السوري في مهب التيارات السياسية والمطامح الفردية

يقسم الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، في كتابه «المراحل» ، عهد المفوض السامي بونسو Ponsot الذي دام سبع سنوات ، اطول مدة قضاها مفوض سام في سوريا ، الى خمس مراحل : مرحلة الدرس والتنقيب : مرحلة تجربة النيات . مرحلة الجهود الساكنة ، مرحلة تنفيذ الدستور اسما لا فعلا ، مرحلة النكاية (١) . ومن الممكن ، في الحقيقة ، على هذا المنوال في النظر للامور ، ان يجد المرء في كل سنة وفي كل تطواف قام به المفوض السامي في البلاد ، بل وفي كل رحلة من رحلاته الى فرنسا مرحلة تتميز بصفة ما . وعلى هذا تتضاعف المراحل . الا ان الصفة البارزة التي نستطيع ان نميز بها هذه الحقبة الممتدة في أعقاب الثورة السورية الكبرى وحتى عقد المعاهدة في عام ١٩٣٦ ، هي مرحلة ظهور «الكتلة الوطنية» ، التي ستلعب دورا حاسما في حياة البلاد وستظل تلعبه الى ان تتفتت الى عدة احزاب في أواخر الاربعينات . فاذا كان ما وصل اليه العراق من عقد معاهدة مع الانكليز وايجاد صيغة من أشكال الحياة الدستورية هو هدف رجال السياسة في سوريا فان أسلوب «الوفد» في مصر في جمع قوى

البلاد عام ١٩١٩ لمواجهة الانكليز ، كان لا يزال مثارا لهمم السياسيين في سوريا ومطمحا يتوقون اليه (٢) . فعلى هذا النحو يتصورون التنظيم الحزبي ، وهم يرون فيه في الحقيقة ، تنسيقا بين مصالحهم .

كانت دوافع تكوين الكتلة الوطنية وظهورها على المسرح ، عديدة . فمن جهة كانت تقتضيهما الظروف التي طرات على المنطقة . ذلك ان تجزئة الشرق العربي واقامة الحواجز الجمركية بين بلدانه لم يغير العلاقات الاقتصادية واتجاهات الحركات الصناعية والتجارية فحسب وانما جعل لزاما على اصحاب التجارة والصناعة والزراعة ، وهم ذلك الحين ، في اكثريتهم ، في المدن ؛ من الاسر الكبيرة المعروفة في البلاد ، صاحبة الملكيات الزراعية الواسعة ، ان يتكتلوا لمواجهة المتطلبات الجديدة وللوقوف ما أمكن في وجه الشركات الاجنبية التي يفتح لها الانتداب ابواب البلاد على مصراعيها ؛ او على الاصح للمحافظة على مصالحهم بالمساهمة فيها للمشاركة في ارباحها وعمليات النهب الاستغلالي . ومن جهة اخرى اصبحوا يشعرون بأن الانتداب اخذ ينشىء كوادر من الموظفين وبالتالي من المهيئين لمنافستهم على وجاهتهم ومكانتهم الاجتماعية والسياسية في البلاد بنفوذ السلطة . ولقد ادرك رجال الانتداب هذه النزعة في رجال البورجوازية والاقطاع الى السلطة وحرصهم على قيادة تطور البلاد الجديد فراح ممثلو فرنسا يلحون في كل مناسبة على اظهار اهتمام الاسواق الفرنسية بالمنتجات السورية وبإنجاح اقتصاد سوريا (٣) وتشجيع رؤوس الاموال والشركات للوفاء بحاجات البلاد ، منذ عهد غورو حتى دي جوفنيل وهو في معمعان العمل لاخماد نيران الثورة . ولم يكد بونسو يستقر في منصبه حتى باشر في اعداد العدة لاقامة معرض دمشق الدولي .

وقد نشطت البورجوازية السورية في تأسيس الشركات . تاسست شركة الاسمنت الوطنية براسمال ١٢٠.٠ الف ليرة عثمانية ذهبا مقسمة على ٢٤ الف سهم غطيت في حوالي شهر وتبين ان الاكتتابات جرت بأكثر من عدد الاسهم (٤) فكانت اجمل مشروع حيَّاه الشعب بحماس منقطع النظير وهللت له الصحافة بالاجماع (٥) . وانشأ ماتوسيان Matossian المعروف شركته بالاشتراك مع عدد من الزعماء السياسيين الذين سيصبحون عماد الكتلة الوطنية بدمشق . وعمل شكري القوتلي على اقامة شركة الكونسروا في دمشق . وكان ارباب صناعة النسيج والحياكة المعروفة القديمة في البلاد اسرع من امثالهم في بلدان العالم الثالث المستعمرة ، في تحويل صناعاتهم الى صناعات حديثة. وبفضل هذه المرونة كانت سوريا اقل تعرضا لتلك الاضرار التي تلحق بكل بلد مستعمَر تقضي اساليب الاستعمار على صناعاته المحلية التقليدية ، لتوجيه قواه الشرائية من جهة الى بضائع الغرب ولربطه حضاريا ، من جهة اخرى ، بحضارة الغرب . وبهذا يضمن تبعيته . ومن هنا احتدام الجدل ، حتى لقد كاد ضجيجه يعلو على كل شيء ، حول : أيتهما أوجب بالاهتمام واحق بالاولوية : الاستقلال الاقتصادي

ام الاستقلال السياسي (٦) . كان جدلا مخلصا حقا ولكنه ساذج !

من جانب آخر كانت القيادات ذات المصالح المتقاربة تلمح في بوادر التغيير في سياسة فرنسا واحتمال تنفيذها للمادة الاولى من صك الانتداب بوضع دستور مع مراعاة اماني البلاد فيه وتنظيم الانتداب بمعاهدة تضمن مصالح فرنسا وحقوق سوريا .. ما يحفز على التكتل لمواجهة المستقبل . وقد بات واضحا انه لا بد لسوريا ، في مهب تلك التيارات السياسية التي تتقاذفهـا بين الهاشميين والسعوديين ، بين مختلف الطامعين ، الطامحين الى عرشها ، من ان تتكتـل لتواجه مصيرها وليكون لها ، بعد طول الضياع والتخبط في العمل العربي ، كيانها كغيرها ما دام ان كل منطقة وكل اقليم من حولها ينساق الى تشكيـل كيان له .

***

في سيرة تكوين الكتلة الوطنية مثال بارز على اختلاط المفاهيم الحزبيـة وابهامها في ذهنية اولئك الذين تصدوا لقيادة الحركة الوطنية . وليس علـى ضعف الانضباط الحزبي فحسب وانما برهان على ان كل فرد يكاد يؤلف حزبـا بمفرده وعلى ان الحزب كالكتلة ، كالعصبة ، ايا ما كان الاسم الـذي يطلـق على التجمع السياسي يعني في حقيقته لقاء بين اتجاهات مختلفة بل ومتباينـة احيانا ، تتعاون وتأتلف ليساند بعضها بعضا ضد عدو اخطر على مصالحها .

بدات كلمة «الوطنيين» ، منذ اواخر عام ١٩٢٥ ، تتردد على الافواه وفي الرسائل الخاصة وفي الصحف لتطلق على الفئات غير المتعاونة او الموالية للانتداب. وعندما اشترك فارس الخوري ولطفي الحفار (دمشق) وحسني البرازي (حماه) في وزارة الداماد قيل انهم اشتركوا باسم الوطنيين مع ان الاولين هما من حـزب الشعب وان الثالث هو من العربية الفتاة اي من حزب الاستقلال . ثم صارت هذه العبارة ، عبارة «الوطنيين» تثير ، في الصحافة المعادية للانتداب ، ثائرة الفئات الاخرى المعروفة بتعاونها ، وراحت الصحافة الموالية ، السائرة في فلك الانتداب تشن حملاتها بين الحين والآخر على هؤلاء «الوطنيين» وتشنـع عليهم بعبارة المحتكرين (٧) اي محتكري السياسة ، التي اصبحت لديها مرادفة للوطنيين وهي تقصد شخصيات بارزة بعينها ، معروفة في دمشق وحمص وحماه وحلب .

وفي صيف عام ١٩٢٧ ، وكان هؤلاء «الوطنيون» قد ازدادوا تجربة مـن مفاوضاتهم مع دي جوفنيل واكتسبوا خبرة وقربتهم التطورات بعضهم من بعض. تنادى كبارهم الى عقد مؤتمر في بيروت (١٩ اكتوبر – تشرين الاول – ١٩٢٧) للرد على بيان المفوض السامي بونسو Ponsot (٢٧ يوليو –تموز– ١٩٢٧) الذي عرض فيه نقاط الخطة الاساسية التي سيواصل تحقيقها (٨) . فكان هذا المؤتمر، من جهة ، ايذانا بقرب ميلاد «الكتلة الوطنية» ومن جهة ثانية اعلانا بتمسـك

المؤتمرين ، على الاقل بوحدة العمل السياسي بين سوريا ولبنان لمجابهة الانتداب فقد ضم مندوبين عن بيروت وطرابلس الى جانب ممثلين عن دمشق وحمص وحماه وحلب . واصدر بيانا مطولا ارسله الى الصحف السورية واللبنانيـــة ؛ رئيس المؤتمر هاشم الاتاسي . بكتاب خاص منه ؛ وناقش البيان باسهاب ، فيما هو يجمل مطالب البلاد التي رددتها الهيئات والوفود المختلفة الى المفوضين السامين السابقين وهي وحدة البلاد واستقلالها وتاليف مجلس تأسيسي وعقد معاهدة ؛ بيان المفوض السامي بونسو وفنّده فقرة فقرة (٩) بصيغة تسودها روح التساهل والاستعطاف والاستعداد للتفاهم (١٠) .

وعليه اظهر الوطنيون في الانتخابات الى الجمعية التاسيسية التي اجرتهـا حكومة الشيخ تاج الانتقالية ، وفي الانتخابات لرئاسنها والى هيئة مكتبها ولجانها وابان الخلاف على مواد الدستور ، في التباحث مع المفوض السامي ، ثم فـــي انتخابات عام ١٩٣٢ ، على انهم مترابطون على العمل في اطار اهداف محددة فيما بينهم ومتساندون في سياستهم . ومنذ عام ١٩٣١ فقط صارت بياناتهم تصدر باسم «الكتلة الوطنية» وبتوقيع هاشم الاتاسي . الا انهم لم يضعوا قانونهـــم الاساسي ونظامهم الداخلي ولم يعطوا انفسهم اطارا تنظيميا الا في المؤتمر الذي عقد في حمص في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ ، حيث تم لهم في ٤٤ مادة توضيح المبادىء العامة التي تسير عليها الكتلة . وتشكيلاتها التـــي تضم المكتب الدائم ومجلس الكتلة الوطنية والمؤتمر العام واللجان الفرعية . وتالـــف المكتب الدائم الذي يجب ان ينتخب من مجلس الكتلة . من سبعة اعضاء لمدى الحياة . وتالف مجلس الكتلة من ٣٨ شخصا من سوريا عدا بعض الاعضاء الذين اعتبروا منها وهم في الخارج كالدكتور عبد الرحمن الشهبندر في القاهـــرة واحسان الجابري والامير شكيب ارسلان في جنيف ، وأضيف اليهم ثمانية اشخاص من لبنان (١١) .

لقد نصت المادة الاولى من المبادىء العامة على ان «الكتلة الوطنيـــة» هيئة سياسية غايتها : ا ــ تحرير البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية من كل سلطة اجنبية وايصالها الى الاستقلال التام والسيادة الكاملة وجمع اراضيهـــا المجزاة في دولة ذات حكومة واحدة على ان يبقى للبنان الحق في تقرير مصيره ضمن حدوده القديمة . ب ــ تاليف المساعي مع العمل القائم في الاقطار العربية الاخرى ، لتامين الاتحاد بين هذه الاقطار ، على ان لا يحول هذا المسعى دون الاهداف الواجب بلوغها في كل قطر . ومن مقارنة هذا النص الذي وضع في عام ١٩٣٢ بالمادة ٢ من الدستور الذي وضعه الوطنيون انفسهم في عام ١٩٢٨ يتضح ان ثمة تعديلا طرا على تفكيرهم وعلى اهدافهم نفسها . فقـد نصت المادة الثانية من الدستور على ما يلي : «ان البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية ذات وحدة سياسية لا تتجزأ ولا عبرة لكل تجزئة طرات عليها منذ نهاية الحرب حتى اليوم» كما تلاحظ ان المبادىء العامة قد صيغت بعبارات توهم بأنها مبادىء

مفررة ، موضع ايمان في حين يتضح بعد الامعان انها اهداف . واذا كانت المرحلة الوطنية تبرر لرجال الكتلة من اجل حشد الجهود «اعتبار الامة جمعاء بكل ما لديها من قوة معنوية مادية وقف على الجهاد الوطني حتى تبلغ اهدافها» الا ان اخطر ما في تلك المبادىء العامة التي وضعتها الكتلة هي تلك المادة التي تنصب فيها نفسها وصية على الامة وان جهودها وحدها هي الجهود الصحيحة وادانتها تبعا لذلك تأليف الاحزاب واعتبارها مخالفة لوحدة الجهود (١٢) .

لئن كانت الكتلة الوطنية قد ضمت اتجاهات وتيارات مختلفة وانتهى بقيامها دور بعض الاحزاب : حزب الاستقلال ، حزب الشعب ، حزب الوطني السوري، اللجنة العليا .. لان اهم العناصر في تلك الاحزاب قد سارت تحت علم الكتلة، ونصبت نفسها زعيمة البلاد والناطقة باسمها ، والتي تتجسد فيها وحدهـا أمانيها .. الا ان ذلك لم يحل دون تكاثر الاحزاب في البلاد ، حتى لقد شهدت دمشق نفسها «منذ عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٤ ما يزيد على خمسة وعشريـن حزبا ..» (١٣) لم يحتفظ اي منها بعد هذا العام بأي كيان سياسـي وتلاشت جميعها .

من هذه الاحزاب حزب الاصلاح الذي الفه حقي العظم ليكون سندا له فـي الحكم وغايته السعي وراء استقلال سوريا بالطرق والاساليب الحكيمة والتعجل في سن قانون اساسي يضمن للامة حريتها واستقلالها على اساس دستوري نيابي والعمل على التوفيق بين الاحزاب المختلفة لتوجيه القوى الوطنية نحو الغايـة المشتركة وهي السعي لتحقيق الوحدة السورية (١٤) . وكان يضم طائفة مـن كبار الموظفين وشعاره ان يقبل من السلطة المنتدبة ما يمكن الحصول عليه .

ومنها حزب الاتحاد الوطني وكان عماده عدد من الموظفين والضباط المتقاعدين وراسه سعيد محاسن الذي شغل منصب وزير الداخلية في حكومة الشيخ تاج .. وثالث هذه الاحزاب او التجمعات هم الملكيون وكانوا عدة فئات : الحزب الملكي وأكثر اعضائه من المحاربين القدماء وحزب الامة او حزب الامة الملكي ورئيسـه عارف باشا الادلبي من كبار الضباط في العهد العثماني وضم بعض السراة مـن عائلات دمشق القديمة (١٥) . والفئة الثالثة هي الرابطة الوطنية الملكية وقـد اذاعت بيانا بمناسبة دخولها انتخابات ١٩٣٢ دعت فيه الى عقد معاهدة مع فرنسا «لبلوغ الاستقرار السياسي والاداري والانتعاش الاقتصادي» كما دعت الى الاخذ بالنظام الملكي الدستوري بما «قد ينتج عنه في المستقبل الاتحاد مع القطر العراقي الشقيق اقتصاديا وسياسيا فيساعد على انقاذ سوريا من ازمتها الاقتصادية»(١٦).

الامر الذي يلفت النظر حقا في تعدد هذه الهيئات التي اطلقت على نفسهـا اسم احزاب والتي لا تخرج عن كونها كتلا شخصية محلية كان يكفـي فيها ان يجتمع عدد من الاشخاص لا يتجاوزون أصابع اليدين في احدى الدور او المقاهي العامة ، يتداولون الحديث والمسايرات ثم يخرجون على الناس معلنين فـي الصحف ولادة حزب جديد ، هو ان هذا التعدد جاء في مرحلة الانتخابات الى

الجمعية التأسيسية او اعداد الدستور وهي المرحلة التي كانت تتجمع فيها البلاد حول الكتلة الوطنية لتظهر بمظهر المتماسك القوي . وقد تنبه بعض الناس الى خطر استفحال الخلافات الحزبية وغرضها من النيل من اعضاء الجمعية التأسيسية فنشطوا لايجاد التوازن بين الاحزاب والوصول الى صلح حقيقي بينها واذا تعذر ذلك فعقد ائتلاف يمتد حتى تصل سفينة الوطن الى ساحل السلامة . وقد وقفوا لايقاف العدوان الحزبي عند حد وكان من رأيهم - مع الايمان بنظرية تشكيل الاحزاب وفائدتها في البلاد المتمتعة بسيادتها ، أن تعددها مضر في بلاد يضغط عليها الكابوس الاجنبي وليس لها في امرها شيء ولذا فالواجب يقضي على الامة ان تكون صفا واحدا وكتلة واحدة (١٧) .

***

كانت هذه الاحزاب تطلق على نفسها صفة الاعتدال مقابل صفة التطرف التي تطلقها على «الوطنيين» او الكتلة الوطنية (١٨) . وكانت تدعو الى التعاون النزيه وهو شعار المرحلة الذي رفعه المفوض السامي . على ان الكتلة الوطنية لم تكن ضد هذا الشعار ولم تكن ضد الاعتدال . لم تكن هذه الاحزاب والتكتلات في حقيقة الامر مختلفة كثيرا في برامجها والمنتسبين اليها، كانت الفروق بين الزعماء وفي مستواهم ونوعياتهم ومطامحهم ومطامعهم الشخصية (١٩) لا في تلك العموميات التي تطرح للدعاية على الشعب .

وعلى هذا فان مطالب الوفود التي كانت تتشكل بإيحاء من هؤلاء الاشخاص البارزين على المسرح ، لم تكن تختلف وان اختلفت علاقة هؤلاء الاشخاص بالقضية. بل كثيرا ما كانت مطالب الوفود المنتمية للعناصر المؤيدة للانتداب أشد تطرفا (٢٠). ولم يكن الداماد او صبحي بركات او الشيخ التاج او محمد علي العابد بل وحتى حقي العظم احيانا ، في المطالب المعلنة والبرامج المذاعة ، أقل «كرما» من غيرهم، من «الوطنيين المتطرفين» فقد اتخذ عدد من قادة الثورة برنامج وزارة الداماد الاولى اساسا لصياغة الميثاق الوطني .. وانما العبرة بما كان يقال لدوائر الانتداب في الخفاء وما كان يجري من ارتباطات فردية بين هؤلاء العاملين في الحقل السياسي ورجالات فرنسا المتنفذين في المشرق نفسه او في دوائر السياسة في فرنسا . ولم يكن الامر بخاف على المطلعين . فقد كتب احد المعلقين السياسيين . على اثر انشقاق اللجنة التنفيذية وقيام حزب جديد : «اذن لا شيء جديد في هذه غير اسمائها اما الاشخاص وعددهم محدود جدا فهم يتنقلون من هيئة الى هيئة من غير ان يقولوا كلمة واحدة عن خطة عملية جديدة توصل الى الغاية المنشودة وتبرر عمل الذين يحبون طلاوة الجديد ويجدون لذة في التنقل . اذن ليس هناك اختلاف في المبدأ او على الغاية فالنتيجة المنطقية ان هناك عداء شخصيا وغايات شخصية يسعى اخواننا الكرام لتحقيقها تحت ستار

الوطنية » (٢١) .

كانت تلك الاحزاب والتكتلات .. مظهرا يدل في حقيقته وخفاياه على عمق الصراع على سوريا . كان احد أوجيه منذ القديم اوربيا ، وأعني به التنافس بين دول اوربا وخاصة بين فرنسا وانكلترا على النفوذ السياسي والاقتصادي . وفي تلك الفترة التي نعني بدراستها والتي كانت تحرص فيها فرنسا على حل المشكلة السورية ، ايفاء بالتزاماتها الدولية ، مع تحريها للشكل الافضل لتامين مصالحها، كان مدار الصراع بين تياري نظام الحكم الاساسيين : الملكي والجمهوري . ولم تكن فرنسا بعيدة عن ذلك فقد كانت تلك النشاطات تقدم ، لسياستها التجريبية، مجالا لحرية الاختيار . فلعل ملامح الدعوة الى النظام الملكي ، سواء اكانت تعبيرا عن طموحات دولة ام فرد ، تلقي ، هنا ، وضوحا على تكوين سوريا الحديث .

اولا — لم ينس السوريون تلك الفترة «الاستقلالية» التي اعطي فيها الحكم ، في الظاهر . للامير فيصل وتلك المشاعر التي نمت بدخول «جيش الشريف» والتي لعبت دورها في اقناعهم بأن جميع الآمال التي طافت بخيالهم ابان العمل السري في ظل الدولة العثمانية الطاغية قد تحققت في هذه الفترة . ولم تترك الظروف الدولية وتنفيذ الاتفاقات السرية مجالا لاظهار الحقيقة الخافية لاعين الناس ، اذ عاجلت «الملك فيصل» باخراجه من سوريا . ولجأ بعض الذين خرجوا معه بداية الى فلسطين ثم تجمعوا ، يتربصون ، في الاردن الذي دخله الامير عبد الله بجيش من البدو ، كانت دعايته اضخم من حقيقته واعلن عزمه على الزحف الى سوريا لطرد الفرنسيين . في حين كان الانجليز قد اخذوا عليه ، وهو يضطلع بمسؤولية ادارة المنطقة في عمان ، عهدا بالاعتراف بالانتداب البريطاني وبالتخلي عن عزمه الذي جاهر به في محاولة الدخول الى سوريا (٢٢) . وكان هذا بالتأكيد هـو السبب الخفي الذي لجم دائما حماس عبد الله «الخطابي» وحار الوطنيون في فهمه (٢٣) .

وعندما تمت اجراءات تعيين فيصل ملكا على العراق انشدت اليه الاذهان وتطلعت الابصار . وانطلت خدعة الاستقلال الممنوح للعراق والمعاهدة والشكل الدستوري على الوطنيين السوريين فرنا معظمهم الى عقد معاهدة مع فرنسا على نسق المعاهدة البريطانية — العراقية وخاصة ما انتهى اليه نضال العراق في عام ١٩٣٠ التي انهت الانتداب (٢٤) . وفضلا عن هذا ، وعن مد الملك يده بالمساعدة المادية لبعض السوريين وبقائه على صلة دائمة معهم وتغذية بعض الصحف (٢٥) ، فان تعاطف رجالات العراق مع نضال سوريا عامة وقيام بعضهم بتقديم معونة مادية لبعض السوريين (٢٦) جعل العراق قبلة انظار السوريين بل اطلقوا عليه اسم بيمونت العرب Piemont وعقدوا عليه آمالهم فاصبحت بغداد كما كانت دمشق محطا لرجال العرب وملتقى لزعمائهم ومفكريهم (٢٧) . والى جانب تواتر الاشاعات والانباء عن عودة الملك فيصل الى سوريا ونفيها تارة وتأكيدها اخرى(٢٨) فقد قام السوريون اكثر من مرة بتوقيع التوكيلات له ، لتفويضه بمعالجة

القضية السورية وايجاد حل لها (٢٩) .

وانبرى الكتاب يؤكدون ميل السوريين للنظام الملكي . فقد كتب بيير لامازيار Pierre Lamaziére احد الفرنسيين البارزين «ان السواد الاعظم من سكان سوريا ، حيث تمتزج صفوة اعيانها من جميع الطبقات من السكان يتوق الى العيش تحت حكم امير يرقي العرش في دمشق تحت حمايتنا ويتعاون بالعمل مع ممثلينا ومستشارينا الفنيين للحكم في تلك البلاد .. فالسوريون يسرهم ان يكونوا اتباعا لشخص يتمتع بصفتين : النسب والغنى ..» (٣٠) . والنظام الملكي هو وحده النظام الموافق لتقاليد البلاد واماني السكان ومتطلبات الحكم المستقر (٣١) . وقد تماشى مع ازمة الجمعية التأسيسية والدستور نشاط بعض الشخصيات في سوريا باسم الحزب الملكي وبذل الدعاية للملكية . وانتشرت الاشاعات عن تنظيم العرائض في الشمال وتوقيعها تأييدا للمبدأ الملكي لتقدم الى رئاسة المجلس التاسيسي ورئاسة الوزارة والمفوضية العليا . ونشرت جريدة الملكيين في دمشق عريضة قالت ان البصر يزوغ لكثرة التواقيع فيها بينها تواقيع حوالي مائة من الناخبين الثانويين تستنكر النص على ان يكون شكل الحكم جمهوريا في الدستور وتطالب بأن يكون ملكيا : ١ – لأن الامير في عرف الاسلام ليس بالعامل المأجور لمدة معينة . ٢ – لان الحكم الجمهوري لا يلتئم مع روحية البلاد . ٣ – لان الاكثرية الساحقة مسلمة والاسلام لا يتعرف على غير شكل الحكم الملكي (٣٢) ووجهت نصا لاستفتاء عام من علماء الاسلام ومفتيه تطلب منهم ان يقولوا رأيهم في نظام الحكم الملائم للبلاد وقامت احدى الصحف الموالية للانتداب باجراء تحقيق الا انه لم يسفر عن نتائج واضحة (٣٣) وكان ابرز الآراء في ذلك راي الشيخ تاج الدين ، الذي ربط في دعوته للملكية الدستورية بين التقاليد الشرقية وحاجة البلاد الى الهدوء ومصلحة فرنسا فهي حل مفيد لفرنسا وللبلاد على حد سواء يجنبهما ما تبعثه عملية انتخابات الرئاسة كل ثلاث سنين من قلق واضطراب . ان عصر التجارب الادارية يجب ان ينتهي وقد آن الاوان لاتخاذ قرار في ذلك فلا بد لسوريا من امير دستوري يكون متمتعا باعتبار عظيم قبل تسنمه للعرش . فضلا عن تمتعه بجميع الصفات الضرورية وارتباطه بدستور موضوع من قبل البرلمان (٣٤) .

ويستدل من انباء الصحف ومن التصريحات ان ترشيح احد الهاشميين للعرش في سوريا يكاد ان يكون جديا وعلى وشك البت فيه ، في اعقاب ازمة الدستور في سوريا . فقد سأل الصحفيون رستم حيدر ، رئيس الامناء في بلاط العراق عما تناقلته صحف فلسطين عنه عن تنصيب فيصل ملكا على سوريا او جمعه بين التاجيين فأيد ما ذكرته وقال ان في التاريخ امثلة تؤيد امكان قيام وحدة بين سوريا والعراق كأسوج ونروج فقد خضع القطران لملك واحد هذا عدا عن ان وسائل الاتحاد ممهدة بين القطرين كوحدة اللغة والعادات والاخلاق والآمال والتاريخ . ولدى سؤاله عن امكانية ذلك مع اختلاف الانتدابين هنا وهناك قال :

«اعتدنا ان ننظر الى منافعنا نظر الاجنبي الغريب اليها ضاربين بالنظرة القومية الخالصة عرض الحائط في حين ان علينا ان لا نفكر الا في ما ينفعنا ومع هذا فالامة العربية صديقة الانجليز وصديقة الفرنسيين وما ينفع الامة العربية يجب الا يجد مقاومة من اصدقائنا الانجليز والفرنسيين . ذلك فضلا عن ان تقارب البلدين يصونهما في المستقبل من كل طارىء ويؤيد منافعهما المادية والمعنوية» (٣٥) .

وهكذا راحت انباء جلوس فيصل على عرش سوريا ، منذ سفره الى أوروبا تشغل الناس (٣٦) ولم تقف المسألة عند التصريحات والشائعات وانما تعدتها الى الكتاب والشعراء (٣٧) . ولدى استطلاع راي فارس الخوري لم ينف المسألة بل قال ان السعي بذلك لا يمكن الا ان يصدر منا نحن كما نفى ان يكون قد دعي الى باريس من اجل الوحدة مع العراق . ولكنه ذكر ان مسألة وحدة العراق وسوريا كانت من المباسطات والمباحثات التي دارت بينه وبين بعض رجال السياسة في باريس ومصدر هذه الفكرة هو البحث في ترشيح جلالة الملك علي لعرش سوريا فلما اخذت الاقلام تعالج هذا الموضوع اصبح البعض يتساءل ولماذا اذن كانت هناك نية انشاء عرش في سوريا لا يلي هذا العرش جلالة ملك العراق . من هنا نشأت هذه الفكرة وأصبح الباحثون يبحثون فيها . وهو لا يستطيع القول عما اذا كانت البلاد تجمع على هذا قبل ان يصل الى سوريا ولكنه ذكر فوائد هذا الامر «اذ انه يفتح أمامنا الباب الى الشرق الاوسط والاقصى ويفتح امام العراق الباب الى البحر المتوسط فأوربا ثم ذكر مثل اسوج والنرويج على امكانية وحدة البلدين تحت تاج واحد . وقال انه قابل فيصلا وان فيصلا كان من رأيه انه على سوريا ان تفصل بنفسها في الامر» (٣٨) .

صحيح ان الديوان الاميري في عمان ، عندما تناقلت الصحف انباء الخلاف بين اعضاء الاسرة الهاشمية على العرش السوري ، نفى وقوع اي خلاف واعتبر المسألة من حقوق شعب سوريا الرشيد ، لكنه لم ينف فكرة اسناد عرش سوريا لاحد اعضاء الاسرة (٣٩) كذلك نفى قلم المطبوعات في بغداد بيانه عن «قضية العرش السوري» وجود اي خلاف ، كما نفى تدخل بغداد في شؤون سوريا اذ ان للسوريون من الجدارة والكفاءة في تقدير مصلحة بلادهم ما لا يعوزهم للتدخل في شؤون القطر السوري ولكنه لم ينف اسناد العرش لفيصل (٤٠) . وعندما مر الملك بدرعا وهو في طريقه الى بغداد لقضاء شهر رمضان واوفد المفوض السامي مندوبه يدعوه الى بيروت ، وكانت الدعوة الى الملكية ناشطة في دمشق «ويدور على السنة الناس ان النظام الملكي أوفق لهذه البلاد من كل نظام» اجاب مرافقه مراسل المقطم على سؤاله ، قائلا : «قل ان الآمال عظيمة جدا بتحقيق احلام الحالمين بالملك في دمشق واجلاس جلالة الملك علي على عرش سوريا» (٤١) .



وعلى كل حال كان ساسة سوريا يعلقون أملا عظيما في دعم قضيتهم بل ومن اجلها على المؤتمر العربي العام الذي كان من المنوي عقده في بغداد . وكــــان المرتبطون منهم بالعراق يعملون جاهدين سرا وعلنا على تحقيق ذلك (٤٢) . وقد شكلت لجنة تحضيرية لهذا الغرض . وكلما كان موعد انعقاده يوشك ان يحدد وان تصدر الدعوة اليه اذا بالعراقيل تنبع من هنا وهناك فيتاجل وتبدأ المساعي من جديد (٤٣) . يروي اسعد داغر ان اللجنة اوفدته مرة الى بغداد للاتصال بالملك وبرجالات العراق فاقترح بالاتفاق معه اختيار خمسة من رجال الوطنية في العراق على ان يسمي مثلهم من كل قطر بالتفاهم مع لجنة العراق ليتألف من المجموع لجنة سرية تتوفر لها جميع الوسائل المادية للعمل . وبحث تدارك مبلغ ٨٠ الى ٩٠ الف جنيه لتاليف هذه اللجنة من الاقطار العربية جميعها (٤٤) وكلفوه ابلاغها الى الراي العام في سوريا وهذا نصها :

«نحن الموقعين اسماءنا أدناه نعلن ان العراق اضطر الى انتهاج السياســـة الاقليمية اضطرارا لكي يتمكن من تحطيم القيود التي تغل يده عن العمل في حقل القضية العربية وقد وفق الى ذلك بعد ان اوصل قضيته الى مرحلة لا بد له فيها من التريث والتحفز للوثبة المقبلة التي يسترد بها حريته الكاملة واستقلاله التام . ولذلك رأينا تاليف لجنة منا تعمل باسم العراق على انقاذ سوريا وتحقيق آمال العرب في مختلف اقطارهم . على ان ينضم اليها فريق من اخواننا الوطنيين باسم الاقطار العربية الاخرى للعمل معا في هذا المضمار . ويهمنا أن نرجو من اخواننا السوريين بنوع خاص المثابرة في جهادهم وتوحيد صفوفهم وعدم تسرب اليأس الى نفوسهم والاعتماد على العراق خاصة والشعوب العربية عامة في تذليــــل العقبات القائمة على طريق حريتهم واستقلالهم . ولا يخامرنا شك في ان رجالات العرب العاملين الان في حقل السياسة الاقليمية يجب ان يواصلوا جهودهم في خدمة هذه السياسة التي عادت علينا بفوائد كبيرة وان كنا لجأنا اليها مضطرين»

الامضاءات .

وانهالت برقيات التهنئة والتحبيذ والتشجيع على العراق من رجالات العرب في البلاد العربية وفي المهاجر . وابرق جماعة المطالبين بالملكية لسوريا برقيات الى الخارجية الفرنسية والى الصحف قالوا فيها ان الاكثرية الساحقة في الامة السورية ترفض الحكم الجمهوري لانه مغاير لتقاليدها وشرائعها رفضا باتا وتطلب ان يكون الحكم ملكيا دستوريا (٤٥) واستصدر الملكيون فتوى شرعية بالنظام الملكي الدستوري . وذكروا بالقرار التاريخي الذي اتخذه المؤتمر السوري حينما جمع بين ممثلي البلاد السورية على نطاق اوسع وقال كلمته في جو أوفر حرية وكان بين اعضائه هاشم الاتاسي الذي يقود الكتلة الوطنية ويراس الجمعية التأسيسية التي اقرت النظام الجمهوري (٤٦) . واذاعوا بيانا بالمبادىء والاصلاحات والبرامج التي سيعملون على تطبيقها ؛ مؤلفا من ٤٨ بندا اهمها وحدة البلاد السورية وعدم جواز التنازل عن شيء من اراضيها وعقد معاهدة على أساس السيادة القوميـــة

وتأليف جيش وطني وإبطال العمل بالقوانين والانظمة الصادرة منذ جلاء الاتراك واخراج جميع الاجانب الموظفين ما عدا الاختصاصيين الذين لا يستغنى عنهم(٤٧).



منذ زمن مبكر ، احس السوريون خاصة والعرب عامة بأن الخلاف بين عبد العزيز آل سعود والحسين ضار بقضيتهم . فبذلوا جهودا كثيرة للتقريب بين هذين « الزعيمين » . فقد اختار الذين لجأوا منهم الى مصر ، بعد الاحتلال الفرنسي ، وكانوا من مختلف الاحزاب الاستقلالية ، لجنة من بينهم اسموها «لجنة الصلة بين الاحزاب» لمواصلة الكفاح السياسي ، بينما تولى النازحون الى الاردن قيادة الكفاح العسكري . وتشكلت هذه اللجنة من ١٥ عضوا وكان اول قرار لها تأليف وفد لزيارة عمان ومكة والرياض سعيا وراء التوفيق بين الحسين وابن سعود وما لبثت هذه اللجنة حتى تفرقت «وخيل الينا من ذلك الحين ان اصابع الاجانب قد بدأت تندس بيننا» (٤٨) . وانقسم سياسيو المشرق العربي بين الولاء لهذا او الولاء لذاك .

يعلل اسعد داغر انصراف بعض السياسيين السوريين الى السعودية بوفاة الملك فيصل التي كانت نقطة تحول في تاريخ القضية العربية «فبدأت الانظار تنصرف عن العراق باحثة عن امل جديد ..» (٤٩) والحقيقة ان انصراف أولئك الوطنيين الذين يعنيهم ، الى ابن سعود ، كان قبل ذلك بكثير ، كان قبل ان يظهر فيصل كزعيم ، عندما وقف القوميون العرب في سوريا وفي آسيا الصغرى لتنصيب ابن سعود ، وهو ما يزال في نجد بعد ، زعيما للحلف الذي عمل طالب النقيب في العراق على تهيئته من حكام الكويت وامير مكة وحاكم نجد ابن سعود وابن رشيد شيخ بني شمر والعجيمي شيخ قبائل المنتفك ، للثورة ضد الاتراك. وقد كون الوطنيون السوريون كتلة سرية لتنفيذ خطة الاتصال بابن سعود بين اعضائها شكري القوتلي وخير الدين الزركلي ويوسف يسين وخالد الحكيم وكامل القصاب وكلهم من رجالات حزب الفتاة (٥٠) . ومن هنا كان سبب اخفاق الفتاة التي ارتبطت بالثورة ضد الاتراك بفيصل والتي انقلبت فيما بعد الى حزب الاستقلال ، في تنفيذ خططها لصالح عودة فيصل الى سوريا ولصالح الوحدة مع العراق ، لان هذا الجناح الذي يمثله شكري القوتلي ، وان ظل على اتصال بالملك فيصل في العراق الا انه كان يحبط اية مساعي جدية تنفيذا لارتباطه الثابت بالسعودية . حتى حزب الاحزاب الذي شكله الشيخ كامل القصاب ، في ظل الحماس العارم لمواجهة الفرنسيين عام ١٩٢٠ ، كانت له مهمة اخرى ايضا غير معلنة ، متعلقة بالصلة بسلطان نجد .

لم تخف فوائد لعبة التوازن في سياسة المنطقة على فرنسا بين السعوديين والهاشميين وان كان هؤلاء وأولئك يتحركون في اطار استراتيجية سياسة واحدة،

هي السياسة البريطانية . فكانت فرنسا اول من اعترفت بالملك عبد العزيز عندما نودي به ملكا على الحجاز في يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ وأهدت الى نجله فيصل اللجيون دنور Légion d'honneur من مرتبة كومندور قدمه اليه في جدة قائد اليخت الفرنسي ديانا والقنصل . وكان التقدير متبادلا فقد اكرم الملك عبد العزيز مندوبي الفرنسيين ورسلهم حينما زاروه في الرياض وسمحت له سلطات الانتداب على الاثر بانشاء وكالة رسمية سعودية في دمشق كانت اول وكالة في العالم العربي ولم تنشأ في القاهرة الا بعد عام ١٩٢٦ . ونظمت اول معاهدة تعقد بين الطرفين ، في دمشق العلاقات التجارية والاقتصادية بين سوريا ونجد . ومنح الفرنسيون النجديين حق التقاضي امام المحاكم الاجنبية وهو مما اختص به رعايا الدول ذات الامتيازات الاجنبية في البلاد العثمانية . غير انهم عادوا فنزعوا هذا الحق منهم عام ١٩٣١ بسبب الانتقادات الشديدة التي وجهت اليهم (٥١) . وانتهت مفاوضات قنصل فرنسا مع الحكومة السعودية الى توقيع معاهدة في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣١ جاء في مقدمتها «ان حكومة جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة والحكومة الفرنسية نيابة عن سوريا ولبنان من جهة اخرى . رغبة منهما في توثيق الصلات والعلاقات الحسنة بين دول سوريا ولبنان وبين حكومة الحجاز وملحقاتها ، قررنا عقد اتفاق لهذه الغاية...» وجاء في المادة الاولى ما نصه «على حكومة الحجاز وملحقاتها ونجد وتوابعها وعلى دول سوريا ولبنان ان تكون في كل حين بأحسن العلاقات الودية فلا تساعد على اجراء اي عمل من شأنه الاخلال بالسلام والامن العام في اراضي كل منهما ولا تغض الطرف عنه» ومعنى هذا هو الاعتراف بالوضع الراهن في سوريا ولبنان(٥٢).

ولم يقف التقارب في السياسة العربية بين الحكومتين السعودية والفرنسية عند هذا الحد . ومن الظواهر التي يستدل بها على استحكام صلات المودة بين الحكومتين ما قامت به الحكومة الفرنسية من تسليم السعودية ايرادات أوقاف الحرمين في تونس بل وقيل ان هناك مباحثات تدور لتسليمها ايرادات هذه الاوقاف في بلاد الشام والجزائر والمغرب . وثمة بلاغ رسمي يشير الى ان الحكومة السعودية «تلقت مئة الف فرنك عن طريق المفوضية الفرنسيةبجدة مرسلة من حكومة تونس الصر المعتاد ارساله سنويا يوزع على مستحقيه من اهل الحرمين . وقد سلم هذا المبلغ الى لجنة الصدقات وجمعية المطالبة بأوقاف الحرمين لتوزيعه على مستحقيه حسب شروط الواقف وكذلك وصل مبلغ خمسين الف فرنك من حكومة باي تونس نفسها وهذا مقابل الصر لسنة ١٣٥٢ وسيسلم الى الهيئة المشار اليها لتوزيعه على مستحقيه» (٥٣) .

هذا في حين ان الحكومة العراقية ابلغت السلطات الفرنسية في سوريا . انها مع شديد رغبتها في عقد اتفاق اقتصادي بين سوريا والعراق ومع اعترافها بشدة الحاجة اليه ، ترى وجوب التريث ، لان زعماء الاحزاب السياسية في العراق واقطاب برلمانه يقاومونه حين عرضه على البرلمان ولا يقرونه لانه صادر من

سلطة الانتداب . اذ ان العراق لم يعترف بالانتداب في بلاده حتى يجوز له ان يعترف بوجوده في بلد عربي آخر . ومن هنا كان عدم ابرامـــــه مع الانتداب الفرنسي اي اتفاق (٥٤) .

في ظل هذا الوئام نشطت الدعاية للسعودية ولتنصيب احد ابناء الملك عبد العزيز كحل للقضية السورية .وكثرت في ذلك التكهنات والاقاويل والاشاعـــات وخاصة لتفسير تحركات مؤيدي السياسة السعودية من أمثال الشيخ كامـــل القصاب وشكري القوتلي وخالد الحكيم (٥٥) . وولى كل من مؤيدي السياسة السعودية والهاشمية انظارهم شطر المجاهدين في الصحراء لكسب تأييدهم لهذا الجانب او ذاك امتدادا للانقسامات في اللجنة التنفيذية او للتيارات المتضاربة في البـلاد .

وفي أثناء ازمة الجمعية التأسيسية والدستور وتوجس فرنسا من تطـــور الاوضاع في العراق والاردن وأثره على سوريا زادت العلاقات تحسنا بين فرنسا والسعودية مما جعل وكيل خارجية السعودية (فؤاد حمزة) يؤكد للصحفيين في بيروت ان الملك عبد العزيز هو الصديق الحميم لفرنسا (٥٦) . حينئذ حاول بعض الوطنيين استغلال هذه الصداقة لحمل ابن سعود على الضغط على فرنسا . حتى لقد تكهن البعض بأن مهمة وكيل الخارجية السعودية الى فرنسا كانت لاقنـــاع الحكومة الفرنسية بالتساهل مع الوطنيين . وعلى اثر كثرة زيارة الساســـة السوريين واجتماعاتهم الى الملك ورجال الحكومة اذاعت السلطات الفرنسيـــة بدمشق بيانا جاء فيه ان الحكومة الفرنسية سألت الحكومة السعودية عن غاية الوفود السورية من المجيء الى مكة فردت عليها انها لزيارة الاماكن المقدسة فقط وانه ليس في استطاعة الحكومة ان تمنع الوافدين لمثل هذه الغاية (٥٧) .

لم يقتصر نشاط الدعوة الى النظام الملكي على تنازع الاتجاهين الهاشمـــي والسعودي على النفوذ في سوريا وانما تعداه الى الدعوة للافراد . فمنذ الاحتلال الفرنسي ومغادرة فيصل اخذت مسألة نظام الحكم في سوريا تشغل الرأي العام وتتقمص الدعوة اليه ، كل حين ، شخصية جديدة . وكان اظهر الذين برزوا لذلك هم : الامير سعيد الجزائري والداماد احمد نامي والسيد نسيب البكـري «احد زعماء الحركة القومية ضد الاتراك والذي ضاهى بأعماله سمو الامير فيصل في ابان ثورة الحجاز وأحد المحكوم عليهم بالاعدام في عهـــد جمال باشا» (٥٨) ، والامير عادل بن عياد وعلي حيدر باشا (احد الشرفاء) والخديوي عباس حلمـــي وآخرون ..! وحول كل منهم كانت تقوم ضجة بعض الحين ثم تخفت لتقوم حول آخر .. وفقا للظروف وربما تبعا لصعود مؤيديه من رجالات فرنسا الاستعماريين او أفول نجمهم . كما سعى بعضهم الى كسب تأييد صحيفة او اكثر تنطق باسمه في المشرق او في فرنسا وسويسرا الى جانب عدد من الكتاب والسياسيين الذين يدعون له ويمدونه بالمشورة . ولجأ الانصار الى توقيع مضابط تطالب بتسميـــة مرشحهم اميرا على البلاد السورية (٥٩) .

كان احتدام الدعوة الى النظام الملكي وتسمية مرشح لعرش سوريا يتجلى بل

ويماشي المطالبة بالدستور وبالتالي عقد معاهدة مع فرنسا تحل محل الانتداب . ولعل اغنى فترة بمثل هذا النشاط ، هي الفترة الواقعة بين ١٩٢٨ و١٩٣٣ اي فترة وضع النظام الاساسي والنزاع الذي ثار حوله بين الوطنيين والانتداب . ذلك ان فرنسا التي كان يهمها ان تنسج في سوريا على منوال انكلترا والعراق ، كانت كلما همت بالاقدام على خطوة عقد معاهدة مع السوريين لانهاء الانتداب تحسرت على عدم وجود «زعيم» او امير توليه ثقتها في سوريا (٦٠) . ومن هنا كان تقدم المرشحين لتولي العرش في سوريا انطلاقا من ثقة فرنسا بهم . واستنادا للخدمات التي قدموها . فبينما كان المفوض السامي يتدارس مع الداماد مسألة الانتخابات للجمعية التاسيسية والاوجه العديدة للمسألة الدستورية كشف له فجأة عن مطامحه الملكية وان كانت آراء المقربين اليه قد فضحتها منذ زمن بعيد (٦١) وواجهه برسالة من دي جوفنيل اليه يستدل منها تشجيعه على المضي نحو تحقيق اهدافه الملكية (٦٢) . وعندما نشبت ازمة الحكم في أعقاب الانتخابات للجمعية التاسيسية راح يثير حملة من البرقيات تأييدا له خاصة من الشمال ومن الاسكندرونة . من الواضح انها مرتبة لانها تكاد ان تكون على نسق واحد وبهدف واحد هو مباركة ثقة فرنسا بالداماد وقدرته على ايجاد حل للقضية السورية (٦٣).

وفي اثناء ذلك نشطت دعاية عادل بن عياد . وعشية الجلسة الجديدة للجنة الانتدابات في عصبة الامم حيث كانت ستطرح مسألة دستور سوريا رأت بعض الصحف الموالية للانتداب ان تسأله بواسطة مراسلها في باريس . وهو «احد المرشحين البارزين للعرش في سوريا» (٦٤) . بل انه على حد قول بيير كوستو Pierre Costot بعد غربلة اسماء جميع الذين يطمعون في عرش سوريا ويستطيعون ان يخدموا فرنسا فيها يرجح على سواه (٦٥) . فهو يجمع صفات الماضي الى مؤهلات الحاضر . فقد قال وهو يعرض مزاياه للراي العام : «الذين يعتقدون انني أعتمد على سلالة محتدي فحسب يخطئون فانا ابن القرن العشرين واعرف ان الاعتماد على مثل ذلك وحده لا يكفي . ان رجل الحكم يسيء الى البلاد اذا لم يكن يملك جميع المؤهلات والصفات والثقافة الضرورية ..» وكان برنامجه يقوم على : ١ ــ احترام الوضع الحالي في البلاد اي مبدأ الانتداب مع استهداف التهيئة لتحرر تدريجي لسوريا مطابق لاماني اهاليها ، ٢ ــ سياسة اقتصادية لتنمية جميع الموارد والمنتجات الزراعية والتجارية بمساعدة الدولة المنتدبةورؤوس الاموال المحلية والاجنبية ، ٣ ــ وفي نهاية فترة الانتداب ، بعد وضع سوريا على الطريق المؤدي الى استقلالها الوطني بادارة عاقلة حكيمة وجديرة فعلا بظروفها الاجتماعية ، العمل على انشاء حلف دائم ومخلص بين الدولتين والامتين : السورية والفرنسية (٦٦) .

وجاء الامير عبد المجيد حيدر بن الشريف علي حيدر ، الذي تطوع بأن يأخذ على عاتقه القيام بعمل فعال بين عرب سوريا لمحاربة مؤامرات فيصل وعبد الله (٦٧) ، ليعارض اقرار النظام الجمهوري وبالاستناد الى علاقته بفرنسا وما أزجاه لها من خدمات في اول عهدها في سوريا وخاصة ما بذله من مساعي

لتفادي قيام الثورة على الحكم الفرنسي ثم لانهاء الثورة عندما نشبت ، تقدم بمشروع (٦٨) لتطبيق النظام الملكي يوضح فيه كيف يتسنى لسلطات الانتداب ايصاله الى عرش سوريا بل كيف يجب على الدولة المنتدبة ان تستخدم نفوذها لتأسيس الملكية ثم تزفه الى عرشها وقد قام انصاره بحملة كبيرة لصالحه كانت فعالة وصادفت نجاحا كبيرا (٦٩) .

فيما عدا فترات معينة من أوائل عهد الاحتلال ، لم تكن الحركات والتيارات الداعية الى النظام الملكي والى الخلافة (٧٠) ، وحتى الرؤوس الفعالة ، الفائدة ، بعيدة عن دوائر الانتداب . ان المفوض السامي ، لم يتمالك ، امام لجنة الانتدابات ، من امتداح الاحزاب المعتدلة وعلى رأسها الحزب الملكي . ومن برنامج هذا الحزب ومن تكوينه جبهة مع حزبي الاتحاد والاصلاح (الانتدابيين) منذ ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٢٩ اي في معمعان ازمة الجمعية التأسيسية مع الانتداب ، لمعارضة الكتلة الوطنية ، يتضح انه لا ينطلق من الاعتراف بالانتداب فحسب بل يعمل بالتفاهم والتعاون مع سلطاته فقد صرح رئيسه علنا بقوله : «اذا كان خصومنا يظهرون امتعاضهم من ان حزبنا يدعو الى سياسة التعاون مع الانتداب فان هؤلاء الخصوم انفسهم قد اعلنوا بلسان الامير شكيب ارسلان انهم من مؤيدي التعاون في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨» (٧١) وان كانت مبادىء هذا الحزب المعلنة للناس غاية في الوطنية .. غير ان خطباءه كانوا في كل مناسبة يختمون كلامهم الحماسي ، الملتهب ، بتحية سوريا حرة مستقلة وتحية فرنسا وتحية التعاون والتفاهم البريء ، النزيه (٧٢) .

والغريب ان يشتد هذا النشاط بعد ان أقرت الجمعية التأسيسية النظام الجمهوري . ومع ان عارف باشا الادلبي زعيم الملكيين كان يقول ان هدف الحزب ان يكون الحكم ملكيا دستوريا ويكون السعي الى ذلك بالطرق السلمية القانونية والوسائل المشروعة وان يكون حق انتخاب الملك للمجلس النيابي وحده بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية ومهمة الداعين النظام الملكي هي السعي لدى المقامات ذات الاختصاص لتثبيت العرش السوري في صلب الدستور (٧٣) . فماذا يعني القول اذن والبرقيات القائلة ب «ان الاكثرية الساحقة من الامة السورية تكرر طلب الحكم الملكي الدستوري وفقا لشرائعها وتقاليدها وترفض الحكم الجمهوري رفضا باتا» (٧٤) في حين كانت صحيفة القبس تتساءل هل يكفي صدور مرسوم من المفوض السامي لاقامة عرش وتنصيب ملك فالامة أبدت رايها في اختيار الجمهورية نظاما ولن تقول كلمة في الملكية (٧٥) . ان ارتفاع الاصوات بالمعارضة في الفترة التي كان المفوض السامي يصر فيها على تقييد الدستور بالمادة ١١٦ يكون تواطؤا مكشوفا في ذلك الجو من الحماس الجماهيري الآخذ بالتماسك والالتفاف حول الكتلة الوطنية تدعيما لها في موقفها الصامد ، بل المطالبة بتعديل دستور لم يقر بعد . لذلك كان الصراخ بأعلى الاصوات بالنظام الملكي وكان الصخب الذي يرافق حركات هذا المرشح او ذاك هما الوسيلة الوحيدة لاجهاض التيار الوطني .



امام هذا العدد من المرشحين للعرش في سوريا ، من استعرضنا منهم ومنهم من ذكر ولم يكن له اي نشاط كان لا بد للجهات الوطنية من ان تبدي رأيها . فقد اذاع مكتب الاستعلامات السوري (جناح الامير ميشيل لطف الله والشهبندر في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني) على اثر ما شاع من الدعاية للامير فيصل آل سعود وسفره الى فرنسا ولحاق بعض الشخصيات به: «كل متوج او رئيس يأتينا عن طريق باريس هو اجير الاستعمار لا نرضى عنه ونقاوم حكومته بكل الوسائل المشروعة والطريق الامثل لارضاء البلاد واكتساب ثقة الامة هو ان يكون ابناء الشعب احرارا في وضع دستورهم وتنظيم شكل حكومتهم وأن ينتخبوا هم انفسهم الملك او رئيس الجمهورية انتخابا لا اثر فيه للضغط والاكراه» (٧٦) . واتخذت اللجنة التنفيذية (الجناح الآخر) القرار التالي : «بمناسبة الاشاعات القائلة بتنصيب سمو الخديوي السابق على عرش سوريا او غيرها من البلاد العربية تعلن اللجنة التنفيذية العربية التي تمثل قطرا هو جزء من البلاد العربية بأن هذه الاقطار ليست سلعة تباع وتشترى وانما هي وحدة سياسية تطلب استقلالها وحريتها قبل كل شيء آخر ولا ترضى عن اي حل سياسي بدون ارادتها من شأنه عدم تحقيق امانيها» (٧٧) .

وشيئا فشيئا اخذ الكلام ، حتى فيما يتعلق بالهاشمية ، يقل في الخوض في مسألة العرش وترشيح احد منهم وما عتم الكلام في ذلك ان صار مثارا للتندر وقد حل مكانه الحديث عن الوحدة ومشاريع الوحدة التي تطرح كالهلال الخصيب. او الوحدة مع العراق .. ولعل فضل الحسم في هذا الامر ، يعود الى الكتلة الوطنية ، ومع انها تضم عددا من زعماء التيارين الموالين للسعودية وللهاشميين. وعلى الرغم مما وجه اليها من اتهام فانها مضت في ترسيخ فكرة الجمهورية والتمسك بها في الدستور . وخير تعبير عنها ما قاله هنانو : «ان البعض لاموا الكتلة الوطنية على سكوتها عن ابداء رايها في ذلك (الوحدة مع العراق) وهذا منها آية ترو وتعقل يوجبها هذا الامر الخطير وأنا احد افراد الكتلة اقول من منا لا يرحب بتحقيق هذه الامنية التي تكون اول دعامة في بناء اتحاد الحكومات العربية ولكن هل يكفي التمني والدعاية . كلا ان ذلك لا يكفي فنحن نسعى لان تكون لنا ارادة حرة نستعملها في تحقيق ما نرغب من الاتحاد ويجب ان يقابل رغبتنا بآثار فعلية من اخواننا في العراق او الجزيرة» (٧٨) . فلا بد اذن من الحصول على الاستقلال اولا . واصبح هذا هو الهدف .

الفصل التاسع

الدستور بين المطالب الوطنية ومناورات رجال الانتداب

كالعادة في استقبال المفوض السامي الجديد ، واجهت البلاد قدوم بونسو Ponsot الذي اذاع على اثر وصوله انه سيعني بدرس الحالة عن كثب وانه لن يقوم بعمل ما قبل الاحاطة به (١) بحركة وفود وتقديم عرائض وارسال برقيات ، بمطالب البلاد ، تتماشى مع سعة نشاطه في الطواف بأرجاء البلاد (٢) اذ بادر من فور وصوله الى بيروت بزيارة دمشق ثم جبل الدروز وحلب ودير الزور ، حيث كانت تهيأ له استقبالات حافلة واستعراضات عسكرية، وتؤخذ له الصور تحفّ به جماعات الاعيان (٣) ، وما لبث ان قام مرة اخرى بزيارة دمشق ،محاولا بحنكته السياسية اصلاح اخطاء أسلافه (٤) وفي جميع ما قدم اليه وما جرى معه من احاديث وأرسل اليه من برقيات تجلت لهجة الاعتدال ورقة العبارة وذكر «صداقة الشعبين الفرنسي والسوري وضرورة التوفيق بين الاماني الوطنية ومصالح فرنسا الحقيقية» فحتى بيان «الكتلة الوطنية» ردا على بيان بونسو الذي اذاعه كاترو Catrou مدير المخابرات العامة (في ٢٦ يوليو ـ تموز ـ ١٩٢٦) ، اي بعد مرور شهور من الصمت ، كان وديا وساده طابع التساؤل في عرض المطالب الوطنية وهو يفند فقرات بيان المفوض السامي ويرد عليها ، لا تقريرها ، وانتهى الى القول : «طلبتم منا الصبر فصبرنا وحسن الثقة فوثقنا ، فهل يا ترى

يرضيكم بقاؤنا متذمرين ، شاكين مقيدي الحرية ، مفككي الاجزاء ..» (٥) ولم يعقد زعماء الكتلة اجتماعهم ومؤتمرهم كما سمته الصحف ، لدراسة الموقف والرد على بيان المفوض السامي الا في اواخر اكتوبر (تشرين الاول) اي بعد مرور اكثر من شهرين ونصف على صدور البيان . وفي بيروت ، بعيدين عن الاجواء التي كان يمكن ان تكون مشحونة بالتذمر والنقمة (٦) .. كذلك رحبت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بالقاهرة . في كتابها الى المفوض السامي ان يبلغها اذا كان يرى «ان الوقت قد حان لاستئناف المفاوضات وللسعي بالاشتراك معكم وبروح الوفاق والتعاون الخالص لايجاد حل يفضي الى حسم النزاع واعادة السلام الى البلاد ووضع علاقات بين فرنسا وسوريا مؤسسة على الثقة المتبادلة وصيانة اماني امتنا الشرعية ومصالح فرنسا الحقيقية ..» (٧) .

ولقد اتسمت تلك الحركات التي واجهت بونسو . الى جانب ذلك . بطابع التكتل . فمن جهة قضت الظروف . في اعقاب الثورة ان يظهر اعوان السياسة الفرنسية في كل منطقة متكتلين . واخذ تكتلهم يمتد الى ارتباطات عشائرية من مركز المنطقة الى الاقضية والنواحي والقرى . محور هذا التكتل عنا . فكرة «الانفصال» عن دمشق . اللاوحدة معها . او اللااندماج . للامركزية . اما فيما هو غير هذه الفكرة فقد كانت هذه الفئات ، التي مع «انفصاليتها» تلتقي مع اعوان الفرنسيين في العاصمة وتجد فيهم عونا لقضاء مصالحها . فقد كانت اكثر تطرفا في المطالبة به واشد مغالاة . ومن جهة اخرى كان لا بد لفكرة الوحدة من ان تستقطب الحركة السياسية في اطار الكتلة الوطنية وغيرها من الاحزاب على حد سواء لا تختلف على المطالبة بها . فالوحدة مطلب للتقدم كما قال نواب منطقة دير الزور . ببساطة اهل البادية . في مؤتمرهم : «لقد اثبتت الطبيعة وأيدتها التجارب ان تجزئة البلاد مضرة برقيها لانه لا حياة للبلاد الا بالاتفاق الذي يستند الى القومية واللغة والاخلاق والعادات وان الوحدة مستوجبة للرقي والعمران والتجزئة مولدة للاضرار . وأن البلاد التي تنقسم تسبب لنفسها التدني والاضمحلال .. وحيث ان البلاد السورية عاداتها ولغتها وتاريخها واحد والجنس للعموم جامع وسكانها ذوو قومية واحدة لا تقبل التجزئة فعليه وللاسباب المذكورة نطلب اعلان الوحدة» (٨) فالتجزئة مخالفة للمهمة التي اقيم من اجلها الانتداب وهي الاخذ بالبلدان الخاضعة له نحو التقدم والرقي .

وقد فطن السياسيون الى خطة الانتداب في اضعاف دمشق وبالتالي في تفتيت مركز مقاومة البلاد . منذ تقسيمات غورو (٩) Gauraud فراحوا يعملون في كل مناسبة ، على تقويتها والتماسك حولها . خاصة بعد ان شتتت الثورة قياداتها في الاقطار العربية . وحكمت عليها محاكم السلطات الانتدابية احكاما غيابية . واهتمام الانتداب بالاعتماد على اشخاص ، ذوي مكانة خاصة في الاوساط الشعبية والدينية والعائلية كالشيخ تاج ومحمد علي العابد وحقي العظم وصبحي بركات والداماد احمد نامي كان لا بد من ان يقابله اهتمام مضاعف من

قبل الوطنيين . فاذا ذهب وفد من حلب او حمص او حماه او دير الزور الى بيروت لمقابلة رسمية او لمظاهرة سياسية كان يعرج على دمشق ويعلن آراءه منها. واذا ارادت الجماعات التي تطالب بالوحدة مع سوريا او اعادة «الاقضية الاربعة» ان تعلن عن موقف سياسي بمناسبة ما فانها كانت تأتي من طرابلس او بعلبك او بيروت لتعقد مؤتمرها في دمشق وتعلن آراءها منها (١٠) . فقد منيت دمشق بفقد من كانت تعقد عليهم الآمال . استشهد القائد يوسف العظمة ، وزير الحربية في عهد فيصل . على ربى ميسلون ليضرب مثلا للاجيال وليسجل بدمه رفض الاحتلال وقصفت يد المنون زعيمها الشاب فوزي الغزي . الخطيب البليغ ، محامي القضايا الرفيعة وارفعها تلك التي كرس لها اجمل ايام حياته : قضية بلاده (١١) . ومن الزعامات المحلية : هنانو في حلب . هاشم الاتاسي في حمص . فارس الخوري وجميل مردم ولطفي الحفار في دمشق . لم يرتفع احد الى سدة الزعامة الوطنية . كان لقاء رجال الكتلة الوطنية وتكتلهم هو لقاء وتكتل زعامات وقيادات تقليدية .. الا ان وسيلتهم الى الاستقطاب او احدى وسائلهم واهمها كانت اثارةامجاد دمشق وذكرياتها التاريخية واطياف البطولات التي عاشت في جنباتها : دمشق بني امية ، دمشق منبت الاحرار ، دمشق قلب العروبة النابض .. دمشق الدماغ المفكر .. ونهضت دمشق : جماهيرها وقياداتها احيائها . لتؤدي حقا دور العاصمة ودور الزعيم بلا زعامة .

***

بعد مرور سنة ونصف انقضت في التجول في انحاء سوريا ولبنان ومحادثة رؤساء «الدول السورية» السابقين والحاليين ورؤساء الدين .. والقضاة والحكام والوزراء والنواب والانصار الذين يدلي بأسمائهم المندوبون وضباط الاستخبارات. والاتصال بالشركات الفرنسية .. تسنى له خلالها مرارا عديدة ان يوضح للحكومة الفرنسية وللجان الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ والنواب نتائج التحقيق الذي قام به .. وان ينقل اليها الاماني التي بسطت له (١٢) .. وبعد مفاوضات سرية طويلة بينه وبين هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو من جهة وبينه وبين الشيخ تاج الدين الحسني من جهة اخرى وافق بونسو على احداث تغيير في الوضع الحكومي فحمل الداماد على الاستقالة وعهد الى الشيخ تاج بانشاء حكومة موقتة تتولى ادارة البلاد (١٣) على ان «تكون مهمتها الاساسية قاصرة على تسليم زمام الحكم بأسرع وقت ممكن الى حكومة دستورية ..» (١٤) قائمة «بأن العمل القائم على الاخلاص المرغوب فيه بين فرنسا وسوريا والذي هو وحده يخول سوريا حق الانضمام الى جمعية الامم لا يعود بالفائدة المنشودة الا بتحديد علاقات الدولتين بمعاهدة يجب عرضها على البرلمان السوري لابرامها ..» وهذه المعاهدة التي ستحل محل الانتداب يجب ان «تحدد بصراحة مدى الواجبات الناشئة عن

صك الانتداب وانها تكون عرضة للتعديل لمصلحة سوريا في مدة تعين فيما بعد وفاقا لتقدم البلاد الى ان تحصل سوريا على سيادتها التامـــــة ..» . اي ان استقلالها سيكون تدريجيا. وبعد ايام حدد المفوض السامي اتجاه القانون الاساسي الذي ستسنه الجمعية التشريعية التي تنشأ عن الانتخابات المقبلة بتمام الحرية المطلقة بانه «ضمن نطاق الاتفاقات الدولية والصكوك المسؤولة عنها فرنسا تجـاه جمعية الامم فاحترام الحقوق والواجبات المتبادلة الناشئة عن صك الانتداب والتي يمكن تحديدها باتفاقات تعقد فيما بعد هو في الحقيقة اساس للرقي السريع الذي يجب ان تبلغ اليه سوريا وتساعدها الدولة المنتدبة على تحقيقه بكل قواها ..» وحذر من الاخطار الناشئة عن الاضطرابات والاختلافات او عن جهل الحقائـــق السياسية (١٥) .

واستكمالا لاجراءات اعادة الحياة الطبيعية للبلاد اعلن المفوض السامي العفو. الا انه لم يكن عفوا عاما بل كان مقيدا استهله بهذه اللهجة من الاستعلاء : «لمـا كان السلم في سوريا قام تماما واصبح هدوء الافكار مبررا للحلم والعفو فقد اعلن العفو في الاراضي السورية عن الاعمال المرتكبة قبل تاريخ المرسوم والمتعلقـــة بالصحافة والانتخاب كما اعلن عن الجرائم والجنح المرتكبة في اثنـــاء الثورة او المرافقة لاعمال العصيان . على ان لا يشمل سوى الذين استسلمـــوا سابقا او يستسلمون في خلال ثلاثين يوما تبدأ من توقيع المرسوم ..» واستثنت منه اعمال العصيان والجرائم والجنح المرافقة لها والتي اقترفها : ١ ــ التابعون لجنسية غير جنسية البلاد المشمولة بالانتداب . ٢ ــ الذين عادوا الى الثورة بعد ما اعلنوا خضوعهم . ٣ ــ الموظفون وخاصة رجال القوات العامة . ٤ ــ الواردة اسماؤهم في اللائحتين الملحقتين بالقرار (١٦) . ثم تبع ذلك اصدار قرار بالغاء المراقبة على الصحف في دمشق والغاء الحكم العرفي فيها ابتداء من ١٧ فبراير (شبـــاط) والغيت احكام الاقامة الجبرية. واعلن موعد الانتخابات على اساس قانون عام ١٩٢٣ دون اجراء اي تعديل على قواعده .

يتضح من بيان «الكتلة الوطنية» المعلن بعد مؤتمرها الذي عقد في دمشـــق لدراسة هذه الاحداث انه «كان من المنتظر ــ على اثر استدعاء المفوضية لهاشـم الاتاسي وابراهيم هنانو الى بيروت للتفاوض ــ ان يعلن المفوض السامـــي بيانا يصرح فيه ان سوريا دولة مستقلة ذات سيادة لها الحق بدعوة جمعية تأسيسية بالانتخاب الحر لوضع دستورها على قاعدة السيادة القومية وان المعاهدة التـــي ستعقد بين دولتي فرنسا وسوريا تكون على قاعدة المساواة والمنفعة المتبادلة وان فرنسا ترغب في تحقيق الوحدة السورية التي تتوق اليها الامة في الساحـــل والداخل» (١٧) . وسجل البيان مآخذه على قانون الانتخابات انه يحرم البلاد من الاستفادة من كفاءة خبرة ابنائها الذين منعهم من حق الترشيح وانه لا يحدد مدة الوكالة النيابية لاعضاء المجلس الذي سينشأ عن الانتخابات وانما تحدد بقرار يصدر فيما بعد واجراء الانتخابات على اساس القضاء لا اللواء . وشرائطه في النيابة عن

الاقليات . ولم يشر البيان الى العفو الا بأنه «عفو استثنى جمعا غفيرا من رجال سوريا العاملين ..» . ومع ذلك قرر البيان عزم الوطنيين على مواجهة المستقبل الذي ذكر المفوض انه «مملوء بالوعود» . فقد كان بيانا انتخابيا موجها الى الشعب ليظهر الفارق بين مطلب الكتلة الوطنية ومنطلقها في النظر الى الامور وبين الحكومة، بصورة غير مباشرة ، التي تخوض الانتخابات في الحقيقة بقائمة مؤتلفة ضد الكتلة الوطنية . ودفعا للاحاديث التي تداولتها الالسن والاشاعات التي راجت عندئذ ، صدقا او كذبا ، بقصد او بغير قصد ، اذاع قلم المطبوعات الفرنسي ، تكذيبا لما راج من ان «الذين اشتركوا في الحياة السياسية كل الاشتراك او بعضه يريدون الدخول في الانتخابات ويصرحون بأنهم يقدمون ترشيحهم بالاعتماد على مساعدة البعثة الفرنسية او معاضدتها او موافقتها على الاقل ..» (١٨)

وعلى كل حال بدا ان كثيرا من «المواقف المتصلبة» قد لانت وان التعاون الودي او النزيه الذي رفع شعاره ، يدخل مرحلة ايجابية ، وفي هذا المناخ جـــرت انتخابات الدرجة الاولى في ١٠ ابريل (نيسان) فبدت كأنها لصالح المعتدلين وكان الاقبال عليها كبيرا وفي ٢٤ منه جرت انتخابات الدرجة الثانية باجماع الناخبين تقريبا فلم ينجح من قائمة الحكومة سوى الشيخ تاج لان اسمه وضع في القائمتين: قائمة المعتدلين الائتلافية وقائمة الوطنيين «المتطرفين» ، اي القائمة المعاديـــة للحكومة . ونجح المبعدون جميعهم . وفي حلب كان ابراهيم هنانو وسعد اللــه الجابري والدكتور عبد الرحمن الكيالي على رأس الناخبين وفاز هاشم الاتاسي في حمص بالتزكية (١٩) . ولم يكن فارس الخوري ، في عداد المرشحين لعــدم تخصيص كرسي للاقليات غير الممثلة الا انه اعلن بيانا بتأييد قائمة الكتلة الوطنية، في حين نجح اخوه فايز لانه غيَّر مذهبه قبل اجراء الانتخابات .

كانت جلسة الافتتاح في ٩ حزيران (يونيو) ١٩٢٨ في قاعة السراي القديمة حضرها المندوب السامي بنفسه وألقى كلمة ذكر فيها بيانه الذي حدد المســائــل المحتم حلها الواحدة تلو الاخرى واعتبر انعقاد المجلس فرصة للقيام بهذا العمل ضمن روح الوفاق بين جمع النواب وروح الثقة الحقيقية بينهم وبين رجـــــال الانتداب وهو عمل يتطلب من الجميع عزما صادقا على استنباط حل ــ ضمن روح التساهل الواسع ــ يؤمن الضمانات الضرورية لصيانة جميع الحقوق واحترام جميع المصالح . وأشار الى ان الوقت يكون قد حان بعد الانتهاء من وضع الدستور لتشييد العلاقات بين فرنسا وسوريا على دعائم متينة تتفق مع ما تتطلبه أنفس النواب ويتوقون اليه . فاجراء المفاوضة اللازمة لعقد معاهدة يفسح المجال لتدبير طرق حل لجميع المسائل وبقدر ما يبرهن النواب عن حنكة سياسية يكونون قد أعدوا هذا الحل . ورجا أن لا يدعوا مجالا لان تنشأ وتنمو في داخل المجلس حالة قد تذهب بثمرة الجهود المشتركة (٢٠) . وطلب رئيس الوزراء في خطبتــه تناسي الحوادث الماضية ومواصلة الجهد على الطريق الجديد الذي مهدت الاطراف

جميعها السبيل اليه ونفي الاشاعات بوجود مشروع معد سيقدم الى المجلس . فللمجلس حريته الكاملة بوضع الدستور «الضامن للسيادة القومية» (٢١) .

وقد عقدت الجمعية التاسيسية (٢٢) خمسة عشر جلسة ما بين ٩ حزيران (يونيو) و١١ آب (اغسطس) وكان ابراهيم هنانو رئيس اللجنة التي وضعت الدستور فجاء دستورا متقدما نص على ان سوريا وحدة سياسية لا تتجزأ وانها «جمهورية نيابية . دين رئيسها الاسلام وعاصمتها مدينة دمشق» (٢٣) . وقبل تقديم المشروع كاملا الى الهيئة العامة لاقراره واعلانه افتتحت جلسة يوم ٨ اغسطس (آب) فأعلن رئيس المجلس ان السيد مندوب المفوض السامي سيلقي كلمة باسم المفوض السامي . فقال انه «اصبح من واجبه ان يسترعي نظر اعضاء الجمعية الموقرة لعدم البحث الان في المسائل التي ليست من خصائص الجمعية ان تحلها من تلقاء نفسها لانها تمس تنفيذ انتداب مسؤولة عنه الحكومة الافرنسية امام عصبة الامم ولا يمكن تعديل شيء من نصوص هذا الانتداب الا باتفاق تصادق عليه عصبة الامم . .» وبعد ان اشار الى انه سبق للمفوض السامي ان لفت النظر اكثر من مرة تجنبا لكل سوء تفاهم ، الى ان الخلاف على نقطة كهذه من شأنه ان يعرض الى الخطر ثمرة الجهود المبذولة بكل اخلاص من الطرفين لقطع هذه المرحلة بسلام . قال ان المواد ٧٣ و٧٤ و٧٥ و١١٠ و١١٢ تمس المسائل التي تدخل ضمن هذا النطاق وان المادة الثانية تخالف اتفاقات دولية وحالة حقوقية واقعة لا يمكن تعديلها بقرار متخذ من طرف واحد . فبقاء احكام كهذه تنشأ عنه حالة مبهمة تعرض قريبا الى الخطر ما كان يرجى تحقيقه بفارغ الصبر . وهو يثق من حكمة الجمعية ولا يشك بأنها عند وقوفها على هذه الصعوبات سترعى السمع الى هذه الملاحظات من تلقاء ذاتها وتقرر فصل الاحكام المنوه عنها عن قلب الدستور قبل ولوج المناقشة في المواد فيكون مشروع الدستور متفقا مع روح حالة لا يمكن تغييرها الا باتفاقات تعقد مع الحكومة الفرنسية . والا فالحكومة الفرنسية لا يسعها ان تأذن بنشر وتنفيذ دستور يحرمها من الوسائل التي تساعدها على القيام بالفروض الدولية التي اخذتها على نفسها» (٢٤) .

وقام رئيس الوزراء يقطع الصمت المخيم فألقى كلمة طلب فيها استعمال الحكمة في هذا الموقف الحرج . وبيّن ما بذله من جهود مع المفوض السامي لتسوية هذه المسألة بصورة ودية ولكن الامر ورد من باريس فلا تنفع فيه حيلة ؛ وتلاه لطفي الحفار فقال ان المفوض السامي نفسه اعتبر ان هذه الجمعية حرة في وضع الدستور وان المواد الست المطلوب حذفها قد تكون روح الدستور الذي هو مجموعة اماني الامة واستغرب ان تطلب فرنسا ذلك وهي بنت الثورة والمبادىء المعروفة والتي جاءت للتمدين وانه باسمه واسم زملائه لا يمكنه قط الموافقة على دستور خال من هذه المواد «نحن نريد ان يكون لفرنسا مركز لائق في الشرق الادنى وهذا لا يكون الا باتفاقها مع اهالي سوريا وتحقيق امانيهم» (٢٥) . وقال زكي الخطيب ان ابناء هذه البلاد خاضوا الحرب مع الحلفاء رغبة في حريتهم

واعرب الحلفاء ان ابناء البلاد المنفصلة عن تركيا جديرون بالحرية والاستقلال فيجب ان تبرهن فرنسا عن صداقتها لنا بارجاع حريتنا واستقلالنا المغتصبين . ولا يمكننا ان نسجل على انفسنا صكا بالتنازل عن حقوقنا . وبعد توالي الخطباء في استعراض جهاد الشعب الفرنسي في سبيل حريته وسير الشعب العربي على غراره قام فوزي الغزي وعرض الاقتراح التالي :

«لما كان طي المواد الست المنوه بها في بيان المفوضية من صلب الدستور يجعل الدستور ابتر لا قيمة له ويحرم الدولة السورية من سيادتها واستقلالها المعترف بها دوليا . وكانت هذه الجمعية التاسيسية التي انتخبتها الامة لوضع دستور كفيل بتحقيق استقلالها وسيادتها ووحدتها هي غير مرتبطة الا بالبرامج التي اعلنها اعضاؤها حين انتخابهم وكانت البيانات والعهود المقطوعة من قبل المفوضية هي ذات طرف واحد لا تلزم الجمعية التاسيسية في شيء وكانت هذه الجمعية التأسيسية قد قررت في جلستها السابقة قبول مشروع الدستور بمجموعه ولم يبق مجالا للرجوع عن هذا القرار بحذف اهم مواد الدستور واقوى اركانه فالجمعية تقرر مع رغبتها الاكيدة بدوام احسن التفاهم بينها وبين ممثلي فرنسا في سوريا عدم موافقتها على حذف المواد الست المذكورة وتحيل البيان المذكور الى ديوان الرئاسة مع انضمام خمسة اعضاء اليه يضع جوابا مستمدا من هذه الروح خلال ساعة واحدة على ان تعود الجمعية الى اعمالها اليومية بعد اقرار الجواب» (٢٦) . وجرى انتخاب ستة اعضاء للانضمام الى رئيس المجلس من اجل وضع صيغة الرد (٢٧) وهنا اذا بتسعة اعضاء يتقدمون بعريضة يطلبون فيها الموافقة على تحفظات المفوض السامي على المواد الست ويقترحون طرحها على التصويت فثارت ضجة عاصفة في وجههم لمخالفتهم الاجماع على الرفض (٢٨) ورفعت الجلسة لمدة ساعة عاد الاعضاء بعدها فقرأ عليهم فائز الخوري الجواب الذي وضعته اللجنة وهو : «استمعت الجمعية التأسيسية في جلسة هذا اليوم البيان الذي تلاه السيد موغرا Mogra باسم فخامتكم وبعد مداولة استمرت ثلاث ساعات متتابعة وضعت الجمعية التأسيسية القرار الذي أرفعه الى فخامتكم طي هذه الرسالة لتحيطوا علما باسم الجمعية التأسيسية عن رغبتنا الاكيدة في دوام حسن التفاهم مع السلطة الفرنسية ومتابعة سياسة التعاون النزيه الذي رفعتم مناره بهذه البلاد ضمن حدود المصلحة الوطنية وتحقيقا لاستقلالها وسيادتها ووحدتها» فوافقوا عليه بالاكثرية .

وفي الجلسة الخامسة عشر . وكان قد مر على التئام الجمعية التأسيسية شهران ويومان فقط تعجل المفوض السامي . قبل ان يتسنى لها اقرار الدستور واعلانه فابلغها قبل موعد انعقادها بتأجيل اجتماعاتها مدة ثلاثة اشهر بالنظر الى انه «من الصعب ايجاد حل في مدة معينة للمسائل التي تنشأ عن المواد المذكورة او عن البعض من احكامها وحيث اعربت الجمعية من جهة اخرى عن رغبتها في ان ترى الدوام على حسن الاتفاق بينها وبين ممثلي فرنسا في سوريا» (٢٩) .

وبعد تلاوة قرار التأجيل اعتلى المنبر سعيد الغزي وقرأ الاقتراح التالي : «حبا بمتابعة سياسة التعاون وضنا بالجهود التي بذلت في سبيل التفاهم لتحقيق اماني البلاد فان المجلس التأسيسي يتلقى هذا التاجيل بصدر رحب وطول اناة ويحتفظ بحقوق كاملة تامة مؤملا ان يكون وراء هذا التأجيل ما يزيل العقبات ويحقق الآمال . ولما كانت دواوين المجالس النيابية تبقى قائمة باعمال المجالس اثناء تعطيلها فاني اقترح على مجلسكم الموقر اعطاء القرار التالي : تفوض الجمعية التاسيسية ديوانها اثناء عطلتها متابعة السعي لدى المراجع الايجابية بتحقيق أماني البلاد . فوافق الجميع . وانفضت الجلسة .

وما ان انتهى الرئيس من قوله : «تأجل مجلسكم الموقر ثلاثة اشهر بعد ان قام بواجبه خير قيام وها انا أختم الجلسة» حتى هب النواب وقوفا وهم يهتفون بصوت واحد ليحيى الاستقلال وليحيى الدستور ولتحيى سوريا . وردد المستمعون الهتاف ونادوا لتحيى الجمعية التأسيسية وليحيى الدستور (٣٠) . وعندما برز النواب من باب المجلس تلقاهم الناس بالهتاف وبسقوط النواب الذين وافقوا على التحفظات وساروا جميعا في مظاهرة عارمة (٣١) .

ولم تكف الشهور الثلاثة للوصول بالاتصالات والمساعي التي بدات بعد ذلك الى نتيجة لا في سوريا ولا في فرنسا حيث سافر المفوض السامي فتأجلت الجمعية ثلاثة شهور اخرى . وفي ١١ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٩ قدم مندوب المفوض السامي الى رئيس المكتب الذي اناطت به الجمعية متابعة بذل الجهود وفوضته خلاصة للرأي الفرنسي في نص تحفظات عام ، في مادة تضاف الى الدستور (٣٢) وفي ٢٥ منه كان رأي الجانب السوري في الرسالة التي سلمت الى مندوب المفوض السامي على الوجه التالي : ١ ــ تعديل المادة الثانية بحيث تصبح: «البلاد السورية وحدة لا تتجزأ وحقوق الاعتراض على التجزئة الحاضرةمحفوظة».
٢ ــ ان تضاف مادة الى مشروع الدستور تحت عنوان أحكام موقتة هذا نصها : «ان الاحكام ٧٣ ، ٧٤ وأحكام المادة ٧٥ المتعلقة بايفاد السفراء فقط والمادة ١١٠ و١١٢ تنفذ باتفاقات خاصة بين الحكومتين الفرنسية والسورية ريثما تعقد معاهدة لتحديد العلاقات بين الطرفين» (٣٣) ذلك ان الجمعية كانت ترى «ان تحدد العلائق بين فرنسا وسوريا ، الناشئة عن المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم بمعاهدة تبنى على تبادل المصالح وتصان فيها السيادة القومية لسوريا وقد اعلنت فرنسا رضاءها عن ذلك بلسان مفوضها السابق دي جوفنيل وبوسائل اخرى عديدة ...» كما ورد في كتاب هاشم الاتاسي (٣٤) .

ورأى الجانب الفرنسي ان الاقتراح السوري لا يقدم ضمانات كافية لصيانة «الحقوق الجوهرية الموضوعة طبقا للانتداب ، التي ليس بمقدور الحكومة الفرنسية ان تغير شيئا فيها دون موافقة عصبة الامم ..» لذلك اتخذ مندوب المفوض السامي ، اذ اصبح انعقاد الجمعية التأسيسية بدون غاية مفيدة ، ولعدم معرفة الساعة التي يمكن فيها الوصول الى النتيجة المنتظرة في فرنسا وفي سوريا ،

قرارا يقضي بتاجيلها الى اجل غير مسمى ريثما ينضج التبصر وامعان الفكر وايجاد الحلول لهذ القضية الجوهرية (٣٥) .

لكن الحل الصحيح لهذه القضية الجوهرية تجاوزته الحكومة الفرنسية ولم تاخذ به . فبالاطلاع على تقارير المفوض السامي الى وزارة الخارجية الفرنسية يتضح لنا انه كان على علم بدقائق الامور التي تجري في لجنة الـ ٢٧ كما يسميها اي لجنة وضع الدستور وتطور مناقشاتها حتى ليمكن القول بأنه كان يتابعها مادة فمادة . وذكر انه طلب من قادة الجمعية التباطؤ في عملهم ليتركوا له الوقت الكافي «للاستئناس براي وزير الخارجية الفرنسية» وان الجمعية التاسيسية التي كان عليها مبدئيا ان تبدأ المداولة في المشروع يوم ١٣ يوليو (تموز) قد ارجأته الى اليوم الثاني من اغسطس (آب) وكرست جلستها للنظر في أمور تتعلق بالانتخابات الاخيرة . وقد نوه مقرر اللجنة المختصة بعدد من حوادث التزوير التي ارتكبت في ٢٧ ابريل (نيسان) في دمشق ولكن بهدف التسكين حتى لقد أوصى بشرعية الانتدابات (٣٦) .

ثم كتب يقول : على الرغم من ان بعض المواد ، كالمادة ٢ التي اثارت اعتراضات من جانبنا ، قد كانت موضوعا لمناقشات مضنية وجادة ، وانها تمثل في صيغتها الحالية المطالب الوطنية في ادنى صورها ، فانني سابذل جهدي ايضا في المناقشة التي ستبدأ قريبا في نطاق لجنة الـ ٢٧ للحصول ، على الاقل ، على بعض التعديلات الشكلية .. وقد تعذر عليّ اقناع اللجنة ادخال بعض التحفظات تتعلق بالانتداب في الدستور نفسه . لكنني تمكنت بشيء من الصعوبة ، اجتذاب هؤلاء النواب للنظر في الحل التالي : ان توجه الجمعية التأسيسية مباشرة بعد ان يتم انتخاب رئيس الجمهورية ، اقتراحا برغبة يدعوه للدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية لعقد معاهدة ، متضمنا الالماع الى وضع فرنسا الخاص في سوريا (٣٧) .. وكانت صيغة الاقتراح المتفق عليه كما يلي : «ان الجمعية التاسيسية ، التي تأخذ بعين الاعتبار الوضع الخاص لفرنسا بازاء سوريا ، والتزاماتها تجاه عصبة الامم ، تدعو الحكومة الدستورية السورية للدخول مع الحكومة الفرنسية في مفاوضات لعقد معاهدة تقيم العلاقات بين البلدين على اساس جديد ضامن لحقوقها ومصالحها المتبادلة .

«وحتى يتم وضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ ، تبقى ادارة المصالح العامة تستوحي من روح التفاهم الودي الذي يجب ان يوجه اعداد هذه المعاهدة» (٣٨) .

هكذا كانت الفرصة سانحة امام فرنسا للاتفاق مع الوطنيين . لقد اضاعتها منذ سنتين في عهد دي جوفنيل وهي تدعها تفلت من يدها الان في عهد بونسو . خصوصا وان الوطنية السورية كما قال المفوض السامي في احد تقاريره ، التي ارادت ان تعبر عن نفسها بالقوة مرتين في عام ١٩٢٠ وعام ١٩٢٥ قد اصبحت تبدو اقل عمقا في السياسة وضروراتها . مستفيدة من دروس مصر وتركيا والعراق والاردن بل ومن الحركة الفكرية في فرنسا نفسها . وبعد التجارب المختلفة التي

حاولناها منذ ثماني سنوات تسنح لنا الفرصة الان الكي نوجه سياستنا في خطة دائمة مستقرة . وبلا ابطاء يجب ان نهتلبها وان نختار : بين الاستمرار في ممارسة سياسة الانتظار القائمة قبل كل شيء على قوتنا وقدرتنا في العمل العسكري وبين ان نحاول تقاربا في سوريا واضحا وصريحا مع المعارضة الوطنية وندع لها فرصة الوصول الى الحكم . بعضهم قد يأمل بالتمسك بالاختيار الاول تأخير ساعة الخطر ، وبعضهم من دون انكار هذا الخطر يفضل ركوبه الان في الوقت الذي لم تتقلص القوات العسكرية بعد . ومن قبل سلك دي جوفنيل هذا الطريق الثاني وترددت الحكومة الفرنسية ، في سبتمبر (ايلول) ١٩٢٦ في اتباعه . ولكن وعوده ما زالت باقية . واذا كنت لا استطيع متابعتها في خطوطها العريضة بصورة فعالة قبل دراسة متعمقة لعناصر المشكلة الا انني متأكد اليوم انه من المستحيل العودة الى الوراء وان ساعة القرار ، التي ارجئت مرة عام ١٩٢٦ ، تخطر الان من جديد وفي ظروف تجعل ، بسبب التبدلات الداخلية نفسها منذ ذلك الحين والسكينة المتحققة ، من سياسة التوفيق والمصالحة ، ادعى والزم وربما عملية اكثر من وجهة النظر الفرنسية (٣٩) .

وكانت فرنسا ، لو اخذت بهذا الراي لوفرت كثيرا من الاحقاد ، والارواح والخسائر والزمن وربما كانت قد عوضت في المنطقة ما خسرته في ميزان السياسة ، بالنسبة لتصرفات انكلترا . ذلك انها سوف تضطر ، وبصورة تكاد تماثل مقترحات بونسو ، الى قبول التعاون مع الوطنيين بعد ثماني سنوات اخرى .



كان يؤخذ على الكتلة الوطنية تطرفها حتى لقد كانت الصحافة الفرنسية والصحافة الموالية تدعو رجالها بـ «المتطرفين» Extrémistes وفي راي كتاب الانتداب ان هذا التطرف اضاع على سوريا فرصة حصولها على الدستور وبلوغها بذلك المرحلة الثالثة من التطور التي رسمتها سلطات الانتداب على طريق التقدم الى الاستقلال . ضيعها عشرون من المتطرفين الفصحاء المهيجين الذين استطاعوا وحدهم بما كسبوه من شعبية حمل سائر اعضاء الجمعية التأسيسية على القبول بالدستور وهكذا بدلا من ان يعملوا على استمالة الراي العام الاوربي بوقوفهم موقف الاعتدال ويكسبوه الى جانب قضيتهم خسروه ، وهم الذين يتباهون بأنهم يرفعون مشعل حضارة الغرب ، يظنهم انهم يستطيعون بجرة قلم الغاء المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم (٤٠) . فلم يحسب هؤلاء القادة ، قادة الجمعية التأسيسية عاقبة النتائج التي تفرضها الاحوال الواقعة .. وكان غرضهم ان يقولوا لناخبيهم: صوتنا على دستور يحقق المطالب التي عرضناها في برامجنا فرفضته فرنسا الا بتحفظات لم نقرها (٤١) .

يلتقي هذا الكلام مع ماخذ آخر وهو انهم ينطلقون في معالجة القضية السورية

من موقف عدم الاعتراف بالانتداب (٤٢) . صحيح ان دعاة «الوطنيين» كانوا يرددون احيانا بانهم «لم يرتبطوا في يوم من الايام بالاعتراف بالانتداب» (٤٣) او ان قصد المفوض السامي من هذه الازمة «تامين غاية واحدة وهي حمل سورية على الاعتراف بالانتداب وتأسيس اوضاعها على هذا الاساس» (٤٤) . لكنه كلام لا يعبر عن موقف الكتلة الوطنية . انه مبالغة تقابل مبالغة . فالكتلة الوطنية لم ترفع يوما من الايام شعار : «لا مفاوضة قبل الجلاء» وانما كانت بياناتها ونشراتها وتصريحات رجالها مليئة بعبارات التعاون والتفاهم النزيه والمصالح المتبادلة وحقوق فرنسا المشروعة ... بل كان اقطابها . في دمشق خاصة ، على راس المطالبين بانتداب فرنسا الى سورية ، كجميل مردم (٤٥) . وبعضهم كفارس الخوري ولطفي الحفار وحسني البرازي دخلوا الحكم مع الداماد احمد نامي .. ويمكن القول ان الكتلة الوطنية لم تكن تنكر الانتداب وانما كانت ترفض الاعتراف بالاحتلال ، الانتداب ينطلق من الاعتراف باستقلال البلاد وضرورة تنظيم العلاقات بينها وبين الدولة المنتدبة ويحصر دور هذه الدولة في حدود معينة. وهذا هو منطلق الكتلة الوطنية.

كانت دوائر وزارة الخارجية نفسها تعرف ذلك حق المعرفة . لكنها كانت ترى هي نفسها انها ؛ عندما تنفرج الامور ولا يبقى ما يبرر لها تاخرها عن تمكين السوريين من وضع دستورهم وايجاد حكومة شرعية ، لتعقد مع فرنسا اتفاق ينظم العلاقات بين البلدين وهو ما يسمى باللغة السياسية معاهدة ، في مأزق من امرها . فقد كان هذا شأنها في مواجهة الصعوبات التي ظهرت بين الجمعية التأسيسية والمفوض السامي : اذ تساءلت الا يصبح التفاهم اسهل بمباشرة التفاوض لعقد معاهدة قبل التصويت على الدستور . فقد يكون الدستور عقبة امام الانتداب اذا تقدم المعاهدة التي تمكنها من ممارسة حقوقها والقيام بالتزاماتها تجاه عصبة الامم . وهذا هو الاجراء الذي اتبع في العراق حيث عقد الانجليز مع فيصل معاهدة قبل الدستور . الا انها كانت ترى الشروط في سورية غير متوفرة لذلك . ففي العراق فيصل . فأين هي الشخصية ، في سورية ، القادرة على اقرار ارتباطات يتبناها الراي العام . ان الحكومة الموقتة التي اختارها المفوض السامي في سورية لا رصيد لها . والزعماء الوطنيون الذين يتمتعون بشعبية حقيقية مهيأون لتولي الحكم في المستقبل . وعلى ضوء هذا الموقف تم تصور التعليمات التي اعطيت لبونسو (٤٦) وكانت متمشية مع روح الخطة التي انتهجها دي جوفنيل من قبل .

كان من رأي الكتلة الوطنية من قبل ان يتم وضع الدستور ان يلتئم شمل الاحزاب القائمة والهيئات العاملة في داخل البلاد وخارجها حول الجمعية التاسيسية فهي وليدة الانتخاب وفي نجاحها على هذا النحو دليل الرضى والاستحسان لتخلي رجالها عن موقفهم السلبي وتحملهم مسؤولياتهم . وتجمع البلاد والتفافها حولها يشد من ازرها «فتضع الدستور على قاعدة الاستقلال والوحدة السياسية غير معترفة باية حالة واقعة تناقض هذين المبدأين ثم تؤلف حكومة دستورية امام المجلس تدير البلاد وتفاوضه لعقد معاهدة على اساس

السيادة القومية المنشودة وسائر مبادىء الميثاق القومي ..» (٤٧) . وهو راي ينسجم مع قانون الكتلة الاساسي الذي نص على ان تكون «الكتلة الوطنية هيئة سياسية غايتها تحرير البلاد السورية وتأليف المساعي لتأمين الاتحاد مع الاقطار العربية ، الامة جمعاء تعتبر انها الكتلة وكل ما لديها وقف على الجهاد» (٤٨) .

ذلك ان «الكتلة الوطنية» لم تكن تعبيرا عن مرحلة بل كانت من حيث المعنى الذي تحمله تعبيرا عن حاجة البلاد الى التكتل فالبلاد التي كان وما يزال مطلبها الاول اعادة وحدتها اليها تشرذم قادتها الذين تكتلوا لمواجهة الفرنسيين ، انقسمت الى احزاب وكتل وجماعات متناحرة . وبإزاء تعنت الانتداب في وجه نشر الدستور واقراره دبت روح العمل للتكتل وراء حق البلاد فكثرت مؤتمرات الوطنيين واتصالاتهم الجانبية بالاحزاب . وأعلنوا بالنتيجة «ان الامة لا تنظر بعين الرضى والقبول الى اي دستور غير دستورها الذي قبله نوابها .. ولا لاي تعديل يطرأ عليه بغير ارادتها وتعتبر كل حكومة تقوم على غير اساس الدستور حكومة غير شرعية ولا يكون الشعب السوري مسؤولا عما تتخذه من قرارات وتوقعه من عقود وتمنحه من امتيازات» (٤٩) وباتت النفوس تواقة . شديدة الرغبة في حلول الوئام . بين الاطراف السورية المتخاصمة . من اجل دعم الدستور وكثرت لذلك الاجتماعات وتحدث الناس عن بيان تصدره الاحزاب في ذلك (٥٠) . واذاع هاشم الاتاسي «ان زعماء الاحزاب الوطنية يعتقدون بضرورة توحيد الصفوف واجتماع الكلمة والعمل على قتل الشقاق ونزع الخصام الذي ساد الاحزاب المخلصة حينا من الدهر وقد كان للدعوة التي وجهتها الى الاخوان المخلصين في داخل البلاد وخارجها اثرها في نفوسهم فاعربوا عن استعدادهم لتناسي الماضي وترحيبهم بالاتحاد والتضامن للسير بقضية البلاد الى ميناء السلامة . وهذا ما يرجى من الذين وقفوا جهودهم ومساعيهم مخلصين لخدمة الوطن ..» ثم لفت نظر رجال الصحافة الوطنية المخلصة داخل البلاد وخارجها «الى ان الواجب يتقاضاهم ان يعملوا ما من شأنه تسهيل مهمة تفاهم الاحزاب وازالة جميع العثرات والعقبات من طريقها وهذا ما تنتظره البلاد من اخلاصهم وتؤمله فيهم واني اتوجه الى رجال هذه الصحف والقيمين عليها ومنشئيها بالرجاء الخالص ان يكونوا عونا في هذه المهمة وان يكفوا عن نشر ما من شأنه نكأ الجراح والحط من كرامة احد الفريقين ولي الثقة والامل انهم لن يخيبوا هذا الرجاء ان حياة البلاد باعتصامها بحبل الاتحاد المتين وليس وراء الشقاق والخلاف غير الفشل وذهاب الاثر ووصمة الدهور وعار العصور» (٥١) .

وكانت الجمعيات والاحزاب الاستقلالية في المهجر شديدة الاحساس بحالة التفكك في البلاد بل اشد احساسا وأسبق الى الدعوة للوئام . فلم ينفك المهاجرون من ارسال النداء تلو النداء ومن الكتابة في صحفهم . وفي اول يناير (كانون الثاني) ١٩٣١ تنادت تلك الجمعيات والاحزاب الاستقلالية لعقد مؤتمر لها دام ثلاثة اسابيع متوالية انتهى بوضع برنامج عام للعمل وبالكتابة الى الكتلة الوطنية والى جميع الاحزاب السورية في الداخل والوفد في جنيف وجميع

زعماء النهضة القومية في سورية ولبنان وفلسطين وسائر الاقطار العربية .. يناشدهم الاتحاد والتمسك بحقوق البلاد وعدم عقد معاهدة كمعاهدة العراق وعدم جواز التشبه بها . ودعا الى الاستقلال الناجز الخالي من كل قيد وشرط لسورية المتحدة ولسائر الاقطار العربية (٥٢) .

وفي «الصحراء» ، من معاقل الثوار ، اذاع سلطان الاطرش دعوة «الى جميع الاحزاب السياسية والكتل الوطنية التي يهمها انتصار قضيتها» الى عقد مؤتمر عام في وادي السرحان للنظر في حالة البلاد ومواجهة «احتمال حدوث اوضاع جديدة ربما لا تتفق مع آمالها . وتضمنت قراراته ، فيما يتعلق بسورية ، وجوب تجديد العهد لانقاذها واستنكار سياسة فرنسا وتحميلها وحدها تبعة ما يطرأ من تغيير» (٥٣) .

وأيا ما كان الامر . وعلى الرغم من تفشي تلك الحالة التي يتسم بها العقل «الانقسامي» في بلادنا الذي لا يرى مجالا لتحقيق ذاتيته في الجماعة ومن خلال الاهداف العامة ويستسهل تحقيقها في النقد السلبي واكتشاف النقائص في الآخرين ، فان تيار الكتلة الوطنية اخذ يكتسح واصبحت تسيطر على الاحياء وعلى الشارع في نفس الوقت . ولم تعد مقالات التشكيك التي توحي بها دوائر الانتداب او تمليها الاحقاد والمنافسات الشخصية تجد صداها المعتاد .

الفصل العاشر

المشروع الفاشل

لم يبق امام السلطات الفرنسية ازاء تلك الظروف الا ان تختار : بين التعاون مع الوطنيين . وفي هذه الحالة لم يعد امامها الا ان تقبل بالتسوية التي يقترحونها من اجل الدستور . وبين ان تستمر في التعاون مع أعوانها وانصارها الى آخر الشوط . وفي هذه الحالة لا بد لها من نشر الدستور بالصيغة التي انتهت اليها دوائر وزارة الخارجية في تعديل مواده على النحو الذي رات فيه اقوى ضمانا لمصالح فرنسا . لقد اصبح الموقف امام لجنة الانتدابات حرجا . في عام ١٩٢٥ تذرعت فرنسا بالثورة في سورية فطلبت مهلة ستة شهور لدى جوفنيل حتى يتمكن من تهدئة الحالة اوضع الدستور (١) اما الان فالحالة ، رغم كل ما جرى لا تبرر طلب الامهال . وكان الوطنيون ، الذين اتهموا بالتطرف . على درجة من الوعي مكنتهم من ضبط النفس وقد استجابت البلاد لنداء هاشم الاتاسي بالتزام الهدوء والسكون والاتحاد والتضامن قبيل موعد وصول المفوض السامي الى سورية (٢) . حتى ان بونسو نفسه . في رده على استفسار وزير الخارجية الفرنسية عن الحالة بعد تعطيل الجمعية التأسيسية الى أجل غير مسمى ووقع ازمة الدستور في البلاد ، استغرب وهو يصف هدوء الوطنيين وتعقلهم وبقاءهم مع ذلك يمدون يدهم للتعاون (٣) . فبات لزاما اذن على فرنسا ، والحالة هذه ، ان تصل بالبلاد الى وضع شرعي . وهكذا وبإلحاح من وزارة الخارجية اعلن بونسو

دساتير «الدول الخاضعة للانتداب» .

ولقد علل ، في الكتاب الذي رفعها به الى وزير الخارجية ارستيد بريان Arstide Briand ، المؤرخ في ١٤ مايو (ايار) ١٩٣٠ ، سبب التعديل بقوله: «.. ان التعديلات المبدئية الوحيدة التي ادخلت على هذا النص كانت الغاية منها ان لا يكون تطبيق هذا الدستور مانعا من القيام بالحقوق والواجبات التي تعود للدولة المنتدبة من الاتفاقات الدولية النافذة . وعليه فقد عبر عن تحفظات الانتداب في مادة موقتة اضيفت الى الدستور وواضح مداها في قرار المفوض السامي ويجري تأثير هذه المادة حتى تعقد مع حكومة منشأة قانونيا المعاهدة التي يحدد فيها من جديد برضى جمعية الامم شروط تطبيق الانتداب وفقا للمبادىء المذكورة في المادة ٢٢ من ميثاق هذه الجمعية مراعاة لما يكون قد تم من التطور والرقي (٤) .. اما التعديلات البسيطة التي ادخلت على النص الاصلي فقد تبودلت الآراء بصددها في حينها مع مكتب الجمعية وكان من المنتظر ان يقبل بها هذا المكتب» (٥) . وذهب يشرح امام لجنة الانتدابات الظروف التي اعلن فيها هذه الدساتير . معتبرا انه وضعها بالاتفاق مع الجمعية التأسيسية ، اما النقاط التي حصلت بسببها القطيعة فقد حللها على النحو التالي : «قلت للسوريين اذا كانوا لا يريدون الا يشار للانتداب فلا بد من حذف المواد المتنازع عليها ، واذا ، على العكس ، كانوا يتمسكون بنصبهم فسوف اكون مضطرا الى تحديد الشروط التي سيطبق فيها هذا الدستور طالما بقيت مهمة توجيه تطور البلاد مناطة بنا . وهذا ما عنيته بالمادة ١١٦ وهي مادة موقتة يبطل عملها بانتهاء الانتداب او بادخال الحقوق والواجبات الممنوحة للدولة المنتدبة في معاهدة تعقد بين الدولتين...»(٦)

الا ان الامر في حقيقته . على الرغم من براعة المفوض السامي ومن امتداح بعض اعضاء لجنة الانتدابات وخاصة العضو السيد بالاسيوس Palacios لفكرة تذويب الانتداب في معاهدة على غرار ما حصل في العراق والاردن .. لم يكن على هذا المستوى من التبسيط الذي عرضه المفوض السامي . فان الانتداب عندما اختلفت الجمعية التأسيسية مع المفوض السامي على مواد الدستور لم يكن حكما وانما كان هو الخصم وهو الحكم . ولم يكتف بالتحفظات التي اضافها في المادة ١١٦ على الدستور والتي لا تقيد الدستور في اختصاصات الانتداب فحسب ولكنها تشله تماما. وانما عدل موادا جوهرية فيه كالمادة ٢ المتعلقة بالوحدة . ومن هنا جعله مفعول دستور الجمعية التأسيسية محصورا بحدود «دولةسورية»المؤلفة من دولتي دمشق وحلب واصداره لثلاث دساتير خاصة بكل من «جبل الدروز» و«العلويين» و«سنجق الاسكندرون» ، معتبرا اياها دولا مستقلة (٧) . وترك نظام العشائر كما أسسها الانتداب على حالها واصدر نظاما اساسيا لمجلس المصالح المشتركة «يكمل النصوص المنوه عنها أعلاه . وهذا النظام والقرار الصادر بنشره موضحان الشروط التي تدعي فيها الدول ذات الشأن والسلطات والمصالح المحلية لمؤازرة ممثل الدولة المنتدبة في ادارة المصالح المشتركة بين البلدان المشمولة

بالانتداب الفرنسي» (٨) . وفضلا عن ان هذا الاجراء مغاير لاماني البلاد التي ينبغي على الدولة المنتدبة ان تاخذها بعين اعتبار وأن تراعيها فانه مخلّ بالمادة الاولى من صك الانتداب التي تنيط بالدولة المنتدبة مهمة «اعداد القانون الاساسي بالاتفاق مع السلطات المحلية» .

ها هنا مكمن الخلاف بين الوطنيين وسلطات الانتداب . فكمـــا انه ليس صحيحا ان الوطنيين ينكرون وجود الانتداب ولا يريدون الاعتراف به كذلك ليس صحيحا ان سلطات الانتداب تنطلق من التسليم بأن الانتداب موقت ولمدة قد تنتهي قريبا وغير ابدية . والوطنيون يعرفون ويقرون بأن ثمة فروقا طائفية واجتماعية واقتصادية الا انها وليدة عصور الجهل والتخلف والحكم الاجنبي .. وليست اصيلة . كما انها ليست وليدة الفروق العرقية .. وبالتطور والنماذج والحكـــم الوطني تقل بل وقد تتلاشى وتزول كلما نما الشعور القومي . الا ان سلطـــات الانتداب ترى ان ادراك ذلك وتحقيقه يكونا بالتطور ؛ وهو امر لا خلاف فيه . لكنها تريد ان ينطلق هذا التطور من تكريس الفروق في كيان مستقل اولا لا من الوحدة والتآلف في ظلهما وهذا ما يفضح نواياها ويجعل منها حقا يراد به باطلا. فاذا اقيمت على الطائفية كيانات مستقلة كيف يمكنها فيما بعد ان تتحرر مـــن الطائفية ؟

بذلك عادت سلطات الانتداب بسورية القهقرى عشر سنوات الى الوراء . يومئذ كانت تحس بعداء المنطقة كلها : الاردن . العراق . فلسطين وحتى تركيـــا وان اختلفت اسبابه ومراميه . ورأى غورو ان افضـــــل رد على اجراءات الانجليز ودعاياتهم في المنطقة من جهة وعلى ارتباطات دمشق خارج الحدود كزعيمة وكمركز اشعاع للفكرة العربية من جهة اخرى . هو تقسيم سورية ومحاصرة دمشق بهذا التقسيم وكسر جناحيها ووسيلتي اتصالها بالعالم الخارجي : العلويين وجبـــل الدروز (٩) . فمن الطبيعي ان تجد التطورات الجارية في البلدان المجاورة . ايا كانت . سلبا او ايجابا . صدى في السياسة الفرنسية في سورية الا انه ليس من الطبيعي ان يكون ذلك دائما ضد اماني الشعب في سورية . لقد كانت الوحدة السورية وما زالت اهم المطالب الوطنية . ومنذ عام ١٩٢٦ كان على المسؤولين الفرنسيين ان يقتنعوا براي «لجنة استشارات الاهالي» . التي تشكلت برئاسة بول بونكور لاعداد الدستور . على الرغم مما يؤخذ على طريقتها في تقصي الحقائق والذي اقر بأن اكثرية الاهالي تطالب بالوحدة (١٠) ومنذئذ اعلن المجلس الاستشاري لمنطقة الاسكندرونة التي «قدم وضعها الخاص المستقل عناصر مفيدة للمساومة مع الوحدة السورية» باعتراف دي جوفنيل(١١) ؛ تأييده للتخلي عن الاستقلال والبقاء في وحدة مع سورية بتسعة اصوات من عشرة وذلك على اثر اتصال وزيـــري العدلية والمالية من قبل رئيس الدولة بالمجلس (١٢) . ويكفي ان نقارن بين العدد الضئيل من الاشخاص الذين كانت سلطات الانتداب تقربهم اليها من منطقتي جبل الدروز وبلاد العلويين وتحظى بتأييدهم .. والقيادات الشعبية . المقاطعة للانتداب

سواء منها الموجود في داخل البلاد او المشردة خارج سوريا ؛ للاستدلال على مدى تعلق الناس بالوحدة . ولم يكن مطلب الوحدة وطنيا فحسب بل كان مطلبا تقدميا.



لم تتلق سوريا نشر الدساتير ، خلافا لارادة وطنييها ، بصمود وترو فحسب بل بتعزيز نزوعها الى الوحدة وحشد صفوفها وراء مطالبها . وقد اذاعت صحف دمشق برقية موقعة من مختلف الاحزاب موجهة الى جنيف والى وزارة الخارجية الفرنسية جاء فيها : تحتج الامة السورية على ما ورد في تقرير الحكومة الفرنسية من وصف الحالة في البلاد وصفا يخالف الواقع وهـــي تطالب بتغيير الاساليب السياسية والادارية التي اتخذت حتى الان مغايرة لحقوق الامة وامانيها .. وهي تصرح انه لا صحة لما جاء في التقرير من ان احزابا في سوريا تسعى لتأييـــد الانتداب ومعارضة المساعي الوطنية . ان الامة تؤلف صفا واحدا يسعى لتحقيق مطالبها المشروعة وهي تكرر احتجاجها على ما ورد في الدساتير المختلفة من اقرار التجزئة ونقص السيادة القومية باضافة المادة ١١٦ الى الدستور . وعندما سئل بعض الذين عرفوا بتأييدهم للانتداب كيف يوقعونها اجابوا بأن الامة ابقى وهـــم ملتزمون بمبادئها (١٣) . واستنكر «الثوار» من معاقلهم تلك الدساتير الممزقة لوحدة البلاد وشجبوا التصريحات الفرنسية لجمعية الامم لمخالفتها حقيقة الحال (١٤) .

وفي ١١ يونيو (حزيران) وهو يوم الذكرى السنويـــة لافتتاح الجمعيـــة التأسيسية ، منعت سلطات الانتداب ، الوطنيين من الوصول الى الامكنة التي كانوا قد قرروا عقد اجتماعاتهم فيها لاحياء ذكرى ذلك اليوم في دمشق وحلب ، وبعض المدن الاخرى . الا انهم تمكنوا في دمشق وحلب من الاحتشاد في امكنة اخرى وقد اصبحت هذه المدن مقفلة اقفالا تاما كأنما يخيم عليها الحداد. واستطاع الخطباء ، رغم احتياطات السلطة من ايصال آرائهم الى الجماهير . وقبيل الظهر ارسلت الى المفوض السامي في باريس برقية احتجاج باسم «الجموع العظيمة التي احتشدت وأيدتها مدينة دمشق باضرابها على منع الجمعية التأسيسية من اتمام مهمتها وعلى قرار تجزئة البلاد باصدار دساتير مختلفة وعلى المادة ١١٦ التي تعطل الدستور وتقارير الاستقلال القومي» (١٥) . ومن حلب ارسل المجتمعون برقيـــة احتجاج جاء فيها : «ان انتصار القوي المسلح على الضعيف الاعزل بسلطة الانتداب المقرون بالمطامع الاستعمارية يمثله صدور الدستور السوري من قبـــل المفوض السامي مستأثرا بتصحيحه وبتره ووضع مادة تحفظية ضمنت ذلك الفوز المناقض للمادة ٢٢ من عهد جمعية الامم وعهود الحلفاء للعرب . .» (١٦) واعقبت ذلك موجة من الاضرابات عمت البلاد كانت تنطلق وتجتاح مختلف الفئات : طلاب . واصحاب المهن والحرف: صحفيين . طحانين ، خبازين ، تجار ، كهنوت ، بائعي الحليب. . . لاتفه الاسباب (١٧) .

بيد ان المفوض السامي مضى في خلق «تركيبة» الشرعية . فختم «عهد الحكومة الموقتة» التي تعاونت مع الانتداب منذ ما يقرب من اربع سنين «بالروح المحددة في التصريحات الرسمية التي كانت عينت سابقا بالاتفاق فيما بيننا سير الاعباء التي تقوم بها ونهايتها ..» لان ممثل الدولة المنتدبة راى انه من الضروري «ان يقوم بنوع اكثر مباشرة بما له من المسؤولية لاجل تنفيذ صك الانتداب . وحدد ذلك بامور ثلاثة نوه بها في كتاب انهاء حكم الشيخ تاج (١٨) والتي اوضحها بقرارات ثلاثة اصدرها في نفس اليوم وزع بها السلطات وكيفية القيام بها في عهد الانتقال : اولا : انشاء مجلس استشاري لمساعدة المفوض السامي من اجل تنفيذ القانون الاساسي في سوريا يكون اعضاء فيه حكما رؤساء الدولة السورية المتعاقبين ورئيس مجلس الشورى ورئيس محكمة التمييز وعميد جامعة دمشق ورئيس مجلس سنجق اسكندرونة الاداري ورئيسا غرفتي التجارة في حلب ودمشق . ومن يرى المفوض السامي استشارتهم ودعوتهم الى استماع آرائهم (١٩) . ثانيا : لتسيير امور الدولة الى ان ينفذ الدستور وتتالف حكومة نظامية معترف بها يقوم بمصالح الدولة وزير العدلية ووزير المعارف ووزير المالية ووزير الاشغال العامة والزراعة وامانة سر عامة وفقا للشروط المبينة في القرار الذي جعل ذلك كله مرتبطا بالمفوض السامي او بمندوبه في دمشق (٢٠) . ثالثا: وخوله القرار الثالث . هو نفسه بأن يقوم بالصلاحيات الخاصة الموكول بها الى رئيس الدولة وعلى الاخص الصلاحيات المنصوص عنها في المواد ٣ و٢٩ و٣١ و٤٢ و٥١ و٥٦ و٩٥ الواردة في ملحق قرار المفوض السامي ١٨٨٩ لعام ١٩٢٨ تاريخ ٢٠ مارس (نيسان) (٢١) . واتماما لهذه التركيبة الشرعية في هذه المرحلة التي اطلق عليها اسم «عهد تنفيذ القانون الاساسي» قرر ان تجري الانتخابات في ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣١ للدرجة الاولى وفي ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٢ للدرجة الثانية . في «جو اكثر ما يمكن من التعاون النزيه الذي هو ضروري اليوم كما هو ضروري غدا ..» (٢٢) ثم عين مندوبه في دمشق السيد سالومياك Salomiaque رئيسا للدولة السورية وكلفه بادارة الانتخابات وفق القانون القديم .

في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣١ عقد اول اجتماع للمجلس الاستشاري افتتحه المندوب السامي بخطبة حدد فيها صورة المرحلة المقبلة واعتبر ان «الحل الدائم للعلاقات بين سورية وفرنسا سيكون بعقد معاهدة» كما قال في خطبته في افتتاح الجمعية التأسيسية من قبل واعاد ذكره في كتابه الى وزارة الخارجية الذي به دساتير البلدان الخاضعة للانتداب وكرره امام لجنة الانتدابات الدائمة في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٣٠ . وحدد الهدف من الانتخابات انه للتمكين من تأليف حكومة شرعية لتقوم بالمفاوضات التي تحدد العلاقات نهائيا بين فرنسا وسوريا بمعاهدة .. لان المفاوضات التي يستطيع المفوض السامي ان يدخلها لاخراج عناصر القضية الجوهرية وللوصول الى حل يرضي الفريقين ـ يجب ان تكون مع

ممثلي سوريا الشرعيين» . الا ان هذا الاجتماع كان الاول والاخير اذ صدر قرار بالغائه . ولم يحضره هاشم الاتاسي لعدم اخذ رايه في تعيينه وقيل لانه ارسل مذكرة للمفوض السامي ولم يتلق ردا عليها ولعدم اعلان صلاحيات المجلس ، كما شاع ان خطبة الداماد في الجلسة كانت سببا في هذا الالغاء .

***

بعد اجتماعات دامت عدة ايام (٢٣) ، في مؤتمر عقد في دمشق ، تجاذبها فيه جناحا الاعتدال والتطرف بين اتباع راي جماعة دمشق القائلين بدخول الانتخابات وجماعة حلب الداعين الى المقاطعة ، اذاعت الكتلة الوطنية بيانها بدخول الانتخابات في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) بتوقيع رئيسها هاشم الاتاسي . وقد رجحت كفة هذا الموقف الايجابي العريضة التي اخذ اهالي حمص يوقعونها ويرسلونها الى الوطنيين بدمشق وهي : «نؤيد فكرة الدفاع عن حقوق الامة داخل قبة البرلمان». ودعا البيان الامة «بما تحلت به من الانصاف واصالة الراي ان تختار بين الرجال الذين لم ينجحوا حتى في احرج الاوقات الى اعتزال العمل وترك ساحة الجهاد والرجال العاجزين عن حماية مصالح البلاد» (٢٤) .. لعل هذه الحلقة الجديدة في سلسلة التجارب الطويلة تكون اسعد حظا . فان فرنسا تنوي فيها استبدال عهد الانتداب . المفروض علينا فرضا . الوحيد الطرف . بعقد ثنائي الطرف تتفاوض به وتعقده مع نواب الامة الشرعيين الذين يوجدهم هذا الاختيار . وعلى الرغم من محاولات رجال الكتلة لمعرفة الاسس التي ستبنى عليها هذه المعاهدة والحقوق التي ستنالها سوريا فقد قررت خوض المعركة الانتخابية . والانتخاب حق اساسي تمارسه الشعوب . الا انه في هذه المرحلة يكتسب اهمية خاصة لعدم وضوح الخطوات القادمة التي سيتقرر عليها مستقبل البلاد الى سنين طويلة لذلك على الامة ان تختار رجالها المخلصين الذين تثق فيهم . وتحت لواء الوطن العزيز ومبادئه قرر رجال الكتلة ، معتصمين بالمبادىء القومية العزلاء من كل سلاح غير سلاح الحق والاخلاص دعوة الامة لقبول هذا التحدي (٢٥) . واذاع مرشحو دمشق عهدا بذلك على الجموع المحتشدة امام دار الايام (٢٦) .

كان الصراع عنيفا في الانتخابات : بين الكتلة الوطنية والفئات الاخرى من كافة الاحزاب . واذا كنا لا نستطيع الان التحقق من صحة الاتهامات التي وجهت الى السلطة بتزوير الانتخابات لصالح اعوانها الا ان ثمة امرا لا مراء فيه وهو اضطرار السلطة الى اعادة الانتخابات في دمشق وحماه وان مقرر لجنة الانتدابات. اعترف في رده على عرائض الاحتجاج على الانتخابات من الهيئات السورية بأنه : «لم يسقط في دمشق من القتلى سوى ستة اشخاص وان عدد الضحايا في حلب اربعة ..» (٢٧) . وكانت نتيجة الانتخابات في حلب فضيحة مكشوفة تشير بتواطؤ السلطة : اذ لم يكن من المعقول سقوط القائمة الوطنية بأجمعها وعلى راسها هنانو

ونجاح الآخرين وبينهم نكرات (٢٨) . واصرت السلطة على عنادها امام برقيات الاحتجاج والعرائض والاضرابات وما رافقها من اعتقالات ومحاكمات فلم تقبل باعادة الانتخابات .

كانت محاكمات الذين احيلوا امام المحاكم الاجنبية بسبب الانتخابات ، في دمشق وفي حلب بموجب قانون «نظام قمع الجرائم» وهو اشبه ما يكون بنظام الاحكام العرفية ، ما تزال جارية (٢٩) عندما وصل بونسو دمشق واذاع بلاغا بدعوة البرلمان الى الانعقاد في ٧ يونيو (حزيران) لانتخاب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس . وكان المرشحون لرئاسة الجمهورية ثلاثة هم : حقي العظم وصبحي بركات ومحمد علي العابد . وكان صبحي بركات قد جمع حوله من النواب في حزب سماه «الحزب الحر الدستوري» عددا بلغ ٢٨ نائبا وتمكن حقي العظم من جمع ٢٣ نائبا والتف حول هاشم الاتاسي نواب حمص وحماه ونواب دمشق الوطنيين السبعة انضم اليهم واحد من دير الزور ونائب المعرة فبلغ عددهم ١٧ نائبا . ورشح الفرنسيون صبحي بركات لرئاسة المجلس ففاز بأصوات الكتلتين المواليتين للانتداب فحاز على ٥١ صوتا وحصل هاشم الاتاسي منافسه على ١٧ صوتا . وبات من الواضح بذلك ان رئاسة الجمهورية اصبحت من نصيب احد اثنين : صبحي بركات او حقي العظم . وازاء تكتل الوطنيين وتهديدهم بالانسحاب من المجلس نجحت التسوية التي عرضها جميل مردم وهي ان يكون محمد علي العابد رئيسا للجمهورية ويكون حقي العظم رئيسا للوزارة يشترك معه فيها الوطنيون على ان يتم التصديق من قبل المجلس على الانتخابات (٣٠) . ثم الفت الوزارة مناصفة بين الانتدابيين والوطنيين(٣١) وتتويجا لشعار بونسو سميت وزارة «التفاهم النزيه» . ولدى انعقاد المجلس صودق على الانتخابات بالاجماع لان مقرر لجنة الطعون لم يجد امامه الا الاعتراضات الواردة من المناطق .

احس رجال الكتلة الوطنية بعد هذه المعركة انهم مقبلون على اشد منها فان لم يجمعوا صفوفهم ويسرعوا في تحديد مواقفهم وتوضيح مطالبهم للالتزام بها فقد تشق صفوفهم رغبة البعض في الحكم من جهة وهو ما يراهن عليه المفوض السامي وتحقق سلطات الانتداب بالتعاون مع انصارها ما تبيته للبلاد من جهة اخرى . ومن هنا كثرة اجتماعاتهم ومؤتمراتهم في دمشق وفي حمص وحلب ولبنان . واول عمل قاموا به هو انهم تمكنوا من ان يضعوا راي جميل مردم الذي كان يقود التعاون الى آخر الطريق ويقول بالمعارضة من داخل المشاركة في الحكم وراي الحلبيين الذين كانوا يقولون بالانسحاب ، في اطار خطة عامة (٣٢) . ففي اوائل نوفمبر (تشرين الثاني) صرح هاشم الاتاسي «ان نواب الكتلة الوطنية في المجلس النيابي لا يحضرون جلسة الافتتاح ولن يحضروا بعد ذلك جلسة من جلسات هذا المجلس قبل ان يعلن المفوض السامي اسس المعاهدة السورية الفرنسية التي عقدها .. والتي يجب ان لا تقل عن المعاهدة العراقية الانجليزية الاخيرة» وانتشر بيان بهذا المعنى ذكر ان الوزيرين الوطنيين لا يحضران جلسات

المجلس ـ اذا حضراها ـ الا بصفتهما الوزارية لا النيابية» (٣٣) .
وسلم فارس الخوري بيانا للصحفيين مفاده «ان النواب الوطنيين دخلوا هذا الانتخاب حتى اذا كان هنالك خير للبلاد تلقوه وان كان شر دفعوه .. فانهم لم يأتوا للمجلس النيابي لاجل الاشتراك في قرارات التمني التي تحصرهم ضمنها المادة ١١٦ الملحقة بالدستور بل جاءوا لعمل سياسي يخلصهم من كابوس هذه المادة ويطلق ايدي نواب الامة في اعمال التشريع والمراقبة النيابية الحرة ولتأليف حكومة دستورية مستقلة في مناهجها ومقرراتها لا تخضع لغير مراقبة البرلمان . وعندما علموا انه ليس هنالك معاهدة ولا بحث عاجل بها قرروا عدم الاشتراك في اعمال المجلس قبل الشروع في العمل السياسي الذي تبقى بدونه كل مساعي المجلس والحكومة رهن العقم والحبوط . وحالما يتحققون ان الحكومة تقدم الى المجلس بيانا سياسيا عما هي عازمة على القيام به من الاعمال المقضية الى تبديل الوضع الحاضر الشاذ يجب عليهم بحسب عهودهم السابقة للامة التي انتخبتهم ان يواجهوا الموقف ويحولوا دون كل سيئة تراد بالبلاد السورية . وبما انهم قد اعلنوا قبلا في مواقف متعددة انهم يرضون لبلادهم مثل المعاهدة العراقية وهم اليوم باقون على هذا الاعلان وثابتون عند هذا العهد . فالواجب ان يشترطوا لاجل منح الوزارة ثقة المجلس ان تحصل بأسرع ما يمكن على معاهدة مع فرنسا لا تكون اقل من معاهدة العراق الاخيرة مع بريطانيا . فاذا تسلحت الحكومة بمثل هذا القرار من المجلس وتقدمت بعده للمفاوضة فورا مع فرنسا تقف موقف حزم حيال كل اقتراح او يخل بالمصالح السورية من وحدتها وجيشها واموالها وحقوقها السياسية والادارية في داخل البلاد وخارجها ولا تستطيع بوجه ما ان توافق على اي شرط في المعاهدة يجعل حظ سوريا انقص من حظ العراق . فعلى هذه المبادىء يسير النواب الوطنيون ويبقون في خوض هذه الغمرة الى نهايتها ما داموا متمتعين بثقة ناخبيهم ومتذرعين بالحزم والتضحية والاخلاص» (٣٤) .
يذكر مراسل المقطم انه بينما كان يهم بارسال بيان الخوري هذا للنشر جاءه عدنان الاتاسي يقول ان والده (هاشم الاتاسي) علم بهذا البيان «الذي تبرع به فارس الخوري من تلقاء نفسه» فارسله ليعلم الصحفيين بانه «لم يطلع عليه وان النواب الوطنيين لم يحيدوا عن قرارهم السابق بصدد المجلس» ، وأيد ابراهيم هنانو هذا المعنى واعتبر راي فارس‌الخوري رأيا شخصيا . في حين قال سعد الله الجابري : «انني استغرب جدا تلك الاشاعات التي ملأت المدينة عن احتمال دخول النواب الوطنيين الى المجلس النيابي لان هناك عريضة ممضاة بتواقيعهم كلهم تشير الى انهم قرروا الانسحاب من المجلس وامتناعهم عن حضور جلساته ما لم يصدر المفوض السامي بيانا صريحا عن أسس المعاهدة ومدى استعداد الجانب الفرنسي للاتفاق مع السوريين وحتى الان لم يصدر اي شيء من هذا القبيل» (٣٥) . والى جانب جميل مردم كان فايز الخوري من اشد المتمسكين بعد الانسحاب لانه يريد كما قال ان يرفع صوته تحت قبة البرلمان لا في الازقة والشوارع «ان الامة انتخبتنا

لا لنتخلى عن قضيتها ونفر من المعركة بل لنسمع انينها الى العالم ونتحمل كل مسؤولية في هذا السبيل . فعلينا ان نحسن التصرف بتلك الثقة التي أولتنا اياها » (٣٦) .

ويبدو ان ثمة تسوية تمت لا بين صفوف الوطنيين فحسب وانما بينهم وبين الفئات الاخرى . فبعد اجتماع دام عشر ساعات لتقرير الانسحاب او البقاء اذاع هاشم الاتاسي باسم الكتلة الوطنية بيانا جاء فيه: «ان الوطنيين اقدموا على دخول الانتخابات بهدف العمل على عقد معاهدة مع الحكومة الفرنسية تضمن استقلال البلاد ووحدتها وتنتهي بها الاوضاع الشاذة التي كادت تقضي على حياة البلاد السياسية والاقتصادية وقد مضى على ذلك خمسة اشهر لم نر خلالها من الجانب الفرنسي اي مظهر من مظاهر التسهيل لمهمة الحكومة وتطمين افكار الشعب على مصيره فراينا ان الواجب يقضي بانسحابنا من المجلس النيابي ريثما نتبين اسس المعاهدة التي يجب ان لا تقل عن المعاهدة العراقية . الا ان المساعي المبذولة اخيرا جعلت الوزيرين الوطنيين وفريقا من اخواننا يعتقدون ان الاستمرار مرة اخرى على السياسة المنتهجة سيساعد على تحقيق الاماني القومية . فاستنادا الى ذلك راينا لزوم التريث لنقيم دليلا جديدا على حسن النية .. واننا نامل ان يلاقي عملنا هذا ما يستحقه من التقدير والاعتبار من الجانب الفرنسي وان يقابله بمثله من التساهل وحسن النية ..» وقال جميل مردم وهو يقدم البيان للنشر : لم يكن ابتهاجنا باتخاذ هذا القرار لاننا عدنا الى السياسة التعاونية فقط بل لمحافظتنا على تلك الوحدة التي كاد يعبث بها تشتت الآراء . وعقب ابراهيم هنانو بقوله : كنت حتى امس الاول مصرا على اعلان رايي للشعب بتوديع السياسة الايجابية والعودة الى السياسة السلبية ولو افضى ذلك الى شق الصفوف ولكن هناك بوادر جديدة تدعوني الى التزام جانب الصمت والانتظار ريثما نرى نتائج هذه التجربة الاخيرة التي يقول بها بعض اخواننا الوطنيين» (٣٧) . وجاء في برقية «الوفد» من جنيف ردا على استطلاع هنانو لرايه فيما يجب انتهاجه من سياسة قوله : «نحن نوافق على متابعة السياسة الايجابية ودخول الوطنيين المجلس ومنح الحكومة الثقة بعقد المعاهدة مع فرنسا مثل معاهدة العراق مع بريطانيا بشرط ان تكفل لسوريا الاستقلال والسيادة والوحدة التامة» (٣٨) .

لعل تلك البوادر التي نوه بها ابراهيم هنانو واشار اليها بيان هاشم الاتاسي هي ما ادلى به رئيس المجلس في بيانه الذي افتتح به الجلسة قبل ان يلقي رئيس الوزارة بيانها ، فقال : «ان المعاهدة مع الجمهورية الفرنسية ليست مطلب فريق في هذا المجلس دون آخر : انها بغية الجميع ومحط آمالهم ورحالهم ولن نرى ان تكون هذه المعاهدة اقل من المعاهدة العراقية الانجليزية اذ لم تكن احسن منها ولا معاهدة قبل الوحدة الكاملة على اساس اللامركزية والعفو العام» (٣٩) .

***

لمواجهة ما تبيته سلطات الانتداب بشأن الدستور واحتمال تقديم معاهدة مهياة من قبل دوائر وزارة الخارجية سرت الديناميكية في عصب رجال الكتلة الوطنية فأخذوا يتواجدون في كل مناسبة وكل حفل وكل اجتماع فيحولونه للمناداة بمبادئهم وكان ردهم على الدعوة للاستقرار التي تمكنت الدعاية الفرنسية من خلق جو لها : «ان للبلاد حقوقا يجب ان يقام عليها هذا الاستقرار ..» الا ان اهم ما قاموا به هو تشكيل المكتب الدائم للكتلة الوطنية (٤٠) واعلان مبادئها او قانونها الاساسي وكانهم بهذا الاعلان ارادوا استباق الحوادث اذ ان بعض هذه المبادىء يترجم بعض مواد الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية ويؤكد الاصرار على اعتناقها (٤١) . وبادروا على اثر مؤتمرهم الذي عقدوه في حلب في ١٧ فبراير (شباط) الى اصدار بيان مستمد من هذه المبادىء راوا فيه «ان يعلنوا للشعب السوري الكريم في الداخل والساحل تمسكهم بحق البلاد القائم على اساس الوحدة ضمن سيادة قومية واحدة وان كل معاهدة او مفاوضة لعقد معاهدة تحالف مع فرنسا غير قائمة على هذه الاسس لا تكون جديرة بالقبول .. وان البيانات التي يصدرها الجانب الفرنسي المتضمنة لبعض الاعترافات بحق سوريا بازالة الانتداب المفروض عليها وبكفاءتها للحرية والاستقلال .. لا يكفي ولا يأتلف مع عوامل الثقة المتبادلة المطلوبة» (٤٢) وقالوها صراحة انهم لا يقبلون الشروع بالمفاوضة لعقد معاهدة الا بعد التثبت من قبول الجانب الفرنسي اساسا لها تحقيق الوحدة . وعليه بات واضحا ، هذه المرة ، من جانبهم لا من جانب المفوض السامي كما حدث قبيل وضع الدستور في الجمعية التأسيسية ، ان المعاهدة اذا لم تأت وافية بهذه المطالب فسيكون لهم موقف مشهود . فهو يريدهم ان يشاركوا فيما يرتب للبلاد على ان لا يكونوا الاكثرية المهيمنة لتفرض ما تريد وهم قبلوا بهذه المشاركة على ان لا يكونوا الاقلية «الشرعية» التي يجب ان تخضع للاكثرية : فان البلاد معهم هم .

* * *

في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٢ تقدمت الوزارة ببيانها امام البرلمان لنيل الثقة . لانه لا بد لها من هذه الثقة «لتكون الى جانب رئيس الدولة في اثناء المفاوضات التي سيشرع بها عما قريب للبحث مع ممثل فرنسا قواعد معاهدة تحقق رغائب البلاد في تحديد العلاقات المقبلة بين فرنسا وسورية وتمهيد السبيل لدخول سوريا في جمعية الامم» (٤٣) . وفي اثناء الرد على بيان الوزارة اثيرت . من جانب أعوان الانتداب ، مسألة القسم بالاخلاص للدستور اولا . فاحتدم الجدل وبلغت المهاترة اقصاها ، انقلبت الى استهزاء وتندر ببعض الاعوان المتطرفين

واقترح احد الخطباء ان يعاد الى الوزارة بيانها ليزاد عليه ان المعاهدة يجب ان تتضمن الوحدة والاستقلال فقد بدا ان الدستور لا يعبر عن «الاماني القومية» التي وردت في بيان الوزارة . ولم يستطع احد الدفاع عن المادة ١١٦ التي سماها احد النواب «غول الدستور» ومن ابتغى ذلك كان دفاعه لا يتعدى قوله انها موقتة وانها تزول بحكم توقيع المعاهدة ، تخفيفا من وطأتها . وعندما طلب «زعيم» المطالبين بالدستور التصويت على مسألة القسم على الدستور تلكأ المجلس وارتبك ثم طلب الراي برفع الايدي فلم يرفع يده احد حتى «زعيم المطالبين» (٤٤) بالقسم وانتهت الجلسة باعطاء الوزارة الثقة ورفض قسم اليمين على الدستور .

وعلى الرغم من سقوط الدستور ومن ان اكثرية الآراء الى جانب مطلبي الوحدة والاستقلال فان المفوض السامي بالاتفاق مع دوائر وزارة الخارجية الفرنسية ظل سائرا في خطته وهي تضمين المعاهدة المقبلة تفسيره للانتداب . ذلك انه «لا يمكن انتظار نهاية الانتداب الا في خلال فترة انتقال يتهيأ في غضونها تحويل بعض الواجبات الملقاة على عاتق الدولة المنتدبة الى الحكومة السورية تحويلا تدريجيا . واذا اقتصرت الكلام على الوجهة الدولية فأقول : انه من البديهي ان الانتداب لا يمكن ان ينتهي الا بعد ان تقبل جمعية الامم والدول ذات الشأن بتحويل الواجبات المذكورة . ذلك يتطلب عمل تهيئة ..» (٤٥) ومن الغريب ان ينفي رجل كبونسو وجود معاهدة مهيأة لديه ، عندما طلب منه اعضاء المجلس الاستشاري في الجلسة الوحيدة التي عقدها مشروع المعاهدة ليكون اساسا لعملية الانتخابات مع ان اعضاء هذا المجلس الحاضرين بلا استثناء ممن تثق فيهم الدوائر الفرنسية ثم يأتي مرة اخرى في لجنة الانتدابات لينفي وجود هذا المشروع (٤٦) . في حين ان وثائق وزارة الخارجية الفرنسية تكشف عن ان هذا المشروع بدا اعداده منذ تعيين دي جوفنيل وانه اصبح جاهزا في أعقاب تأجيل الجمعية التاسيسية (٤٧) .

وعلى اثر اذاعة بيان المفوض السامي امام لجنة الانتدابات في جنيف وقبيل الموعد المقرر لانعقاد المجلس النيابي، طلع على الناس ، باسم الكتلة الوطنية . هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو ، وكانت قد فوضتهما في اختيار الخطة والوقت المناسب لها ، ببيان بعدم استمرار التعاون في المجلس وفي الحكم ريثما تبدو من الجانب الفرنسي بادرة تساعده على استئناف العمل ، لانها رات في دراستها المستمرة منذ عشرة ايام «ان المحادثات التي جرت حتى الان بين المفاوض السوري ورجال المفوضية العليا لن تخرج في مجموعها عن نطاق بيانات المفوض السامي الاخيرة .. ولا تحتوي على اي اعتراف بالوحدة السورية .. وان الاستمرار في التعاون لا يجوز الا مع وجود الصراحة من الجانب الفرنسي في امر الوحدة .. وهي الغاية التي قبلت الكتلة من اجلها المسايرة والتعاون رغم ما في الاوضاع الحاضرة من شذوذ ، قامت على اساس مجلس مزيف في اكثريته ..» (٤٨) وعندها احجم المفوض السامي ، رغما عن قدومه بنفسه الى دمشق وقيامه باتصالات عديدة ، عن تقديم مشروع المعاهدة الى البرلمان التي اخفي امرها . وبسقوط دستوره وما

منيت به خطته في النهاية من فشل ذريع عاد الى فرنسا وقدم استقالته (٤٩) .



اثارت استقالة الوزيرين الوطنيين حركة شعبية مشبوبة بالحماس الوطني وايقظت الشعور بالوحدة رجة عنيفة في طول البلاد وعرضها فارتفعت الاصوات تنادي بها من كل مكان واصدرت الكتلة الوطنية بيانا حذرت فيه مما يبيت لسوريا (٥٠) وحاولت سلطات الانتداب كسر حدة هذه الموجة الوطنية التي انتظمت اطراف البلاد وطوائفها بدعوة نفر من المنتفعين لاستكتاب مضابط تطالب بالابقاء على الانفصال في جبل الدروز وبلاد العلويين فلم يفلحوا ، وعلى اثر مؤتمر صافيتا وقراره بالانضمام الى الوحدة ثم مغادرة نخبة من شباب جبل الدروز ، بلادهم الى دمشق والاعتصام بها . اصدرت سلطات الانتداب قرارا بتطبيق نظام «قمع الجرائم» الشبيه بالاحكام العرفية . وفي هذا الجو المحموم ، المتفجر ، الذي كانت المظاهرات فيه تجتاح البلاد من أقصاها الى أقصاها ، كل يوم ، وظنا بان الحركة الوطنية قد تضعف بموت فيصل ، جاء المفوض السامي الجديد دي‌مارتيل De Martel ليتابع بعناد واصرار خطة الاعتماد على الفئات المؤيدة للانتداب للمضي في موضوع عقد المعاهدة الى النهاية . فقد وصل بيروت في ١٤ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٣ وفي ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) تم توقيع مشروع المعاهدة مع ملحقاتها بينه وبين حقي العظم رئيس الحكومة السورية ومندوب رئيس الجمهورية وأذيع رسميا بعد ثلاثة ايام. وقال المفوض السامي في بلاغه الى الصحافة في ذلك «ان المعاهدة طرحت على مجلس النواب ومن العبث التدليل على اهمية المناقشات القادمة وان المجلس مدعو اليوم ليقول كلمته في نص المعاهدة التي طرحت عليه» (٥١) .

وفي البرلمان كانت المفاجأة التي اربكت دوائر الانتداب ورجالاته فما ان انتهى وزير المالية الذي وقف باسم الحكومة يدافع عن المعاهدة بخطاب طويل معد حتى وقف احد النواب الوطنيين وتلا مضبطة موقعة من ٤٦ نائبا (اكثرية ساحقة) تقول بانهم وجدوا المعاهدة «مناقضة لرغائب الامة وغير ضامنة لمصالح البلاد من وحدة وسيادة واستقلال ولذلك يرون ردها وانتخاب لجنة مؤلفة من خمسة عشر نائبا لكتابة قرار الرد ويقترحون اجراء انتخاب اللجنة حالا (٥٢) . وكان المندوب السامي يشهد الجلسة ويحمل في جيبه ، احتياطيا ، قرارا ، او قد يكون اخذ تفويضا عندما قام الى غرفة الهاتف ليتكلم مع المفوض السامي ، باصدار هذا القرار بتأجيل جلسات البرلمان فأبلغه الى رئيس المجلس وطلب منه وقف الجلسة فاوقفها في الحال .

لكن الواقعة كانت قد سجلت في محضر الجلسة مع ذكر اسماء النواب .

وهكذا سقطت المعاهدة دستوريا . وحاول المفوض السامي بنفسه انقاذها باستدعاء رئيس المجلس لاقناعه بعدم ادراج الواقعة في ضبوط المجلس بحجة ان قرار التاجيل كان قبل الشروع في مناقشة المعاهدة وان من قرأ العريضة لم يتل الاسماء الموقعة عليها اسما اسما ، وبالتمسك بترهات أخرى وشكليات لم تقنع رئيس المجلس فلم ير المفوض السامي ازاء صمود رئيس المجلس الا الاستعانة برئيس الجمهورية لاسترداد المشروع من المجلس النيابي متذرعا بأن ما جرى يؤلف برهانا كافيا على قلة استعداد مجلس النواب للاشتراك في مسؤوليات المعاهدة وعلى محاذير وضع عبء المناقشة في نص له هذه الاهمية ـ منذ الان ـ على عاتق مؤسسة لم ترسخ فيها بالقدر الكافي على ما يظهر ممارسة الاحكام الدستورية والتقاليد النيابية . ويتبين لكم ولا شك كما تبين لي ان التدبير الوحيد الذي من شأنه تذليل هذه المصاعب هو استرداد النص المودع الى المجلس النيابي بكتابكم المؤرخ في ١٩ الجاري واني اعتمد عليكم في هذا الاسترداد» .

وعشية يوم الجمعة في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) . وكان اجتماع البرلمان مقررا في صباح السبت تلقى رئيس المجلس قرار المفوض السامي بايقاف الدورة البرلمانية القائمة تأديبا للمجلس لانه «خرق تحت تأثير المظاهرات المثارة قبل وفي خلال جلسة المجلس النيابي يوم ٢١ نوفمبر احكام المادتين ٤٤ و١٠٠ من الدستور بمناقشته في موضوع غير مشروع الميزانية وقبل ان يودع المشروع الى لجنته» . واتخذت السلطات احتياطاتها اللازمة لمنع النواب من دخول المجلس الا ان ٤٤ نائبا استطاعوا ان يتسربوا واحدا تلو الآخر الى دار الرئيس داخل البرلمان حيث عقدوا جلسة اصدروا في ختامها قرارا برد المعاهدة الموقعة من قبل الحكومة .. لانها مناقضة لرغائب الامة وغير ضامنة لحقوق البلاد . واعتبر القرار ان الحكومة باتت غير شرعية لانها كان يجب ان تسقط بسقوط مشروع الدستور . ومع حرص النواب على توطيد العلائق بين الامتين السورية والفرنسية على اسس تضمن حقوق سوريا ووحدتها فانهم يرون في هذا التدخل المنكر في حياة البلاد الداخلية من جانب سلطة الانتداب ما يجعلهم يرتابون في المستقبل . واعلنوا تشكيل لجنة لمتابعة العمل . وابلغوا قرارهم هذا الى رئيس الجمهورية والمفوض السامي والحكومة الفرنسية .



يتضح لمن يمعن النظر في هذه الازمة ان سلطات الانتداب وعلى راسها المفوض السامي تصر بعناد على اعتبار مهمة الانتداب طويلة المدى وتنتهي على مراحل . تتدخل في الانتخابات او تسكت عن تدخل اعوانها واذا انقلب النواب الفائزون عليها او على الاصح اذا ماشى النواب الفائزون المطالب الوطنية قالت ليس لديهم بعد الاستعداد الكافي للاشتراك في مسؤوليات هامة كمسؤولية المعاهدة التي تقدمها.

واذا برع النواب في التفنن بالالاعيب البرلمانية وفوتوا على هذه السلطات اهداف تدخلها السافر وافسدوا خططها قالت يبدو ان ممارسة الاحكام الدستورية والتقاليد النيابية لم ترسخ بعد بالقدر الكافي (٥٣) . فراحت تعطل الحياة النيابية وتلغيها . واذا اجمعت البلاد على المطالبة بحقوقها ولم يبق من ذوي الشأن من يتعاون معها قالت هذه السلطات ان البلاد يفسدها المشاغبون ولا يتركون لها فرصة اشاعة الاستقرار ووضع القانون الاساسي للانتقال بالبلاد الى مرحلة الاستقلال . راحت تضع فرنسيين على راس الحكم . حتى لقد بلغ بها الحمق ان حدثت بعض افرادها انفسهم بأن يترشحوا لبعض المناصب الرئيسية وللنيابة(٥٤). فبعد مرور ما يقرب الستة عشر عاما على انتهاء الحرب العامة ، كان ينبغي اثناءها ان تتبخر اوهام الافكار التي عمرت بها اذهان المستعمرين الفرنسيين في القرن التاسع عشر بالاحتكاك مع الواقع على الاقل . ظلت سلطات الانتداب تتمسك بـ «رسالة حماية الاقليات المسيحية التي كانت فرنسا تقوم بها منذ القرن السادس عشر والتي نالت بها بحق نفوذا معنويا كبيرا» (٥٥) .

حماية . ولكن بلا اقليات . فقد علا المد الوطني . حتى بات «المتعصبون» يخجلون من اظهار تعصبهم . وجرفت الوطنية في تيارها الاقلية والاكثرية . وقام الزعيم هنانو يخطب : «النصارى في بلادنا هم اخواننا في العروبة والوطنية لهم ما لنا وعليهم ما علينا . انا اربأ بهم ان يعتبروا انفسهم اقلية فهم اكثرية مثلنا وكلنا نعيش في ضمان مشترك لا نحتاج معه الى حماية اجنبية كما يدعي المستعمرون ..» (٥٦) وكان فارس الخوري الدماغ المفكر وخاصة في القانون الدولي . وراء الكتلة الوطنية ، وفائز الخوري من داخل البرلمان العقل المدبر والمخطط . وفي هذا المناخ لم يقو سليم جنبرت الذي قامت نشأته على التعاون مع الانتداب موظفا ووزيرا على البقاء في الوزارة التي توقع مثل هذا المشروع للمعاهدة المخلة بحقوق البلاد ولم يتوصل الى اقناعه بالعدول عن استقالته لا سيادة بطريرك الروم الكاثوليك ولا المفوض السامي نفسه الذي استدعاه لهذا الامرونشرت الصحف النبأ . كانت الاجتماعات السرية تعقد في أحياء دمشق فيتنادى اليها ابناء مختلف الطوائف بلا تفريق . وقامت السيدات بمظاهرة وطنية ، فلم تكن تعرف أهن مسلمات ام مسيحيات . وتشكلت لجنة لمتابعة العمل فكان فيها صبحي بركات الى جانب هاشم الاتاسي وفائز الخوري ونقولا جانجي الى جانب نوري الاصفري ونسيب الكيلاني .. لقد امكن القول بحق ان الكتلة هي كل الامة. تلك الايام هي التي كانت فيها بداية ميلاد الجيل السوري الجديد الذي لا يعرف الطائفية . لقد نسي التاريخ او تنوسي وانفتحت الحارات بعضها على بعض ولم يعد ثمة من غيتو وغدا التاريخ هو المستقبل . وهكذا تحققت الوحدة الوطنية بالعمل وبالتفاعل مع الاحداث فقد وصف احد الكتاب نفسه في هذه الفترة فقال: «كنت احد الشباب الذين نشؤوا في الجيل الذي كان يردد في كل يوم مرات : الطاعة لله ثم للكتلة الوطنية ... وما عليّ من حرج اذا كنت في تلك السن ارى

فيها تجسيد آمال الامة .. ولكنني كنت منجرفا مع العناصر التي كونت عقليتي ونفسيتي خلال الحوادث الاليمة التي عشتها والتي مرت بالبلاد والتي جعلت من رجال الكتلة الوطنية أبطال هذه الامة وقديسيها في الوطنية والاخلاص.. وأعترف انني كنت استمع اكثر الخطب .. وكانت تلقى في الليل غالبا كل يوم في بيت من هذه البيوت الدمشقية القديمة التي كانت حلية عاصمة الامويين» (٥٧) .

الفصل الحادي عشر

معاهدة في ظل نواقيس الحرب

لم تكن مخالفة «تركيبة الشرعية» ، التي رفعها المفوض السامي للجنة الانتدابات وطرحها للتطبيق في «دول سورية» الواقعة تحت الانتداب ، للاماني الوطنية ، هي التي تجعلها واهية ، مزعزعة ، لا بد من تغييرها ، فحسب ، وانما كانت دواعي الظروف المتغيرة في اوربا من جانب وما آلت اليه سياسة الانجليز في المنطقة : في مصر والاردن والعراق ، من جانب آخر ، تدفع الى تغييرها .

فقد كانت فرنسا تحرص دوما على موازنة سياستها مع تصرفات الانجليز وسياستهم في المنطقة ومن جهة اخرى كانت سحب العواصف آخذة بالتجمع حينئذ في سماء اوربا تنذر بالحرب . تنبأ موسوليني بوقوعها عام ١٩٣٦ وقرّب لودندروف أجلها فجعله عام ١٩٣٢ (١) . وفي ظل تزايد الاضطرابات وتفاقم نزعات الانشقاق في البلقان وبعض دول اوربا .. وفي ظل عجز عصبة الامم عن القيام بدورها ، صعد نجم هتلر ، زعيم الحزب الوطني الاشتراكي ، فصار مستشارا لالمانيا عام ١٩٣٣ وفوهررا لالمانيا عام ١٩٣٤ وبات واضحا ان اهدافه القائمة على نظريته في تفوق العرق الآري وفي المجال الحيوي لن تكتفي بما وراء اثاراته الحزبية في النمسا والسويد وبوهيميا وبلجيكا (بين الفلمنكيين والبلجيكيين الفرنسيين) ، من أطماع توسعية ، وانما ترمي الى الحصول على نصيب من

المستعمرات في آسيا وافريقيا . ولا شك في ان عودة المانيا «قومية وعدوانية» الى مثل هذا الطموح الان يكون اشد خطرا على سوريا منه في عام ١٩١٤ . كذلك فاقمت اطماع ايطاليا من خطورة الوضع الدولي ، ولاسيما بعد ان حركت قواتها في الاريتريا ضد الحبشة في ٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٥ وازداد نشاطها في البحر الاحمر واهتمامها بما يجري بالبحر الابيض المتوسط وخاصة في حوضه الشرقي حتى لقد بلغ الامر حد اغراء السماسرة لايجاد متطوعين في بيروت للخدمة في الصومال وانقسام الناس بين موال ومعاد لسياسة ايطاليا (٢) وعلى الرغم من استنكار الكتلة الوطنية لاعتداء ايطاليا على دولة شرقية تتمتع بعضوية عصبة الامم (٣) فان ذكريات الحرب العظمى الاولى عادت الى الاذهان (٤) .. وقد اخذت هذه الامور تؤثر على بريطانيا وفرنسا لتدركا بأن سلامتهما وسلامة اوربا تقتضيان التجاوز عما بينهما من خلافات وتمهد لاتفاقات جديدة بينهما (٥) .

وتخفيفا للميل الى المانيا ومحاربة لنفوذها نشرت وسائل الدعاية الفرنسية والانجليزية راي هتلر في تصنيف شعوب العالم واعتباره العرب احط من الزنوج (٦) وجندت الاقلام في ذلك وعممت ترجمات مشوهة لكتابه كفاحي على اوسع نطاق بقصد ان يدفع اعتزاز العرب بأنفسهم ونظرتهم التقديسية الى تاريخهم ، الى النفور من الالمان . لكن خيبة الآمال في الانجليز والفرنسيين ، بعد الحرب العالمية الاولى ، كانت اقوى ، حتى لقد راح خيال الجماهير الخصب ، انطلاقا من أمثال متداولة كـ : «عدو عدوي صديقي» او : «عليّ وعلى اعدائي يا رب» يربط ظهور هتلر او موسوليني بأساطير تاريخية قديمة في اذهان بعض العامة .

ومن هنا هاجس الذين لا يرون خلاصا لسوريا الا في ظل الحماية . فقد اتخذوا من توجس الخطر عليها دعاية ودعوة للانتداب . ذلك ان «سوريا بتكوينها الحالي مؤلفة من دول عدة . وان لم تكن متعددة الاجناس فهي على الاقل من طوائف دينية غالبا ما تعتبر كأمم داخل الامة وهو ما يجعلها معرضة لحرب اهلية» (٧) . وراحوا يتباكون على مصير الاقليات التي لا تشكل في المحيط العربي الاسلامي سوى نقطة في قدح ماء ويدعون الى إحكام قبضة الانتداب واعداده لحماية سوريا . وعلى العكس كان الوطنيون يرون في الدستور خير ضمان للاقليات من جهة ولعدم خروج البلاد من دائرة النفوذ الفرنسي من جهة اخرى . فدرءا للساعات الخطرة وللظروف الحالكة ، على الدولة المنتدبة ان تتخذ منذ الان وبهدوء ، اجراءات الحماية المطلوبة باعلان دستور الجمعية التاسيسية الذي يحدد مسؤولية الجميع ويرضيهم (٨) .

وسرعان ما بدا هذا الكلام سواء من هذا الجانب او ذاك ، لا محل له . فقد تولى ابناء الطائفة المسيحية المعنية بذلك بالدرجة الاولى ، التعبير عن موقفهم بأنفسهم ، عندما صرح المفوض السامي بأن مهمة فرنسا في سوريا هي حماية الاقليات . فقالوا في عريضة وقعها علنا آلاف منهم في حلب : «.. ان زعم

حماية الاقليات يتعارض وتحقيق الوحدة الوطنية التي نطالب بها جميعا مهما يكن المذهب الذي ندين به .. ونحن مسيحيو سوريا لسنا اقلية جنسية ولا اقلية حقوقية فان الدم الذي يجري في عروقنا واللغة التي ننطق بها والاصل والتاريخ المشترك يؤلف وحدة جامعة بيننا وبين مواطنينا المسلمين الذين كنا واياهم سواسية في تحمل الضيم اجيالا .. لقد كنا مسلمين ومسيحيين يدا واحدة في وضع الدستور السوري ولنا جميعا ذات الحقوق والواجبات ..» واستغربوا ان يصدر مثل هذا التصريح عن ممثل دولة علمانية كفرنسا (٩) .

لا بد هنا من التنويه بالمواقف التي كان لها الفضل في اثارة رياح الوحدة الوطنية وما كان لشخصية البطريرك عريضه الذي كان قد اعتلى سدة البطريركية في بكركي من جهة والى رجال الكتلة الوطنية مسيحيين ومسلمين من جهة اخرى من دور في اذابة جليد الاحقاد الطائفية . فذات يوم وقف فخري البارودي ، نائب دمشق ، بعد خطبة الجمعة ، في الجامع الاموي ، فقرا تصريحات وطنية لغبطة البطريرك هلل المصلون وكبروا لها وارسلوا تحية اليه من على منبر الجامع الكبير وقعت من نفسه موقعا حسنا ، فكتب الى فخري البارودي يقول : ان ما ابداه الشعب الاسلامي الكريم من مظاهر العطف والولاء نحونا في الجامع الاموي الكبير كان له اجمل وقع وان ما اظهرته الامة الشريفة الاسلامية له عندنا ثمن عظيم لا يقدر (١٠) ... وفي عيد الفطر وضع قائمة بأسماء من تجب معايدتهم من المسلمين وانتدب نائبه المطران عبد الله الخوري ، في تقليد جديد ، للقيام بذلك متحديا نظرات عدم الارتياح من دوائر الانتداب (١١) ، كما ارسل بواسطة رئيس الغرفة التجارية ، عارف الحلبوني ، ثلاثين كيسا من الدقيق لتوزيعها على المنكوبين بكتاب رقيق بادي الاسف «على الحوادث المؤلمة في الشام ومدنها والتمني بالفرج القريب وعودة السكينة ..» (١٢)

ولقد اثارت حميته الوطنية واريحيته الانسانية العواطف الطيبة والمشاعر النبيلة في صفوف الوطنيين فاغتنموا مناسبة احياء ذكرى ارتقاء غبطته ليتوافدوا الى تهنئته والاحتفال بها في بكركي . وبلغت اعدادهم نحوا من خمسة آلاف تقدمها اكثر من اثنتي عشر سيارة على راسها جميل مردم ورياض الصلح وفخري البارودي ومظهر رسلان والدكتور توفيق الشيشكلي والدكتور عبد الرحمن الكيالي وعدد من النواب والصحفيين . وقال خطيبهم : ان خطيب وفود لبنان سماكم ابا اللبنانيين فأنا لا اقبل هذا الاسم ابدا بل ادعوكم بأبي السوريين واللبنانيين بل بأبي الشرقيين عامة لان بيتكم الطاهر الذي نبتت فيه اصولكم قد نشأ في انطاكية وان اسمكم الكريم هو بطريرك انطاكية وسائر المشرق وما سوريا يا سيدي الا قطعة من هذا المشرق التي تشرق عليها شمسكم وشمس السماء كل يوم .. تستطيع يا سيدي ان تتأكد باننا منذ اقدم العصور كنا امة واحدة وجاهدنا في صف واحد .. فاسمحوا لي ايها الاخوان اذن ان اقول ان لا دين للسياسة فمنعتنا منعتكم وآلامنا آلامكم . وقال غبطة البطريرك في خطابه ان هذا العيد

يكتسب في هذا العام بوجود جموع الشعب الغفيرة من سوريا ولبنان معنى جديدا ، فهو ليس احتفالا لتجديد الرئاسة الروحية ككل عام فحسب بل يتخذ صيغة تأييد الخطة التي اتخذها البطريرك في المدافعة عن حقوق الشعب اللبناني. واغمي على فخري البارودي من شدة الزحام ، وهو يخطب فلما افاق قال لو مت هذا اليوم لمت مرتاحا لتوحيد الشعبين اللبناني والسوري تحت قبة هذه الدار (١٣) . وفي حلب خطب مطران الموارنة في وفد من الوطنيين فقال ان دين المسيح يأمر بالسلام وعلينا نحن رؤساء الطوائف ان ندعو الى السلام . نحن عرب قبل الاسلام . انني اقول لا أقليات ولا اكثريات (١٤) . واصبحت فكرة التضامن الاسلامي المسيحي تملأ الاسماع . وبدات البلاد في حركتها ووحدتها الوطنية كانها معباة تنتظر المناسبة .

***

جاءت المناسبة في حفلة الاربعين التي نظمتها الكتلة الوطنية لتأبين ابراهيم هنانو في ٢١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٥ وخرج الناس من الحفل بعد سماع الخطب واعلان فارس الخوري للميثاق الوطني ، وهم كتلة حياة وعزم وثبات في طلب حقهم المهضوم وعلى الاثر نشرت الكتلة الوطنية بيانا ضمنته «ميثاق الامة القائم على أمانيها وحقها المشروع بالوحدة والاستقلال . .» (١٥) كما أذيعت البرقية التي ارسلت بنهاية الحفل الى عصبة الامم بالمطالب الوطنية . وما مرت ايام حتى اغلقت السلطة مكاتب الكتلة الوطنية في دمشق وحلب وألقت القبض على فخري البارودي وسيف الدين المأمون وزكي الخطيب فأجاب الشعب على ذلك بالاضراب الصامت ومواصلة الاحتجاج، وكان اضرابا عاما شاملا قوطعت فيه شركة التنوير الفرنسية مقاطعة تامة ، اضطر الاجانب للمشاركة فيها ، واغلقت المدارس والمعاهد على اختلاف انواعها ودام الاضراب نحو ستين يوما (١٦) لم تكن تخلو من بعض الاصطدامات التي تؤدي الى سقوط قتلى وجرحى وتشتد الحالة تأزما في ايام الجمعة حيث يزداد تجمع المصلين وتعقد المؤتمرات الوطنية في الجوامع ثم تخرج الجموع يتقدمها الزعماء . وبذلك صدقت الكتلة الوطنية في قولها وهي تحتج على اقفال مكاتبها : «لقد اخطأوا الظن اذ حسبوا انهم باقفال بيت من بيوت الكتلة الوطنية يستطيعون استئصال الروح الوطني المستفيض في كل البلاد او القضاء على الفكرة التي تعمل الكتلة لها . . فان كل بيت من بيوت السوريين هو مكتب للكتلة الوطنية ودار لها . .» (١٧)

ولم تبق هناك من قوة تستطيع حفظ النظام سوى الجيش فنزل الجيش الفرنسي الى المدن الكبرى يأخذ صيانة الامن على عاتقه ولكن الخوف من الانفجار كان واضحا في بيان القائد العام الجنرال هوتزنجر وهو يحرص على القول بأن «السلطة الفرنسية لا تقصد الى النزاع ولكنها لا تخافه . فاذا لم تنجح وسائل

الاقناع فانها ستستعمل الشدة ويُحال المذنبون الى المحاكم العسكرية» . على ان الشدة لم تنفع . سرح الاساتذة (في كلية الحقوق) لمساهمتهم في «اثارة وتغذية حركة اضطراب سياسي ..» (١٨) واحيل رئيس الجامعة الى المعاش فقد حـذا الطلاب حذو التجار فأذاعوا بيانا بأنهم لن يعودوا الى دروسهم الا بعد ان تجاب مطالب الامة كلها (١٩) . ولم ينفع اللين بقدوم المفوض السامي بنفسه الى دمشق ومقابلة زعمائها لتهدئة الحالة واعادة الحياة الى طبيعتها . فقد اظهرت البـلاد تضامنها بالاصرار على مطالبها في اعادة الدستور كما وضعه المجلس التأسيسي دون قيد والغاء الانتداب بعقد معاهدة والاعتراف باستقلال البلاد ووحدتها .. ان الشعب ، على حد تعبير الكتلة الوطنية في بيانها ، الذي يرى ثروة البلاد «.. تذوب تدريجيا بنقصان صادراتها وازدياد وارداتها وثقل الضرائب والتبذير في الاعمال العامة وعدم حماية الانتاج الوطني ومحاربة الكفاءات وتنشيط الزلفي وعدم الاخلاص .. حتى هبطت قيمة الاملاك الى الربع ونضب رأس مال التاجر وكسدت سلع الصانع وبارت حاصلات الزراع .. صار الشعب يؤثر الفناء العاجل على الفناء البطيء المتواصل ..» (٢٠) ، بل كانت الحركة في حمص وحماه وحلب ودير الزور اشد واعنف (٢١) .

***

لقد هز هذا الصمود وما رافقه من تآلف مشاعر الشعب العربي واثـار حميته . ففي العراق وجه سعيد الحاج ثابت ، نائب الموصل في مجلس النواب سؤالا الى وزير الخارجية عما يجري في سورية ، باسم عصبة الامم التي فرضت تطبيق الانتداب فيها . وهل من مصلحة العراق المجاور لسورية العزيزة ان تظل هذه المصائب مستمرة ووجه مولود مخلص سؤالا شبيها في مجلس الشيوخ . وتألف وفد من اعضاء المجلسين طاف بدور المفوضيات (٢٢) ورفع عدد من النواب احتجاجا الى عصبة الامم بواسطة مندوب العراق فيها(٢٣) اعتبروا فيه «ان الاعمال الجارية في سوريا منذ الاحتلال الى يومنا هذا لم تخرج عن كونها تجارب ثبت فشلها بصورة صريحة ..» وان تبديل الاساليب الادارية .. أدى الى تأخير القطر السوري من وجهات مختلفة وأبرز الامثال على ذلك تعطيل الحياة النيابية كلما أعرب المجلس عن رغبة لا تروق لآراء الادارة شبه العسكرية ، الامر الذي لا يأتلف مع روح المادة ٢٢ من صك الانتداب . وطيلة ايام الاضراب قلّمـا خلت خطب الجوامع في ايام الجمعة من التعرض للقضية السورية وغالبا ما خرج المصلون في تظاهرات سلمية يطالبون فيها بوضع حد «لمظالم الانتداب الفرنسي في سورية» ويبرقون الى الجهات الرسمية احتجاجا والى الكتلة الوطنية لشد ازرها (٢٤) .

وفضلا عن اضرابات التأييد والطواف بمظاهرات سلمية وخطب الجوامع في انحاء الاردن وفلسطين ولبنان وتأليف لجان الدفاع عن سوريا ووقوف الصحافة

الى جانبها وتعرضها للتعطيل ، فقد تبنى المجلس التشريعي في عمان اقتراح نائب عجلون برفع مذكرة بواسطة المسؤولين الى الحكومة الفرنسية (٢٥) . وعليه وبدافع ما للمسألة السورية من «تأثير بالغ في فلسطين وفي شرق الاردن لانها مرتبطة ببلادنا الاردنية بالاسباب الوثيقة من دينية واقتصادية وقومية وان هذه البلدان يتأثر بعضها ببعض وتسري عدوى الحوادث فيها من الواحدة الى الاخرى ..» رفع الامير عبد الله مذكرة بذلك الى المندوب السامي البريطاني (٢٦) .

وفي مصر طاف طلاب سورية في معاهدها وفودا على الصحف والهيئات الرسمية يذكرونها بتضامن بلاد الشام معها في كفاحها ضد الاستعمار الانجليزي ولنيل الدستور ويطالبون اليوم بحق «روابط الجوار واللغة والدين» ان تقف الى جانب سورية بعد ان استفحلت الحوادث وعطلت السلطات الفرنسية مكاتب الكتلة الوطنية واعلنت الاحكام العرفية وامتلأت شوارع المدن بالدبابات والجنود وكثر عدد القتلى والجرحى واعتقل بعض الزعماء وسجن عدد كبير من المتظاهرين «حتى تظهر الامم العربية كتلة متماسكة امام الاستعمار» (٢٧) .

***

بالاضافة الى فشل السياسة الفرنسية على اختلاف تقلباتها ، وخاصة منذ الانتخاب الى الجمعية التأسيسية حتى سقوط معاهدة حقي العظم ـ دي مارتيل، ثم فشل دساتير بونسو في اعطاء الانتداب صفته الشرعية امام عصبة الامم، عملت تلك الحوادث والاحوال على تلاشي الاحزاب ومن ثم على تذليل العقبات امامها . اذ أثبتت هذه الاحزاب عجزها فلا هي تمكنت من قيادة البـــلاد الى مطالبها ولا استطاعت التماسك في وجه صعود الكتلة الوطنية ، للحصول من الانتداب على ما يبرر بقاءها . وكانت آخر محاولة جرت للتأليف بين فلول هذه الاحزاب ، قد جرت في ربيع عام ١٩٣٥ ، فيما سُمّي بـ «الاتحاد الوطني العام» ، للوقوف امام طغيان الكتلة واكتساحها ، الا ان هذه المحاولة لم يكن لها في مجرى الامور مـا يبرر نجاحها بعد . بل على العكس كانت اسباب تدعيم الكتلة تتضافـــر بسياق الحوادث. فالى جانب انتصارات الكتلة الوطنية في الجمعية التأسيسية عام١٩٢٨ ووقوف البلاد وراءها للحصول على الدستور .. والى جانب نجاحات الكتلة في احباط التدابير لتحقيق مشروع معاهدة حقي العظم ـ دي مارتيل ... فان مكتب الدعاية والنشر الذي انشأته الكتلة في صيف عام ١٩٣٤ ، فعرض على الشعب في كراس صغير شعاره «السنتيم اساس المليون» ومشروع القرش لجمع المال وانفاقه في الدعاية للمسألة الوطنية.. قد نجح في شد اذهان الشعب الى الكتلة. وحشد الجماهير حول منظماتها: القمصان الحديدية، شباب الكتلة ، الكشافة.. وبات الناس ، على اختلاف طبقاتهم ، يربطون مصالحهم بنجاح رجال الكتلـــة الوطنيـــة .

ومن جانب آخر ، كانت فرنسا ، من وراء تأييدها لترشيح هذا او ذاك لعرش سورية او سعيها لعقد معاهدة مع هذه الفئة دون تلك من رجال الحكم في سورية، تبحث عن ركيزة تطمئن اليها وتركن اليها في تسليمها مقاليد الامور فمثل فيصل في العراق ، ومثل عبد الله في الاردن باطمئنان الانجليز اليهما كثيرا ما كان يبعث في رجال وزارة الخارجية الفرنسية الحسرة لعدم توفر الرجل او البيئة التي تنال ثقة البلاد كما ينالها فيصل في العراق التعاقد معها (٢٨) . وبين وثائق الخارجية الفرنسية تقارير عديدة ما تنفك تشير منذ عهد الجمعية التأسيسية ، يوم ان كان الانتداب على وشك ان يضع يده بيد الكتلة الوطنية لعقد معاهدة ، الى هذا الامر. وفي مطلع عام ١٩٣٦ عادت دوائر الخارجية الى التساؤل فيما اذا كانت الكتلة تستطيع القيام بهذا الدور . وجاء الاضراب الكبير بما اظهره الشعب من مؤازرة وتأييد للكتلة من جهة وبما اظهرته قيادة الكتلة من حكمة وتروي وعدم تطرف ، وبما ناله الرجال المرتبطون بسياسة فرنسا داخل اجنحة الكتلة نفسها من شعبية بين الجماهير ، يرجح كفة القائلين بالتعاقد مع الكتلة .

هكذا تجمعت الظروف لترغم ارادة الاستعماريين الفرنسيين على التراجع امام المطالب الوطنية : غيوم الحرب المتلبدة في اوربا ، النزاع الايطالي ــ الحبشي وأثره على تحولات السياسة الدولية في شرق البحر الابيض المتوسط . تطور السياسة الانجليزية في المنطقة ووصولها لابرام معاهدات مع العراق والاردن ومصر ، صمود الشعب العربي في سورية وتضامن طوائفه واثر ذلك في المنطقة.. كل ذلك تصادف مع نجاح الجبهة الشعبية في فرنسا ، بزعامة بلوم ، في الوصول الى الحكم . فقد خشي المفوض السامي من ان يؤدي تفاقم حوادث الاضراب الشامل الى قيام ثورة عامة في البلاد فاعلن لممثلي الكتلة الوطنية عن استعداد الحكومة الفرنسية لفتح باب المناقشة لعقد معاهدة . لكنه لم يشأ ، على الرغم من ضغط الحوادث عليه ، تحديد هذا الوعد قبل مشاورة باريس فيه وتلقي تعليمات محددة (٢٩) .

في ١٧ فبراير (شباط) دعي رئيس الغرفة التجارية . عارف الحلبوني ، لمقابلة المفوض السامي على اثر البيان الذي تقدم به اليه عن الحالة في البلاد فطالبه باسم التجار «ان توقف التعقيبات والاعتقالات لاعادة الهدوء والاطمئنان الى النفوس» فوافق كما «وافق ان يأخذ بعين الاعتبار» الشكاوي «التي يقدمها له وفد من الوجوه الذين لا يمتون للسياسة بصلة» (٣٠) . وعلى الرغم من حرص المفوض السامي على الظهور بمظهر عدم التنازل لرجال السياسة من الوطنيين وعدم التراجع امام مطالبهم ، فقد كانت مطالب هذا الوفد من رجال الاعمال هي عين مطالب الوفد السياسي الذي قابله من قبل بفارق وحيد كما قال ان مطالب الاول كانت مكتوبة «فنبركتت» في بيت احد كبار الساسة اما هذه فهي شفهية (٣١) . وكانت تنحصر في اعادة دستور الجمعية التأسيسية واعادة الحياة النيابية بموجبه وتأليف حكومة دستورية تكون مهمتها مفاوضة الحكومة الفرنسية لعقد

معاهدة على اساس معاهدة العراق الاخيرة ، واعلان وحدة البلاد والغاء جميع التدابير الاستثنائية المترتبة على الحوادث الاخيرة . واتضح بنتيجة الحوار في هذه المقابلة (١٩ فبراير - شباط - ١٩٣٦) ومقابلة الوفد نفسه مرة ثانية لمدير الفرقة السياسية في المفوضية ان المفوض السامي يريد اعادة الهدوء الى البلاد لايجاد جو ملائم لتحقيق «التعليمات الطيبة المزود بها» ، في حين كان الوطنيون والبلاد من ورائهم ترغب في ان تبدو البادرة الطيبة من الفرنسيين . ولم ينم البلاغ الذي أصدره الوفد عن نتيجة ايجابية وانما علق امكان التقدم في ذلك على ما قد يصدر به بلاغ المفوضية في الغد .

وفي اليوم التالي جاء ما توقع بلاغ الوفد صدوره عن المفوضية العليا ، ولعله هو ما تم الاتفاق عليه في الاتصالات الجارية بين المفوض السامي والوطنيين ، على الشكل التالي : اعفاء الشيخ تاج من الحكم وهو من كانت جراته الوطنية في «مهمة تأمين جباية الضرائب وتخفيض النفقات العمومية في ايام الازمة ..» ، على حد تعبير كتاب قبول استقالته (٣٢) ، وتكليف عطا الايوبي ، احد اعضاء الوزارة السابقة بالحكم واختيار وزراء مقبولين من الجهات الوطنية (٣٣) ، للاشتراك معه. وبعد اعلان مراسيم التكليف اصدر المفوض السامي الى رئيسها كتابا (في ٢٥ فبراير - شباط) يوضح فيه السياسة الفرنسية المقبلة ؛ جاء فيه : «ان سياسة حكومتي كان رائدها دائما تحقيق مرامي الامة السورية مع احترام حقوق الاقليات المعترف بها في الدستور وفاقا للمبادىء التي وافقت عليها عصبة الامم .. وبعد ما يتم لكم النجاح برفع حواجز عدم الثقة التي وضعت بين الرأي العام وفرنسا في سورية يسهل عليكم عندئذ اعداد معدات العودة الى الحياة البرلمانية وعقد معاهدة مستوحاة من معاهدة العراق .. وتسهيلا لمهمتكم يهمني ان أؤكد لكم بأن المتظاهرين الذين لم يمثلوا امام المحاكم سيطلق سراحهم ويعاد المبعدون بعد الهدوء وينظر بروح التسامح في اضبارات الذين صدرت بحقهم الاحكام » كما ابدى الكتاب استعداد المصارف للتعاون على حل مشاكل التجار التي أوجدها وقف النشاط الاقتصادي (٣٤) وأعلنت الوزارة برنامجها على ضوء هذا الكتاب في اليوم نفسه .

وعلى اثر ذلك اذاعت الكتلة الوطنية ، بتوقيع رئيسها بيانا مسهبا شرح موقف الوطنيين منذ عام ١٩٣٣ واكد رغم كل ما جرى «ان الشعب السوري شعب مسالم .. لا يطلب الا الاستقرار لتصان به مصالحه وحقوقه الطبيعية .. ويرغب بعد الاعتراف باستقلاله ان يعقد مع فرنسا معاهدة تحالف لا تقل فيها حقوق السوريين عن الحقوق التي نالها اخوانهم العراقيون في معاهدتهم الاخيرة» (٣٥) ، تلقى الفرنسيون مضمونه بارتياح وانتهت المداولات والاتصالات الجانبية الى عقد اجتماع في دار المفوضية في بيروت مع المفوض السامي حضره اعضاء الحكومة ومن الجانب الوطني : هاشم الاتاسي والدكتور عبد الرحمن الكيالي وفائز الخوري وعفيف الصلح ، ابديت فيه الآراء في الحلول المطلوبة بضبوط رسمية وقع عليها

الجميع وتم الاتفاق على اذاعة البيان التالي :

«ان المفوض السامي وهو يثني على وطنية الشعب السوري الكريم قد نزل على الرغبة التي أبديت له وصرح بأنه يوافق على ارسال وفد الى فرنسا يتقدم بنظرياته الى الحكومة الفرنسية ، لاجل تحضير عقد معاهدة تكون فيها الحقوق التي يتمتع بها السوريونلا تقل عن الحقوق التي اعترف بها للعراقيين في المعاهدة الاخيرة مع التأكيد بأن فرنسا لا شأن لها في قضية الوحدة وانها لذلك لا تمانع بتحقيقها» (٣٦) . واذاعت الوزارة بيانا بذلك على الشعب اكدت فيه انه تسنى لمثلي الوطنيين ، خلال المحادثات التي جرت في بيروت ، ان يتحققوا «من ان الايضاحات التي اعطاها فخامة المفوض السامي بشأن كتابه المذكور تزيل المخاوف المعرب عنها في البيان الصادر بامضاء دولة هاشم الاتاسي ..» وناشدت فيه الشعب ان يسهل لها تحقيق امانيه القومية (٣٧) . لكن البلاد لم تعتبر ذلك كافيا للعودة الى حياتها الطبيعية وفك الاضراب وخاصة فيما يتعلق بالوحدة . وفي ٨ آذار (مارس) بعد عودة المبعدين وصدور بيان الكتلة الوطنية وتفسير الغموض وعدم الوعد صراحة في امر الوحدة ، قام زعيم الكتلة الوطنية ، يحيط بها كبارها ووجهاء المدينة وأعيانها امام الجماهير بقص شريط من الحرير الاخضر على باب سوق الحميدية ايذانا بانهاء الاضراب ففتحت المتاجر ابوابها وانهت مدن حمص وحماه وحلب ودوما والزبداني واللاذقية وجبلة وبانياس وطرطوس وصافيتا (وكان قد مضى على اضراب مدن بلاد العلويين تسعة ايام تأييدا لمطلب الوحدة)(٣٨) وبعد يومين اجتمع رجال الكتلة الوطنية في دمشق وانتخبوا اعضاء الوفد المفاوض وأبلغوا الحكومة بها فأصدرت مراسيم تشكيل الوفد للمفاوضة في باريس لعقد المعاهدة (٣٩) . وسافر الوفد في ٢١ مارس (آذار) ١٩٣٦ الى باريس حيث دارت المفاوضات تتعثر تارة وتتقدم اخرى حتى انتهت في ٩ سبتمبر (ايلول) بالتوقيع بالاحرف الاولى على مشروع المعاهدة ونشرت نصوصها في٢٢ أكتوبر (تشرينالاول) ووقع عليها في دمشق في ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٦ بعد اقرارها من البرلمان السوري (٤٠) .

* * *

بعد عودة الوفد من باريس اجرت حكومة عطا الايوبي الانتخابات النيابية فأسفرت عن فوز الكتلة الوطنية بالاكثرية الساحقة . ولتفضيل رجال الكتلة استلام الحكم (من بابه الى محرابه) أجبر محمد علي العائد رئيس الجمهورية على الاستقالة قبل اتمام مدته بسنة . وانتخب فارس الخوري رئيسا للمجلس وهاشم الاتاسي رئيسا للجمهورية واختير جميل مردم لتأليف اول وزارة وطنية .

في جلسة البرلمان الخامسة (٢٦ ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٣٦) اي بعد توقيع المعاهدة بأربعة ايام تلا رئيس اللجنة التي احيلت اليها المعاهدة لدراستها

تقريره فقال ان اللجنة اعتمدت في دراستها للمعاهدة على ما جاء في محاضرة فارس الخوري ، عضو الوفد المفاوض ورئيس المجلس ، على مدرج الجامعة السورية من ملاحظات وشروح (٤١) .

اعتبر التقرير مقدمة المعاهدة وثيقة تاريخية خطيرة ودليل سياسي على حق السوريين في السيادة والاستقلال وقد تضمنت اتفاق الحكومة الافرنسيةوالحكومة السورية على عقد المعاهدة لاقرار الصداقة والتحالف لتحدد على اسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال العلاقات التي تظل قائمة بين الدولتين بعد زوال الانتداب وعلى تعيين شروط تطبيق المعاهدة واساليبه . واما متن المعاهدة فيتألف من تسع مواد ، تنص الاولى منها على دوام السلم واقامة تحالف بين فرنسا وسوريا المتمتعتين بالسيادة وهذا ما يكون في العقود بين الند والند وحصرت المادة الثانية التشاور في كل امر يتعلق في السياسة الخارجية ومن شأنه ان يمس مصالح الدولتين المتعاقدتين .. وتشير المادة الثالثة الى نقل الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود الدولية الى الحكومة السورية وهذه العقود الدولية فيما نعلم هي التي عقدتها فرنسا باسم سورية مع دول العراق وفلسطين وشرق الاردن ومصر وتركيا لتعيين الحدود وتحديد الجمارك ... ونصت المادتان الرابعة والخامسة على تحالف دفاعي بين فرنسا وسوريا اوجب على الاولى الاسراع لمعاونة الثانية عسكريا عند وقوع الاعتداء على اراضيها وحصر معونة الثانية للاولى عند وقوع الاعتداء عليها في منحها التسهيلات ضمن الاراضي السورية فقط . واشارت المادة السادسة الى الفرق بين نصوص المعاهدة وبين الملاحق المربوطة بها من حيث امكان التعديل او التجديد فاجازت فتح المفاوضات للتجديد او التعديل بعد مرور عشرين سنة ولتعديل الملاحق في كل وقت مجاراة لاوضاع جديدة . وتشير المادتان الثامنة والتاسعة الى سقوط جميع المسؤوليات عن الحكومةالفرنسية والى أسلوب حل الخلافات عند وقوعها .

اما الاتفاق العسكري ففيه ثمان مواد نصت الاولى والثانية على ان الحكومة السورية تأخذ تحت مسؤوليتها بحلولها محل السلطات الفرنسية ، القوى العسكرية المنظمة مع تكاليفها وواجباتها وجعلت الثانية الحد الادنى الذي يجب ان تحويه القوى العسكرية السورية فرقة مشاة ولواء خيالة والمصالح التابعة لها . وعددت المادة الثالثة انواع التسهيلات التي تتعهد الحكومة الافرنسية بمنحها للحكومة السورية . واشارت المادة الرابعة الى وجوب توحيد اللوازم والاسلحة بين الجيشين الافرنسي والسوري تسهيلا لتنفيذ واجبات التحالف بين الدولتين. ونصت المادة الخامسة على قواعد الطيران والقوى الجوية الافرنسية في سوريا . قاعدتان في سوريا بعيدتان عن المدن بما لا يقل عن اربعين كيلومترا . اذا تمتا تنقل اليهما قاعدتا المزة والنيرب . وتجلو القوى البرية عن سوريا في اثناء دورة الانتقال . واما المادتان السادسة والسابعة فتنص الاولى على التسهيلات التي تقدم للقوى الفرنسية وتشير الثانية للميزات والمناعات التي يتمتع بها أفراد القوى

الافرنسية .

وعلق التقرير على المادة التاسعة من المعاهدة بأن «الضامن الوحيد للحق هو القوة وان عصبة الامم وغيرها من المؤسسات الحقوقية تبقى عاجزة ، قاصرة ، اذا لم تستند الى قوة مؤيدة تضرب على يد الظالم المعتدي ونحن نرى في هذه المادة ضمانة قانونية حقوقية خالية من القوة المؤيدة ولسنا منفردين في هذا الموقف فكل معاهدة تعقد بين فريقين تضع هذا الاسلوب السلمي القضائي لحل المنازعات» .

ختم التقرير كلامه قائلا : «نحن يا سادة لا نقول ان معاهدتنا هي الهدف الاعلى وانها خير ما يؤتى به ولكننا نقول انها خطوة اولى واسعة مباركة ستتبعها ان شاء الله بخطوات سديدة ثابتة في سبيل الغاية النبيلة التي عاهدنا الامة عليها .. وارى من المفيد تذكير مجلسكم الموقر بأن المجلس النيابي السابق كان قرر ان المعاهدة التي تعقد مع فرنسا لا يجوز ان تكون حقوق السوريين فيهما دون حقوق العراقيين في معاهدتهم الاخيرة مع بريطانيا وهذا في رأينا مضمون في مشروع المعاهدة المعروض علينا ..» واقترح قبول المشروع واقراره .

في التعليق على تقرير لجنة دراسة المعاهدة تعاقب الخطباء فكانت كلماتهم بليغة في تصوير : «الفكرة العربية واتحاد العرب المقبل وهمة الشباب الذين سيشيدون دولة العرب العتيدة بدمهم الزكي» ، ومع ان اكثرهم نوه بأن : «حركة القومية العربية اذن لا تزال بعيدة عن محجتها ..» ، وكان الشعار السائد في المجلس هو القول المأثور : «ما لا يدرك كله لا يترك جله» الا ان احدا منهم لم يتساءل او يسائل ربعه او الحكومة عن السبل الكفيلة لضمان تطبيقها ولم تساوره اية شكوك (٤٢) وكانوا جميعا سكارى العاطفة التي تحيطهم بها الجماهير .

الفصل الثاني عشر

الاهداف الوطنية بين افراط الكتلة الوطنية وتفريطها : مسألة الاسكندرونة ، قانون الطوائف ، الاقضية الاربعة

اخذت الكتلة الوطنية على مشروع معاهدة حقي ـ العظم ـ دي مارتيل تنازلاتها الكثيرة وعدم ايفائها بالتالي بأماني البلاد . وأخذ بيان هاشم الاتاسي ، باسمها ، على كتاب المفوض السامي الى عطا الايوبي رئيس الوزارة الجديدة : «ان التوفيق بين اماني الوحدة وبين حقوق الاقليات الاقليمية لا يفيد اعتبار الوحدة حقا جوهريا وضرورة ميرمة لحياة البلاد السورية ، فقد خلت هذه الفقرة المتعلقة بالتلميح بالوحدة من المدى المقصود منها وجاءت بابهام لا يأتلف عند التطبيق مع مصلحة البلاد وامانيها» . وطالب المفوض السامي ببيان صريح عن مدى الوحدة وعن الاسس التي تبنى عليها المعاهدة (١) . ونصت المادة الاولى من الميثاق الذي اعلنته الكتلة في تأبين ابراهيم هنانو على : «تحرير البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وايصالها الى الاستقلال التام والسيادة الكاملة وجمع اراضيها المجزاة في دولة واحدة» . كذلك نصت المادة الثانية من الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية من قبل على وحدة الاراضي المنفصلة عن الدولة العثمانية وعدم تجزئتها ، وكانت مثار جدل طويل بين مكتب الجمعية والمفوض السامي ولم يقبل المكتب اي تراجع في ذلك . وحرصت الكتلة الوطنية في تكوينها على تمثيل الاقضية الاربعة ، في مجلسها التنفيذي . وظلت تطالب باعادة ضمها الى سورية كما طالبت باستفتاء لبنان «القديم» في امر تشكيل وحدة او اتحاد مع سورية ؛ او باستفتاء طرابلس على الاقل ، التي كان الفرنسيون انفسهم يحتفظون بها ،

للمساومة ، كما تشير الى ذلك وثائق وزارة الخارجية الفرنسية .
ولقد بالغ اعضاء الوفد السوري ، لا باطراء مشروع المعاهدة لدرجة وصفه من جانب البعض بأنه معجزة ، بل بالقول بأنه «يفضل المعاهدة المصرية ولا يقل عن المعاهدة العراقية» (٢) . وناهيك عن ان هاتين المعاهدتين ما هما الا صورة من صور تلك المعاهدات غير المتكافئة التي يفرضها المستعمر ، فان ايفاء المعاهدتين : العراقية والمصرية بالمطالب الوطنية في هذين القطرين اكثر من ايفاء المعاهدة السورية بالاماني الوطنية ولا عبرة في ذلك بنتيجة المقارنة بندا بندا بالنظر الى ان مطالب سورية تختلف عن مطالب كل من القطرين الآخرين . ومع ذلك فان الحركة الوطنية فيهما لم تتهاون كما تهاونت الحركة الوطنية السورية في اطار سورية الداخلية نفسها ، فقد اقرت المعاهدة بالاستقلال المالي والاداري لكل من «دولة جبل الدروز وبلاد العلويين» على غرار لواء الاسكندرونة وان كانت لم تنف الدمج تدريجيا ، ولم تبت في «المصالح المشتركة» التي تتولاها سلطات الانتداب نيابة عن دول سورية وانما تركتها للمفاوضة ولا تستلمها الا بعد انتهائها (٣) .
كانت المادتان الثالثة والثامنة من مشروع المعاهدة اخطر ما جاء فيها على الاماني الوطنية . فالثالثة تشير الى نقل الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود الدولية ، الى الحكومة السورية ، وبينها بلا شك اتفاقية انقرة التي كانت اساسا لاقتطاع لواء الاسكندرونة من سورية . واذا كانت اتفاقيات الحدود او التجارة او الجمارك وغير ذلك ، مما تكفي الاشارة اليه هنا فان الاهمية التي حظيت بها قضية الاسكندرونة في تاريخ سورية تقتضي منا وقفة طويلة .
يؤخذ من مراسلات حسين ــ مكماهون ان مسألة تعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الاتراك والبلاد العربية الساعية الى التحرر والاستقلال عن الدولة العثمانية ، كانت مثار جدل . فقد اعتبر الشريف حسين ان حدود الاقاليم التي عينها : مرسين واضنه والاسكندرونة «هي مطالب شعب يعتقد ان حياته فيها فالعرب لم يطلبوا في تلك الحدود مناطق يقطنها شعب اجنبي (٤) .. واذا كانت الحكومة البريطانية ، بالنتيجة ، لم تقطع في الامر فان ترددها وعدم بتها فيه يرجع الى مراعاتها لمصالح حليفتها فرنسا اكثر منه الى شكها في عروبة تلك المناطق (٥) . والمعنى هنا بمصالح الحليفة ما هو معروف من ادعائها حق حماية المسيحيين ومن هنا قول الشريف حسين في رده «وأما ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما فهي ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فانهما ابناء جد واحد ..» (٦) والمعروف ان الاسكندرونة كانت دائما منفذا لحلب وميناءها الطبيعي . وفي عهد الانتداب بقيت كذلك تابعة لها حتى انضمت حلب ودمشق في دولة اتحادية واحدة . كذلك من المعروف ان ارتباط انطاكية الديني والتاريخي هو ببلاد الشام لا بتركيا ، بل ان كرسيها الديني البطريركي يمثل مسيحيي الشام اولا ثم سائر المشرق . وعلى هذا جعلتها اتفاقية سايكس ــ بيكو داخل المنطقة الزرقاء ، المخصصة للنفوذ الفرنسي وبالتالي صارت تبعا لذلك داخلة ضمن البلاد الخاضعة للانتداب الفرنسي على اساس انها جزء تابع لسورية . وطبقا لنظام

الانتداب أصبح على فرنسا ، ان تراعي سلامة الاراضي السورية وتحافظ عليها (٧) .

فمن الناحيتين الجغرافية والتاريخية ليس ثمة من شك في تبعية هذه المنطقة لسورية . الا انه من الطبيعي ان تتداخل الحدود العرقية بين شعبين عاشا اربعة قرون في دولة واحدة يحكمها الاتراك القاطنون في الجانب الآخر . واذا اتضح ، بعد ان انزاح كابوس هذا الحكم الطويل ، ان نسبة السكان العرب ما زالت في حدود ٦٣ بالمئة فلا شك في ان هذا اقوى دليل على صمود الشعب العربي من جهة وعلى قدم علاقة المنطقة بالبلاد العربية من جهة اخرى . لكن السياسة الفرنسية العامة في سورية كانت تقوم على عدم الاعتراف بالقومية العربية وعلى عدم الاعتراف بالوحدة السورية وعلى تشجيع عوامل التفكك . فهي التي عملت على سلخ مصياف ، تشجيعا للطائفية وتعميقا لها وعملت على سلخ حاصبيا وراشيا وبعلبك لم تعمل على ضم سنجق الاسكندرونة الى بلاد العلويين على اساس طائفي ، دفعا للوحدة ولان في وجود قوة متجانسة ما يؤثر على نفوذها .

* * *

يرجع الدكتور احمد قدري ، الذي كان من العناصر المطلعة حينئذ ، اصل مساومة الفرنسيين على الاسكندرونة الى المازق الذي اوقع فيه الاتراك بعدوانهم على الحدود السورية بعد اسابيع من تتويج فيصل ملكا عليها . يومئذ كان الفرنسيون في وضع لا يحسدون عليه : عداء الانجليز ومطامعهم تحيط بهم في المنطقة وازمة الموصل والتآمر لاخراجهم منها ، وقواهم العسكرية موزعة لمقاومة الثوار في جبل عامل وجبال العلويين والجزيرة العليا وانطاكية ، واستغل فيصل حاجتهم الى نقل الجنود والعتاد عن طريق سكة حلب للوقوف في وجه ثورة الاتراك فطالب بحصة سورية من ايراد الجمارك وفقا لاتفاق حيفا (١٥٠ الف جنيه مصري عن حيفا ومثلها عن طرابلس وبيروت تدفع شهريا) والاعتراف باستقلال سورية استقلالا تاما (٨) ، فآثرت فرنسا التفاهم مع تركيا بالتنازل لها عن حق لغيرها ، هي وصية عليه ، على ان تسلم لهذا الغير بحقه الطبيعي في الاستقلال . ومن هنا كان توقيع ارستيد بريان Arstide Briand في لندن بتاريخ ٩ مارس (آذار) ١٩٢١ معاهدة تعيد الى تركيا كيليكيا وتمنح الاقلية التركية «النشطة» في السنجق نظاما اداريا خاصا تصبح فيه لغتهم رسمية كالفرنسية والعربية (٩). وعليه بنيت اتفاقية انقرة او فرانكلان بويون Franklin Bouillon المعقودة مع وزير الخارجية التركية في ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢١ والتي خسرت سورية بموجبها بعض بلدان المنطقة الشمالية وتبدل شكلها الادارة والتوجيه في لواء الاسكندرونة (١٠) .

فقد نصت المادة السابعة من هذا الاتفاق على ان «يوضع نظام اداري خاص

لمنطقة الاسكندرونة فان سكان المنطقة الاتراك يتمتعون بكافة التسهيلات الضرورية لانماء زراعتهم . وتكون للغة التركية في هذه المنطقة صفة رسمية» . وفضلا عن انهاء حالة الحرب بين الطرفين وتعيين الخط الفاصل بين قواتهما ووجوب الانسحاب اليه في خلال شهرين فان فرنسا حصلت بالمقابل وفقا لكتاب وزير الخارجية التركية على تصريح باستعداد حكومة الجمعية الوطنية ـ رغبة منها بتوسيع دائرة المصالح المادية بين البلدين ، «باستعدادها لان تمنح شركة فرنسوية امتياز مناجم الحديد والكروم والفضة الموجودة في وادي هرشيت لمدة ٩٩ عاما على ان تقوم الشركة في خلال السنوات الخمس التي تلي توقيع هذا الاتفاق بمباشرة الاستغلال بعد ان تؤلف طبقا للقوانين التركية .. وبرغبتها في الاستفادة من التعاون مع الاساتذة الاخصائيين الفرنسيين في مدارسها المهنية . وطالب كتاب وزير الخارجية التركية الحكومة الفرنسية بالسماح لاصحاب رؤوس الاموال الفرنسيين بانشاء علاقات اقتصادية ومالية مع حكومة المجلس الوطني التركي (١١) ... الا ان هذه الوعود ، التي اعطينا املا فيها ما اعطينا وسوف نسمح من اجلها لاتراك الاسكندرونة وانطاكية برفع علم يحمل الرمز والالوان التركية ، ستظل وعودا لن تنفذ ولن تجدد .. وعلى هذا كان ما قدمناه بالنسبة للسنجق هو الخطوة الاولى نحو الاستقلال ومن ثم نحو الالحاق ما لبثت تركيا ان طالبت بهما صراحة (١٢) .

وفي عام ١٩٢٦ كانت زيارة انقرة والاتفاق معها في باب الخطة التي وضعها دي جوفنيل لتطويق الثورة في سورية ، وادت الى اتفاقية انقرة المؤرخة في ١٨ فبراير (شباط) ١٩٢٦ حسن الجوار التركية ـ السورية التي انبثقت تطبيقا للبروتوكول ٤ منها اتفاقيات المواصلات الحديدية في ٦ تموز (يوليو) ١٩٢٦ (١٣). صحيح ان الاتراك في هذه الفترة لم يظهروا تشددا في مطالب الحدود بل اظهروا تساهلا في مسألة الاسكندرونة وانطاكية اللتين وعدت فرنسا بمنحهما نظاما خاصا واستقلالا ذاتيا ، الا ان غرضهم في تلك الفترة ضمان حياد فرنسا في مشكلتهم مع العراق فحصلوا عليه (١٤) .

التزمت فرنسا باتفاقية انقرة ودي جوفنيل ولم تلتزم تركيا بالطبع فقد ظلت دوما تنظر الى ما وراء الحدود تسعى الى مد حدودها جنوبا ، مستغلة ما يسنح لها من الظروف الملائمة لها من احوال سورية المضطربة . وكانت النزعة الانفصالية لدى الفئات التركية في اللواء تجد في تركيا وفي الموظفين الفرنسيين وفي ضعف سورية ما يشجعها على المضي في اهدافها . ففي مارس (آذار) ١٩٢٦ استغل نواب الاسكندرونة وانطاكية وقر قخان ، الاضطرابات التي اعقبت انتخابات١٩٢٦ وظروفها السياسية فاعتبروا انفسهم مجلسا تأسيسيا واتخذوا قرارا باعلان استقلال اللواء وانفصاله عن حكومة الشام ووضع دستور خاص به والحاقه مباشرة بالمفوض السامي وطلب تعيين المسيو دوريو Durieux مندوبه في اللواء رئيسا لهذه الدولة . ولم يعدل المجلس عن هذا الموقف الا بزيارة وزيري العدلية والمالية السوريين لاقناعه بسحب هذا القرار (١٥) . وفي عام ١٩٢٩ طالبت تركيا

بتعديل اتفاقية الحدود ، واستجابت سلطات الانتداب لمطالب العناصر التركيـــة بنقل مركز اللواء من الاسكندرونة الى انطاكية في عام ١٩٣٠ (١٦) .

***

لم ترد اية اشارة الى لواء الاسكندرونة في مشروع المعاهـــدة السورية ـ الفرنسية الذي تم وضعه في باريس الا من اجل توضيح النظام المالي والاداري المطلوب تطبيقه في جبل الدروز واللاذقية في المراسلة رقم ٦ حيث جاء : «من المفهوم ان النظام الخاص الاداري والمالي المشار اليه في المادة الثانية من المشروعين أعلاه سيكون النظام الذي يستفيد منه حاليا لواء الاسكندرونة» (١٧) . واعتبر وضعه مضمونا في المادة الثالثة من مشروع المعاهدة التي تنص على نقل الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود الدولية الى الحكومة السورية . ومن بين هذه العقود اتفاقياتها مع تركيا (١٨) .

في ١٠ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٦ اي في اليوم التالي للتوقيع على المعاهدة قدم سفير تركيا في باريس مذكرة الى وزارة الخارجية تتضمن مطالب تركيا في لواء الاسكندرونة ، وفيها مطلب عقد معاهدة مع لواء ألاسكندرونة كالتي عقدتها فرنسا مع سورية ، يمنح اللواء بموجبها استقلاله وهو مطلب يتفـــق مع ميثاق عصبة الامم وصك الانتداب واتفاقية انقرة . فالحكومة الفرنسية اخذت علـــى عاتقها اعداد البقعة الجغرافية المنسلخة عن الدولة العثمانية للحصـــــول على الاستقلال . وبما انها قد عزمت على منح سورية ولبنان استقلالهما لبلوغهما سن الرشد السياسي فيجب ان ينال لواء الاسكندرونة استقلاله وحريته لان نمـــو سورية ولبنان ضمن الانتداب يجب ان يشمل لواء الاسكندرونة . وتنفيذ هذه الخطوة نتيجة منطقية لاتفاقية انقره (١٩) .

اجابت فرنسا باستعدادها للدخول في مفاوضات ضمن حدود اتفاقية انقرة التي تنص على اقامة نظام اداري خاص باللواء لا فصله عن سورية . وقد بات على سورية بعد ان نالت استقلالها تنفيذ كل التعهدات والاتفاقات التي عقدتها فرنسا باسمها وفيها اتفاقية انقرة . لذلك ليس في وسع الحكومة الفرنسية «أن تقتطع من الاراضي السورية شيئا مقابل منحها استقلالا ، كما انها لا تستطيع منـــح السنجق استقلالا خاصا به اذ ان ذلك معناه تكوين ثلاث دول سورية ، بدل دولتين وهذا يؤدي الى تجزئة سورية وهو امر مخالف لصك الانتداب ، بينما فرنســا مسؤولة عن وحدة سورية . هذا وان المادة (٧) من اتفاقية انقرة تنص على ادارة خاصة فقط باللواء لا اكثر» (٢٠) .

وظلت فرنسا متمسكة بالجانب القانوني لانه لا يمنحها سلطة التنازل عـــن جزء من الاراضي السورية الا ان بلوم وافق في مذكرة بعثها الى انقرة على طرح القضية على الصعيد السياسي . وبذلك سهلت فرنسا للجانب التركي النجاح . فأبرق وزير خارجية تركيا في ٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٦ الى السكرتير العام

للعصبة يطلب اليه بموجب المادة ١١ من ميثاق العصبة ادراج النزاع الناشب بين فرنسا وتركيا حول السنجق في جدول الاجتماع المقبل . وبطرح هذه القضية على عصبة الامم راحت المشروعات والاقتراحات تتقاذفها وكان أغربها اقامة اتحاد بين اللواء وسورية ولبنان .. وانتهت مناقشات مجلس العصبة الى التوصية بانشاء وحدة ادارية تتمتع باستقلال داخلي تام . وتشترك هذه الوحدة مع سورية في الشؤون الخارجية وفي العملة فحسب وتكون اللغة التركية هي اللغة الرسمية ويجوز لمجلس العصبة اقرار لغات اخرى . ويتولى مجلس العصبة ايضا اختيار المندوب الفرنسي . ثم كوّن المجلس لجنة من الخبراء لدراسة الحالة على الطبيعة وهذه اللجنة هي التي وضعت النظام الاساسي (٢١) .

هكذا راح الامر بلواء الاسكندرونة يتطور بسرعة نحو الانفصال . وقد تم ذلك في اقل من نصف عام ، تحدد فيه وضعه الجديد بقرارين من مجلس العصبة : الاول في ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧ على انه وحدة سياسية منفصلة لها استقلالها الداخلي التام والثاني في ٢٩ مايو (ايار) ١٩٣٧ الذي قرر فيه قبول النظام والقانون الاساسي وهما اللذان تضمنا بشيء من التفصيل تحديد مركز اللواء الدولي وتنظيمه الداخلي . وعلى ذلك جرت انتخابات المجلس التشريعي في اغسطس (آب) ١٩٣٨ وسط اضطرابات شديدة وتفرق الفئات التي كان يمكن توحيدها في اتجاه الوحدة مع سورية فنال الاتراك ٣٥٫٨٤٧ صوتا وحصلوا وفقا لنظام الانتخاب الموضوع لهذه الغاية على ٢٢ مقعدا من ٤٠ وبذا صار بامكانهم توجيه المجلس التشريعي كما يريدون (٢٢) فتكونت سلطة تنفيذية من وزراء اتراك فعملت على طرد الموظفين العرب من اللواء وتحريم اللغة العربية . وما لبث المجلس ان اعلن استقلال اللواء واعطائه اسم هاتاي . وبذلك تهيأت الظروف للخطوة الاخيرة.

جاءت هذه الخطوة ، وهي التنازل عن اللواء لتركيا ، من جانب فرنسا اذ املتها حاجتها لصداقة تركيا في حالة وقوع الحرب مع المانيا وكان التوتر الدولي في صيف ١٩٣٩ ينذر بذلك فدفعت الاسكندرونة ثمنا لهذه الصداقة .

* * *

اعتمدت تركيا ، في تنفيذ خطتها ، منذ عقد اتفاقية انقرة على اقلية نشطة، متماسكة ، عملت على تنظيمها منذ زمن بعيد جمعية تأسست ، وراء الحدود في تركيا ، اسمها هاتاي اركيتليك امتدت فروعها الى معظم البلدان المجاورة لحدود لواء الاسكندرونة كأرفه ومرسين وعينتاب غايتها العمل على استقلال السنجق وفصله عن سورية توطئة لضمه الى تركيا (٢٣) وفي حين كانت هذه الاقلية تستند الى دولة قائمة تعرف ما تريد وتدعم تنظيم هاتاي يدفعها مد الثورة التركية وزعامة متألقة ، كانت الاكثرية العربية في اللواء مفككة ، تتنازعها وتقعد بها دون النجاح تيارات مختلفة ولم يكن لها في داخل البلاد ، اي في سورية سند قوي تركن اليه ، بالتوجيه والعون . ولم تكن سلطات الانتداب نفسها في اللواء هي

الخصم والحكَم في آن واحد فحسب بل كثيرا ما كانت الحكم المتحيز للاتـراك الذي يرى مصلحته في عدم ربط اللواء بالدولة السورية (٢٤) .

خطيئة الوطنيين انهم لم يفطنوا لمسألة الاسكندرونة في وقت مبكر فيربطوها بالنضال الوطني مع ان امرها لم يكن خفيا ولا كان لغزا . ولقد سعوا الى الحكم سنوات منذ ان تشكلت الكتلة الوطنية من دون ان يدرسوا ما يمكن ان يواجههم من مشاكل . ولم يتضح ، بنتيجة موافقتهم على المادة الثالثة من مشروع المعاهدة التي تشير الى نقل الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود الدولية الى الحكومة السورية ، ان ثمة دراسة كانت قد جرت لتلك الحقوق والواجبات ، وفيها اتفاقية انقرة . وكانت، مواجهتهم الاولى للمسألة في تقرير لجنة المعاهدة حيث قال المقرر، بعد ان عتب على مطالبة تركيا باللواء انه «.. من الوجهة الجغرافية جزء غـير منفصل عن سورية وسكانه هم سوريون عرب في اكثريتهم الساحقة ومن كان منهم تركيا من حيث اللغة فهو سوري من حيث الجنسية .. ان هذا اللـواء قطعة من الوطن .. وقد منحنا ثقتنا لحكومتنا بعد ان استوثقنا من عزمها على المطالبة بهذا الحق والدفاع والذود عنه .. ونعيد الان هذه الثقة طالبين اليها ان تبذل اقصى المستطاع لتحقيق هذه الامنية ، شاكرين للدولة الحليفـة الكبيرة مواقفها الصريحة الصادقة في الدفاع عن حق السوريين ..» (٢٥)

هذه المعالجة العاطفية للامور كانت اسلوب الحكم الوطني . ففي طفرة الحماس ظن رجال الكتلة الوطنية ان التأييد الشعبي الساحق يعطيهم المفتاح السحري لحل جميع القضايا حتى انهم لم يكونوا يقبلون النصيحة من اقرب اصدقائهـم وكانوا ينساقون في تصريحاتهم بلا دراسة ، وغرضهـم فقط الهـاب حماس الجماهير (٢٦) وبعد ذلك فليكن ما يكون . وفضلا عن التناقضات الطائفيـة بين الفئات التي يتألف منها الجانب العربي في اللواء كانت عقلية رجال الكتلة الوطنية المتسلمين لزمام الامر في سورية مدعاة لخلق تناقض بينهم وبين قادة الحركـة النضالية في اللواء . ومن هنا كان موقف فرع عصبة العمل القومي وهو اكبر حزب عربي جماهيري في اللواء ، العدائي من الكتلة الوطنية . وقد عجزت جميع الارادات الوطنية الطيبة ، رغم احساسها بالواقعـة عن الارتفاع فوق هـذه التناقضات والالتقاء في اتجاه واحد وتحت علَم واحد لانقاذ اللواء ، ولو امكن التغلب على ذلك ونجحت محاولة تأليف «حزب الاتحاد الوطني» لتغير وجه المسألة وانضم كثير من الاتراك انفسهم الى تيار الوحدة مع دمشق (٢٧) ، ولم يغير عدم اعتراف سورية بتنازل فرنسا عن اللواء وبقاؤه جزءا من البلاد العربية على الخرائط الرسمية ، شيئا من الواقع . وان ظل صورة في التاريخ تتجدد امامنا كل يوم لذلك الحق الذي يتشرذم اصحابه فيضيع بتشرذمهم على اهله .

★★★

لم تكن مسألة الاسكندرونة الدليل الوحيد على غفلة الكتلة الوطنية او على تساهلها او وفقا للاتجاهات التي وجهت اليها ، على تواطئها . كانت هناك مسألة «الحقوق المكتسبة» و«الاقليات» او قانون الطوائف والاقضية الاربعة . ذلك ان ما

كان يفرق الوطنيين ، اي رجال الكتلة الوطنية عن غيرهم هو اعلانهم الدائم عن تمسكهم بحقوق البلاد وامانيها التي كانوا يحددونها بالاستقلال والوحدة وحق تقرير المصير للاقضية الاربعة ، بصورة ناجزة ، غير منقوصة في حين كان الآخرون يتبنون نفس المطالب ولكنهم يقبلون تحقيقها بالتدريج او على مبدأ عبارة فيصل المشهورة : خذ وطالب . ومن هنا كان الفارق بين الوطنيين والآخرين من جهة وبين موقف الوطنيين وما ارتضوا به من جهة أخرى .

كانت المراسلة الثامنة من المعاهدة في الحقوق المكتسبة حيث تعهدت الحكومة الوطنية باحترام هذه الحقوق باسم سورية ولحسابها لمنفعة الاشخاص الطبيعية والحكمية الافرنسية مع الاحتفاظ بالتعديلات التي يمكن ادخالها باتفاق الطرفين المتعاقدين على الامتيازات والاتفاقات التي تهم مالية الدولة او الجماعات العامة مجاراة للاحوال الاقتصادية والمالية في سورية . وردا على ما رآه البعض في هذا التعهد من غل ثقيل يوضع في عنق البلاد لمنفعة بعض الشركات والافراد الافرنسيين قالت لجنة تقرير المعاهدة بأن هذا التعهد شر لا بد منه ومصيبة لا مرد لها ويكفي لايراد ذلك ذكر البنك السوري وامتيازه ومقاولات الخطوط الحديدية التي عقدتها حكومة الاتحاد سنة ١٩٢٥ لمدة ثمانين سنة وعقود الماء والجر والتنوير في دمشق وحمص وحماه وحلب التي عقدتها رئاسة الوزراء بعد ذلك التاريخ . اجل اذا ذكرت هذه الامتيازات يشعر السوري بالغبن الفاحش الذي يصيبه من احترام هذه المنافع تحت ستار الحقوق المكتسبة . والتمست عذرا لقبول هذا الغبن في الوضع الدولي الذي أوجدت سورية فيه عصبة الامم وتمثيل فرنسا لها فيه وفي اقرار جميع الدول لاعمالها . وضربت مثلا العراق الذي لم يستطع الافلات من هذه القيود الا بعد اعترافه بهذه الحقوق . وعلى هذا فلا مناص للحكومة السورية من اتباع نفس الطريق لازالة الانتداب . فكأن هذه «الحقوق» المزعومة كانت ثمنا للحرية والاستقلال . واعتبر التقرير استطاعة الحكومة الاحتفاظ بحق طلب تعديل هذه الحقوق مع مراعاة حالة البلاد الاقتصادية والمالية امرا يستحق الاطراء ، لانه جاء معدلا لضرر هذه المراسلة ومخففا لويلاتها (٢٨) ..

★★★

يرد الدكتور عبد الرحمن الكيالي (٢٩) في ازمة قانون الطوائف الى ان المفوضية الفرنسية كانت قد اصدرته ايام حكومة الشيخ تاج فحددت بموجبه عدد الطوائف وحقوق كل منها وما يتعلق بمحاكمها ومحاكماتها الطائفية التي لها حق النظر في الاحوال الشخصية التابعة لافرادها . ونشرته وبلغته للوزارة للعمل بموجبه . «فلم تعترض عليه حكومة الشيخ تاج ولا اعترض عليه رجال الدين ولا هاجمته المعارضة ولا نقدته الجرائد» . وفي العهد الوطني طلبت المفوضية راي الحكومة في مشروع قانون تريد اصداره يشمل الاحوال الشخصية للطوائف تكملة للقانون السابق ليكون دستورا بيد المحاكم الطائفية تحكم به. فوافقت الوزارة على الفكرة من حيث هي ، وعلى ذلك ارسلت المفوضية للحكومة ثلاث نسخ احتفظت رئاسة الوزارة بها ولم ترسلها الى وزارة العدل . ولما وقع الاصطدام بين

الحكومة والفرنسيين نشرت المفوضية المشروع كقانون صادر عنها خلافا للاصول لاثارة الراي العام ، واحراج موقف الوطنيين مع ان المتفق عليه بين الحكومة السورية والمفوضية ان لا ينشر من قبلها شيء من القرارات التي تتعلق بسورية ولبنان ، ويكون من حق المفوضية نشره ، قبل موافقة الوطنيين عليه وابداء رايهم فيه كما كان الاتفاق ان لا تنشر الحكومة مشروعا ينقض قرارات المفوض السامي السابقة ويكون من حقها نشره الا بعد اطلاع المفوضية عليه ، حتى لا يقع الخلاف ويبقى المجلس محتفظا بحقه الشرعي الى ان تنتهي مدة الانتقال . وخلافا لذلك عمدت المفوضية الى اصدار المشروع ، متجاهلة وجود الحكومة السورية والمجلس النيابي .

غير ان هذا الكلام على ما فيه من منطق ، لا يقنع بالنظر الى الوقائع . ففي ٣١ مارس (آذار) ١٩٣٦ اصدرت الكتلة الوطنية بمناسبة زيارة «صاحب السيادة الوقور السيد ملاتيوس مطران ديار بكر» لمكتب الكتلة الوطنية ، بيانا ابدت فيه استعدادها لاحترام وتأييد حقوق جميع الطوائف كاملة غير منقوصة ..» (٣٠) ، وليس عذرا ان يكون قانون الطوائف قد نشر في زمن الشيخ تاج ولم يلق معارضة، والمعارضة حينئذ كانت تتمثل في الكتلة نفسها لا في اعوان الانتداب . وفضلا عن هذا يذكر بيير فيينو ان الوفد المفاوض التزم قبل فرنسا — لا قبل عصبة الامم فحسب بحقوق الاقليات (٣١) كما قدم رئيس الوزارة السورية في مراسلاته مع دي تيسان ضمانات اضافية للاقليات . اخفى حقيقتها سنة كاملة عن الوزارة والبرلمان .

***

لم يكن مطلب «الاقضية الاربعة» مناورة ، وانما كان مطلبا شعبيا جماهيريا من هذا الجانب وذاك . فمنذ ان اقدم غورو على فصلها عن سورية والحاقها بلبنان ؛ تلبية لحاجة لبنان «القديم» الى البقاء ونزولا عند رغبة قلة ، مستثارة ، من سكان هذه المناطق ، كانت ما تزال نافرة من كل صلة مع المسلمين كرها بأيام الدولة العثمانية السوداء (٣٢) ؛ لم تتوقف المطالبة بتصحيح وضع هذه المناطق من السوريين ومن سكانها على حد سواء . وفي ايام الثورة جرت على تخومها من جهة لبنان اشد المعارك مع الفرنسيين (٣٣) . وكثيرا ما جاءت جموع اللبنانيين الى دمشق لتعلن قرارها بالعودة الى سورية او بحقها في تقرير المصير (٣٤) . وقد رمزت تسمية لبنانيين اعضاء في مجلس الكتلة الوطنية الى هذا الفرض . ولم يكد الوفد السوري المفاوض يصل باريس حتى اخذ الافراد والجماعات في طرابلس وبيروت وحاصبيا وراشيا وصيدا وصور والنبطية ، بتقديم العرائض وارسال البرقيات او القيام بالاضرابات مطالبين بالوحدة مع سورية (٣٥) . ويستدل من رسالة خاصة بعث بها شكري القوتلي الى الدكتور احمد قدري ان قضية هذه «الاراضي الملحقة بلبنان» كانت مطروحة بصورة جدية على بساط البحث في المفاوضات وانها كانت تلقى تعنتا شديدا من الجانب الآخر (٣٦) .

اذا بنا بعد اقرار مشروع المعاهدة نجد جميع الاطراف تسكت عن الاشارة الى

هذه القضية ويقال همسا او تلميحا ان هذا السكوت تقديــــرا لموقف البطريرك الوطني . ولكن تقديرا لهذا الموقف لتكن سورية كلها مع لبنان او يكن لبنان كله مع سورية لا فرق ، اذا نالت القضية الوطنية أمانيها هنا وهناك من فرنسا مقابل هذا التسليم . اما ان نترك هذه المناطق مع لبنان ويكون الغرض من تركهـــا التمكين لبقاء الفرنسيين ، لان بقاءهم ، في لبنان القديم وحده ، يشكل عبئا باهظا عليهم ، فانه هدر للحقوق ، لاسيما اذا اخذنا بعين الاعتبار ، الى جانب هذا ، التنازلات الاخرى .

تكاد ان تكون المعاهدة في حدود الصلاحيات التي تسلمتها الحكومة الوطنية من الفرنسيين في مدة السنة الاولى بل والثانية ، انهاء للاحتلال وتطبيقا للانتداب في شكله الحقيقي كما نصت عليه المادة ٢٢ ، وليست بداية للاستقلال . كتب فارس الخوري الى الاديب الياس قنصل في المهجر ، يشرح مراحل تطبيــــق المعاهدة فقال : «في غضون السنة الاولى من مهلة الانتقال استلمت الحكومـــة السورية معظم الصلاحيات التي كان يمارسها ممثل فرنسا ولم يبق للمستشارين الفرنسيين في جميع الدوائر سوى الصفة الاستشارية ، يبدون آراءهم فـــي القضايا التي يطلب منهم الراي بها بدون ان يكون لهذا الراي قوة نافذة فتنتشر القوانين والمراسيم وينصب الموظفون ويعزلون وتطرح الضرائب وتجبى وتعقـــد النفقات وتصدق الميزانية وتنفق الاموال في المصالح العامة وتنفذ أحكام القضاء وتوضع المشاريع بدون حاجة لمصادقة او موافقة من اي مرجع فرنسي ..» وهذا شبيه لعمري بالاستقلال المعترف به في ظل الانتداب . اذا علمنا ان «ممثل فرنسا ابقى تحت سيطرته بعض الادارات متريثا بالتخلي عنها لمعاذير مختلفة اهمها مصلحة الجمارك والشركات ذات الامتياز وجوازات السفر والعلائق السياسية مع الدول والجيش والمحاجر الصحية وسائر ما هو داخل في اعمال المصالح المشتركة بين سورية ولبنان» (٢٧) . فهل كانت هذه المعاهدة كما قال فيلكس فارس «خير ما أمكن لا خير ما يرجى ككل معاهدة يعقدها قوي مع ضعيف ..» (٢٨) . الحقيقة ان الكتلة الوطنية لم تكن ضعيفة ، ربما كانت متهالكة على الحكم ، بل كانت اقوى ما يمكن ان تكون جماعة سياسية مثلها وقف الشعب وراءها ستين يوما كتلـــة واحدة وظل يدعمها بمختلف تنظيماته . ولم تكن هي بالتالي ، المهددة بنذر الحرب في اوربا بل فرنسا ، حتى تقبل هذه الوصاية او الانتداب المقنّع .

لقد هُيِّيء للناس ، لفترة ، انها الوحيدة في البلاد وانها كل الامة ، على حد تعبير احد مبادئها . حتى الشيخ تاج ، ابن دمشق ، الوثيق الصلة بأوساطهـــا الدينية لم يبق في سورية ، بعد صعودها ، الا اياما معدودات بعد تركه للحكـــم فغادرها الى باريس ، وعاد حقي العظم ، من قبله ، الى مصر ، وانطفأ ذكـــر الداماد احمد ناجي وتحول صبحي بركات الى الولاء لهاشميّي العراق .. فقـــد استطاعت الكتلة الوطنية ان تكون في هذه المرحلة من النضال ، لازالة الانتداب ، زعيمة البلاد بحق ، بلا منازع .. لكن ما تمخض عنه نضالها وادعاءاتها ومـــا توصلت اليه من النتائج لم يكن متكافئا مع مظهر هذا الاجماع الشعبي .

الفصل الثالث عشر

المعاهدة بين الابرام والتطبيق

لقد هلل بيير فيينو Pierre Vienot ، رئيس وفد فرنسا في المفاوضات ، في مقارنته لما وصلت اليه العلاقات الفرنسية ـ السورية في ظل الانتداب بالعلاقات المنتظرة في العهد الجديد ، لقول هاشم الاتاسي ، رئيس الوفد السوري ، في كلمته (١) :

«ان البروتوكول الذي وقعناه والذي يتوج سلسلة طويلة من الجهود المضنية، سوف يسجل ، في تاريخ سورية عهدا عظيما : العهد الذي تعرفت فيه الامة السورية على وجه فرنسا الحقيقية» . وقد تجلى هذا الشعور الجديد في تحية الجماهير التي استقبلت المفوض السامي لدى عودته : في فبراير كانت الثورة العارمة ضد فرنسا . وفي سبتمبر طغت موجة عارمة من الاعتراف بالجميل والتاكيد على رغبة واثقة بالتعاون والتحالف . ومن خلال توضيح فيينو لتحول الراي العام العربي ، في مشاركته لسورية بأفراحها في العهد الجديد ، لتقدير فرنسا مما يشير الى استعادتها لمكانتها ، في العراق وفي العربية السعودية وفي مصر ، استوقفه ، من بين الاقوال العديدة التي راحت تمجد فرنسا احتفاء بمصالحتها للعالم العربي في هذه الخطوة ، قول للامير شكيب ارسلان يربط به

بين الوضع الجديد في سورية وبلدان شمال افريقيا وهو امر يهم فرنسا في الصميم ، انه «ما من بلد من بلدان الشمال الافريقي تحدثه نفسه بالانفصال عن فرنسا» (٢) . وعلى الرغم من ذلك كله ومن ان فرنسا ضمنت بتوقيعها للمعاهدة اللبنانية الفرنسية في ١٣ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٣٦ دوام التعاون الفرنسي ـ اللبناني وبقاء الجيوش الفرنسية فيه ، لم تلبث السلطات الفرنسية ان اخذت تعرقل تنفيذ المعاهدة وتتباطأ في توقيعها .

لعل الجبهة الوطنية ، في فرنسا ، بقيادة الاشتراكيين كانت غير قادرة على ابقاء الروح ، التي املت الموافقة على عقد معاهدة تحل محل الانتداب ، قوية ، للوصول الى ابرام المعاهدة واتمام عملية «التسلم والتسليم» بين السلطات الوطنية في سورية وسلطات الانتداب . كان قيامها استجابة لاقرار خطة الجبهة الشعبية التي قال بها المؤتمر السابع العالمي للأممية الشيوعية في موسكو عام ١٩٣٥ . ومصدر قوتها املها في الحصول على اغلبية برلمانية في الانتخابات المزمع اجراؤها وهو في نفس الوقت ، مصدر ضعفها ، في تلك الظروف التي كانت تحيط بفرنسا. ومن هنا عجز حكومة الجبهة الوطنية عن زحزحة جماعات القوى المناهضة لسياستها من المراكز الاساسية التي تدير حركة الدولة : الجيش ووزارة الخارجية ، التي تسيطر على سلطات الانتداب . صحيح ان الحكومة الفرنسية، استطاعت حينئذ ، وفي آخر لحظة ، قبيل التوقيع بالاحرف الاولى على مشروع المعاهدة ، ان تمنع الجنرال غاملان ، رئيس اركان حرب الجيش الفرنسي يومها، وقائد حملة اعادة فتح سورية بعد الاندحارات التي منيت بها الجيوش الفرنسية باندلاع الثورة وانتشارها في انحاء سورية ، من القاء خطبته في حفلة ازاحة الستار عن النصب التذكاري الذي اقيم في مدينة ليل Lille تمجيدا لمربيي الحمام الزاجل وتقديرا لما أدوه له من ادوار عظيمة في مهمته لاخماد الثورة والحيلولة دون اكتساحها للبنان (٣) . ولكنها لم تستطع ان تمنع الصحف من نشرها . وبفشل الجبهة الشعبية في الانتخابات وعودة اليمين المتطرف الى الحكم وهيمنة ظروف الحرب والصراع مع المانيا .. استردت الروح الاستعمارية انفاسها .. وباتت السياسة الفرنسية في المشرق العربي ترى ، خطأ ، في التيار الوطني عداء لها وتأييدا للفاشستية (٤) .

***

في محاولة لعلاج الامر غادر رئيس الوزراء ، جميل مردم ، سورية في أواخر نوفمبر وكانت نتيجة مساعيه مراسلاته مع دي تيسان De Tessan في ١١ ديسمبر (كانون الاول) باعطاء ضمانات اضافية للاقليات تتعلق باحترام حرية العقيدة والحاق اكثر من ٧٥ مستشارا فنيا للعمل في الحكومة السورية

بعقود طويلة الاجل (٥) . وعاد رئيس الوزراء في أواخر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ يظهر تفاؤله لكن زملاءه في الوزارة وفي الكتلة لم يروا ذلك (٦) . وفي أواخر مارس (آذار) ١٩٣٨ ؛ على اثر استقالة شكري القوتلي(٧) ، وتعديل الوزارة، وبعد حصوله على الثقة وتحرج الامور بازدياد معارضة المعاهدة ، في الاوساط الفرنسية ، طلب السفير الى فرنسا مرة اخرى فقضى اربعة اشهر بين باريس وجنيف كانت حصيلتها اتفاق مع جورج بونيه G Bonnet وزير الخارجية الفرنسية ـ بمثابة تعديل للمعاهدة ـ لم يعرف مضمونه الا بعد سنة ـ تألف من بروتوكول وبيان مشترك . أكد البروتوكول اتفاق ١١ ديسمبر الماضي وحقوق البعثات التعليمية واللغة الفرنسية في مدارس سورية وامتيازات المساهمين الفرنسيين في بنك سورية ولبنان ومنح الحكومة السورية امتياز التنقيب عن البترول واستثماره في الجزيرة العليا للشركة الدولية الفرنسية التي تكونت بمقتضى اتفاقات كليمنصو ـ لويد جورج لاستثمار البترول في الشرق الادنى . وأبدى الفريقان في البيان المشترك «انهما يأملان ، في ان يأذن البرلمان الفرنسي، الذي ستعرض عليه تقارير اللجان المختصة قبل العاشر من ديسمبر المقبل ، بتصديق المعاهدة الفرنسية السورية المؤرخة في ٢٢ ديسمبر ١٩٣٦ والعقود والملاحق المتممة لها قبل ٣١ يناير ١٩٣٩» (٨) . بيد ان حبر البيان ، لم يكن قد جف بعد عندما صرح بونيه ، متراجعا عنه بأن الحكومة الفرنسية لا تنوي ان تطلب من البرلمان الفرنسي تصديق المعاهدة . وتابعت الاوساط الفرنسية مقاومتها لفكرة التعاقد مع سورية ، وعلى الرغم من او هذه المعاهدة ما زالت «تسمح لفرنسا اليوم كالامس بتامين حماية الاقليات من الازعاجات المحتملة كلما دعت الحاجة الى ذلك» (٩) اي بالتدخل في شؤون سورية الداخلية فان مقرر لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ صرح بأن اساس المعاهدة لا يتفق ومصلحة فرنسا وحذر من ابرامها كما قال مقرر لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب غاستون ريو Gaston Riou ان فكرة المعاهدة خاطئة بحد ذاتها (١٠) . ويبدو ان الحكومة الفرنسية اخذت تبحث عن مبرر او مسوغ لالغائها نهائيا من لجوئها الى ارسال لجنة تقصّي الى سورية .



بعد اكتمال الشكل الوطني للحكم : مجلس نيابي منتخب ، رئيس جمهورية، وزارة دستورية ، وطوال السنوات الثلاث التالية ظلت سلطات الانتداب تعرقل الاجراءات الوطنية لاستكمال مظهر الاستقلال ، فلم توافق على اشتراك سورية في مؤتمر فلسطين ولم تفعل شيئا من اجل انشاء نواة الجيش الوطني واستمرت تمارس سلطاتها كاملة في شؤون الدفاع والخارجية (١١) . الا ان الحكومة الوطنية قطعت بعض الخطوات في سبيل توحيد سورية بشيء من الحذر . فقد

ترك لها تعيين محافظين في «جبل الدروز وبلاد العلويين» ، وكانت التعليمات الصادرة للمحافظين: نسيب البكري في السويداء واحسان الجابري في اللاذقية، هي مراعاة خواطر الزعامات المحلية الموالية للانتداب ، مع تنشيط الروح الوطنية دون اثارة الآخرين وعدم اتاحة الفرص او اعطاء الاعذار للوقوف في وجه الحكم الوطني ، والتقليل ما امكن من استخدام الموظفين من خارج المحافظة . لكن هذا الامر لم يكن سهلا بوجود المستشارين الاداريين المتمتعين بصلاحيات واسعة (١٢) من جهة والنوايا المبيتة لدى سلطات الانتداب من جهة اخرى . على ان الكتلة الوطنية ، بفتحها لمكاتبها في المراكز والاقضية ، اتاحت الفرصة للفئات الاخرى لافتتاح مكاتب معارضة ، باسم حركة «الدفاع» في جبل الدروز ، واتخذ الصراع بين مؤيدي الوحدة وطالبي الانفصال ، طابعا عشائريا سرعان ما انساق الناس اليه بدافع التعصب والانتماء العائلي لا بدافع القناعات (١٣) وان ظلت الجماعات الوحدوية على غالبيتها تتميز بوجود قيادات من أجيال المتعلمين. وتفاديا للصدام في جبل الدروز رؤي اسناد منصب المحافظ لوريث الامير سليم الاطرش، الامير حسن الاطرش (١٤) ، بعد ان أقر ذلك سلطان الاطرش . وأصر الفرنسيون، في اللاذقية ، على اختيار محافظ من ابناء المنطقة استنادا الى تحقيقات مندوب المفوض السامي (١٥) .

اذا كان من الممكن التماس بعض العذر للوطنيين في تسرعهم لاستلام الحكم فان هذا العذر يسقط اذا علمنا مقدار تباطئهم وتلكئهم في النظر في امر الموظفين الفرنسيين الموجودين في سورية فقد كان عليهم منذ البداية ان يكونوا على دراية بهم : من منهم يصلح للتعاون معهم في المرحلة الانتقالية ومن هو غير صالح . كما كان عليهم ان يعملوا بسرعة ، وفي ذلك المناخ الحماسي المساعد ، على تطهير بعض الاجهزة واختيار عناصر ملائمة لها . ومنذ وقت مبكر نبه الحزب الشيوعي الى ذلك وان كان تنبيهه قد انصب على الموظفين الفرنسيين الفاشست الموجودين في سورية الا ان اشارته الى مسؤولية هذه العناصر في قضية الاسكندرونة وحوادث حلب واللاذقية ودير الزور وجبل الدروز كافية لاخذها بعين الاعتبار وللاستعانة به لمطالبة حكومة بلوم ووزارة الخارجية الفرنسية بتنظيف جهاز الادارة (١٦) .

في معظم الاحيان كانت مناقشات جلسات المجلس النيابي تدور حول تلكؤ فرنسا في التصديق على المعاهدة . يرد النواب على مزاعم الفرنسيين ويلقي رئيس الحكومة بياناته ويعرض نتائج مساعيه . ثم يلخص فارس الخوري ذلك كله وأحيانا يصيغه في شكل قرارات ، يعرضها على المجلس ليقرها . لعل ما جرى في الجلسة الثالثة عشر من الدورة العادية الرابعة ، وهي التي اطلق عليها اسم الجلسة التاريخية لاهميتها يصلح نموذجا . فقد لخص رئيس المجلس الكلام فيها واتجاهاته بالمقررات الآتية (١٧)

١ ــ تمسك المجلس بدافع الرغبة للتحالف مع فرنسا ، بنصوص المعاهدة

ويعتبر حقوق سورية المنصوص عنها في هذا الصك واجبة الاحترام والتنفيذ ، اذا حق للبرلمان الفرنسي رفض التحالف مع سورية فلا يحق له انكار حقها الطبيعي بالاستقلال المعترف لها به في ميثاق عصبة الامم .

٢ ـ بما انه لم يعرض على مجلس النواب اي اتفاق او عقد آخر غير معاهدة ١٩٣٦ فالمجلس يعتبر بحكم العدم اي ادعاء كان يتعلق باتفاقات او ملاحق او ذيول او عقود لاحقة غير معروفة عنده ولا مصدقة منه .

٣ ـ يأسف لنكول الحكومة الفرنسية عن احترام عهدها بلا مبرر ويستنكر ترددها ويطلب من الحكومة السورية المحافظة على الحقوق المؤيدة للاستقلال والوحدة والاسراع لاستلام الصلاحيات الباقية لها .

٤ ـ يسجل المجلس تصريح رئيس الوزارة بأنه يعد نفسه في حل من جميع الاتفاقات والعقود التي يمكن ان يكون وقعها ويعتبرها لغوا .

٥ ـ حيث ان مجلس النواب السوري يمثل جميع الدوائر الانتخابية المنسوب اليها اعضاؤه وهو وحده يعبر عن رأي الامة ورغائبها تعبيرا شرعيا دستوريا حقيقيا فالمجلس يستنكر اي أسلوب آخر تجنح اليه الحكومة الفرنسية لمعرفة راي الشعب السوري بشأن مصيره كايفاد لجنة لمثل هذه الغاية. وحيث ان هذا المجلس قد اعرب عن رايه حيال جميع القضايا التي عرضت له وهو مستعد للاعراب عن رأي الامة في اية قضية كانت فهو ينكر جواز الاخذ بأية رغبة تخالف رغبته ويدعو الشعب السوري أفرادا وجماعات الى الامتناع عن الاتصال بأي شخص او اية هيئة تحاول اخذ الآراء والمطالعات تذرعا لايجاد التفرقة في صفوف الامة وسعيا وراء غايات وأهداف ضارة بوحدة البلاد وهادمة لاستقلالها .

٦ ـ يأسف المجلس لحوادث العصيان والتمرد على القانون والتعرض للاخلال بالامن العام في مناطق اللاذقية وجبل الدروز بعد حوادث الجزيرة المعلومة ويزيده أسفا اذا كان صحيحا ما يقال من ان لبعض ممثلي السلطة الافرنسية ضلعا فيها او رضاء عنها . ويطلب من الحكومة ان تسرع بوضع حد حاسم لهذه الحوادث الغريبة .

٧ ـ يسجل المجلس ايضا مشاطرة الوزارة السورية المجلس الراي المعرب عنه في هذه البنود .

ثم تليت أسماء النواب للتصويت عليها فنالت الموافقة الاجماعية .

المقصود بهذه القرارات امران : من جهة الرد على ما صرح به مقررا لجنتي الشؤون الخارجية في مجلسي الشيوخ والنواب الفرنسيين بشأن المعاهدة وعدم الالتزام بالتنازلات التي أجراها جميل مردم ، رئيس الوزارة السورية ، فيما يتعلق بحقوق الاقليات واللغة الفرنسية والبعثات التعليمية والبنك السوري واستثمار البترول وانماء تجارة سورية مع فرنسا وقبول مساعدة مالية منها واتفاقات عسكرية وعدم الاعتراف بالتالي بتعديل المعاهدة الذي اتمه مع وزير الخارجية الفرنسية . ومن جهة ثانية الرد على مواقف داخلية هي : في جبل

الدروز اقدام جماعة عبد الغفار باشا الاطرش على انزال العلم السوري عن دار الحكومة وطردهم للموظفين واطلاقهم الرصاص على سيارة المحافظ نسيب البكري، وفي الجزيرة على اضطراب الامن بتعديات اعوان الانتداب على موظفي الحكومة وقيام جماعة الياس مرشو بخطف محافظ الفرات بالوكالة السيد توفيق شامية واحتجازه عدة ايام ، وفي بلاد العلويين محاولة التآمر لاغتيال المحافظ احسان الجابري واضطراره لترك منصبه ومغادرة المنطقة .



الغريب ان يقدم رئيس وزارة وطنية على تقديم كل هذه التنازلات التي يدني بعضها هذه المعاهدة من معاهدة حقي العظم ــ دي مارتيل والتي جرى اكثرها سرا وبقي خافيا اكثر من سنة على البرلمان السوري وعن كبار المسؤولين في الدولة ، ثم يأتي البرلمان فيغطي تصرفاته على هذا النحو محاولا ان يتخذ ، ضمنا من ابطالها او عدم الاقرار بها عامل ضغط على فرنسا للتصديق على المعاهدة . رئيس وزراء يقوم علنا امام البرلمان ليعلن بتفاصح وبلاغة كأنها عين الصدق ، كذب الشائعات وتخرص الدساسين او يعود من فرنسا بعد ان يوقع على كل ما يطلب منه ليحذر فرنسا وينذرها من نتائج سياستها المرسومة في خطب رنانة ، ثم ما يلبث امره ان يفتضح ، ويعترف .. ولكن بلا حساب ويبقى الزعيم الوطني . فقد استغل قيامه بمهام وزارتي المالية والدفاع وكالة في اثناء غياب الوزير الاصلي ، شكري القوتلي في الحجاز فعقد اتفاقا مع البنك السوري مخلا بحقوق سورية وفاوض على اتفاق يتعلق بالجيوش الفرنسية في سورية «اعلنت وزارة الحرب الفرنسية رضاءها التام عنه» فاستقال شكري القوتلي من الحكم واقيمت له حفلات التكريم وامطره الخطباء بكلمات المديح وكان افصحهم فيها فائز الخوري الذي حل محله في وزارة المالية ولطفي الحفار الذي حل في وزارة الدفاع (١٨) . وعدل جميل مردم وزارته وتقدم لنيل الثقة فنالها وطلب الذهاب الى فرنسا مصرا على ان يكون لوحده . يقول فارس الخوري ان رئيس الجمهورية «لم يشأ ان يأذن له في بادىء الامر لخوفه من تساهله بحقوق البلاد فتعدل المعاهدة ويضع الحكومة امام امر واقع بحيث لا يمكن ان ترفض وان رفضت فالعواقب وخيمة ولكن ما لبث ان وافق بعد ان اشترط عليه ان لا يبرم اتفاقا او يقر امرا خطيرا قبل اخذ رايه وراي الوزراء وموافقتهم. ولكن جميل مردم اقر في باريس بعض الملاحق المعدلة للمعاهدة فغضب الرئيس عليه واتهمه بالخيانة وطلب من مجلس الكتلة اقالته ..» (١٩) لكننا نجده يعود الى الحكم مرارا باسم الكتلة .

***

في أواخر عام ١٩٣٨ ؛ اي بعد نحو عامين من الحكم الوطني ، صار المفوض السامي خلافا لكل اتفاق وتحديا للدستور والسلطة التشريعية ، يصدر القرارات التشريعية ، يصدر القرارات التشريعية وكأنه قد عاد لممارسة صلاحياته التي انتهت بانتهاء الانتداب (٢٠) . وفي أوائل يناير (كانون الثاني) ١٩٣٩ وصل غابرييل بيو Puaux الى البلاد مفوضا ساميا جديدا ، يحمل مهمة دفن المعاهدة فقد جاء يتحدث عن فرنسا ورسالتها في الشرق بلغة القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي تتمسك فيه السلطة الفرنسية بالصلاحيات الهامة بل تستعيد ما سلمت به.
وبالاستناد الى قرارات المجلس النيابي السوري في جلسته التاريخية (٣١ كانون الاول ـ ديسمبر ـ ١٩٣٨) ارسلت حكومة جميل مردم في شهر فبراير (شباط) ١٩٣٩ مذكرة الى المفوض السامي قالت ان قراراته ليس لها صفة القانون وان الحكومة مصرة على اخذ السلطات من الدولة المنتدبة وانها ابلغت المحاكم بأن لا تأخذ بقانون الطوائف الذي اصدره المفوض السامي سابقا واتهمت السلطة الفرنسية بتشجيع الحركات الانفصالية في البلاد . وعليه تأزمت الامور اذ طلب المفوض السامي من الحكومة سحب امرها الى المحاكم وسحب مذكرتها فرفضت وقدمت استقالتها: «بناء على تطور الموقف السياسي الاخير وتعذر الاستمرار علىالعمل..»

بعد خمسة ايام (في ٢٣ فبراير ـ شباط ١٩٣٩) صدر مرسومان (٢١) بقبول استقالة الوزارة وتسمية لطفي الحفار رئيسا للوزارة . فلم تدم وزارته شهرا «لانه جاء ليمثل حكما نيابيا دستوريا استقلاليا بعيدا عن شوائب الانتداب وفرض الادارة الاجنبية . ولكن وجد نفسه امام احداث لا يمكن الصبر ولا السكوت عليها ..» (٢٢) وجاء انعقاد اولى جلسات المجلس النيابي في دورته العادية الخامسة في ٢١ مارس (آذار) ١٩٣٩ اثناء الازمة الوزارية فلم يحضر سوى ٤٥ نائبا بسبب الحواجز التي أقامتها السلطات الفرنسية في مفارق الطرق المؤدية الى المجلس فأجلت الجلسة وعندما احتج رئيس المجلس لدى المندوب السامي(٢٣) اجاب بأن المفوض السامي اذ احاطه بالامر وبرغبة رئيس المجلس في رفع تدابير الامن من وجه الجلسة القادمة ابلغه ان ما سيتقرر بهذا الشأن يتوقف على حالة الامن في دمشق صباح انعقاد المجلس . ثم ابلغه بإزالة التدابير وبأن المجلس قد اصبح في حرية للاجتماع كالعادة .

دامت الازمة الوزارية باستقالة لطفي الحفار واستلام السلطات الفرنسية للامن العام في محافظتي دمشق واللاذقية الى جانب محافظتي السويداء وديـر الزور . وفي ٥ ابريل (نيسان) ١٩٣٩ كلف نصوح البخاري من خارج المجلس بتأليف الوزارة الا انها لم تتقدم ببيانها ولم تمثل امام المجلس خلافا للتقاليد والانظمة البرلمانية . فأرسل اليها رئيس المجلس يدعوها الى حضور جلسة يوم ١٥ ابريل (نيسان) فأجاب رئيس الوزراء ان ثمة مباحثات جارية لم تنته الى نتيجة بعد تدعو الحكومة الى تأجيل تقديم بيانها لحرصها على ان يحمل الى البلاد ما يخفف من قلقها على مصيرها وفي ١٦ ابريل (نيسان) ذكر رئيس المجلس الحكومة بكتاب آخر بموعد الجلسة المقبلة وبأمله في حضور الوزارة . ومرة اخرى اجابه

رئيس الوزراء بأن الاسباب التي حالت دون حضور الحكومة جلسات المجلس حتى الان ما زالت قائمة . وفي الجلسة التي عقدت في ١٨ ابريل (نيسان) استنكر النواب موقف الوزارة فوعد رئيس المجلس بدعوتها الى الجلسة القادمة وفي اليوم التالي صدر عن رئيس الجمهورية السورية ورئيس الوزراء مرسوم بتأجيل اجتماع المجلس النيابي لمدة شهر .

حصلت الحكومة على ما كانت تنتظره لصياغة بيانها بعد عودة المفوض السامي من باريس حيث أصدر بيانا يفهم منه ان فرنسا تريد الوصول الى اتفاق نهائي على اساس مبادىء المعاهدة وانها تريد ايجاد نظام خاص للمحافظات وان السلامة الخارجية تستدعي تنظيما جديدا للتعاون العسكري بين فرنسا وسورية فاستقالت وزارة البخاري «لانه تعذر تحقيق الاسس التي اخذت على عاتقها القيام بها» (٢٤).

الا ان رئيس الجمهورية السورية استقال من منصبه قبل ان يصدر مرسوما بقبول استقالتها . فأفتى فارس الخوري بجواز بقاء الوزارة المستقيلة في الحكم تضطلع بالمهمة الوزارية الى «أن يبت المجلس في قضية رئاسة الجمهورية ليؤلف مجلس الوزراء الجديد على الاصول ...» (٢٥) الا ان المفوض السامي عاجل البلاد في نفس اليوم الذي حاول فيه فارس الخوري هذه المحاولة ، بقراره القاضي بوقف تطبيق دستور الدولة السورية فيما يتعلق بتنظيم سير السلطة التنفيذية والتشريعية وبحل مجلس النواب وبأن يعهد بتأمين السلطة التنفيذية تحت مراقبة المفوض السامي الى مجلس يؤلف من مديري المصالح العامين برئاسة مدير الداخلية .

هكذا : «ذهبت ضباعا – كما قال رئيس الجمهورية في استقالته الموجهة الى اول مجلس وطني – تلك الآمال التي توجهنا بها الى سياسة التحالف والتعاقد ..» (٢٦) وعادت سورية بعد تسعة عشر عاما من الانتداب الى نفس الحالة التي كانت عليها تقريبا في عام ١٩٢٠ عند الاحتلال (٢٧) بفارق هام وهو ان الحكومة السورية اضاعت الاسكندرونة ووقعت على الحقوق المكتسبةوامتيازات الطوائف وتخلت عن الاقضية الاربعة .

***

لعل اكبر خطأ ارتكبه رجال الكتلة الوطنية هو تهافتهم على استلام الحكم من بابه الى محرابه ، وعدم الاخذ براي بعضهم في ترك محمد علي العابد في رئاسة الجمهورية حتى نهاية مدته بل كان الاصوب لو بقوا خارج الحكم ، في هذا الدور الانتقالي من حكم الانتداب الى حكم الاستقلال ، وسلموه الى عناصر وطنية مستقلة ، فيوجهونها في الحكم ويشرفون على تسلم الصلاحيات فان تعسرت الامور وتأزمت استقال الوزراء وبعثوا غيرهم وتكون الكتلة الوطنية عونا لهم حتى تبقى هي قوة لمواجهة الطوارىء ولا يخيب أمل اصحاب شهوة الحكم فيمتعضون

وينقلبون عليها ، على نحو ما حصل في ايام فيصل وقد اعترف سعد الله الجابري بصحة هذا الرأي ولكن بعد فوات الاوان (٢٨) . ربما اتاح لهم الابتعاد عن تسلم الحكم ان لا يتعجلوا بوضع المعاهدة موضع التنفيذ قبل ان يصادق عليها البرلمان الفرنسي . ولا يعفيهم من المسؤولية ذلك القول بأنهم لم يكونوا على علم بالتيارات السياسية التي تحكم فرنسا .

لكن شهوة الحكم كانت اقوى فحالت دون المحاكمة الصحيحة . يروي الدكتور عبد الرحمن الكيالي ان سعد الله الجابري فسر له تأليف الوزارة على النحو الذي الفت فيه بقوله : انها «لم تتالف الا بصعوبات جمة لانقسام الراي بيننا وبين اخواننا الوطنيين وكثرة الطالبين وأخصهم السيد لطفي الحفار والسيد فائز الخوري والسيد نسيب البكري والسيد خليل معتوق الذي اصبح فيما بعد اكبر عدو لنا ولبلاده وأكبر خصم للحكومة الوطنية بماله ودعايته في بلاد الفرنسيين.. فاضطررنا الى اختصارها واقتصارها على الزعماء اعضاء المكتب الدائم حرصا على الانسجام واتفاق الكلمة .. ثم قلنا البقية يأتي دورهم في المرحلة التالية والوزارة القادمة» (٢٩) . وأكثر من هذا ان الكتلة الوطنية واجهت الحكم واقدمت عليه دون ان يكون لديها «برنامج عمل» وخطوط كبرى تسير عليها الوزارة وارجيء ذلك الى يوم الاجتماع برئيس الجمهورية غداة تشكيل الوزارة . وفي الغد اجتمعت الوزارة ولم تقرر خطة وكل ما قررته ان تعالج الموقف الخارجي مع الفرنسيين اولا ثم تعمل بسياسة «لكل حادث حديث ولكل يوم رزق جديد الى ان تنتهي فترة الانتقال ...» (٣٠) ولعل هذه البداية تكشف لنا بجلاء ووضوح سر انهيار اول دور وطني قبل ان يكمل فترة الانتقال .

الفصل الرابع عشر

المعارضة في مواجهة الحاضر والمستقبل

ما كان ليدور في خلد الجماهير الغفيرة التي احتشدت لاستقبال الوفد «المظفّر» ، «المتوج بأكاليل النصر» ، العائد من باريس ، بطريق تركيا ، بعد مفاوضات دامت حوالي ستة شهور ، فباتت في العراء ليلتها ، على طول الطريق المتدة من دمشق الى ما وراء حلب ، عند حدود تركيا (١) ، بانتظاره ، انه يعود ـ بما يحمله من بنود الاتفاق ـ أضعف ما يكون وفد او هيئة او حزب ، في مثل الظروف الداخلية والخارجية المتوفرة له . وبقدر ما كان ذلك الحماس تلقائيا في التعبير عن تقدير الشعب لجهاد الكتلة الوطنية والاقرار بنجاحها ، كانت خيبة الامل مريرة والنقمة عارمة .. بانكشاف نواقص المعاهدة وافتضاح مواطن الغفلة او التساهل فيها وبما اتضح من عجز الحكومة الوطنية في مجابهة الفرنسيين وما صار مضرب الامثال في التهاون مع «المحاسيب» والاتباع حتى كاد الوطن يصبح مزرعة لهم .. فأخذ الناس ينفضّون من حولها بمثل الحمية والعاطفة التي جاءوا بها ويتجمعون حول الذين كانوا يتربصون بها وظهرت قوى عديدة لمناوئتها وتقوت اخرى كانت ضعيفة او متلاشية . واجترات المظاهرات على مهاجمتها والنيل من «عصمة» بعض زعمائها (٢) .

هكذا تشكلت المعارضة وقوي تيارها . ولولا ان الحزبين : الشيوعي

والسوري القومي ، كانا موجودين من قبل وان عصبة العمل القومي كانت آخذة في التوسع والانتشار ، وان اختلفت عنهما بدوافعها ومراميها .. لامكن القول بأن تيار المعارضة للحكم «الوطني» قد تولد من أخطاء الكتلة الوطنية نفسها . ومن هنا كان لا بد ، اكمالا لصورة هذه المرحلة من الحركة الوطنية من دراسة موجزة لتكتلات واحزاب هذه الفترة .

اولا : تكتلات او احزاب شبه منظمة .

أ - في مركز الوثائق التاريخية بدمشق مجموعة من الاوراق في ملف باسم «الاتحاد الوطني العام» ، يرجح انها مشروع للملمة شتات الاحزاب (٣) بينها النظام الداخلي من ١٨ بندا الذي يقرر ان «كلمة معظم الاحزاب والرجال العاملين اجتمعت على تاليف جبهة سياسية باسم الاتحاد الوطني العام» . فهو يتألف اذن من كافة اعضاء الاحزاب الممثلة فيه ومن جميع الرجال العاملين الذين ينتمون اليه (المادة الخامسة) وتتألف هيئته الادارية من عضوين لكل حزب ممثل فيه ينتخبهما حزبهما (المادة السابعة) . وفي هذه الاوراق ما يشير الى تأليف حزب الفتوة العربي باسم شباب الاتحاد الوطني العام منذ ربيع عام ١٩٣٥ وقد نص نظامه الاساسي المؤلف من ثمانية بنود على ان تكون «غايته تحقيق الميثاق الوطني العربي العام تدريجيا ، وهو تحرير سورية ساحلا وداخلا بوحدة طبيعية شاملة مستقلة تؤول الى وحدة عربية عامة كبرى» وينقسم هذا الحزب الى الفرق التالية : الاركان ، المرابطون ، الملثمون ، الفرسان ، شباب الاتحاد ، الشعب دون تحديد لدور كل فرقة .

يتألف ميثاق الاتحاد الوطني العام من (١١) بندا حدد الاول منها : «البلاد السورية وحدة سياسية لا تتجزأ داخلا وساحلا ولسكان لبنان الصغير الخيار بالاحتفاظ بامتيازه القديم او الانضمام الى الوحدة السورية» الامر الذي يعني عدم الاعتراف بضم الاقضية الاربعة وطرابلس وبيروت اليه واعتبار عودتها الى سورية امرا مفروغا منه . وقرر في البند الثاني ان «البلاد السورية مستقلة على اساس السيادة القومية والتمثيل الخارجي» وفي البند الحادي عشر ان «كل هيئة سياسية ترضى بأقل من هذه المطالب تعتبر خارجة على ارادة الامة» . وقد طبع هذا الميثاق ووزع على نطاق واسع . كما كان مدونا على بطاقة العضوية .

ولا حاجة الى القول انه على الرغم من تطرف المبادىء المعلنة في ميثاقه ، لم يحظ «الاتحاد الوطني العام» بتأييد يذكر ، طالما كانت الكتلة الوطنية في قيادة النضال . لكنه بعد عام ١٩٣٦ وما وقعت فيه الكتلة من تخبط في الحكم وفشل في ابرام المعاهدة ، نجح في تجميع فئات من المتذمرين الناقمين على سياسة الكتلة . بل قل استطاعت ان تندس تحت لوائه عناصر مريبة ، مشبوهة كثيرة . ولا شك انها اجتمعت باسمه ، باسم الاتحاد على مقاومة الكتلة الوطنية. فقد عثرنا في احد ملفات مركز الوثائق التاريخية بدمشق على بعض رسائل رئيس شباب الاتحاد الوطني العام الاستاذ احمد حلمي العلاف (٤) ، الخاصة : بينها كتاب الى فؤاد باشا الخطيب رئيس ديوان الامير عبد الله يستفسر فيه عن

صحة الامير ويقدم له بطاقتين لمشروع دعم الاتحاد الوطني بقصد تغطية ما ينقصه من مال ، وكتابان الى الحاج امين الحسيني (زعيم الجنوب) بطلب العون ، وكتاب ترحيب بمقدم «الزعيم الروحي» الداماد احمد نامي ..

على ان هذا «الاتحاد الوطني العام» لم يلبث ان تلاشى في الجبهة الوطنية المتحدة .

***

ب ـ في ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٥ اعلن عن قيام «الجبهة الوطنية المتحدة» على اثر استقالة نائب دمشق زكي الخطيب من الكتلة الوطنية ، وقد ضمت بداية ، الافراد الذين لم ينتسبوا الى الكتلة (٥) ، وذلك بنشر كراس صغير من ثمان صفحات يتضمن منهاجها . معللا «ما يوجب انشاء جبهة تدعمها وحدة الافكار والاهداف بما كان في عام ١٩٣٥ من الشؤون العالمية التي لها علاقة كبرى بالقضية العربية بوجه عام وقضية القطر الشامي بوجه خاص ...» (٦) ولكن دونما ذكر لهذه الشؤون ولا ادنى تحليل .

ولم تختلف اهدافها عن ميثاق الاتحاد الوطني العام في ان يكون للامة العربية وطن مستقل واحد وعلَم واحد . ولكنها وهي تقصر مثله جهودها على سورية لتحريرها وازالة تجزئتها كخطوة في الطريق الى الوحدة العربية الكبرى ، ترفض سياسة المراحل التي كان يقبل بها . وهي مثله كانت ترمي الى توحيد المناطق الساحلية والداخلية السورية مع اجتناب قاعدة اللامركزية على ان يستفتي جبل لبنان بحدوده في عام ١٩١٤ في تقرير مصيره . وتقبل بعقد معاهدة مع فرنسا تضمن الغاء الانتداب والاعتراف بالاستقلال والسيادة والوحدة وتكفل من الحقوق لسورية ما تضمنه المعاهدة العراقية المعقودة عام ١٩٣٠ مع مراعاة الفارق الزمني . كما انها لا تجيز أن يتنافى العمل المحلي مع مصلحة القضية العربية العامة ، وتنبذ الطائفية (٧) .

وقد نبه بعض اعضاء هذه الجبهة الى ان الحل المعروض من قبل المفوض السامي على الوطنيين غير كاف وتنصلوا من مسؤولية بلبلة الافكار واحتمال انقسام الامة قبل سفر الوفد للمفاوضة (٨) . وكان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر المقيم في القاهرة منذ نهاية الثورة السورية ، يؤيد هذه الجبهة ويدعمها بنفوذه، على الرغم من ان الكتلة الوطنية كانت تعتبره عضوا فيها . وقد وقف كذلك ، منذ البداية موقف المعارضة من المعاهدة . وقد بذل اشخاص عديدون جهدهم لاشراكه في المفاوضة ، بعضهم لتجنب معارضته في المستقبل وبعضهم لاعتقاده انه يكون اكثر تشددا بإزاء الفرنسيين ونضجا في المفاوضة (٩) . وحال اتضاح بنودها وقبل الانتخابات وقبل اقرارها في دمشق راح يعلن رأيه ببرقيات خاصة وبمقالات

على صفحات الجرائد في مصر (١٠) .

في ايار عام ١٩٣٧ عاد الثوار من منافيهم في وادي السرحان والاردن وفلسطين ومصر ، بعد ان تمت اجراءات العفو عنهم ، فأنشدت أذهان الناس اليهم وكان من الطبيعي ان يترقبوا سماع راي الثوار ، زعماء السيف ، في المعاهدة . ففي السويداء لم توحِ الاوضاع لسلطان الاطرش بالحماس للكتلة الوطنية ، وفي دمشق اعلن الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، في زيارته لمكتب الكتلة الوطنية موقفا معارضا للكتلة ولم تخدعه عبارات المديح والقاب الزعامة التي كيلت أنيه في كلمات لطفي الحفار وفارس الخوري ولا الدعوة للاشتراك في تحمل المسؤوليات (١١) وفي نهايةالعام نشر بيانا اتهم فيه صراحة رئيس الوزراء بالتساهل مع الفرنسيين مما أدى الى اعتقال بعض أعوانه . ثم الى فرض الاقامة الجبرية عليه في منزله . وقد تضخم التيار المعارض الذي يقوده الشهبندر بعد تأليف الجبهة الشعبية التي سارت على خطى الجبهة المتحدة وتتمة لها وانضم اليها الدكتور منير العجلاني احد قادة الشباب والقمصان الحديدية في الكتلة الوطنية وأصبح ناطقا باسمها بالمعارضة في المجلس النيابي . حتى كاد رجال الكتلة ان يفقدوا أعصابهم (١٢) .

***

ج ــ تميزت عصبة العمل القومي ، التي عقدت مؤتمرها الاول التأسيسي في قرنايل في لبنان ، بأحد المنازل دون علم السلطة ، انها كانت بفروعها وسرعة انتشارها على مستوى سورية كلها ولبنان . فقد امتدت من انطاكيا الى جبل الدروز ومن بيروت الى دير الزور والحسكة شرقا . كما تميزت بأنها كانت ذات نظرة قومية شاملة لم تعن بقطر عربي دون آخر .

حلل المؤتمر في بيانه «الى العرب من عصبة العمل القومي» ، احوال البلاد العربية منذ تشجيع الغرب لحركاتها ضد الدولة العثمانية فعرض للثورة ولوعود الحلفاء ولتقسيم المشرق العربي لاستعماره ، باسم المشورة والنصح وتطرق في دراسته الى طبيعة الاستعمار فتبين له ان طبيعته ومنشأه اقتصاديين يرجعان الى الثورة الصناعية وتجمع رؤوس الاموال الضخمة وتزاحم التجارة وظهور حاجتها الى مواد أولية وأسواق ومستهلكين وأماكن لتوظيف فائض رؤوس الاموال وظهر للمؤتمر ان اهداف الاستعمار في بلاد العرب ذات وجهين : وجه استعمار فكري ومادي ووجه اتخاذها قاعدة لاستعمار الشرق . ولدى بحثه للوسائل التي يبرر بها الاستعمار وجوده ويدعمه ظهر للمؤتمر ان الاستعمار يضفي على اعماله صفات تمدينية وانسانية من جهة ويعمد الى افساد خلق الشعب وتسميم عقله وتفريق صفوفه من جهة اخرى ، بينما يظل هو متماسكا معتمدا على قوته . وعلى ضوء هذا التحليل رسمت العصبة «لنفسها هدفين هما من حيث الطبع متمم احدهما

للآخر وتحقيق كل واحد شرط لتحقيق الآخر» واللذين عليها ان تعمل لبلوغهما وأن لا تفتر عن العمل ما زال العرب لم يبلغوهما وهما : أ ــ سيادة العرب واستقلالهم المطلقان . ب ــ الوحدة العربية الشاملة (١٣) .

كان هذا البيان بحق اول دراسة قومية جدية لاسباب تخلف العرب وتفككهم ولعوامل قوتهم وعودتهم لممارسة وجودهم في المستوى اللائق بهم، تلامس الحقائق الاقتصادية في التخلف من جهة وفي اسباب الاستعمار من جهة اخرى ، وتعني بها كعلاج للنهضة وبالاوضاع الاجتماعية والخلقية . وعليه يمكن القول ان العصبة سجلت تطورا في السياسة آنئذ اذ اعتبرت في بيانها البلاد العربية وحدة اقتصادية وأوجبت مقاومة الاستثمار الاجنبي للبلاد ومحاربة الاقطاعية وتحديد مقدار التملك العقاري . واذا كانت العصبة ترى مقاومة الاستعمار بالقيام بنهضة ايجابية عامة واعداد الامة الى الهدف الاسمى وتأسيس الحركة على اساس شعبي منظم وتوحيد حركة المقاومة في الاقطار العربية والقضاء على النعرات الاقليمية ومقاومة العصبيات الطائفية وعدم الاعتراف بغير العصبية القومية وجعل اللغة العربية وحدها لغة التعليم في شتى فروعه.. الا انها من واقع مراعاتها للظروف في كل قطر عند معالجة المشاكل المحلية كانت تعتبر مبدأ التعاهد في سورية مع فرنسا وسيلة لانتزاع الاعتراف من الامة باقرار فرنسا على سياستها الانتدابية . ومن هنا ادانتها لسياسة الكتلة الوطنية في تعاملها مع فرنسا . وعلى ذلك لم تقبل في سورية بسياسة المراحل . وسعت ــ تنفيذا لخطتها ــ الى توسيع مدى الهوة بين المستعمرين والشعب ، ولم تعترف بالمجلس النيابي والحكومة ومقرراتها .

هذا البرنامج المتطرف ، الذي يقفز فوق الواقع ، نال في سورية تأييدا هائلا ما لبث ان استقطب جماعات من المثقفين وجماهير شعبية عريضة ، الا انه بسبب هذه «المثالية» وفقدان الالتزام القائم على دراسة علمية للواقع ، وعدم بنائه على تنظيم حزبي حقيقي متجاوب مع قوميته ، ما لبث التكتل الذي جمعته نشوة التطرف ان تبدد بمجرد ان لوحت الكتلة الوطنية لبعض عناصر اللجنة التنفيذية للعصبة بالمناصب الكبرى . وهكذا انفرط عقدها . كما انفرط من قبل عقد الاتحاد الوطني العام والجبهة الوطنية والجبهة الشعبية وسائر الاحزاب والتكتلات التي نشأت منذ الحرب العامة وتلاشت بتفرق قادتها او تهاويهم على المغريات . لا لان المبادىء غير صحيحة ، لا تلقى قبولا لدى الناس وانما لضعف روح المثابرة والصبر والثبات لدى القادة وتفشي الانتهازية . حتى لقد دفعت ظاهرة اختفاء هذه الاحزاب بسرعة بعضهم الى وصف تاريخ حركة القومية العربية بأنه سجل لتفجرات ناشطة تتخللها فترات استجمام لان من طبيعة المزاج العربي تصور اي عمل كان في شكل وثبات متفرقة لا بصورة جهد مستمر (١٤) .



ثانيا ــ الاحزاب المنظمة :

ثمة حزبان آخران، قاما على أسس تختلف تمام الاختلاف عن أسس ومفاهيم تلك الاحزاب التي ورد ذكرها ، كانا محصلة لتفاعل حضاري حديث وان اختلفت موارده ، يقدمان الدليل على ان روح الاستمرار يمكن ان تتوفر في الشعب العربي ايضا اذا توفرت ارادة الاستمرار لـــدى القادة ، وشاركهم اعضاء الحـزب بالمسؤولية . هذان الحزبان هما : الحزب السوري القومي والحزب الشيوعي . وعلى الرغم من ان دور كل منهما لا ينتهي بانتهاء المرحلة التي نعني بها ، بل على العكس يبدأ ويتضح فيما يليها من مراحل ، فلا بد ، استكمالا لملامح الحركـة الوطنية ، من ذكر لمواقفهما منها .

أ ــ ينطلق الحزب السوري القومي من موقع مقاومة انتماء سورية للقومية العربية . فخلافا لجميع الحركات والآراء والهيئات والاحزاب التي نشأت منذ ايام اليازجي والبستاني الى فارس الخوري فأرادت ان تتجاوز الدين لتجمع العرب في قومية واحدة ، ولتعتبر سورية جزءا من الوطن العربي الكبير ، نجد انطون سعادة منشىء الحزب السوري القومي ، يتجاوز الدين ويتجاوز العروبة ليقول بوجود امة سورية (١٥) سابقة على ذلك . وما العرب الا فاتحين كغيرهم من الامم التـي مرت بهذه البلاد ، والفتح لا يقتضي تغيير الهوية القومية . و«البيئة الطبيعية التي نشأت فيها هذه الامة السورية هي ذات حدود جغرافية تميزها عن سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال الى قناة السويس في الجنوب ، شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر السوري (الابيض المتوسط) في الغرب الى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة» (١٦) (البند الخامس) .

يرى انطون سعادة ان وحدة البيئة الجغرافية ، وحدة الوطن هي الاساس في تحديد الامة : ان الامة تجد اساسها قبل كل شيء في وحدة ارضية معينة تتفاعل معها جماعة من الناس وتشتبك وتتحد ضمنها (١٧) .. وللتقليل من شأن اللغة العربية كدعامة من دعائم القومية العربية يحاول البرهان على ان تحديد الامة باللغة من اكبر الاغلاط اذ انها وسيلة من وسائل قيام الاجتماع لا سبب مـن اسبابه . ويسبغ انطون سعادة على سكان هذه المنطقة صفات قومية متعاليـة وعدوانية والفرق بينها وبين القومية الالمانية انها تستمد تفوقها هنا من المزيـج السلالي . ويرى ان البيئة تقدم للامم الامكانية لا الحتمية ولذلك فالامم التي يمكن ان توسع بيئتها وتحتفظ في هذا التوسع بوحدة مجتمعها ووحدة حياته ومصيره لا يجوز لها ان تخنق نفسها ضمن حدود البيئة القديمة التي قوت شخصيتهـا ونفسيتها فيها (١٨) . فهو لم يقل صراحة بالمجال الحيوي الا انه قال بأن رسالة الامة السورية تنص في جملة موادها على انها ضد العالم العربي أجمع .

كانت وسيلة الحزب الى ذلك تطبيق المبادىء الاصلاحية وهـي خمسة (١٩) ثلاثة منها تعالج علاقة الدولة بالدين ، ينص الاول على فصل الدين عن السياسة

والدولة ويمنع الثاني رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين ويقضي الثالث بإزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب . اما المبدآن الآخران فينصبان على الناحية الاقتصادية : الرابع ينص على الغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العمل وصيانة مصلحة الامة والدولة ، ويعني ذلك الغاء نفسية التعسف لدى المتصرفين بالارض فالمجتمع هو صاحب السلطان بالتصرف والافراد هم قيمون على الملك وأن يتم تنظيم الانتاج بالحصول عليه وتوزيعه والتصرف به لمصلحة الامة (٢٠) . ويرمي المبدأ الخامس الى اعداد جيش قوي يكون ذا قوة في تقرير مصير الامة والوطن .

هذا الجيش هو بداية اعضاء الحزب . وقد وضع الزعيم اعدادا لذلك أسلوبا لاختيار الاعضاء يتقدم اذاء القسم على النحو التالي : ١ ــ هل تؤمنون بحقيقة هذه المبادىء ايمانا تاما ، ٢ ــ هل انتم مستعدون لتطبيق هذه المبادىء على انفسكم اولا ؟ ٣ ــ هل انتم مستعدون لقبول النظام المركزي والخضوع له ؟ ٤ ــ هل انتم مستعدون لتكونوا اعضاء في الميليشيا (جيش الحزب) ؟ ٥ ــ هل انتم مستعدون لاداء القسم (٢١) . ثم يقسم العضو قسما محكما يتناول كل ذلك .

واذا كان اثر النظرة الغربية وخاصة الفرنسية الى وحدة سورية الطبيعية وتركيبها الجنسي واضحة في آراء الحزب فان اثر الفكر الالماني عامة والنازي خاصة لا يحتاج الى برهان ، لاسيما اذا علمنا ان منشئه خريج الجامعات الالمانية. ولا غرابة في ذلك ، فالمنطقة كلها كانت واقعة تحت تأثير سحر المظاهر الالمانية ، نجد هذا التأثير في بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي وفي تنظيمات الشباب مثل حزب الفتوة التابع للاتحاد الوطني العام والشباب الوطني والقمصان الحديدية التابعين للكتلة الوطنية . بل ان كثيرين من الكتاب والادباء انصرفوا عن النهل من الفكرين الفرنسي والانجليزي الى الفكر الالماني .

***

للحزب السوري القومي في هذه المرحلة موقفان اساسيان : الموقف الاول يتجلى في تأييده لوحدة سورية ولبنان من حيث المبدأ وقد جاهر بذلك في المحاكم وفيما قام به من نشاط في لبنان لاعادة الاقضية الاربعة والساحل الى الجمهورية السورية . والموقف الثاني يتعلق بالمعاهدة . فهو يرى ان الشروط التي توصل اليها الوفد المفاوض غير كافية لتحقيق المطالب القومية ومرد ذلك الى عدم تعاون الكتلة الوطنية مع الحزب في معالجة القضية الوطنية والمسائل السياسية . ويدّعي «الزعيم» ان الحزب هو الذي قام بالنهضة القومية التي حملت وزارة فرنسا على انتهاج خطة جديدة تجاه سورية، ولكن المتزعمين لم يحسنوا الاستفادة من الظروف الملائمة التي خلقها الحزب لهم»(٢٢) . الا ان الشباب الوطني في سورية على اختلاف اتجاهاته كان معاديا للحزب السوري القومي ويعمل لكتم اي

حركة من حركاته وفي اي مهرجان شعبي كان شديد التربص به للحيلولة دون ظهور اعضائه . ومن هنا فشله في الالتئام بتيار المعارضة وعجزه عن القيام بأي دور واضح فيها .

***

ب ـ تأسس الحزب الشيوعي السوري ـ على مستوى البلدان الخاضعة للانتداب الفرنسي كلها في البداية ، في ٢٨ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٢٤ وتم قبوله في السنة نفسها عضوا في الاممية الشيوعية التي كانت قد تألفت عام ١٩١٩ (٢٣) . ونفى خالد بكداش ان يكون على علم بوجود علاقة لبعض مؤسسي الحزب بالاممية من قبل ، سهلت لهذا القبول السريع (٢٤) الا انه أكد انطلاق الحزب من بيروت . على ان الياس مرقص (٢٥) يذكر ان الحزب تأسس في لبنان عام ١٩٢٤ «على يد يوسف يزبك وفؤاد شمالي وعدد من المثقفين وعمال التبغ وبحضور جوزيف برغر مندوبا عن الاممية الشيوعية ، وتأسست اول حلقات شيوعية في دمشق على يد شاتيلا . ويستدل من اسماء اللجنة المركزية الخمسة التي انتخبت في العام التالي بعد احتفالها الاول بأول ايار (١٩٢٥) ان عصبة سبارتاكوس التي تأسست في بيروت عام ١٩٢٠ قد اندمجت فيه لان مؤسسيها: ارتين مادويان وهيكازون بويادجيان قد اصبحا عضوين في اللجنة المركزية الى جانب يوسف يزبك وفؤاد شمالي وباكوب تيبر **Tepper** وهو يهودي روسي قدم من فلسطين الى بيروت وانتخب سكرتيرا عاما للحزب واسمه الحزبي الرفيق شامي . ومن روادها الاوائل ومعتنقيها واوساط الاقليات العنصرية التي انتشرت فيها يتضح ان فكرة الشيوعية كانت لا تزال غريبة هجينة في المنطقة .

الا ان مساهمة الشيوعيين المتزايدة في الاحداث الوطنية كانت تفسح للفكرة المجال لتأخذ طريقها الى التأصل والانتشار ولكن بصعوبة وصف روادها بأنهم «كانوا يحفرون الارض بأظافرهم امام الساقية الصغيرة المنسابة في وعر صلد وبراحاتهم الدامية يزيلون الشوك من طريقها» (٢٦) ويروي البعض انها صعوبة لا بد منها لاسيما في مرحلة تكوين الحزب سياسيا وتنظيميا وبوجه خاص فكريا وابراز وجهه المستقل من حيث هو حزب عداء لا هوادة فيه للاستعمار اولا وحزب الجماهير الشعبية الكادحة ثانيا وحزب الاشتراكية العلمية ثالثا» (٢٧) . ويرجع بعضهم اعراض الجماهير عن الدعوة الشيوعية الى تعارضها مع المبادىء الدينية والتقاليد (٢٨) ..

الحقيقة انها جاءت في غمرة الشعور بالفكرة العربية والتطلع الى تحقيق وحدة عربية وصرخات التذكير بماضي العرب وامجاد العرب ، المدوية . واذا كانت الماركسية مبدأ ضد التفرقة العنصرية وتنزع الى التوحيد بين القوميات والى الاممية . الا ان التاريخ لم يذكر واقعة لانتصار قيادات مهما كانت دعوتها على

جانب من الصحة ، في أمم غريبة عنها قوميا ، فما بالك اذا كانت هذه الامم كالعرب في المشرق في أوج يقظتهم العاطفية وشعورهم بقوميتهم ويعانون بمرارة، الى جانب وطأة الاستعمار ، من هجرة اليهود الى بلادهم ومن هجرة الارمن . كيف يقبلون هذه الدعوة ولو قدمت على أطباق من ذهب . وكيف لا يشكون بوجبة طعام ، مهما كانت شهية ، وان كانوا جياعا ، عراة ، في ان تحمل اليهم بايدي تلك القيادات السم الزعاف (٢٩) . وخطيئة الخبراء السوفييت والشيوعيين انهم استندوا على نقطة شبه واقعية لاستنباط نتائج خاطئة . والمعلومات شبه الواقعية هي صلة الانجليز بفكرة الوحدة العربية وتحريضها على الاتراك والاستنباط الخاطىء انهم لم يعتبروا ان هذه الوحدة تمت لقومية واحدة لامة واحدة (٣٠) . وعلى الرغم من ان فكرة الوحدة العربية اخذت تجد رعاية من بعض اصحاب النفوذ في موسكو منذ عام ١٩٣٠ ومن ان اجتماع ممثلي الحزبين الشيوعيين : السوري والفلسطيني في موسكو عام ١٩٣١ قد تمخض عن قرار بالدعوة الى حملة شاملة للوحدة العربية تقترن بالنضال ضد الاستعمار وضد مصالح العائلات المالكة الانعزالية (٣١) الا ان ايا من تلك القرارات وما نجم عنها من اقتراحات كتأليف «اتحاد عام للفلاحين والعمال العرب» وانشاء جريدة مركزية لجميع الاحزاب الشيوعية في شمال افريقيا ، لم يعمل به . وظلت القيادات الشيوعية معزولة .

***

لم يمنع ذلك من ان يكون للحزب الشيوعي في سورية وهو يشق طريقه بصعوبة ويسعى جاهدا للملاءمة بين المنطلقات النظرية التي تصاغ في ظل موسكو والقيادات العنصرية الغريبة ومتطلبات الجماهير ، تاثيره الفعال . فمجرد الاعلان عن وجوده كان يرعب المستعمرين وقد خشي رجال الانتداب من احتمال تسرب الفكرة الشيوعية الى الثورة السورية (٣٢) لاسيما بعد ان أيدها الشيوعيون دون تحفظ وبذلوا جهدهم لدعمها واصدروا نشرات بالفرنسية موجهة الى الجنود الفرنسيين تدعوهم الى التمرد (٣٣) وكانت بعض صحف فرنسا اليسارية من جانبها تنشر رسائل من الجنود انفسهم تثير الشكوك في جدوى القتال (٣٤) . وحينما كانت سلطات الانتداب تعتقل مناضلي الشيوعيين ، كان الشيوعيون في فرنسا خاصة يشنون حملات كبرى على النطاق المحلي والدولي دفاعا عنهم ترجع اصداءها نوادي سورية وصحفها . وقد جاء اندريه برتون André Breton المحامي والنائب الشيوعي في البرلمان الفرنسي الى بيروت ليدافع عن المناضلين الشيوعيين فكان دفاعه درسا في ماهية الانتداب وعدم نجاح رجاله : ففرنسا هنا بإيعاز من عصبة الامم ومهمتها الاشراف على ادارة شؤون البلاد طبقا للنظم القائمة في الممالك المتمدنة ولما كانت فرنسا بلاد الحرية فالواجب يقضي عليها بأن تطلق لاهالي البلاد حرية الرأي والقول ، وفضلا عن هذا لم تستطع الرقابة ان تمنع الصحف من ان تذكر تنديده بقرار دي جوفنيل لعام ١٩٢٦ والمعدل من

بونسو في ١٥ نوفمبر ١٩٣٠ القاضي بعقوبة السجن لمدة عشر سنوات على اعضاء الجمعيات السرية ذلك ان دي جوفنيل رجل صحفي لا يدرك اهمية مثل هـــذه القوانين وان كان يعلم ان مثلها لا يسن في فرنسا بمثل هذه الخفة (٣٥) .

كانت المناشير الشيوعية ، كلما وزعت بطريقة او بأخرى او عثر عليها، ملصقة على الجدران او مكان حكومي (٣٦) تصبح ، الى جانب ما تبعثه من جدل وتحرك وبحث ، مثارا لتعليقات الصحف . ومنذ بداية الثلاثينات اخذت الانظار تتجه الى الحكومة لاعتبارها مسؤولة عن انتشـــار الشيوعية واحتدام دعايتهـــا . فالشيوعية نظرية اجتماعية لا تكافح بالقمع وبالملاحقـــة وانما بطرق وقائيـــة وباصلاحات اجتماعية واقتصادية تجهضها وتفوت عليها فرص النجاح فلا يمكن تجنب الشيوعية الا بتحسين احوال العمال والفلاحين اما القمع والملاحقة والسجن فلا تزيد الجماهير الا عطفا عليها ورغبة فيها (٣٧) .

في عام ١٩٣١ اي بعد اعلان قيام الحزب «في جميع انحاء البلاد السورية» وانتساب خالد بكداش اليه بعام واحد ، اذاع برنامجه او «البروجرام» الشيوعي كما سماه تحت عنوان : «لماذا يناضل الحزب الشيوعي السوري» ضمنـه (٧٥) مطلبا ، على رأسها انشاء حكومة العمال والفلاحين في سورية بل يتوقف هـذا الهدف الهام الذي يقدم لنا اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية مثلا على الحياة الانسانية العالية التي تتحقق في ظل مثل هذه الحكومة حيث لا يكون اثر للبطالة ولا يوجد فلاحون بلا ارض والعمال لا يشتغلون اكثر من سبع ساعات والنساء حاصلات على جميع الحقوق التي للرجال ، على تضافر الجهود لايقاظ جموع العمل والفلاحين وايقاظ شعورهم المطلق وانقاذهم من سيطرة الزعمـــاء الوطنيين المنافقين والعناصر النفسية الغريبة عنهم (٣٨) ..

وفي هذا العام نفسه صدر العدد الاول من جريدة الحزب المركزية الجديدة: «المطرقة والمنجل» فاعتقلت السلطات العمال وهم يقومون بطبعها في بيت سري . فكان مثولهم امام المحاكم المختلطة ، كوقفة رفاقهم من عمال مطابع بيروت وشركة ماتوسيان Matossian للتبغ وعمال أنوال النسيج اليدوية في حمص وعمال الكهرباء في دمشق ، نماذج للبسالة النضالية وصدق العزيمة تضرب أمثلة للطلاب والشباب الوطني . وجاءت ترجمة البيان الشيوعي عام ١٩٣٣ تتويجا لهذه المرحلة في نشر أفكار الاشتراكية العلمية .

وعلى اثر المؤتمر السابع العالمي للاممية الشيوعية في موسكو عام ١٩٣٥ الذي اقر فيه خطة الجبهة الشعبية للوقوف في وجه خطر الفاشيستية المتعاظم الداهم في معظم أقطار اوربا (٣٩) ، لعب الحزب الشيوعي السوري دورا نضاليا وسياسيا هاما . فباعتباره الحزب المنظم الوحيد كان فعالا في الاضراب الكبير بين القوى الوطنية شبه المنظمة : الكتلة الوطنية (تجمع البورجوازية) وعصبة العمل القومي (عناصر المثقفين والبورجوازية الصغيرة) الاتحاد الوطني العام والمنظمات الطلابية والنسائية والمهنية حيث خيم على الجميع جو جديد من الود والتفاهم في السجون والمعتقلات والمسيرات الشعبية .

وعندما توصل الجانبان السوري الوطني والفرنسي الى اقرار فكرة المفاوضة في باريس وسافر الوفد السوري كان الحزب الشيوعي السوري قد اقر الانعطاف الهام في سياسته الداخلية برفع شعار الجبهة الوطنية الشاملة لجميع القوى المعارضة للاستعمار وفي حملتها البورجوازية الوطنية وبالتالي تدعيم الكتلة الوطنية ، من جهة ومن جهة ثانية قرر ايفاد سكرتير الحزب الى باريس ، ليدعم، بمعونة الحزب الشيوعي الفرنسي ونوابه ، الوفد السوري المفاوض لدى حكومة الجبهة الشعبية . فكان للمقالين اللذين نشرهما في الاومانيتيه L'Humanité ومختلف اوجه النشاط الذي قام به بمعونة الحزب الشيوعي الفرنسي وامينه العام موريس توريز Maurice Thorez شخصيا اثرا كبيرا في اثارة اهتمام الراي العام الفرنسي لتأييد سورية في مطالبها (٤٠) .

الا ان تكتيك الحزب الشيوعي في الدعوة الى الجبهة الوطنية القائم على التعقل والاقناع الودي عن طريق التعاون ، على الرغم مما بذله في الداخل والخارج لم يؤثر في الوطنيين فلا هو جرهم الى النضال ضد الاستعمار كما كان المقصود من خطة الكومنترن في مؤتمره السابع (١٩٣٥) ولا هيأ للحزب الشيوعي سبيل التعاون الوثيق الذي يمهد له طريق النجاح . حتى لقد ذهب سكرتير الحزب الى القول بأن «تكون الكتلة الوطنية نفسها شكلا لاتحاد منظم تنضم اليها كل الهيئات والاحزاب والجماعات المجمعة على نجاح الدور الوطني على ان تعين بوضوح وبصورة ملموسة الاهداف والواجبات المباشرة المتفق عليها ..» (٤١) بل كتب مرة أخرى يقول ان الحزب الشيوعي السوري «مستعد للانضمام الى الكتلة الوطنية على اساس ديموقراطي لاجل ان تنتظم جهوده مع جهود الكتلويين..»(٤٢) وذهب الحزب الى حد مسايرة الحكم والكتلة الوطنية في عدة قضايا على حساب المبدأ واضعا في حسابه اهمية تكتيل القوى ضد الفاشست (٤٣) في تلك المرحلة ولم يأل جهدا في مد يد التعاون فاقترح مرة بمذكرة رسمية مؤرخة ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ القيام باجتماعات مشتركة لتنوير الراي العام وتأييد جهود رئيس الوزراء والقيام بحملات لارسال برقيات الى باريس بتأييد العهد الوطني والمطالبة بتصديق المعاهدة بنصوصها واقترح بمذكرة اخرى في ١٤ فبراير (شباط) ١٩٣٨ على اثر اضطرابات الجزيرة التي اثارها ضباط الاستخبارات الفرنسيون ، ان تعمد الحكومة ، كخير وسيلة لاحباط مساعي الفرنسيين ، الى القيام بأسرع ما يمكن ، بالاصلاحات الشعبية التي تسمح بها الصلاحيات التشريعية والتنفيذية التي تتمتع بها (٤٤) . ومع ذلك ظلت الكتلة الوطنية تصم آذانها ، ماضية في تخبطها تعتبر الحزب الشيوعي نقيضا لها ، بل تجنح ، بكل غباء ، في بعض مظاهر تنظيماتها الحديدية .

خـــاتمـــة

قبيل اندلاع نيران الحرب العامة الثانية ، كان زمام الموقف قد أفلت من يد الكتلة الوطنية ، بعد ما تكشف من اخطائها وظهر من عجزها بل وعقمها وافلاسها ورواج رائحة التواطؤ من جانب بعض قياداتها ، ولم تعد تقوى على التحكم به . فلم ينفعها ما لاذت وراءه من اخفاء الحقائق واحاطتها بحجب كثيفة من التمويه والدعايات الفوغائية وانما كان وبالا ليس عليها فحسب بل على البلاد في ظرف لم يكن يعرف احد فيه ما يستطيعه . وكانت البلاد أحوج ما يكون الى استجماع قواها كلها .

ولم تكن المعارضة اقوى وانما اكثر عجزا رغم كل مظاهر الشعبية التي تبدو من حولها .. كانت متعددة «المشارب» اذا جاز التعبير ، متفاوتة في درجة اهتمامها بما يجري في سورية ودرجة تأثرها به . فالاتحاد الوطني العام والجبهة الوطنية المتحدة والجبهة الشعبية وما يتبعها من تشكيلات بين الطلاب او الشباب عامة ، ان هي الا تجمعات يغلب عليها طابع البورجوازية المتوسطة والصغيرة ، الاكثر تاثرا وانفعالا بالامور اليومية ، التي يقوم كيانها على المزاودات في سوق الوطنية في وجه زعامات الاقطاعية والراسمالية القائمة على النفوذ العائلي الموروث او المالي المكتسب ولم يكن يتوفر لها ما ينبغي ان يتوفر لمثلها من التنظيم الحديث والمبادىء الواضحة لتكون متقدمة على الكتلة الوطنية . فضلا عن خضوعها لمؤثرات خارجة عنها . وهي بالتالي ، كالكتلة الوطنية لا تدين لقيادة واحدة ، ولا تنعقد الويتها حول زعيم واحد ، واضح الاهداف قادر على الصمود والاستمرار كما تقتضي دواعي النضال لمواجهة الاستعمار في مثل هذه المرحلة من تاريخ التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث . واذا كان الحزب الشيوعي السوري قد اختلف

جذريا عن ذلك في تكوينه الطبقي وتنظيمه وقيادته الا ان اساليب الملاينة كانت هي الغالبة لديه لارتباط ستراتيجيته بالسياسة الدولية اكثر من ارتباطها بالاهداف الداخلية المباشرة .. وكان الحزب السوري القومي بأساليب تنظيمه الحديثة وعقائديته الجامدة ، اعجزها واشدها تخلفا لانه مجانب للواقع والحقيقة ومعاكس لحركة التاريخ بمعاداته صراحة للفكرة العربية .

في ظل هذه الظروف حيث كانت مجريات الامور تعصف بالاذهان بلا ضوابط حزبية ولا مقاييس ثابتة من المبادىء ، راحت البلاد تنفعل بالانباء وبالدعايات الشخصية والدوافع الذاتية .. لا وسيلة لها للتعبير عن انفعالها الا المهاترات في الصحف وتبادل الاتهامات والتراشق بالشتائم ، والا الاضرابات والمظاهرات . وكان الطلبة في كليتي الحقوق والطب والتجهيز الاولى والثانوية الوطنية في دمشق ، وهم بؤر الانفعال البريء ، يتولون ، بالاتصال احيانا مع لجان الطلبة في المدن الاخرى . السيطرة على الموقف المتاجج . تجتمع لجانهم المنتخبة في الجامع الاموي او تكية السلطان سليم او بعض الاحياء آخر اليوم للتداول فيما ينبغي عمله في الغد وتضع المنشورات التي تطبع لتوزع في اليوم التالي ، ولا ابعد من اليوم التالي . حتى لقد خيل اليهم في غمرة الحماس غير المسؤول ، وفي غياب المنظمات الواعية وانعدام دراسة الواقع والمرحلة ، انهم قادرون على انقاذ البلاد ، فدعوا، في احدى نشراتهم ، رئيس الجمهورية ، الى تجاوز المجلس النيابي وتأليف وزارة تمثل الوحدة السورية ووضعوا لهذه الوزارة خطوط برنامجها العريض ، القمينة بايصال البلاد الى غايتها (١) .

ولم تجد حكومة الكتلة الوطنية امام ضغط المعارضة اليومي وامتناع السلطات الفرنسية عن تسليمها باقي صلاحياتها في البلاد ، وسيلة الا القمع . فأعدت من أتباعها في الاحياء ومن «ازلامها» في الحكم زمرا مسلحة بالعصي والمسدسات، تتعقب المعارضة وتعتدي عليها وتلاحق الطلاب لتفض تجمعاتهم ولابطال اضراباتهم والحيلولة دون خروجهم في مظاهرات .. تلك الزمر هي التي عرفت واشتهرت باسم «رعاع الكتلة» واستماتت في العمل على اسكات كافة الاصوات الا صوتها لتبقى وحدها في الحقل الوطني تحتكر «شرف العمل» دون سواها (٢) .

في شباط (فبراير) من عام ١٩٣٩ كانت أوامر الحكومة «الوطنية» الى المحافظين بالوقوف في وجه الاعمال السلبية (٣) . الا ان البلاد كانت تجتاحها ، كما يقول بيان صادر عن احد مكاتب الكتلة الوطنية نفسها «عاصفة من الاضطراب الفكري وتشتيت الراي بسبب الموقف الحرج والدور الخطير الذي تجتازه القضية السورية في هذه الآونة ..» (٤) واخذت هذه المكاتب تدعو الى التريث بانتظار القيام بعمل منظم وعام في سائر انحاء البلاد «لان التدابير المؤدية الى ذلك التنظيم العام لا تزال تحت البحث» اذ انه من «الفائدة بل ومن العمل الوطني ان لا تظهر كل مدينة بمظهر يختلف عن المدينة الاخرى» . ومن هنا كان رجاء بعض هذه المكاتب للناس ان لا يؤخذوا بالشائعات .. و«ان ينتظروا ويستعدوا للعمل السلبي المنظم وما يقتضيه من تضحيات ..» (٥) وهكذا يبدو ان الاحساس بوجوب القيام

بعمل «سلبي مؤثر» بات مشتركا .. الا انه ما من جهة في البلاد كانت تقدّر الى اي مدى يجب ان تصل السلبية ، فلم يكن ثمة من تنظيم واحد ولا هيئة قيادة واحدة في المعارضة او في الحكم مستعدة لتحمل مسؤولية هذا العمل ولا لديها القدرة على المثابرة فيه والثبات ، في ذلك الظرف من الانفعال العالمي الذي سبق الحرب العالمية . وكان يرين على جميع الاوساط طائف واحد يتساءل ما هو الحل، مشوبا باليأس والعجز والقهر .

***

كان الحزب الشيوعي السوري يطرح مبدأ تآخي الاجناس المختلفة التي تقطن سورية في الماركسية ويضرب مثلا تاريخيا على تآخي الشعوب المختلفة والقوميات ب «الاتحاد السوفييتي» حيث يرى المرء ١٥ شعبا كبيرا وصغيرا مختلفي اللغات والاجناس والتقاليد يعيشون بمنتهى الحرية والاتفاق والتضامن ..» (٦) ورأى الحزب السوري القومي الحل في نظرية انطون سعادة التي بسطها في كتابه نشوء الامم ومبادىء الحزب وهو ان سكان سورية الطبيعية يشكلون امة واحدة وشعبا واحدا هي الامة السورية والشعب السوري وان الآراميين والفينيقيين والعبرانيين والكنعانيين .. هم هذا الشعب في مراحل متعاقبة وما العرب الا فاتحين كغيرهم من الامم التي مرت بهذه البلاد والفتح لا يقتضي تغيير الهوية القومية . وثمة حقيقة واقعة نجدها ، فيما عدا هذين الحزبين ، ماثلة في مبادىء كل تجمع وكل هيئة وكل محاولة تنظيم وفي جميع الاوساط الا وهي العلاقة العربية والنص على ان سورية جزء من الامة العربية . من هنا كان الشعور السائد بأن سورية لا تشكل كيانا مستقلا ، انها جزء من كيان مجزأ . حتى الكتلة الوطنية وان استهدفت الحصول على استقلال سورية اولا ، ظلت تتأرجح بين التيارين القومي والوطني . وبعد فشل عصبة العمل القومي اخذ القلق يستبد بفئات المثقفين التقدميين من جماعة«الطليعة» والمستقلين وفلول التنظيمات للبحث عن اطار جديد لحركة اكثر تلبية للمرحلة وتعبيرا عن سورية ، فكان ميلاد «حركة اليقظة العربية القومية» (٧) التي بدأت جماعة من المثقفين : اساتذة ومحامين تصدر بياناتها باسمها . وفي هذا المناخ نبتت البذور الاولى لحزب البعث العربي .

هوامش الكتاب

استهلال

1 — Archives. Affaires Etrangeres. Guerre 1914 - 1918 - Turquie vol XIII (879) p. 24.

٢ ـ عبد العزيز محمد عوض : الادارة العثمانية في ولاية سوريا (١٨٦٤ ـ ١٩١٤ م) صص ٧٣ ـ ٨١ .

٣ ـ « ان سورية التي يعرفها تجارنا منذ زمن سحيق .. والتي يطالبون بها لفرنسا كأمر لا مراء فيه ، تمتد من جبال طوروس الى حدود مصر »، شاملة لفلسطين القديمة التي ادخلها التاريخ منذ العصور الوسطى في تراثنا المعنوي» :

Arch. Aff. Etr. Guerre 1914 - 1918 Turquie vol. XIII (879) p. 25.

٤ ـ انظر الخريطتين ، في قسم الوثائق ، المقدمتين من غرف التجارة الفرنسية الى الحكومة .

٥ ـ راجع تعريف كلمة سوريا في قاموس لاروس .

٦ ـ كتبت جريدة الدفاع في عددها (٤٤) تاريخ ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٢٠ : «اتفقت كلمة الاحزاب في فلسطين على العمل بمقتضى قرار المؤتمر السوري الذي سينعقد قريبا في دمشق ولهذا ستشترك جميع البلاد الفلسطينية باقامة المظاهرات الكبيرة يوم الاثنين القادم رمزا الى ان فلسطين عضو متمم لسورية لا ينفك عنه بل يتأثر لتأثيره فالوحدة السورية رائد كل عربي» . انظر: وثائق هرمة من اخبار فلسطين ، جمع محمد سعيد الصواف . دمشق ، طبعة ١٩٧٢ .

٧ ـ جريدة فلسطين في اول يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ ، د. نجيب الارمنازي : سوريا في الاحتلال حتى الجلاء ـ معهد الدراسات العربية ١٩٥٤ ص ٣ـ٤ ، المؤتمر السوري ، الدكتور احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ١٢٩ .

٨ ـ اسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

9 — Lamy. Etienne: La France du Levant, Paris 1900 p 51 .

١٠ ـ جاء في بيان ترومان ، الرئيس الامريكي الذي القاه بمناسبة خطاب الجيش في ٦ نيسان (ابريل) عام ١٩٤٦ :

«في هذه المنطقة (الشرق الادنى) ، موارد طبيعية هائلة ، فضلا عن انها منطقة تقع عبر افضل الطرق البرية والمواصلات الجوية والمائية . فهي لذلك بقعة ذات اهمية اقتصادية وستراتيجية عظيمة، غير ان شعوبها ليست من القوة بحيث ان الدولة الواحدة او كلها مجتمعة تستطيع ان تقاوم العدوان القوي اذا اتاها من الخارج . ولذلك يسهل على المرء ان يدرك كيف ان الشرقين الادنى والاوسط يمكن ان يصبحا يوما ما حلبة لمنافسة عنيفة بين القوى الخارجية ، وكيف ان تنافسا كهذا يمكن ان يتحول فجأة الى نزاع مسلح» : زين نور الدين زين . الصراع الدولي على الشرق الاوسط .. ص ١٧ .

١١ ـ كتب السيد لويس. ا. فرتشلنغ Fretch-Ling : «ان منطقة الشرق الادنى التي تقع جنوبي الجبهة الروسية الطويلة وشرقي ساحات المعارك الصحراوية في ليبيا وغربي منطقة الصراع الناسعة في القسم الجنوبي والشرقي من آسيا تحتل اليوم مركزا رئيسيا في الستراتيجية العالمية . فان طرق النقل تخترقها برا وبحرا مما يوفر نقل الجيوش والمعدات من جهة الى اخرى، كما تخترقها ايضا طرق المواصلات التي تضمن تنسيق العمليات المختلفة لجيوش الحلفاء . ولذا فان منطقة الشرق الادنى تعتبر حجر الزاوية في خطط الحلفاء الدفاعية» مذكورا في زين نور الدين زين: المصدر السابق ص ١٦ .

12 — John S. Badeau, East and west of Suez, the Story of the Modern Near East (the Foreign Policy Association, N.Y. 1943) p. 58, in Zein N. Zein, opt. cit.

١٣ ـ منذ اكثر من مئة عام كتب الكولونيل تشرشل : «اذا كانت بريطانيا ترغب في الحفاظ على سيطرتها في الشرق ينبغي لها بشكل او آخر ان تدخل سورية ومصر في نطاق نفوذهـا وسيطرتها .. كانت عبقرية نابليون على صواب في تقديرها اهمية هذه البلاد التـي عبثا حاول الاستيلاء عليها ليجعل منها مرتكزا ومنطلقا في اعماله الحربية ضد امبراطوريتنا الهندية . واذا كانت أسوار عكا تنطوي على مصير عظيم لاعداء بريطانيا ، ومن يجرؤ على القول ان حلم نابليون كان وهما وخيالا ؟ ـ فما قولك بجبل لبنان ، هذه القلعة الطبيعية الكبيرة القائمة بين العالم الشرقي والغربـي ؟»

Churchill: Maunt Libanon, a Tenyear's Residence, fram 1842 to 1852 vol. I (London 1853 p. V11 .

وبتاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ كتبت جريدة التايمس اللندنية : «ان مجرى الحرب بأكمله قد اظهر لنا بوضوح اهمية الشرق الاوسط بالنسبة الى المصالح البريطانية . وفضلا عن هذا فاننا قد تعلمنا ان بلدان المشرق ولاسيما لبنان ، من اعظم المناطق الحيوية فان اهميتها بالنسبة الينا لا تقتصر على كونها مناطق تقع على خطوط مواصلاتنا الى الشرق ولكن اصبح من الواضح جدا انه لو تمركزت قوة جوية كبيرة لاعدائنا من قاذفات قنابل في الجبال المنيعة الواقعة بين سلسلتـي جبال لبنان الغربية منهما والشرقية ، مع جميع امكانات تحصينها تحصينا قويا ، تستطيع السيطرة

فورا على قناة السويس وعلى حقول البترول في كركوك وخطوط الانابيب ..» .

١٤ ـ الافكار عدد ٣٠٥٦ تاريخ ١٦ يوليو (تموز) ١٩٢٠ (مقال مترجم) ، البرق عدد ٢٢٨ تاريخ ٣١ ايار (مايو) ١٩١٣ (مقال بعنوان : سكان سورية) .

15 — Dr George Samné: La Syrie, Ed. Bossard, Paris 1921 p. 282.

16 — NATHAN WEINSTOCK: Le Mouvement revolutionnaire Arabe, Francois Maspero. Paris 1970, p. 30 - 31.

١٧ ـ لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١ ص ١٤٧ .

١٨ ـ لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١ ص ١٦١-١٦٢.

19 — Rabbath, E. , L'Evolution Politique de la Syrie sous Mandat, Paris, 1928 p. 14 .

20 — Fischer, W.B., the Middle East (3rd, ed.) London 1956. p. 105; Nathan Winstook: opt. cit. p. 26.

٢١ ـ وقد كتب تاجر فرنسي سبق له ان جاب البلاد يوصي ممثله فيها فقال : «اذا كنت تروم النجاح فلا تنس ابدا انه ليس للمرء فيها وطن وانما له فيها دين» راجع : جورج سمنة المصدر السابق ص ٢٨٩ .

22 — Rabbath, E., opt. cit. p. 14 .

٢٣ ـ «كان للتعصب الديني دور بالغ في تمزيق شعب ذلك العصر . حتى لقد تجاوز به القوم حدود الافراط وكان المرء منهم يحسب كل رجل غير متدين بدينه جاز له قتله والاعتداء عليه لا اثم في ذلك ولا تثريب في ابتزاز ماله وعرضه» علي حاج بكري : العقلية العربية بين الحربين ، منشورات دار الرواد ـ دمشق ص ٢١ .

٢٤ ـ د. مشاقة ، ميخائيل : مشاهد العيان في حوادث سورية ولبنان ، طبع بمصر ١٩٠٨ ص‌ص ٢٣ ، ٢٦ ، علي حاج بكري : المصدر السابق ص ٢١ .

25 — Porter, J.L., Fire Years in Damascus vol. I p. 135.

وكذلك : مشاقة : المصدر السابق ص ١٥٣ ، كتب قنصل فرنسا في دمشق الى وزير الخارجية ان «اهالي حوران اخذوا يهجرون قراهم في ابريل الماضي الى اللجاة والصفاة خشية سوق ابنائهم الى الجندية . ولما اعلنت الحكومة تأجيل القرعة عادوا الى اعمالهم في قراهم . وما وصلت الاوامر في هذه الايام باجراء القرعة وسوقها حتى عم الاستياء وعاود اهالي القرى الى الهجرة الى اللجاة وسعوا الى الاتحاد مع البدو ..»

Arch. Aff. Etr. dossier General II N.S. 105 ainsi que 104.

٢٦ ـ عبد العزيز محمد عوض : المصدر السابق ص ٢٩٥ نقلا عن ارشيف استنبول : داخلية وثيقة رقم ٣٧٧٥٩ لسنة ١٢٨٢ هـ ان النصيرية لم يدفعوا اية ضرائب مستحقة عليهم من ١٨٤١ الى ١٨٦٥ ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يقطعون الطريق وينهبون الاموال فاضطرت الولاية الى سوق العسكر عليهم المرة تلو المرة ونكلت بأهالي ناحيتي جرد ومصياف، وأحرقت بيوت النصيرية ... واستطاعت الحكومة تحصيل مبلغ تسعة آلاف قرش فقط من الضرائب المتراكمة .. وفي ولاية مدحت باشا كانت الضرائب قد بلغت (١٥) مليون قرش ... ويبدو ان الدولة كانت في حالة من العجز لم تمكنها من دفع نفقات الجباية ..

٢٧ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : مخطوطة بقلم احمد حلمي العلاف بعنوان : دمشق في مطلع القرن العشرين من ٧٨ صفحة غير مستكملة .

28 — Comte R. de Gantout - Biran; Comment la France s'est installée en Syrie p. 190 .

ولعله من المفيد ، لمزيد من التوضيح ، ايراد الجدول الاحصائي التالي :

	دولة سورية (حلب ودمشق والاسكندرونة)	دولة العلويين	دولة جبل الدروز
مسلمون سنة	١٩٩ر٥٨٦	٥٢ر٧٧٨	٦٧٤
مسلمون غير سنة	٧٣ر٤١٥	١٨٠ر٧٤٨	٤٢ر٦٨٦
كاثوليك	٤٠ر٥١٧	٦ر٦٠٠	٢ر١١٢
مسيحيون غير كاثوليك	٨١ر٥٩٩	٢٧ر٨١٥	٤ر٨٥٦
اسرائيليون	١٢ر١٤٧	٠٠ر٠٠٧	....
اشتات	٧ر٢٩٧	...	....
المجموع	١ر١١٥ر٧٩٢	٢٧٧ر٩٤٨	٥٠ر٣٢٨

كذلك راجع :

1 — EDMOND RABBATH: L'Evolution Politique de la Syrie sous mandat p. 133 - 134 . 2 — Raymond O'zaux: Les Etats du Levant sous mandat Francais .

وهذان المصدران ينقلان عن تقرير الى عصبة الامم مقدم في عام ١٩٢٧ عن سنة ١٩٢٦ يعتمد على احصاء عام ١٩٢٥ ، كذلك راجع المقطم في ١٢ مارس (اذار) ١٩٣٢ من اجل احصاء عام ١٩٣٢ .

29 — Quozed by Hocking, William Ernest: The Spirit of World Politics. New York 1932:

راجع د. مجيد خدوري : المسألة السورية ـ مطبعة ام الربيعين ١٩٣٤ ص ١٨٦ .



الفصل الاول

١ ـ لمزيد من المعلومات راجع ارشيف ديليز سراي : مدحت باشا اوراقي رقم ٩٦٦ مغلف ٦٢ : تقرير عام عن احوال سورية . نفس المصدر ص ٢٩٧ .

لمزيد من المعلومات حول اصل الامتيازات التي ترجع الى علاقة الصداقة الناشئة بين سليمان القانوني وفرانسوا الاول Fransois 1e راجع : أصول الامتيازات الاجنبية في الشرق العربي والوثيقة الاولى الناظمة لها : معاهدة شباط (فبراير) ١٥٢٥ . في المجلة العسكرية السورية تاريخ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧١ بقلم الدكتور نادر العطار ، كذلك :

A., S., T., Unique p. 2857: Intervention de Mr Gratien Caudace.

٢ ـ أ ـ كتب محمد كرد علي : «عندما جهز مدحت باشا حملة لاخضـــاع الدروز توسطت انجلترا لدى الباب العالي فصدرت الاوامر بحل المشكلة سلماً»: خطط الشام جـ٣ ص١٠٥ ، وكتب الدكتور نادر العطار : «جاء في برقية الصدر الاعظم الى مدحت باشا : «ان الانجليز لا يسرون بما تتخذه من التدابير لتأديبهم .. ان غرضنا الوحيد هو تحبيب ادارة الدولة

للدروز والموازنة واستعمال القوة لا يوصل الى تلك النتيجة» : تاريخ سورية في العصور الحديثة جـ١ ص ٣٢٩ ، راجع كذلك وثيقة رقم ٣٩ .

ب ـ الحقيقة ان الدروز ، كأكثر بل كسائر الطوائف العربية المسلمة ، لم يقصروا الاتصال على جانب واحد هو الانجليز . فثمة فئات من الدروز كانوا يستجيرون من مظالم الاتراك بقنصل فرنسا في دمشق «باعتباره سندا لجميع اولئك الذين يلوذون بمساعدته الرحيمة..» راجع : Arch. Aff. Etr. Turquie 107 p. 44. وخاصة الترجمة الملحقة بالرسالة الموجهة من القنصل الى الخارجية وهي عريضة مرفوعة الى القنصل بدمشق بتوقيع واختام عشرين من زعماء الدروز ، مؤرخة في ٩ ابريل (نيسان) ١٩٠٠ برقم (٥) .

٣ ـ دكتور انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، دار الطليعة بيروت ١٩٦٦ ص ٥٨ ؛ كذلك راجع : ناثان وينستوك Nathan Weinstock المصدر السابق ص ٢٧ .

4 — Arch. Aff. Etr. dossier General I N.S. 604.

٥ ـ B.N. Paris: Manuscrits Arabes No 20. في قسم المخطوطات العربية بمكتبة باريس رسائل عديدة بالعربية موجهة الى القنصل الفرنسي او صادرة عنه الى جهات عربية ما يشير الى مدى تدخل أولئك القناصل حتى في حياة الناس الخاصة كالتي اشرنا اليها هنا وتتعلق بمسلك المطران الياس من زوجة اخيه وشكاوى اهالي قريته الى قنصل فرنسا في طرابلس .

٦ ـ جاء في عريضة «اللجنة المركزية للاصلاح والدفاع عن مصالح السوريين» الىوزير الخارجية الفرنسية ان السوريين «يثقون بأنفسهم ولا يطلبون اكثر من المساعمة بنصيبهم في تقدم الامبراطورية ولكن ينقصهم الدعم الضروري لذلك ونظرا لانهم يرون الدول الكبرى دائما تستخدم نفوذها كلما عني الامر مطلبا شرعيا لشعب مضطهد فانهم يتوجهون الى حكومتكم وكلهم آمال وثقة بعطفكم وانسانيتكم..»
Arch. Aff. Etr. N.S. vol 125 p. 58.

٧ ـ راجع خطبة السيد عبد الحميد الزهراوي . رئيس المؤتمر العربي الاول في المؤتمر العربي الاول الصادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر ١٩١٣ ص ٣١ .

٨ ـ مثل ذلك عريضة مقدمة لقنصل فرنسا بدمشق ، موقعة من عشرين من وجهاء الدروز يستنجدون به فيها للحيلولة دون تنفيذ المرسوم الصادر بانشاء قائمقاميتين في جبل حوران : واحدة في صلخد والاخرى في عاهرة المطالبة بفتح قائمقامية .

Arch. Aff. Etr. dossier general 1899 - 1900 N.S. vol 107 p. 145. ainsi que: Turqui, dossier general I N.S. vol 104.

٩ ـ أ ـ راجع في مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، ملف الحركة العربية ، الوثيقة ١٩/٢٨ وهي صورة ضوئية لرسالة القنصل الفرنسي العام في بيروت الى وزير الخارجية حول اتصال شفيق المؤيد به ، كذلك الوثيقة رقم ١٥/٣٤ المتضمنة حديث شفيق المؤيد الى سفير فرنسا في القسطنطينية كذلك الوثيقة رقم ٢٠/٣٦ رسالة ضوئية من قنصل فرنسا بدمشق المسيو اوتافي Ottavi الى وزير الخارجية الفرنسية حول زيارة شكري العسلي له.

ب ـ اطلق سراح زعيم الدروز يحيى الاطرش من منفاهفي رودس بعد تقديم تعهد بالتعاون مع فرنسا ضد تركيا . وتمويها لذلك ارسل البرقية التالية لدى وصوله الى مصر في طريق

عودته : «حضرة مولاي ناظم باشا صاحب الدولة : المعروض اذا اتصل بمسامع دولتكم خبر وصولي الى مصر فصدقوه ولكن استرحم عدم تصديق كل ما يتناقله البعض وتنشره الجرائد قبل استجلاء الحقيقة من عبدكم الامين والوقوف على الاسباب والاحوال التي قضت عليّ ان أبارح رودس مكرها وأختار القطر المصري دون سواه . اني عبد الدولة خاضع لاوامرها وقوانينها الدستورية العادلة استحق العفو وأستميحه بواسطة دولتكم ومستعد لخدمة دولتي العلية وبلادي ونوايا فخامتكم الصادقة ولا ملجأ لي الا عدل مولانا السلطان وحكم جلالته الواسع» البرق عدد ١٨٢ تاريخ السبت ٢٩ حزيران ١٩١٢ وبعد عودته الى سورية جدد عهده لفرنسا في الاجتماع السرّي بالقنصل الفرنسي في منزل الامير عمر الجزائري بدمر وعلى اثر ذلك قدمت له وزارة الحربية الفرنسية هدية مسدسين رمزا لولائه :

Arch. Aff. Etr. Turquie, Politique Interieure, dossier general XIX p. 7; ainsi que vol XX p. 109 et vol XXI p. 97.

ج ـ راجع برقية الشيفرة الصادرة عن سفارة فرنسا في اسطنبول بتوقيع Boppe رقم ٩١ تاريخ ٨ فبراير (شباط) ١٩١٤ حول الامير سعيد الجزائري . كذلك :

Arch. Aff. Etr. Turquie, Politique interieure, dossier general vol. XXI p. 25.

د ـ راجع Comte R. de Gontant - Biran: opt. cit . ص ٢٨٤ حول اتصالات شيخ قبائل عنزة الامير مجحم بالمقر الفرنسي في جزيرة ارواد منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى .

١٠ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، ملف الحركة العربية ، الوثيقة رقم ١/٢٠ وقد جاء فيها : «ان الغاية من تأسيس المنتدى العربي جمع الطلاب العرب وبث فيهم فكرة القومية ونهضة العرب بأية واسطة كانت ولو بمساعدة الدول الاجنبية التي تؤدي الى احتلال او حماية» .

١١ ـ زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر ـ بيروت طبعة ٢ لعام ١٩٧٢ ص ٥١ .

12 — comte R. de Gontant - Biron: opt. cit. p. 1 - 2.

13 — Arch. Aff. Etr. dossier general I N.S. vol 104.

١٤ ـ زين نور الدين زين : المصدر السابق ص ٥١ .

١٥ ـ د. انيس صايغ : المصدر السابق ص ٥٨ .

١٦ ـ زين نور الدين زين : نفس المصدر ص ٥١ـ٥٢ ، كتب وزير خارجية فرنسا الى قنصل فرنسا في بيروت بمناسبة تقديم فرنسا عدد من المنح الدراسية الى تلاميذ سوريين ليدرسوا في المعاهد اليسوعية ، فقال : «الان وقد تقرر منح هذه المنح الدراسية لسورية فاننا نقترح ان يكون هدفنا مزدوجا . اولا ان يكون لنا اصدقاء وعملاء في العائلات التي فاز ابناؤها بهذه المنح . وهدفنا الثاني في تشويق رؤساء المعاهد والطلاب للاقبال على تعلم اللغة الفرنسية . وقد تحقق بعض هذين الهدفين . ونحن نبغي ان نقيم علاقات طيبة مع العائلات ذات النفوذ ، العائلات التي يتعلم ابناؤها في مدارسنا . فان لم ينشأوا على حب فرنسا فعلى الاقل يكونون من الذين لهم معرفة بلغتها وتاريخها»

Arch. Aff. Etr. Turquie vol 30, Despateh No. 51.

قال غامبتا Gambetta للمنسنيور شارمتان Mgr Charmettant «ان الكردينال

لافيجري Lavigerie والمرسلين التابعين له في سورية قد أدوا الى فرنسا خدمات لا يستطيع جيش ان يؤديها .. نعم خدمات لا يستطيع جيش كبير ان يؤديها او اسطول .

Mgr Charmettant, Lettre Ouverte a nos hommes d'Etat pp. 13, 35.

١٧ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، ملف الحركة العربية ـ الوثيقة رقم ٩/٢٨ .

18 — Arch. Aff. Etr. Turquie, Politique interieure, dossier general vol XX p. 173.

وفي رسالة قنصل فرنسا بدمشق الى وزير الخارجية الفرنسية اقترح ، لاسكات الصحف المناوئة للسياسة الفرنسية ، ان يدفع في بداية الامر مبلغ ٢٥٠ فرنكا لرئيس تحرير المشكاة . وقال بعد اسكات معارضتها «سينبري محمد كرد علي للدفاع عن الثقافة الفرنسية وهو من سبق للناس ان اتهموه بأنه باع نفسه لنا .. وعلى كل حال يبدو لي محمد كرد علي انه ذلك الرجل الذي يملك الصفات التي نحتاجها لينسب الينا بذكاء الدور الجدير بنا ..» راجع :

Arch. Aff. Etr. Politique intérieure, dossier general vol XXI.

١٩ ـ القبس ١٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٣ ، كذلك :

Arch. Aff. Etr. N.S. vol 123 p. 127.

20 — ibid p. 98 .

٢١ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، ملف الحركة العربية ، الوثيقة ٤٧/٦٦ من بومبار الى قنصل فرنسا بدمشق ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٤ .

22 — Comte R. de Gontaut - Biron, opt. cit p. 6.

٢٣ ـ د. مجيد خدوري : المسألة السورية ، مطبعة ام الربيعين ١٩٣٤ ص ١٣٧ .

٢٤ ـ د. انيس صايغ : المصدر السابق ص ٥٨ .

25 — Comte R. de Gontaut - Biron, opt. cit. p. 2.

26 — Raymond O'Zaux: Les Etats du Levant sous Mandat Francais, p. 231 - 232.

27 — Arch. Aff. Etr. Turquie 869 p. 29.

28 — Dr. George Samné: opt. cit. pp. 157 - 219.

29 — Raymond O'Zoux: opt. cit. pp. 217 - 219.

وهو يذكر ان الاموال الفرنسية التي وظفت فيه بلغت ١٢٠ مليون فرنك ، اما الشركة التي حصلت على امتياز بناء واستثمار شبكة الخطوط السورية المنطلقة من بيروت والبالغ طولها ٥٠٠ كيلومترا فقد تألفت برأسمال قدره (١٥) مليون فرنك ، صادرة عن حوالي ٩٥ مليون من السندات المطروحة جميعها تقريبا في فرنسا ، وكان مجلس الادارة المؤلف من احد عشر عضوا يضم ثمانية فرنسيين . وتكاد الاموال التي وظفت في ميناء بيروت الذي انشأته الشركة العثمانية والبالغة ١٣ مليونا ، ان تكون كلها فرنسية .. ومن هنا فان مصالحنا تقتضي عدم السماح لاية منافسة دفعا للاضرار بها ..» راجع كذلك :

Arch. Aff. Etr. Turquie, dossier general vol VI (1903 - 1905) N.S. vol 109 p. 49.

30 — Dr. George Samné: op. cit. p.p. 157 - 159.

31 — Raymond O'Zoux: opt. cit. p. 51.

٣٢ ـ زين نور الدين زين : الصراع الدولي على الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان دار النهار للنشر ـ لبنان ـ ١٩٧١ ص ٦٩ ؛ كذلك :

Comite R. de Gontant - Biron: opt. cit. p. 3.

33— Laloy, E., Les documents secrets des Archives du Ministère des Aff. Etr. de Russie p.p. 107 - 109.

34 — Comte R. de Gontant - Biron opt. cit. p. 4.

35 — Grey, Edward, Viscount: Twenty Five Years, 1891 - 1916, 2 vols. (New - York 1925) vol II p. 236.

مذكورا في زين نور الدين زين المصدر السابق .

٣٦ ـ كتب بوانكاريه Poincarré في مذكراته المنشورة بعنوان في خدمة فرنسا Au service de la France بتاريخ السادس والعشرين من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٥ ما يلي : «جرى تبادل آراء تمهيدية عربية من نوعها بين انكلترا والشريف حسين ، شريف مكة ، فقد وعده الانجليز بالخلافة مقابل مساعدته لهم ضد تركيا» .

٣٧ ـ راجع الرسالة الرابعة من مراسلات «حسين ـ مكماهون» المرسلة من مكماهون الى الشريف حسين .

٣٨ ـ «ذلك ان جميع الذين جابوا انحاء تلك البلاد عادوا مفتونين ، مبهورين من الدور الذي نقوم به فيها ومن المكانة التي يحتلها نفوذنا ..»

Arch. Aff. Etr. Turquie vol. 869 p. 25.

39 — ibid. p. 28.

40 — ibid, Lettre a Mr le Ministre des Aff. Etr. sur la Question de la Syrie .

وقد حددت سورية في الدراسة المرفقة بهذه الرسالة انها من جبال طوروس في الشمال الى خط ينطلق من العريش على البحر الابيض المتوسط في الغرب متضمنة الولايات التالية : اضنه وحلب وبيروت ومتصرفية لبنان ومتصرفية القدس وولاية سوريا اي دمشق ومتصرفية دير الزور بعدد سكان يقرب من ٤٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة ومساحة من حوالي ٣٢٨٫٣٠٠ كم٢ . راجع الخريطة في قسم اللاحق .

٤١ ـ راجع الخريطة في اللاحق رقم ٢ . كذلك :

Arch. Aff. Etr. Turquie, Syrie - Palestine vol IV (Aout - Octobre 1915) 870.

وبعد انتهاء الحرب اشتركت هذه الغرف التجارية مع جامعة ليون في ايفاد بعثة لدراسة سورية وامكانياتها . وخلاصة ما توصلت اليه ان سورية كانت تتسع فيما مضى لعشرين مليون نسمة عاشوا في بحبوحة والآن لا يسكنها الا ما يقرب من اربعة ملايين لذلك فانها تنطوي على امكانيات هائلة وخيرات عظيمة . راجع كذلك :

Comte R. de Gontant - Biron: opt. cit. p. 20.

٤٢ ـ انتقدها الاشتراكيون لانها ذات طابع امبريالي ولانحرافها عن حدود سياسة فرنسا

التقليدية . راجع مثلا مداخلة ايرنست لافون E. Laffant في :

Annales de la Chambre des Deputés: Debats Parlementaires de 1920 du 24, 25, 26 Juin (A.S.O.T. 2 p. 2082).

وانتقدها اليمينيون لقصورها عن الوفاء بمصالح فرنسا فشنوا حملات عنيفة على كليمنصو في المجلسين واعتبرها بعضهم خدعة وذهب البعض الى حد اتهام كليمنصو بالتواطؤ مع انجلترا على مصالح فرنسا ، راجع بخاصة :

B.N. Paris: Le Matin du 10 et 27 Juin 1920; Le Temps du 27 Mars 1920 .

43 — Comte R. de Gontant - Biron, opt. cit. p. 137 - 138.

٤٤ ــ راجع كتابات الاب لامانس التي يمكن اعتبارها منطلقا لنظرية السوريين القوميين ؛ كذلك راجع كتاب :

Le Pelerin en Terre Sainte par les Pères Capucins.

45 — Comte R. de Gontant - Biron, opt. cit. p. 328.

46 — Annales de la Chambre des Deputés: Discussion 1934 du 30 Novembre au 1er. Decembre (A., S., E. t. Unique) p. 2857 : Intervention de Mr. Gration Candace.

٤٧ ــ سلامة عبيد : الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر ــ مطابع دار الغد ــ بيروت ص ٧ .

٤٨ ــ في رده على استجواب في البرلمان الفرنسي حول اتفاقية سايكس ــ بيكو قال ارستيد بريــــان Arstide Briand وزير الخارجية «ان اتفاقات ١٩١٦ قد استلهمت ، قبل كـــل شيء ، حرصنا على حماية مصالح فرنسا الكبرى وصيانة نفوذها في البحر الابيض المتوسط وكذلك تنفيذا وتحقيقا لمساعي وفود اللبنانيين والسوريين العديدة الذين كانوا يتوسلون الينا بأن لا نتخلى عنهم . فضلا عن الناحية الاقتصادية المتمثلة في قطن كيليكيا وبترول الموصل» :

B.N. Paris: Le Matin 28 Mars 1920.

٤٩ ــ Arch. Aff. Etr. N.S. vol p. 137 بعنوان «فرنسا في سورية» من اللجنه السورية اللبنانية ، Arch. Aff. Etr. Turquie 869 p. 18 من دي فرانس De France قنصل فرنسا في القاهرة الى وزير الخارجية تاريخ ٢٧ مايو (ايار) ١٩١٥ حول آراء السوريين في القاهرة ، كذلك :

Arch. Aff. Etr. Guerre 1914 - 1918 Palestine. p. 134.

حول امدادات لسورية ، كذلك Arch. Aff. Etr. Turquie 864 برقية رقم ١٥٢ تاريخ ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٤ من دي فرانس الى وزير الخارجية حول اعتماد السوريين علـــى فرنسا ، الخ ..

٥٠ ــ يذكر رونالد ستورز Stors ان مجموع نفقات الثورة العربية التي تكبدتها الخزينة البريطانية بلغ ١١ مليونا من الجنيهات الاسترلينية وكتب يقول «بالاضافة الى المبلغ الاول الـــذي تسلمته من الخزينة البريطانية فان الشريف حسين كان يتسلم بدءا من ٨ آب (أغسطس) ١٩١٦ كل

شهر ١٢٥ الف جنيه استرلينية ومجموعها اقل من مليون استرليني بشيء قليل. اما العشرة ملايين الباقية فقد كانت نفقات الاعمال الحربية والمواد الفدائية التي كانت تبعث بها بريطانيا » . وفي عشرين ايلول (سبتمبر) ١٩١٦ وصلت الى ميناء جدة بعثة فرنسية يراسها الكولونيل بريموند Bremond تتالف من بعض اعيان المسلمين في الجزائر وتونس ومراكش ومن غربي افريقية الفرنسية ومعهم مبلغ ٢٥٠,٠٠٠ فرنك افرنسي ذهبا قدموها للشريف حسين . وبعد وقت قصير وصلت كتيبة فرنسية معها عدد قليل من الرشاشات الفرنسية الصنع ومدافع الميدان والبنادق وقد استقبلها الشريف حسين استقبالا حارا

Bremond, E., Le Hedjaz dans la guerre Mondiale, Paris 1931 p.p. 48, 53, 64 - 67, 348 - 349.

هذا غير ما كان يقدمه عملاء الانكليز في حاشية الشريف فيصل للوافدين الى العقبة من رؤساء العشائر في سورية ولزعماء الاسر .

٥١ ـ راجع : اسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٧٤ ـ ٧٥ محادثات عزيز علي المصري مع الجنرال كلايتون .

الفصل الثاني

١ ـ الامير شكيب ارسلان : سيرة ذاتية ، دار الطليعة ، بيروت ط ١٩٦٩ ص ١٥٤ وما يليها وص ١٨٦ ، ص ١٩٠ .

2 — Djemal Ahmad, Pasha. La verité sur la question Syrienne, (Stamboul) 1916 p. 197

«في اليوم الذي وصلت فيه الى دمشق اخبرني خلوصي بك حاكم سوريا العام انه يرغب في مقابلتي لامر خطير . وقد اجتمعنا في الليلة ذاتها في دار الحكومة فناولني بعض الوثائق الهامة التي عثر عليها في القنصلية الفرنسية. وقال ان هذه الوثائق تدين عددا من كبار وجهاء المسلمين وزعمائهم في كل من دمشق وبيروت وغيرهما من المدن .. واذا كان لي ان اصدر حكما بناء على هذه الوثائق فانه لا يخامرني ادنى شك في ان السوريين العرب كانوا يعملون لحساب فرنسا وتحت حمايتها » .

٣ ـ يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ـ بيروت ١٩٦٤ ص ٢٤٩ ؛ انيس المقدسي : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، بيروت ١٩٥٢ ص ٤٨ .

4 — Arch. Aff. Etr. Guerre 1914 - 1918, Turquie vol. 868 p.p. 17, 19 : Campagne Anti - Francaise au sujet de la Syrie; p. 112 : Intrigues des Anglais avec les Syriens d'Egypte ..

٥ ـ الافكار عدد ٢٩٣ تاريخ ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٢٢ . راجع تحت عنوان : «استقالة شريفة» نص استقالة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من الكوكب المرفوعة الى الجنرال كلايتون ، وقد جاء فيها : «ان التغيير الجوهري الذي ابلغتموني انه سيطرأ على سياسة جريدة الكوكب احدث في

نفسي انقلابا ما كان يدور في خلدي وقضى على تلك الآمال التي كنت اعقدها على المساعدة الخارجية لانقاذ وطني ودعاني الى اعادة القول لكم ان الشرط الذي بنيت عليه تبولي ادارة سياسة الكوكب والتحرير فيه انما هو بث الدعوة العربية على مبدأ التحالف مع بريطانيا ..» ولا بد لمن يريد مزيدا من الاطلاع من ان يراجع الكشكول (المصرية) في ١١ و٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٢٢ فيقرأ مقالات فكري اباظة نشاط الدكتور الشهبندر في الدعاية للانجليز بين العرب .

6 — Arch. Aff. Etr. Guerre 1914 - 1918 Turquie vol 867 Syrie - Palestine p.p. 1, 2, 3.

7 — Nuri - as Said, Arab Independance and Unity (Bagdad Gouvernement Press 1943) p. 32 (Appendice E.) .

راجع كذلك زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط حيث ينقل عن Temperly ان الزعماء العرب اصيبوا بذهول عند اطلاعهم على اتفاقية سايكس ـ بيكو «ولكن ثقتهم ببريطانيا العظمى كانت راسخة فلم يكن للكشف عن الاتفاقية هذه اي اثر في تعاونهم المخلص مع حليفتهم بريطانيا» .

٨ ـ Great Britain, Cmd. 5974, p. 3. في زين نور الدين زين : المصدر السابق ص٧٥ .

٩ ـ امين سعيد : الثورة العربية الكبرى مجلد ٢ ص‌ص ٣٧ ـ ٤٠ .

١٠ ـ محمد حرب فرزات : الحياة الحزبية في سورية بين ١٩٠٨ ـ ١٩٥٥ ص ٧٠ وهم : رفيق العظم ، الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، فوزي البكري ، الشيخ كامل القصاب ، خالد الحكيم ، مختار الصلح ، حسن حماده .

١١ ـ جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة علي حيدر الركابي ، دمشق ، مطبعة الترقي ١٩٤٦ ص ٢٩٨ .

١٢ ـ سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى : وثائق واسانيد ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

١٣ ـ زين نور الدين زين : المصدر السابق ص ٧٥ صرحت الحكومة البريطانية فيه انها تعترف : «بالاستقلال التام اولا للعرب الذين يقطنون الاراضي التي كانت حرة مستقلة قبل الحرب ، وثانيا للعرب الذين يقطنون «الاراضي التي حررت من السيطرة التركية بعمل العرب انفسهم في اثناء الحرب الحالية» . اما «الاراضي التي كانت في السابق تحت السيطرة العثمانية ثم احتلتها جيوش الحلفاء في الحرب الحالية فان رغبة حكومة جلالته ان تقوم الحكومة المقبلة لهذه الاقاليم على مبدا موافقة المحكومين . ان هذه السياسة كانت وستبقى السياسة التي ستتبعها حكومة جلالته وتعضدها» .

١٤ ـ الاهالي عدد ٢٨٦٤ السنة العاشرة تاريخ ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٢ وقد نقلت عن المانشستر جارديان تحت عنوان : التعليمات السرية التي اصدرتها الحكومة الفرنسية الى المسيو بيكو بصفته مندوب فرنسا المرافق للجيوش المحاربة في فلسطين ؛ وقد حرصت على ابراز ما يتعلق منها بفلسطين وباليهود ، جاء فيها : «ومتى دخلت في فلسطين فستحتك بطوائف عديدة من اليهود فيحسن ان تمنحهم من اول الامر مقدارا كبيرا من حمايتنا وان ترمز الى العهد الجديد بأن تكل اليهم ادارة أمور طوائفهم ونصيبا في حكومة البلاد فانك لا شك تعلم ان السياسة التي تتبع نحوهم ستحدث تأثيرا عميقا لا بين اخوانهم اليهود المقيمين ببلاد الحلفاء والممالك المحايدة فقط بل

بين النازلين منهم في بلاد العدو ايضا . فمن مصلحتنا لهذا السبب ان نبعث في نفوسهم اكبر الآمال فيما ينوي الحلفاء ان يقوموا لهم به في البلاد التي يربطهم بها ماض عريق والتي يرغب بعضهم في الرجوع اليها لانشاء دولة لهم فيها .»

15 — Arch. Aff. Etr. Guerre 1914 - 1918 Turquie vol 877 Syrie - Palestine p.p. 144, 150.

١٦ — ينقل زين نور الدين زين عن الوثائق البريطانية ان الجنرال اللنبي قد اعطى بعض التطمينات في ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) للامير فيصل بمناسبة مغادرة القوات الحجازية لمدينة بيروت فقد ورد في تقريره الى حكومته ما يلي : «لقد اكدت بصورة رسمية للامير فيصل ان اي اجراءات يمكن ان تتخذ في اثناء الادارة العسكرية للبلاد انما هي اجراءات موقتة ولا يمكن بصورة ما ان تؤثر في التسوية النهائية عند عقد مؤتمر الصلح الذي لا اشك في ان يحضره ممثل عن العرب. واضفت قائلا له ان الحكام العسكريين قد صدرت اليهم تعليمات ألا يتدخلوا في الشؤون السياسية..». المصدر السابق ص ٢٢١ حاشية رقم ٣٢ .

١٧ — لسان الحال (البيروتية) تاريخ ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ .

18 — Arch. Aff. Etr. Levant 1918 - 1929 Syrie - Liban vol. 43 p. 166; vol 44 p.p. 39, 44; vol. 109 p. 42.

وبخاصة عريضة حسين الدادا مفتي صيدا ومفتش معارف لبنان الجنوبية ورئيس جمعية المقاصد الخيرية ونقيب السادة الاشراف وإمام المسلمين الحالي .

١٩ — كتب محمد بدر الدين الخطيب في خاتمة مقالاته تحت عنوان : المعاهدات العربية ، قال: وافاني الدكتور الشهبندر عن عهد السوريين السبعة ان بوادر القلق في السياسة العربية التي ظهرت سنة ١٩١٨ اثارت اهتمام عدد من السوريين منهم رفيق العظم وحسن حماده ومختار الصلح وخالد الحكيم والشيخ كامل القصاب والدكتور عبد الرحمن الشهبندر فعقدوا اجتماعات متوالية لبحث الموضوع وتحقيق الاماني القومية وبعد اجتماعات متكررة مع المستر وولروند سكرتير اللورد ملنر (الاصح انه تابع للمكتب العربي في القاهرة) Walrand والكومندور هوجرت Hogorth العالم الاثري المشهور ورئيس جامعة أكسفورد ، كتبوا المطالب العربية القائمة على الجهود التي يقوم بها الجيش العربي وقبل الهدنة بشهرين او ثلاثة جاء الرد وكلف الكومندور هوجرت ان يبلغه وخلاصته ما نقلته وحفظته في مجموعة اوراقي (ان كل بلد عربي تابع للحكومة العثمانية يفتحه الجيش العربي يعد مستقلا استقلالا تاما وقد نشر الكولونيل لورنس هذه الاتفاقية في جريدة التيمس في صيف ١٩١٩ وكانت احدى الحجج الاساسية التي بني عليها استقلال المنطقة السورية لان الادارة العسكرية للحلفاء اعتبرت الخدمات العسكرية الجليلة التي قام بها الجيش العربي في درعا ودمشق وحمص وحماه كافية لعده فاتحا لتلك المنطقة . وقال الدكتور الشهبندر ان هذا العهد كان شفهيا رسميا) المقطم عدد ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٣٠ .

٢٠ — زين نور الدين زين : المصدر السابق ص ٩٩ .

21 — Arch. Aff. Etr. Guerre 1914 - 1918 Sionisme vol II, III, IV (1198 et 1191) .

22 — La Question de Mossoul de la signature du Traité d'Armistice de Maudrass 30 Octobre 1918 au 1er Mars 1925, publiée en 1925 a Constantinople p.p. 15, 26, 28, 34, 37.

٢٣ ـ دكتور عبد الرحمن البزاز : محاضرات عن العراق ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٠ ، طبعة ثانية ص : ٨٧ ـ ٨٨ ، ٩٣ ـ ٩٧ .

٢٤ ـ تقع فلسطين في المنطقة الملونة باللون البني وهي المنطقة التي ستنشأ فيها ادارة دولية باستثناء مينائي حيفا وعكا اللذين يعطيان لبريطانيا . وقد حاول لويد جورج في حديثه مع الكولونيل هوسي House ممثل الرئيس ولسن الخاص ، يوم توقيع الهدنة مع تركيا ، تركيز حديثه حول اتفاقية سايكس ـ بيكو بغية جس نبض . وبعد شهر تلقت السفارة الامريكية في لندن من وزارة الخارجية البريطانية ، بصورة غير رسمية ، مخططا لمشروع الصلح البريطاني المتعلق بالشرق الادنى وفيه ان بريطانيا تسيطر على العراق وامريكا على فلسطين والقسطنطينة والمضايق اما نصيب فرنسا فربما كان سوريا .. وتشير وثائق وزارة الخارجية الايطالية الى ان السيد مارك سايكس كان قد لمح قبل اجتماع لويد جورج بالكولونيل هاوس بثلاثة شهور الى احتمال فرض وصاية امريكية على فلسطين . وذلك في حديث رسمي جرى بينه وبين الماركيز امبريالي Imperiali السفير الايطالي في لندن . راجع : زين نور الدين زين : الصراع على الشرق الاوسط .

25 — Llyod George , The Truth about the peace Treaties vol. II p. 1018 . ,

26 — André Tardieu: Mossoul et le pétrole: L'Illustration cev p.p. 381 - 382; ainsi que: Le Matin 11 et 17 Juin 1920. (B. N. Paris).

27 — R. Szanmard Bakar: Woodrow Wilson and Settlement Written from his un published and personnal material 3 vols. (London 1923) See p.p. 1 - 19.

وقد نشرت وزارة الخارجية الامريكية وقائع هذه الجلسة عام ١٩٤٦ .

٢٨ ـ زين نور الدين زين : المصدر السابق ص ١١٧ ـ ١١٨ .

٢٩ ـ زين نور الدين زين : المصدر السابق ص ١١٦ .

٣٠ ـ حاييم وايزمن : التجربة والخطأ .

31 — Frish Wasser - Ra'anan, H.F., Frontiers of a Nation p. 104 and Eses Fondation for Palestine vol. I p. 139.

٣٢ ـ دكتور انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

٣٣ ـ زين نور الدين زين : المصدر السابق ص ١٢٣ .

٣٤ ـ كتب بريموند : اصبح موقفنا في سورية على جانب كبير من الخطورة ، اولا بسبب مهزلة اللجنة الامريكية الخبيثة التي كانت موجهة في الدرجة الاولى ضد فرنسا فانها لم تتوجه الى بغداد ولا الى الموصل حيث كان من المتوقع ان تلاقي معارضة شديدة ضد انكلترا .. ثانيا لان التحقيقات التي قامت بها كانت تمثيلية مفجعة فانها لم تقابل الا الوفود التي كان يبعث الانكليز بها او الامير فيصل وكانت ترفض مقابلة اي وفد يبدي عطفا على فرنسا ، كانت تستقبلهم ببرودة وخشونة» Bremond, E., opt. cit. p. 327. .

٣٥ ـ خيرية قاسمية : حكومة فيصل في سوريا ص ٦١ .

٣٦ ـ اسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ص ١٠٠ ـ ١٠١ راجع ما يرويه عن سفره وسفر فوزي البكري . رشيد رضا : المنار مجلد ٢١ جـ٤ تاريخ ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ ص ٢٠٠ .

37 — Lloyed George: opt. cit. p. 1075.

38 — André Tardieu: opt. cit. p. 382.

39— Robert de Caix: Bulletin de l'Asie Francaise du 25 Juillet 1919 (B.N. Paris).

40 — Ecos de Paris 20 Octobre 1919 (B.N. Paris).

41 — Le Temps 18 Septembre 1919 (B.N. Paris).

٤٢ – راجع خلاصة مقالات بعضها في :

Comte R. de Gontaut - Biron, opt. cit. p.p. 315, 320.

حيث يؤكد ان فرنسا لم تلتزم بأي شيء .

٤٣ – تتعهد بريطانيا بموجب هذه الاتفاقية ان تمنح الحكومة الفرنسية او من ترشحه ٢٥بالمئة من صافي انتاج النفط الخام .. او في حالة تولي شركة خاصة انتاج النفط في العراق فان الحكومة البريطانية تضع تحت تصرف الحكومة الفرنسية حصة قدرها ٢٥ بالمئة من أسهم الشركة . ومقابل هذا توافق الحكومة الفرنسية على اعطاء جميع التسهيلات لمرور خطين لانابيب النفط «في الاراضي التي تقع ضمن دائرة النفوذ الفرنسي (وظاهر ان هذه الاراضي ستكون سورية ولبنان) لايصال النفط من العراق ومن ايران عبر المناطق الواقعة تحت النفوذ الفرنسي الى ميناء او الى موانيء في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط»

Great Britain Cmd, 675, Mixellaneous No. 11 (11920).

مذكورا في : زين نور الدين زين : الصراع الدولي على الشرق الاوسط ص ١٥٩ – ١٦٠ .

٤٤ – «ان كثيرا من هذه الشعوب اما لا تستطيع ممارسة الحكم الذاتي او تنقصها القدرة والكفاءة على ذلك . وهي شعوب في معظمها فقيرة جدا وتحتاج الى رعاية كبيرة الى ان تصل يوما الى الاستقلال الاقتصادي والسياسي» .

45 — Papers Relating to the Foreign Relations of the United Stats vol. XIII p. 95.

مذكورا في : زين نور الدين زين المصدر السابق ص ١٥٨ – ١٥٩ ، راجع كذلك الوثيقة رقم (٣) في قسم الملاحق .

٤٦ – كتب روبير دي كي Robert de Caix اول مفوض سامي لفرنسا في سوريا ولبنان ومندوبها من بعد في عصبة الامم ، فقال : «منح الانتداب على سوريا ولبنان الى فرنسا من قبل الدول العظمى الحليفة ، في اثناء انعقاد مؤتمر سان ريمو عند مطلع سنة ١٩٢٠ وهذا الانتداب بصيغته الحالية تجسيد للاتفاق الذي وقع بين الانكليز والروس في شهر ايار من سنة ١٩١٦ والذي من جملة بنوده الاعتراف بالعراق كمنطقة نفوذ بريطانية وبسوريا كمنطقة نفوذ فرنسية» راجع:

L'Europe Nouvelle 16 Mars 1929.

٤٧ – جورج انطونيوس : المصدر السابق ص ٣٢٢ (الهامش) .

٤٨ – الدكتور احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص ١١٥ – ١١٧ .

٤٩ – جورج انطونيوس : المصدر السابق .

50 — Mme Berthe - George Gaulis: La Question Arabe, Paris 1930 p. 109.

٥١ – ساطع الحصري : يوم ميسلون ، بيروت ١٩٦٥ ص ٢٧٨ – ٢٨١ ؛ راجع كذلك الاعالي تاريخ ٢٢ مارس (اذار) ١٩٢٠ .

٥٢ ـ محمد حرب فرزات : المصدر السابق ص ٦٦ .

٥٣ ـ امين سعيد : المصدر السابق جـ٢ ص ٤١ (مبادىء الحزب) .

٥٤ ـ الدكتور احمد قدري : المصدر السابق ص ١٧٢ ؛ وقد تألفت من : الركاني مديرا للحربية والحصري مديرا للمعارف ، واسكندر عمون مديرا للعدلية ، ورشيد طليع مديرا للداخلية .

٥٥ ـ الاهالي في ٨ فبراير (شباط) ١٩٢٠ (البرنامج بأكمله) .

٥٦ ـ علي جودت الايوبي : ذكريات ص ٩٠ ـ ٩٦ حيث جاء : «ذات يوم ، وكان ذلك في اواخر شهر اذار توجهت مع ضابط زميل لي لنقابل فيصل . فقلنا له : «قبل ان ننضم الى الثورة العربية في الحجاز كنا ضباطا عثمانيين في الجيش التركي . ونحن نحارب الى جانبك لانقاذ ما يعرف «بسورية وبفلسطين» . لقد حاربنا معك لتحرير جميع البلدان العربية . وها انك جئت الى هنا واعلنت نفسك ملكا على سورية المستقلة . ولكنا نحن عراقيون والعراق تحتله بريطانيا فهل حاربنا الاتراك بغية تحرير بلادنا من حكمهم لنحل محلهم البريطانيين .. ولقد حاول في الآونة الاخيرة بعض اخواننا الرجوع الى العراق فمنعتهم السلطة البريطانية هناك وأرغمتهم على العودة الى سورية مهددة بالقبض عليهم وارسالهم اسرى الى الهند . وعليه عقدنا العزم نحن الضباط العراقيون على محاربة الانجليز لتحرير العراق» . فأجاب فيصل ان العراق شأن من شؤون اخيه عبد اللـه وهو المرشح لعرش العراق . فقلنا له امددنا بالمال والسلاح وأرسل معنا اخاك الامير زيد عندها سنشكل عصابات في شمال العراق . لكن فيصل ابى علينا ذلك قائلا : اني اذا ارسلت اخي زيدا معكم فان ذلك يعني انني اعمل ضد البريطانيين ، وهذا امر ليس في مصلحتي في الوقت الحاضر كما انه ليس في مصلحتكم . غير اننا اصررنا والححنا في طلب العون منه ، واخيرا نفحنا بخمسة آلاف جنيه مصري (وكانت العملة الرائجة آنذاك في التداول) . وذات ليلة فتحنا احد مخازن السلاح في دمشق وحملنا ما تمكنا من حمله من اسلحة على عربات وتوجهنا الى حلب . وهناك بدلنا العملة المصرية بليرات تركية عثمانية . ثم توجهنا من هناك الى دير الزور وشكلنا عصابات وقمنا بعد ذلك بهجوم ناجح على عفر غرب الموصل ..» مذكورا في زين نور الدين زين المصدر السابق ص ٢٥١ـ٢٥٢.

٥٧ ـ لسان الحال (البيروتية) عدد ٢٣ اذار (مارس) ١٩٢٠ «ثم قرأ حضرة رشيد بك نخله البنود الخمسة بندا بندا لتأييدها والاعتراض عليها فوافق الكل بالاجماع على البنود الثلاثة الاولى المتضمنة اعلان استقلال لبنان الكبير والاحتجاج على اللبنانيين الموجودين في الشام . وهنا اشتد الجدال في البندين الاخيرين وانتهى الامر الى الموافقة عليهما وعندئذ رفع العلم اللبناني «الذي احضره وفد جمعية الطوائف المسيحية» . راجع وصف الاحتفال .

58 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 39 p. 80.

راجع تقرير شكري غانم ـ عميد الداعين للانتداب الفرنسي ، بل للاندماج فيها ، ورئيس اللجنة المركزية السورية واحد البارزين في المؤتمر العربي الاول بباريس ـ المرفوع الى رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية وخاصة ص ٨٢ منه . وهو خلاصة رسائل من اصدقاء فرنسا في سورية ولبنان ارسلت اليه ، تنم جميعها عن خيبة الامل وتضج بالشكوى من الموظفين وتصف تذمر الناس .

59 — Journal Officiel: Debats Parlementaires vol IV du 25 Juin 1920 p. 2431.

الفصل الثالث

1 — Arch. Aff. Etr. Levant 1918 - 1929, Syrie - Liban, vol 43.

نورد هنا احدى العرائض من حلب ، الركيزة الاساسية ـ في اعتقاد السياسة الفرنسية لتأييد انتدابها على سورية ؛ وهذا نصها : «نحن أفراد الطائفة الكلدانية بحلب الموقعين بذيله قد انتدبنا برضانا وحسن اختيارنا حضرة الخوري ميخائيل شعيا والسادة فرانسوا شوحا وجميل رسام وسمعان موصلي ليمثلونا امام اللجنة الامريكية وليبينوا لها مطاليبنا وهي : المحافظة على وحدة سورية بحدودها الطبيعية واستقلالها وانتداب دولة فرنسا دون سواها للوصاية علينا وإشعارا بذلك سلمناهم هذا صك الاعتماد . حلب تحريرا ٦ تموز سنة ١٩١٩» .

وكان فارس سعيد الاطرش من أوائل مؤيدي الانتداب الفرنسي وواحدا من القلائل الذين ظلوا اوفياء للعهد بازاء السياسة الفرنسية حتى آخر ايامهم . وقد كان نص عريضته الى اللجنة الامريكية ما يلي :

«سلام واحترام . وبعد فقد زرتكم نهار امس واخبرتكم اماني ورغائبي شفاها بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن عدد من الرؤساء وكلوني وسلمتكم الوكالات نهار امس . والآن حفظا لما قلته اكتبه لكم خطا وهو : انا الموقع اسمي ادناه من رؤساء جبل الدروز بالاصالة عن نفسي وبالوكالة عن متعب بك الاطرش وعن سلمان بك الاطرش وعن علي بك الاطرش وعن اسد بك الاطرش وعن سليمان بك الاطرش وعن الشيخ نعمان ابو غانم وعن الشيخ حسن حمزة اطلب ما يلي : ١ ـ الاستقلال الاداري الواسع لسورية تحت حماية فرنسا . ٢ ـ عدم تجزئة سورية ...»

2 — Gustave de Gautherot: La France en Syrie et en Cilicie p. 63.

3 — Raymond O'zoux: opt. cit. p. 57 - 58.

٤ ـ سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٢٠ .

٥ ـ راجع الفصل السابق .

6 — C. Broockelmann: Histoire des Peuples et Etats Islamiques, Payot, Paris 1949, p. 400 (a voir le texte integral dane: Ireland: Iraq p. 263) .

٧ ـ يذكر حسن الحكيم وكان يومها مديرا للبريد انه «تبين للمجلس العرفي ـ ان الجنرال غورو ارسل في ٢٠ تموز (يوليو) الى ممثله الكولونيل كوسي برقية تتضمن ان المهلة المعطاة للامير فيصل اوشكت ان تنقضي ولما يصله الجواب المنتظر بقبول وتنفيذ شروط الانذار ولما كان الممثل المومأ اليه تسلم في الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين من مساء ذلك اليوم برقية جلالة الملك فيصل الى الجنرال غورو المتضمنة قبول شروط هذا الانذار بالشكل الذي أصر عليه الجنرال .. فقد رد الكولونيل على الجنرال ببرقية قال فيها (ان برقيتكم المؤرخة في ٢٠ تموز ١٩٢٠ وصلت الي في الساعة السادسة مساء وان تفصيل قبول الشروط بالبريد) » حسن الحكيم : مذكرات ص ٢٧ .

8 — B.N. Paris: Le Matin 26 Juillet 1920 :

«على اثر المحادثات التي جرت في سبا Spa بين موظفي الشؤون الخارجية : الانجليز والفرنسيين اعلنت الحكومة البريطانية انها تطلق يدنا في سورية وانها لن تتولى الدفاع عن الامير فيصل في اية حالة كانت ...»

9 — Comte R. de Gontaut - Biron, opt. cit. p. 310.
10 — Le Matin du 26 Juillet 1920 (B.N. Paris).
11 — Gustave Gautherot, opt. cit. p. 40.
12 — Comte R. de Gontaut - Biron, opt. cit. p. 30.

١٣ ـ سلامه عبيد : المصدر السابق ص ١٨ .

١٤ ـ وقد تقرر في اجتماع مجلس الوزراء بعد الاطلاع على مذكرة وزير المالية المؤرخة في ١٤ اغسطس (آب) رقم ١٥٠٨ / ٢٢٤ حول فرض مبلغ مائتي الف دينار ذهب غرامة حربية على سكان المنطقة الشرقية ، انه : ١ ـ يضم على ضريبة التمتع الاصلية مئة في المئة ، ٢ ـ يضم على رسوم الاغنام خمسون في المئة ، ٣ ـ يضم على ضريبة الاملاك والاراضي خمسون في المئة ، ٤ ـ يضم على تحقيقات الاعشار عشرون في المئة ، ٥ ـ الضمائم المذكورة في المواد السابقة تجبى مرة واحدة في الحال باسم ضريبة الغرامة الحربية وترصد لتسديد مبلغ المائتي الف دينار المضروبة على المنطقة الشرقية لتؤدى للقيادة العامة لجيوش الدولة المنتدبة لاجل التعويض على المنكوبين .. كلف وزير الداخلية والمالية بتنفيذ أحكام القرار ـ العاصمة ، تاريخ ٢٣ اغسطس (آب) ١٩٢٠ .

١٥ ـ العاصمة (جريدة الحكومة الرسمية) في ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٢٠ : تصريح الجنرال غوابيه الذي القاه على هيئة الوزارة ، كذلك : نجيب الارمنازي : محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء ، معهد الدراسات العربية العالية ـ الجامعة العربية ـ ١٩٥٣ / ١٩٥٤ ص ١٤ .

16 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Levant, Syrie - Liban vol. 47 - A du 9 Janvier 1921, Le Ministre des Aff. Etr. a Haut Commissaire - Beyrouth .

١٧ ـ راجع نماذج من هذه العرائض في الملاحق .

18 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 47 - A du 17 Mars 1921 .

١٩ ـ العاصمة في ١٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ ، كذلك قرار رقم ٣١٩ تاريخ ٣١ آب (اغسطس) ١٩٢٠ وقرار تنظيم ادارة المنطقة ٣٢٧ تاريخ ٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٠ وتعديله بقرار رقم ١٢٦٤ . تاريخ ١٦ فبراير (شباط) ١٩٢٢ والقرار الصادر في ١٢ يوليو (تموز) ١٩٢٢ برقم ١٤٧٠ بانشاء دولة العلويين والقرار رقم ٢١٤٧ تاريخ ٣١ اغسطس (آب) ١٩٢٣ بانشاء مجلس تمثيلي فيها : وذلك في مجموعة قرارات المفوضين السامين ـ جزء ثالث ص ٣٦٨ وما يليهـا (نص افرنسي) ، كذلك :
Raymond O'Zoux, opt. cit. p. 63 - 64.

20 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 131 p. 46.

٢١ ـ العاصمة في ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠ : وقد اصدر مجلس الوزراء في ١٩ منه القرار التالي الذي يشير الى هذا التجاوز : «تبين من المعاملات الجارية ان الفريق كامل باشا القدسي ينتحل لنفسه حق تنحية الموظفين ونصبهم في حلب بدون ان تكون له صفة رسمية تخوله ذلك الحق ولذلك تقرر عدم اعتبار الموظفين الذين يعينهم كامل باشا القدسي في حلب وملحقاتها واعتبار جميع الموظفين الذين اقالهم باقين في وظائفهم مع دوام دفع رواتبهم وأما الموظفون الذين عينوا او يعينون مجددا ولم يتمكنوا من مباشرة العمل بسبب معارضته فتعتبر مباشرتهم من تاريخ وصولهم الى حلب ويستحقون الراتب من التاريخ المذكور» .

٢٢ ـ العاصمة في ١٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ ، كذلك مجموعة قرارات المفوضين السامين ج١

ص ٢٢٨ قرار رقم ٣٣٠ تاريخ ١-٩-١٩٢٠ وص ١٨٦ قرار رقم ٤٠٩ في ٩-١٠-١٩٢٠ باحداث حكومة حلب (نص افرنسي) .

٢٣ - امين سعيد : المصدر السابق ص ٢٣١ .

٢٤ - نجيب الارمنازي : المصدر السابق ص ١٦ ، مجموعة قرارات المفوضين السابقين جـ٣ ص ٤٣٧ (نص افرنسي) .

٢٥ - حنا ابو راشد : جبل الدروز ، المطبعة التجارية ١٩٢٥ ص ١٣٠ - ١٣٢ .

26 — Raymond O'zoux, opt. cit. p. 65.

27 — Raymond O'zoux, opt. cit p.p. 66 - 69.

28 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 47 - A p. 3.

29 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 40 p. 44.

30 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Levant - Arabic 13 p. 15 - 16.

٣١ - البشير في ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٢١ ؛ العاصمة في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٢١ .

32 — Raymond O'zoux, opt. cit p. 72.

33 — Lt Colonel Catroux: Le mandat et son application sur l'Etat de Damas, Revue Politique et Parlementaire 1922 p. 17.

34 — Comte R. de Gontaut - Biron, opt. cit. p. 32.

٣٥ - د. عبد الرحمن الكيالي : المراحل جـ١ ص ١١ : راجع خطبة دي جوفنيل De Jouvenel راجع كذلك في Le Matin 28 Aout 1926 رسالة مدير اللجنة الوطنية الى مستشاري التجارة الخارجية حول موارد الثروة في سوريا ولبنان والجزائر وتوسيع صناعة الدخان واللفائف الشقراء في هذه المستعمرات ، كذلك دراسة في «زراعة القطن في سوريا قدمها مستشار الزراعة في الاتحاد السوري وترجمها رشدي ذهني في حلب : الف باء تاريخ ١٣ شباط (فبراير) ١٩٢٤ .

٣٦ - البشير في ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٢١ .

٣٧ - البشير في ٢٤ اذار (مارس) ١٩٢١ .

٣٨ - الف باء في ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٤ .

٣٩ - سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٤٧ - ٤٨ .

٤٠ - المقطم في ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ . وقد اصدرت لجنة الشؤون الخارجية رايها في ذلك على الوجه التالي : «ان لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ يهمها جدا ان لا تمس هيبة الراية الفرنسوية ومهمة فرنسا في الشرق الادنى ولكنها يهمها ايضا ان تحفظ فرنسا لنفسها حرية العمل للدفاع عن حدودها وتنفيذ معاهدة فرساي . فاللجنة ترى ان يستطاع انقاص الاعباء التي تحملها فرنسا في سوريا وكيليكيا انقاصا كبيرا جدا باقرب زمان» .

٤١ - راجع تقرير المقطم في ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٢١ نقد قدر خسارة البلاد في الاوراق المالية وتقلب اسعارها وحدها بخمسة ملايين ليرة عثمانية ذهبا ، كذلك المقطم في ٨ ديسمبر (كانون الاول) وكتب في ٢٤ ديسمبر ١٩٢٠ ما يلي : «التجارة كل يوم في نزول مستمر وبالات المانيفاتورة تتكدس بكثرة بعضها فوق بعض في مستودعات التجار وليس من يشتري منها ثوبا واحدا لان تجار حلب ودمشق متوقفون عن الشراء انتظارا لهبوط اكثر من الذي حصل حتى اليوم ويقدر العارفون ان في سوريا من البضائع والاقمشة ما يغنيها عن جلب شيء جديد من اوربا الى عشر سنوات

ولكننا مع ذلك نرى كل يوم مئات البالات والطرود تنزلها البواخر من مصر وايطاليا ومنشستر مما يزيد موقف السوق وخامة وتعاسة .

ويعتقد التجار الخبراء ان عده الازمة ما كانت لتبلغ هذه الدرجة لولا هذه القيود التي فرضت على الحركة التجارية بتقسيم البلاد ..»

٤٢ ــ لطفي الحفار : ذكريات ، منتخبات من خطب وأحاديث جمع وجيه بيضون ــ مطابع ابن زيدون بدمشق ١٩٥٤ ص ٤١ ــ ٤٢ ، راجع كذلك النشرة الاقتصادية الصادرة عن المفوضية العليا عدد يناير ــ فبراير ١٩٢٦ (النص الفرنسي) حيث يتضح ان نسبة الاستيراد الى التصدير كانت ١ الى ٥ في عام١٩١٩ فاصبحت ١ الى ١١ عام ١٩٢٤ وا الى ١٦ في عام ١٩٢٦ ــ ومن جراء ذلك تفاقمت حركة الهجرة من البلاد فهاجر ٨٦١٤ عام ١٩٢٣ ، و٣٧١ر٦ عام ١٩٢٤ و١٠٠ر١١ في عام١٩٢٥ و٨٥٦ر١٥ في عام ١٩٢٦ طبقا لتقارير سلطات الانتداب الى عصبة الامم .

٤٣ ــ سورية الجديدة (جريدة) في ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١ .

٤٤ ــ البشير في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ .

٤٥ ــ البشير في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ .

٤٦ ــ لعل الجدولين (أ وب) التاليين يوضحان مدى التدهور :

جدول أ :

السنة	قيمة البضائع الصادرة بطريق بيروت	قيمة البضائع الواردة
١٩٢٣	٦٨٥٤٤٠٠٠ فرنك	٣٥٢٥٥٥٩٠٠ فرنك
١٩٢٤	٧٣٠٣٥٠٠٠ فرنك	٤٥٠٦٤٠٥٠٠ فرنك

السنة	قيمة البضائع الصادرة بطريق طرابلس	قيمة البضائع الواردة
١٩٢٣	٢٠٨٨٨٨٠٠	٨٩٠٩٥٤٠٠
١٩٢٤	٢٦٢٤١٠٠٠	٩٠٢٣٨٢٠٠

جدول ب :

السنة	مجموع الصادرات	مجموع الواردات
١٩٢٣	٢٤٦٨٠٠٠٠٠	٥٦٠٤٠٠٠٠٠
١٩٢٤	٣٣٩٨٠٠٠٠٠	٧٩٦٦٠٠٠٠٠
١٩٢٥	٤٥٩٠٠٠٠٠٠	٩٧٥٤٠٠٠٠٠

٤٧ ــ احمد حلمي العلاف : دمشق في القرن العشرين ، مخطوطة من ٧٨ صفحة غير مستكملة: موجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق ، ملف الحياة الاجتماعية ؛ كذلك فقد : «تساءل عبد الغني الحسن احد تجار الطحين عن الخطر الذي يهدد اهل حرفته قائلا : في الشام احد عشر معملا للطحين مع نحو مائتي مطحنة حجر وطنية والآن اذنت الحكومة الفرنسية لشركة افرنسية ان تؤسس معملا (فابريكة) فمتى انتهى بناؤها ماذا يكون مصير اهل حرفة الطحين والبوايك وغيرهم ..!» الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ــ ص ٣٠ .

٤٨ ــ الدكتور فؤاد مرسي : محاضرات عن النقود والبنوك في البلاد العربية ــ معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٨ ص ٩ ــ ١٠ .

٤٩ ــ الدكتور فؤاد مرسي : المصدر السابق ص ١٦ ــ ١٧ . راجع كذلك : البشير ، الجريدة الكاثوليكية شبه الرسمية وخاصة في أعدادها تاريخ ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٢١ وفي ٣ و٢٢ و٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ وتاريخ ٣ و١٠ و١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١ وتاريخ ٤ و١٨ اذار

(مارس) ١٩٢٢ وتاريخ ٢٠ و٢٧ ايار (مايو) ١٩٢٢ ففيها نعثر على صورة واضحة: ١ ـ للاسعار الجديدة والفروق بينهـا وبين الاسعار القديمة وخاصة للقمـح والعدس وآلفول والحمص واللحـم . ٢ ـ ذبذبات العملة وتأرجح الناس في التعامل بين المجيدي والذهب والعملة الورقية الفرنسيـة والعملة المصرية . ٣ ـ اثر ذلك على كيفية اجراء المعاملات وكتابة العقود والمقاولات . وعلى سبيل المثال نورد هذه الفقرة من عددها تاريخ ٢٣ نيسان ١٩٢١ : «احدثت مسألة النقود وعدم استقرارها على حالة ثابتة اضطرابا شديدا في الحركة التجارية وشللا في السوق وقد عقد اجتماع في مديرية النافعة حضره مديرو المصارف جميعها وكبار الصيارفة والتجار فتداولوا كثيرا في هذا الامر. وقد اقترح بعضهم ان يلغى التعامل بالنقود التركية ويكتفى بالورق السوري كما هو جار في بيروت ولكن الاكثرية خالفت ذلك ذاهبة الى ان اغلب المعاملة التجارية في اسواق دمشق مع البدو وسكان حوران وهؤلاء لا يقبلون بالورق السوري عوضا عن الفضة والذهب .. واخيرا اتفقت الكلمة على ان تكون الليرة العثمانية اساسا للتعامل بسعر (٢٠٠) قرشا وللتجار الخيار في جعل سعر المجيدي كمـا يشاؤون ..»

٥٠ ـ المقطم في ٧ فبراير (شباط) ١٩٢٤ راجع فيه اتفاقية البنك السوري اللبناني ، كذلك راجع الدكتور فؤاد مرسي : المصدر نفسه ص ١٧ .

٥١ ـ راجع قسم الوثائق .

٥٢ ـ تقرير لجنة الانتدابات لعام ١٩٢٦ . كذلك : المقطم في ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٢٦ : «وكان بيان اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني عن الحالة الاقتصادية قد ذكر ما يلي : «اوجد بنك سوريا واذن له باصدار اوراق نقدية على اساس الفرنك الفرنسوي بدون ضمانة ذهبية وتابعة لحالة الكمبيو وهذا ما سمح للبنك المذكور بامتصاص القسم الاعظم من ذهب البلاد واصداره» كذلك:
Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 191 p. 121 Note sur la Syrie
حيث جاء : حقق بنك سورية الذي اسس براسمال ٢٥٠٠٠٠٠٠ ربحا في عام ١٩٢٢ تـقـدره ٢٨٠٠٠٠٠ .

53 — B.N. Paris: Le Matin 29 Fevrier 1920 : une enquête du Matin en Syrie : La speculation transforme Beyrouth en une forêt de bandits; Le Matin 8 Mars 1920 : «Vive la France 1» Donne moi un Mettlik.

54 — B.N. Paris Le Temps 18 Juin 1924.

٥٥ ـ المقطم في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٤ .

٥٦ ـ كتبت الف باء : «بيعت الورقة السورية بخمسة واربعين قرشا واصبح المأمور بحالـة يرثى لها نظرا لهبوط الليرة السورية وصعود اسعار الحاجيات فالى الله نرفع شكوانا» في ٨ اذار (مارس) ١٩٢٤ . «صرفت رواتب الموظفين على موجب السنة القديمة «٢٣» وقد بيعت الليرة السورية بمجيدين الا برغوث صغير وعلى اثر هذا الهبوط علمنا ان بعض المأمورين سوف يقلبون البستهـم فيلبسونها ظاهرها باطنها وعاليها سافلها حيث يذهبون الى البراري فينادون الاله خالق السموات يستغيثون ويتضرعون ويبتهلون في رفع سعر الورقة فقد اضحت الشحاذة علـى الابواب» ٩ اذار (مارس) ١٩٢٤ .

٥٧ ـ المقطم في ٢٣ مايو (ايار) ١٩٢٤ ، المقطـم في ٢٩ مايو (ايار) ١٩٢٤ : «السوريـون والانتداب الفرنسي» .

٥٨ ـ وصف مراسل المقطم دمشق حينئذ فقال : «كانت حتى بعد دخول الفرنسويين اليها مدينة ذات صبغة عسكرية يرى الناظر في شوارعها الوفا من الضباط والجنود واركان الحرب ورجـــال المدفعية وغيرها من فروع العسكرية ، اما اليوم فقد احيل كل هؤلاء الجنود الى التقاعد ولم يعد في دمشق من رجال عسكريين سوى انفار مستخدمين في مصلحة الامور العسكريـــة وأفراد البوليس والجندرمة . فحركة المدينة هامدة جامدة لا يدخل اليها غريب او اجنبي وتكاد شوارعها تفقد تلك الحركة المعروفة بازدحامها وكثرة المارة فيها . وقد علمت ان معظم اصحاب الفنادق فيها قرروا اقفال فنادقهم نظرا الى الخسارة الجسيمة التي لحقت بهم من عدم وجود الزوار الغرباء ..» المقطم في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ .

الفصل الرابع

١ ـ زين نور الدين زين : الصراع في الشرق الاوسط ص ١١٦ .

٢ ـ زين نور الدين زين : الصراع الدولي ص ٢٤١ هامش رقم ١ وهو ينقل عن :
Lord Riddel op. cit. p. 112.

3 — Comte R. Gontaut - Biron opt. cit. p. 209 - 210.

٤ ـ اسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية .

٥ ـ الافكار في ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٢٢ .

٦ ـ الامة (الاسكندرية) في ٦ مايو (ايار) ١٩٢٣ .

٧ ـ المقطم في ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٢١ .

٨ ـ علي حاج بكري : العقلية العربية بين الحربين ـ دار الرواد للتاليف والترجمة والنشر ١٩٥٢ ص ٦٧ ، سلامة عبيد : نفس المصدر السابق ص ٣١ .

٩ ـ محمد حرب فرزات : الحياة الحزبية في سورية ـ منشورات دار الرواد ١٩٥٥ ص ٨٦ ، المقطم في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٢ مقال . امين سعيد : اهمية هذا المؤتمر وايجابيته .

١٠ ـ المقطم في ١٣ و١٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢١ وخاصة : حديث الامير ميشيل لطف‌الله.

١١ ـ اسعد داغر : المصدر السابق ص ١٥٥ .

١٢ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

١٣ ـ محمد حرب فرزات : المصدر السابق ص ٨٧ ، امين سعيد : المصدر السابق : وقد اورد النداء كاملا ص ٢٦٦ ـ ٢٧١ ، المقطم : في ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٢ ، بيان اللجنـــة التنفيذية للمؤتمر السوري ـ الفلسطيني بمصر الى سكان سورية ولبنان وفلسطين بتطورات الموقف الدولي وطلبها من كل حزب وهيئة تعيين مندوبها في اللجنة وتقديم ما تستطيعه من مساعدة وما تقترحه .

١٤ ـ اسعد داغر : المصدر السابق : ص ١٦٣ .

١٥ ـ الافكار ١٠ يناير (كانون الثاني) ، ١٦ و٢٠ ابريل (نيسان) ، اول مايو ـايارـ ١٩٢٢ . راجع نماذج من احتجاجات اللجنة اثر صدور الاحكام العرفية بمناسبة الحوادث التي رافقت زيارة كرايـن Crane لدمشق .

١٦ ـ المقطم في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢١ : تقدم : حبيب باشا السعد ، نجيب سرسق، الفريد سرسق ، عزيز صعب ، جورج ثابت ، الدكتور ايوب ثابت ، الامير فؤاد ارسلان ، هنري مشاقة ، امين الخوري بعريضة الى المراجع الفرنسية ينكرون فيها على المؤتمر صلاحية التكلم باسم اللبنانيين ويكررون رغبتهم في المحافظة على لبنان الكبير ، مستقلا عـــن الداخل وتحت اشراف فرنسا . وزعموا انهم مفوضون في التوقيع من الاهالي .

ورد عليهم سكرتير عام حزب الاتحاد السوري بنشر ما ورد في نداء المؤتمر السوري الفلسطيني الى عصبة الامم متعلقا بلبنان وهو : «لنا الشرف ان نلجأ الى سلطتكم العليا في طلب الدفاع عن حقوق لبنان واستقلاله الذي يهدده عاملان : اولا نظام الانتداب الذي تضمنته المادة ٢٢ من قانون عصبة الامم . وثانيا الطريقة الجائرة التي سلكتها الدول المنتدبة في تفسير معنى كلمة الانتداب ... ثم يستعرض تاريخ استقلال لبنان الذي ادى الى سن نظام اساسي له ، الذي أيد استقلاله الاداري على النقط التالية : استقلاله الاداري والاقتصادي ، حياده السياسي ، ضمان الدول له ، سيادة الدولة العثمانية عليه وبعد زوال السيادة التركية تعين ان تكون السيادة للبنان نفسه . الا ان استقلال لبنان قد خرق باحتلال الجنود الفرنسية . وبمداخلة السلطة الفرنسوية في جميع شؤونه. المقطم في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢١ .

واعتبر اسعد عطية ، سكرتير عام لجنة الدفاع عن حقوق لبنان احتجاج المؤتمـــــر السوري الفلسطيني على فرنسا مخالفا تماما لآراء اللبنانيين ولعواطفهم وللواقع ايضا لان تكبير لبنان كما اجرته فرنسا وانتدابها عليه جاء مطابقا لاماني اللبنانيين ومحققا لها . لقـــد جاهر مجلس ادارة لبنان المنتخب في شهر مايو (ايار) ١٩١٩ بهذه الاماني وايدها التوكيل الذي اعطاه الشعب الـــى البطريرك اللبناني بما فيه سكان المناطق الملحقة به التي اعتبر انها سلخت من لبنان من زمن تركيا. ثم راح يصف ارتياح اللبنانيين لمجيء الفرنسيين .. المقطم في ٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢١ .

ونشرت النظام في عددها تاريخ ١٨ مايو (ايار) ١٩٢٢ كلمة وجهها جمعية لبنان الفتى الـى السوريين قالت فيها : «أجمع اللبنانيون في وطنهم ومهاجرهم على وجوب بقاء لبنان بحدوده الطبيعية منفصلا عن البلاد المجاورة لاسباب عديدة بسطتها جمعياتهم ورجالهم الناهضون للعلـــم ... ويرغب اللبنانيون كل الرغبة ان يعيشوا الى جانب جيرانهم على اتفاق ووئام مرتبطين معهم فـــي الوسائل الاقتصادية ..»

17 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 190 p. 104.

حيث نجد عددا من النشرات يحمل العناوين التالية : «يسقط الخونة» ص ١٢٥ . «الى السلاح ايها السوريون !» ص ١٢٦ ، «ذكرى عيد الاستقلال» ص ١٢٧ ، «اعيد هـــو ام مأتم» ص ١٢٨ ، «رسالة الى حقي العظم» ص ١٢٩ ، «اي متى ! يا احفاد يعرب !. كفانا نوما وكفى ما لحقنا من عار» ص ١٢٠ ، «لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى تراق على جوانبه الدم» ص ١٢١ .

١٨ ـ المقطم في الاول والخامس من فبراير (شباط) ١٩٢٥ ، وقد اكد احسان الجابري ان هذا الحزب كان يزاول نشاطه قبل ذلك تحت اسم جمعية حقوق الانسان التي عمل مع نخبة من رجال البلاد على الانتساب اليها ..

١٩ ـ المقطم في اول مايو (ايار) ١٩٢٥ .

٢٠ ـ د. مجيد خدوري : المسألة السورية ، مطبعة أم الربيعين ١٩٣٤ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

21 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 224 p. 2 : Note pour

le h.C. de la Republique Françaiseen Syrie et au Liban : points qui se degagent de la consultation des Populations.

«... على اثر الحجج التي أصر عليها ممثلو الوزارة في اللجنة لاستبعاد اي نمط من الاستفتاء تنجم عنه رغبات تحرج الدولة المنتدبة بعدم الاستجابة لها وتلبيتها ، فان الاسلوب الذي اقتنعت اللجنة اخيرا به كان يتضمن استطلاع الراي عن طريق رسائل فردية موجهة الى رئيس اللجنة ...»

22 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol 193 p. 17 : Protestation du Parti du peuple.

٢٣ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : ملف الاحزاب : حزب الشعب وفيه وثيقة وحيدة هي كتاب موجه الى رئيس حزب الشعب في حلب السيد احسان الجابري بتوقيع وكيل مدير شرطة حلب ، بتاريخ ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) هذا نصها : «لي الشرف ان احيط حضرتكم علما ان المادة الاولى من قرار فخامة رئيس الدولة المعظم المؤرخ ١٠ تشرين اول ١٩٢٥ قد قضت بالغاء كافة الهيئات والجمعيات السياسية الموجودة في جميع اجزاء الدولة السورية . فتفضلوا بتنفيذ احكامها حالا واعلامنا النتيجة» .

٢٤ ـ المقطم في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ راجع فيه وصف حالة البلاد بعد دخول الفرنسيين .

٢٥ ـ العاصمه في ٩ اغسطس (آب) ١٩٢٠ وقد جاء فيها : اشكر لكم كل شكري على تصريحكم الاخير بأن الحكومة الافرنسية التي عهد اليها مؤتمر السلم بمهمة الانتداب في سورية لا ترمي من ورائه الا رعاية مصلحة البلاد وفلاحها وان استقلال السوريين الذي سبق الاعتراف به بصورة علنية غير مهدد .. فلتحي سورية حرة مستقلة ولتحي فرنسا الفخيمة» .

٢٦ ـ امين سعيد : الثورة العربية ج٣ ص ٢٦٠ .

27 — Gaulis, Mme B.C. La Question Arabe, Paris, Berger - Levrault 1930, p. 151.

٢٨ ـ النظام في ٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٠ ، المقطم ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٠ ، كذلك : امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثالث ص ٢٤٦ ، المقطم في ٤ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٠ ، وجهت السلطات الفرنسية حملة لاخضاع حوران ، وبعد معارك وحرائق ، وخرائب اضطرت اعيان حوران لقبول شروط قائد الحملة ، التالية :

١ ـ اعادة المنهوبات اما عينا او نقدا .

٢ ـ دفع دية الوزراء المقتولين وقدرها عشرة آلاف ليرة ذهبا عن كل وزير وسبعة الاف للضابط الايطالي و٢٥٠٠ ليرة ذهبية دية كل من الكاهن ووحيد عبد الهادي و٥٠٠ عن كل عسكري مقتول .

٣ ـ تقديم ضمانات كافية بعدم ارتكاب اعتداءات جديدة .

٤ ـ دفع مئة الف ليره عثمانية ذهبا غرامة .

٢٩ ـ دكتور احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ـ مطابع ابن زيدون بدمشق ١٩٥٦ ص ١٣٢ .

٣٠ ـ عبد اللطيف اليونس ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ سلسلة رواد التحرر العربي ص ٢٨ كذلك ص ٨٦ ـ ٨٧ .

٣١ ـ عبد اللطيف اليونس ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ص ٥٨ ـ ٥٩ ، راجع الرسالة ص ١٨١ ـ ١٨٣ في المصدر نفسه .

٣٢ ـ د. احمد قدري : المصدر السابق ص ١٤٧ ـ ١٤٨ «ضربت السلطة الفرنسية قرية الخالصة وكفركلا ودخلت بعض القرى التابعة للقنيطرة ودكتها .. ونهبت بيوت آل الاسعد في الطيبة .. وانتصر الثوار على الفرنسيين في عمرة الامير محمود حيث خسروا سبعين قتيلا ومدفعين جبليين وعشرين رشاشا وكثيرا من الاسرى استلمتها الحكومة السورية وسلمتها للسلطة الفرنسية في بيروت ..»

٣٣ ـ الرائد احسان هندي : كفاح الشعب العربي السوري ـ دراسة تاريخية عسكرية فازت بالجائزة الاولى لمسابقة الابحاث القومية والعسكرية لسنة ١٩٦٢ ص ٨٦ ـ ٨٧ وقد ضمت الحملة الفرنسية التي تمكنت من اخماد المقاومات بعد معارك ضارية القوات التالية : كتيبة الرماة السنغاليين السابعة عشر ، كتيبة الرماة الافريقيين التاسعة عشر ، كتيبة الرماة الافريقيين الثانية عشر ، بطارية مدفعية عيار ٧٥ مم وبطارية رشاشات عيار ٦٥ مم . كوكبة من كتيبة الخيالة السريعة الثالثة ، كوكبة من كتيبة السباهين الحادية والعشرين ، مفرزة رشاشات ..» ، المقطم في ٢٧ اكتوبر١٩٢٢.

٣٤ ـ البشير : تاريخ ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٢١ .

٣٥ ـ سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٩٤ ـ ٩٥ .

٣٦ ـ المقطم في ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٢١ في ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٤ .

٣٧ ـ الف باء في ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ آب (اغسطس) ١٩٢٤ ، المقطم في ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ اغسطس (آب) ١٩٢٤ .

38 — RABBATH, E. opt. cit. p. 45 - 46.

٣٩ ، ٤٠ـ المقطم في ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٢٤ ، فقد فرضت السلطةعلى اهالي حوران تأدية٢٥٠٠ بندقية ، وفرضت على قرى الغوطة كمية مثلها كما طلبت الاكراد تسليم ٥٠٠ بارودة و٤٥٠٠ قذيفة و٣٨٠ قنبلة : البشير في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ .

٤١ ـ مليونير امريكي .

٤٢ ـ كراين وسوريه : نشرة صادرة عن حزب الشعب السوري ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٩٢٧ ص ٥ .

٤٣ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ـ دار الارشاد ـ بيروت ١٩٦٧ ص ١٧ .

٤٤ ـ تكلم الشيخ احمد الصاحب ، شيخ طريقة النقشبندية عن مقبرة البرامكة وقدم للمستر كراين وثائق تؤكد قيام احد الضباط الفرنسيين بدفن كلبه في قبر احد ائمة المسلمين . الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ص ٢١ . وتكلم حسام العمري احد التجار المعروفين وقدم ما يثبت بأنه يؤدي ضريبة سنوية مقدارها سبعة عشر الف غرش عما كان يؤدي عنه والده منذ ثلاثين عاما مقدار خمسمائة غرش في السنة . نفس المصدر ص ٢٢ . وتكلم انور البكري احد كبار المزارعين فطالب المستر كراين بأن يتوسط لدى حكومة الولايات المتحدة الامريكية لفتح باب الهجرة للسوريين. ص ٢٣ . وتكلم حسن الحكيم فرد سوء الحالة الاقتصادية وكثرة الضرائب الى تمزيق وحدة البلاد واقامة عدة دويلات مما يؤدي الى زيادة النفقات .. ص ٢٤ ، كذلك راجع : حسن الحكيم : مذكرات دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٦٥ ص ٣٤ ـ ٦٨ .

٤٥ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : نفس المصدر ص ٤٤ .

٤٦ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : نفس المصدر ص ٣٠ .

٤٧ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : نفس المصدر ص ٤٠ ـ ٤٦ .

٤٨ ـ قررت اللجنة برئاسة خالد الخطيب ما يلي : ان يقوم هو والشريقي خطيبين في الناس لتوضيح القضية الوطنية والحث على المظاهرة .. وان تهيأ قصاصات من الورق كبيرة يكتب عليها : «الله والوطن والانسانية» ، «باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت» ، «يحيا الاستقلال العربي التام» ، «الاستقلال حياة الشعوب» وان تتلى صورة احتجاج على الجماهير تقدم باسم سورية الى قناصل امريكا وانكلترا وايطاليا والبعثة الفرنسية . وقد اصبح هذا النمط من التنظيم أسلوب للمظاهرات ، تقريبا ، جميعها طيلة فترة النضال الوطني .

٤٩ ـ المقطم في ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ابريل (نيسان) ١٩٢٢ : راجع في هذه الاعداد انباء زيارة كراين والمظاهرات وبعض المقالات ، راجع البشير في ١١ و١٣ نيسان (ابريل) ١٩٢٢ .

٥٠ ـ امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثالث ص ٢٥٢ ، البشير في ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٢٢ .

٥١ ـ الافكار في ٢ مايو ١٩٢٢ ، بينما يذكر امين سعيد : المصدر السابق ص ٢٥٥ ان عدد القتلى اربعة وان عدد الجرحى بلغ ثلاثين .

٥٢ ـ نصت مضبطة الاتهام على ما يلي : ١ ـ اتهم المعتقلون بتدبير مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مشفوعة بالعمل ومحاولة العمل لاعداد التنفيذ . ٢ ـ بالتحريض على مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مع ايقاع اضطرابات لان المؤامرة أعقبها العمل او المباشرة لاعداد التنفيذ . وتنطبق هذه الافعال على المواد ١٧ و٨٧ و٨٩ من قانون الجزاء الفرنسوي وعلى المادتين ٢٤ و٢٥ من قانون المطبوعات الفرنسوي المؤرخ ٢٩ يوليو (تموز) ١٨٨١ وعلى المادة ٨ من قانون ٩ اغسطس (آب) ١٨٤٩ الفرنسوي المعدل بقانون ابريل (نيسان) ١٩١٦ الفرنسوي بشأن الادارة العرفية .

٥٣ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٢٥٤ .

٥٤ ـ الف باء في ٢ آب (اغسطس) ١٩٢٤ : برقيات التهنئة بالافراج عنه .

٥٥ ـ رشدي ملحس ، سعاد شلبي ، توفيق عجم اوغلي ، الشيخ احمد السوري وأمين سعيد.

٥٦ ـ نديم ظبيان ، بديع ظبيان ونجيب الريس .

٥٧ ـ د. نجيب الارمنازي : المصدر السابق ص ١٨ ـ ١٩ ، وقد «تقرر اتخاذ علم خاص للاتحاد السوري من ثلاث شقات مستطيلات أفقية وسطها ابيض والاثنتان المكتنفتان لونهما اخضر وفي الزاوية العليا مما يلي الرأس علم فرنسوي يصل الى نصف ابيض طولا والى ربع العلم عرضا» . المقطم في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢ .

58 — Raymond O'zoux, opt. cit p. 72.

٥٩ ـ راجع دستور الاتحاد في قسم الوثائق .

60 — Raymond O'zoux, opt. cit p. 77.

٦١ ـ د. نجيب الارمنازي : نفس المصدر ص ١٩ .

٦٢ ـ البشير في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٢٢ .

٦٣ ـ المقطم في ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٢ ، كتبت الف باء بتوقيع ابن الشعب تصف

دور رئيس الاتحاد : «ما من احد من ابناء هذه الامة الا ويطلب الاستقلال التام كما انه ما من رجل منهم يوافق على تأليف المحاكم المختلطة . ولكن الانتداب امر واقع رغم ارادة الاهلين كما ان المحاكم المختلطة مقررة وان خالف الشعب واحتج على تشكيلها ، على ان الموظف يرى من غوامض الامور وأسرارها ما لا تراه عامة الناس لانه هو الصلة بين الحكومة المنتدبة والاهلين . ولذلك غاية ما يرجى من هذا الموظف تجاه الامر الواقع هو ان يكون شريفا منزها عن التجسس صلب العود غيورا على مصلحة بلاده باذلا وسعه في سبيل التوفيق بين اماني بلاده وبين الدول اللاحقة بالانتداب لا مستسلما بكليته وخادما مطيعا بلا قيد ولا شرط ولا تدقيق ولا فحص ولا ان يضحى ما عزّ وهان في سبيل ارضاء رجال الدولة المنتدبة كي يكتسب ثقتهم ويتخذ هذه الثقة وسيلة للانتقام من خصومه..» الف باء في ١٦ شباط (فبراير) ١٩٢٤ .

٦٤ ـ المقطم في ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٢٣ .

٦٥ ـ راجع قرار رقم ٢١٩٧ تاريخ ٢٤-٩-١٩٢٣ بصلاحيات المجلس التمثيلي لحلب (مجموعة قرارات المفوضين الساميين ج٤ ص ٢٧٩ نص فرنسي) ، كذلك قرار رقم ٢١٩٩ تاريخ ٢٤-٩-١٩٢٣ بصلاحيات المجلس التمثيلي لدمشق (مجموعة قرارات المفوضين الساميين ج٤ ص ٣٠٤ نص فرنسي).

66 — Raymond, O'zoux, opt. cit p. 76.

٦٧ ـ المقطم في ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ .

٦٨ ـ العمران في ٢٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ .

٦٩ ـ المقتبس في ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ .

٧٠ ـ المقطم في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٣ ، راجع في عدد المقطم ١٠٦٧٧ تاريخ ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٢٤ وصف مقاطعة المصلين للشيخ عبد الحميد العطار إمام الشافعية في جامع بني امية والامتناع عن الائتمام به .

٧١ ـ المقطم في ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٢٣ .

٨٢ ـ المقطم في ٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٣ .

٧٣ ـ المقطم في ١٨ مايو (ايار) ١٩٢٤ .

٧٤ ـ المقطم في ٢٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٣ .

٧٥ ـ المقطم في ٢٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٣ .

٧٦ ـ المقطم في ١٥ مايو (ايار) ١٩٢٣ .

٧٧ ـ الف باء في ٢٧ ، ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٢٤ .

٧٨ ـ مجموعة قرارات المفوضين الساميين الجزء الخامس ص ٢٩٨ نص فرنسي .

79 —Raymond O'zoux opt. cit. p. 78 - 79.

٨٠ ـ المقطم في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٥ .

٨١ ـ امين سعيد : الثورة العربية الكبرى المجلد الثالث ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، راجع بنودها في قسم الملاحق رقم (٦) .

٨١ ـ امين سعيد : الثورة العربية الكبرى المجلد الثالث ص ٢٩١ .

٨٢ ـ المقطم في ٧ ابريل (نيسان) ١٩٢٥ .

٨٣ ـ العاصمة في ٢ اغسطس (آب) ١٩٢٠ : «يا حضرة الوزير المعظم : اعلانا للحقيقة واعترافا بالفضل للدوله نرفع نحن المسيحيين والموسويين المستقرين في دمشق وضواحيها على تعدد مللنا

وطبقاتنا القومية تشكراتنا القلبية موجهة الى العلماء والاعيان والوجهاء والعامة من اخواننا المسلمين في دمشق وضواحيها لما صدر منهم في الايام الاخيرة المخونة من السهر الدائم على الراحة العامة واقامة جنود وطنية للمحافظة على الامن والسكينة ومنع الاضطرابات المقلقة مما يسطر لهم الذكر الجميل في صحف التاريخ ويوجب لهم لدى معاليكم يا دولة الوزير انيفوزوا بتكرمة وتقدير وليحفظ الله مجد دولتكم العلية والدولة المنتدبة» تواقيع : رؤساء الاديان .

٨٤ ـ ألف باء في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٢٤ .

الفصل الخامس

١ ـ جاء في تقرير لجنة الانتدابات لعام ١٩٢٦ : «لم يكن في تقرير الدولة المنتدبة الذي فحصته اللجنة خلال اجتماعها الخامس اي باعث على توقع الثورة التي شبت في «جبل الدروز» .. فاللجنة مضطرة والحالة هذه الى عدها حادثا يعود الى اسباب مباشرة ذات اصل حديث ..»

٢ ـ المقطم في ٨ ابريل (نيسان) ١٩٣٠ : مقال بعنوان «اسباب الثورة في راي كاتب فرنسي» ، الاحرار البيروتية في ١١ يوليو (تموز) ١٩٢٥ ، كذلك المقطم في ١٢ ، ١٨ ، ٢٥ يوليو (تموز) ١٩٢٥ .

٣ ـ راجع تحت عنوان **مقتطفات** من هذه العرائض في قسم اللاحق .

4 — B. N. Paris : L'Illustration 15 Aout 1925: Les Evenements en Syrie .

5 — Porter, J. L. ; Five years in damascus vol. I p. 135;

ميخائيل مشاقة : مشهد العيان في تاريخ سورية ولبنان ص ١٥٢ . الامير سعيد الجزائري : جهاد نصف قرن ص ٤٨ ـ ٤٩ ، سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٨٢ .

6 — B. N. Paris : L'Illustration 2 Mais 1925.

٧ ـ الدكتور احمد قدري : المصدر السابق ص ٤١ ، ٦٤ . ٦٥ وقد سلك هذا الطريق : توفيق البساط وابراهيم هاشم (من ضباط الاحتياط) وعمر حمد ، عضو الجمعية اللامركزية الشهير وتحسين قدري ، رئيس الديوان الملكي العراقي فيما بعد ، ورفيق التميمي وسليم عبد الرحمن ورستم حيدر والملازم محمود المغربي وخليل السكاكيني وسعيد البالي وعبد اللطيف ولطفي وحكمت العسلي والدكتور احمد قدري ونسيب البكري وزكي الدروبي ... الخ .

٨ ـ في حديث لسلطان باشا الاطرش .

٩ ـ سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٨٣ .

١٠ ـ حنا ابو راشد : المصدر السابق ص ٨٨ ـ ٨٩ .

١١ ـ اكد سلطان باشا الاطرش هذه الواقعة وقال انه نتيجة للتداول مع جورج صبدح وخليل سكاكيني وبعض رجالات الجبل ادرك ان الدولتين متفقتان على اقتسام النفوذ في البلاد ، وان سورية من نصيب الفرنسيين .

١٢ ـ حنا ابو راشد : المصدر السابق ص ٩٤ ـ ٩٥ ، يرجع بعضهم فكرة استقلال الجبل الى هذا الاجتماع ويذكرون انه تم الاتفاق فيه على ما يلي : «اولا : استقلال الجبل سياسيا وإداريا مع

حفظ جميع التقاليد والعادات المرعية بين العشائر . ثانيا : ايجاد العلاقات الودية والمحالفة الثلاثية بين الحجاز وسوريا وجبل الدروز على نقط ثلاث : أ – العرب تساعد الدروز والدروز تساعد العرب عند اللزوم . ب – لا سلطة فعلية او عسكرية لحكومة من الحكومتين السورية والحجازية على جبل الدروز . جـ – ان الدروز تعتبر الامير فيصل اميرا على سوريا ولكنها لا تعتبره اميرا على الجبل الا من الوجهة الادبية والعلاقات الودية والتشريفية . ثالثا : بعد اعلان الايمان المغلظة على تنفيذ هذه المواعيد تقرر الزحف على دمشق» . وقد نفى سلطان باشا واقعة هذا الاتفاق اذ عرضته عليه نفيا قاطعا . كان ايفاد حسين الاطرش للحصول على السلاح وتوقيت الثورة ولم تكن فكرة الكيان الخاص لتخطر على بال احد . ومن المحتمل ، بل من الارجح ان تكون فكرة الاتفاقية مدسوسة من قبل اتباع الفرنسيين لتأييدهم خطتهم في فصل جبل حوران عن سورية .

١٣ – بين اوراق نسيب البكري احدى هذه الرسائل : «الجيش الحجازي طهر مكة المكرمة من الاتراك وجيش الحلفاء المنضم اليه الجيش السوري قد افتتح بئر سبع عن طريق غزة في ٣١ اكتوبر ١٩١٧ ويافا في ١٦ نوفمبر والقدس في ٩ ديسمبر وعليه كن على استعداد مع رجال حزبك وقريبا سندخل جبلكم المنيع بواسطتكم .. والله ينصر العرب» .

١٤ – راجع قسم اللاحق رسالة سليم باشا الاطرش الى سلطان الاطرش .

١٥ – حنا ابو راشد : المصدر السابق ص ٨٨ .

١٦ – حنا خباز ودكتور جورج حداد : فارس الخوري ، حياته وعصره ، مطابع صادر ريحاني – بيروت ١٩٥٢ ص ٥٣ : «واختلف الرأي على اثر انذار غورو . قال فارس الخوري : لا شك في اننا قمنا بما يقتضيه الواجب وتقتضيه مصلحة البلاد . ولكن الشعب لن يقدر ذلك وسيزعم بأننا اضعنا عليه فرصة الانتصار وسيكون هناك من يقول دائما ليتهم رفضوا الانذار واختاروا الحرب والنضال» ، ساطع الحصري ، يوم ميسلون – بيروت ١٩٤٨ ص ١١٢ .

١٧ – مقابلة مع سلطان الاطرش .

18 — Arch. Aff. Etr. Turquie, Politique Interieure, dossier general vol XIX p. 7. et vol XX p. 109.

وهذا نص الكتاب :

رودس في ٢٥ مايو (ايار) ١٩١٣

سيدي القنصل .

اتشرف بأن اعرض لكم ما يلي :

كانت حكومة تركيا الفتاة قد نفتني لمعارضتي لها في بلادي ، داخل سوريا – (حوران بلاد الدروز) . فقد كنت دائما صديقا لفرنسا التي تتمتع في بلادي بأعظم نفوذ . وانني اذا أنعم الله عليّ بالرجوع اليها ، سأعمل كذلك على نشر المزيد من هذا النفوذ .

ان الجنرال اميغليو Ameglio يريد ان يسوقني ، من منفاي هنا ، الى ايطاليا مع سائر المنفيين . وبودي ان لا احشر مع الآخرين وإكراما لاسمي أن يطلق سراحي وان اغادر رودس وحدي .

ولما كنت اعرف مدى اقتدارك جئت ارجوك ان تقول للجنرال بأن لا يسوقني مع المنفيين الآخرين . وانني اذا حظيت بهذا المعروف لن انساه ابدا وسوف تكون بقية حياتي وقفا على اجلالكم وعلى تقدير فرنسا .» الختم : يحيى الاطرش .

19 — Arch. Aff. Etr. N.S. 122 p. 132.

٢٠ ــ حنا ابو راشد : جبل الدروز ، المطبعة التجارية الكبرى ، طبعة اولى ١٩٢٥ ص ١٠٤ — ١٠٥ وهو يطلق على اولى هذه الجماعات صفة الجمعية السرية ، جاعلا مركزها قرية عرمان ويورد عددا من اسماء اعضائها وكلها نكرات وتنتمي الى عدة قرى ، كذلك راجع : ملف عرائض التأييد وطلب الانتداب الفرنسي في :

Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 43 p. 95.

٢١ ــ سلامة عبيد : الثورة السورية الكبرى ص ٨٦ .

٢٢ ــ المنشور المؤرخ في ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠ موجود بكامله بين اوراق المرحـــوم علي عبيد .

٢٣ ــ راجع قسم الملاحق : برنامج استقلال الجبل .

٢٤ ــ سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٩٠ ، للاطلاع على النص الكامل لهذا الاتفاق يراجع : امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثالث ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ ، كذلك المقطم في ٢ اغسطس (آب) ١٩٢٥ .

25 — Raymond O'zoux : Les Etats du Levant p. 107.

عدد سكان هذه «الدولة» حينئذ كان يقرب من ٥١٫٣٢٨ نفسا منهم ٤٣٫٣٦٠ دروز مسلمـــون و٦٧٤ مسلمون سنيون و٢١١٢ كاثوليك و٤٨٥٦ مسيحيون غير كاثوليك ، وتبلغ مساحتها التي حددت بالقرار رقم ١٣٤٣ تاريخ ١٦ مارس (اذار) ١٩٢٢ بعشرة آلاف كيلومتر مربع تقريبا . الا انها تقلصت بعد الاتفاق على الحدود كتسوية لانهاء الثورة بين الفرنسيين والانجليز .

٢٦ ــ هزا بهم الشاعر الشعبي قائلا : اعضاء الوزارة صارت اليوم صبيان وفي المكتب الليلي تدندل لحاها .

٢٧ ــ العادة عند وفاة الزعيم ان يخلع الرئيس الروحي واحيانا مع زعماء آخرين عباءة على خليفة الزعيم المتوفي . ولما كانت قرية السويداء هي التي اصبحت مقرا للحكم باعتبارها تقع في ملتقى الطرق . لا قرية عرى ، «دار الدروز» صاحبة الحق التقليدي في الزعامة ، فان عبد الغفار الاطرش شيخ السويداء بات يعتبر نفسه أحق بمنصب الحاكم ، لذلك قال عند اختيار حمد الاطرش ، عم الامير سليم ليخلفه في الزعامة : «كل واحد زعيم بيته» .

٢٨ ــ المقطم في ٦ يوليو (تموز) ١٩٢٥ .

٢٩ ــ سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٩٦ .

٣٠ ــ حديث لشكيب وهاب احد رجال الثورة المعروفين . وكان المرحوم حسين مرشد يؤكد تلك المداولات بين رجالات البلاد للقيام بثورة ضد الفرنسيين .

٣١ ــ خير الدين الزركلي : عامان في عمان ــ مصر ١٩٢٥ : راجع بيان الامير عبد الله الى «كافة اخواننا السوريين» .

٣٢ ــ اسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ص ١٦٤ .

٣٣ ــ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ص ١٥٦ .

٣٤ ــ امين سعيد : الثورة العربيه الكبرى ، المجلد الثالث ص ٣٠٨ .

٣٥ ــ حسن الحكيم : مذكراتي ، صفحات من تاريخ سورية الحديث ، ١٩٢٠ ــ ١٩٥٨ جـ١ دار الكتاب الجديد ــ بيروت ١٩٦٥ ص ٢٤٢ .

٣٦ ـ كان الوفد مؤلفا من اكثر من (٣٢) شخصا يمثلون مختلف الاتجاهات والعائلات . راجع الاسماء في : سلامة عبيد : المصدر السابق ص ١١٨ حاشية رقم ٢ . وفي حسن الحكيم : مذكرات، ص ٢٤٢ .

٣٧ ـ سلامة عبيد : المصدر السابق ص ١٢٩ وهو يجمل عدد حملة نورمان Norman هذه (٣٠٠) شخص تقريبا في حين يقرر الرائد احسان الهندي في كفاح الشعب العربي السوري ص ١١٦ ان عددها لا يتجاوز ١٧٤ فردا .

38 — B. N. Paris : Le Temps 11 Aout 1925.

39 — B. N. Paris : Le Temps 14 Aout 1925 : Rapport du general Sarrail .

بينما ذكرت الطان استسلام اربعمائة جزائري للثوار في عددها :
Le Temps 24 Octobre 1925.

٤٠ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٤٧١ يذكر ان بعضهم التحق بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر في قرية سالة ومنهم من عاد الى الغوطة فابلى بلاء حسنا في قتال الفرنسيين ومنهم من ذهب الى عمان .

٤١ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

٤٢ ـ حنا ابو راشد : حوران الدامية ، طبعة ١٩٢٦ ص ٧١ ـ ٧٥ ، كذلك حسن الحكيم : مذكرات ص ٢٦٧ ٢٦٨ .

٤٣ ـ حنا ابو راشد : حوران الدامية ص ٩٤ ـ ١٠٠ وصل نسيب البكري ومعه الشيخ محمد حجازي شيخ مشايخ الطرق والاميرالاي يحيى حياتي في ١٩ اغسطس (آب) ثم جاء نزيه المؤيد وحسن تحسين وسعد الدين المؤيد والدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، ولحق بهم حسن الحكيم . وسعيد حيدر والدكتور خالد الحكيم ...

٤٤ ـ ظافر القاسمي : وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ ، دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٦٥ ص ٦٣ .

٤٥ ـ راجع نص حكم المحكمة الاستئنائية علي سعيد حيدر وحسن الحكيم واحمد عمر وتوفيق الحلبي في قسم الملاحق ؛ وفي تقريره عن الثورة اعترف القومندان دانتز Dentz بأن خطه الثورة هي توحيد جميع القوى الوطنية في كتلة واحدة وخلق ذهنية واحدة للنظر الى الامور فالزعيم الدرزي لا يعمل من اجل طائفته وانما للقضية السورية العربية . «وهدف الوطنيين ليس فحسب توحيد السوريين جميعهم من مسلمين ودروز وشيعة وانما العمل على ان يجعلوا من سلطان الاطرش زعيما لشعب يطالب باستقلال سورية في اطار دولة عربية موحدة . ان الشخصيات المعروفة في تحريضها من اجل الوحدة العربية تعمل اليوم .. فمركز الثورة ليس في الجبل : انه في حيفا وفي عمان ومرسين والقاهرة .. وحيثما يوجد العاملون للوحدة العربية ..»
Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol 193 pp. 95 - 102.

٤٦ ـ ظافر القاسمي : المصدر السابق ص ٧١ ـ ٧٤ .

47 — B. N. Paris : Le Temps 14 Aout 1925.

«ان عدد الهاربين من الدرك السوري للالتحاق بمعسكر الثورة كبير جدا» ، المقتبس في ٦ آب (اغسطس) «التحاق عدد من فرسان الفرقة السورية في القنيطرة بسلاحهم وخيلهم بالثورة» ، حكم الاعدام الصادر بحق بعضهم عن المجلس العدلي في المجلد الثاني ص ٦٣ وما بعدها تاريخ ٥ اذار

اذار (مارس) ١٩٢٧ .

٤٨ ـ تقرير الى عصبة الامم لعام ١٩٢٥ ص ٣١ «ان الدرك المحلي الذي كان حسن السلوك قد توقف منذ اول آب (اغسطس) عن القيام بواجباته واضحى العوبة في ايدي المتمردين» وكتب الجنرال غاملان Gamelin في تقريره المؤرخ ٣٠ـ١٠ـ١٩٢٥ عن حوادث دمشق ، انه «مما لا ريب فيه ان بعض افراد الدرك شاركوا الثوار في حملاتهم» ، راجع كتاب سكوت سراي ص ١٠٢ .

٤٩ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ ، ظافر القاسمي : المصدر السابق ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

٥٠ ـ البرق (البيروتية) في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٥ .

٥١ ـ امين سعيد : نفس المصدر .

٥٢ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

٥٣ ـ رات قيادة الثورة في هذه المنطقة ان تتريث في التقدم فتوجه الى الاهالي الرسالة التالية : الى اخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين : بلغنا .. ان بعضكم داخلهم خوف من وجود الحملة الوطنية في جوارهم فأخذوا ينزحون توهما منهم ان الثورة الوطنية قد تصيبهم بأذى ، فساءنا هذا الخبر وآلمنا جد الالم لانهم اخوان لنا لا فرق بينهم وبين اي كان من الطوائف الاخرى وثانيا لان عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما اسلفناه من البيانات التي اوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا الى مخاطبتكم بصفتكم الطائفية على حين اننا لم نفعل ذلك من قبل تنزيها للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية . ولكننا رأينا بعض السذج لم يدركوا الاغراض النبيلة التي ترمي اليها ثورتنا هذه فأسرعنا ببيانها على هذه الصورة تطمينا لهم . ونرجو عما قريب ان نثبت لكم وللملا ان حركتنا القومية تستند على مبدأ «الدين لله والوطن للجميع» ، راجع كذلك :
Le Temps 15 Novembre 1925.

٥٤ ـ المقطم في ٩ فبراير (شباط) ١٩٢٦ .

٥٥ ـ امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ص ٣٢٧ .

٥٦ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ص ١٨٠ ، امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ، كذلك راجع تقرير قائد الثورة في حماه ، فوزي القاوقجي ، الى الدكتور الشهبندر في : مذكرات ص ١٨٠ ـ ١٨١ ، الملاحق تقرير قائد الثورة فوزي القاوقجي ، المقطم في ١١ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٥ : «في الساعة السادسة مساء ابصر الاهلون نارا شبت على احد الجبال الواقعة شرقي حماه وبعد قليل سمعت طلقات نارية ثم اشتدت الطلقات على التوالي وشاهد الناس جموعا من الناس تهبط من شرقي المدينة قاصدة السراي فحسبوها من البدو ولكن ظهر انها من محلة الحاضر وقد اندفع المهاجمون الى السراي .. ولما لم يبق في السراي مقاوم اطلقوا سراح المسجونين واضرموا النار فيها ثم اندفعوا الى ابنية الديون العمومية والريجي والبنك السوري فحرقوها وانتشروا في المدينة وضواحيها .. وعند الصباح اعاد الثوار الكرة وهجموا على خان الجمرك وحطموا ابوابه وكان هناك اربعون عسكريا فرنسويا بادروا الثوار باطلاق النار ..»

٥٧ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .

58 — B.N. Paris : Le Temps 22 Aout 1925.

كذلك كتب الدكتور وايزل ، مندوب «الفوسيشي زيتونغ» وشركة «شتاين» الاخبارية النمساوية

في دراسته للثورة بعد مقابلة سلطان الاطرش وبعض الزعماء انه من الخطأ المبين الاعتقاد بأن الحركة تقتصر على جبل الدروز وان القصد منها فك قيود الدروز فجهاد الثورة وكفاحها في سبيل استقلال السوريين جميعهم ولاجل تأليف دولة سورية مستقلة تشمل بلاد العلويين ايضا . اما لبنان الصغير فالثورة تحترم استقلاله وتترك له الخيار .. وقد عرض الفرنسيون في المفاوضات استقلال الجبل الذاتي وسلموا بانتخاب حاكم من اهله ..» المقطم في ٧ ديسمبر ١٩٢٥ .

٥٩ – امين سعيد : المصدر السابق ص ٣١٢ .

٦٠ – امين سعيد : المصدر السابق ص ٣١٣ – ٣١٤ .

٦١ – حنا ابو راشد : المصدر السابق ص ٢٨٦ – ٢٨٧ ، امين سعيد : المصدر السابق ص ٣١١ – ٣١٢ ، ظافر القاسمي : المصدر السابق ص ١٦٢ – ١٦٣ ، لقد جمع امين سعيد ما وقع تحت يده من مناشير الثورةفكان اولها مؤرخا في ٢٣ آب (اغسطس) من عام ١٩٢٥ واخر في ٢١ ايلول (اكتوبر) الا ان احكام «المجلس العدلي» الصادرة بحق بعض الثوار تنوه بوجود مناشير اخرى تجعل احدها مؤرخا في اول تموز (يوليو) من عام ١٩٢٥ ، لعلها كانت تستند في ذلك الى مصلحة الاستخبارات .

٦٢ – راجع سلامة عبيد : المصدر السابق : قسم اللاحق .

٦٣ – راجع احد النماذج من الاوامر الصادرة من قيادة الثورة بهذا الشأن في قسم اللاحق .

٦٤ – راجع الحكم الصادر على شفيق القزاز وسالم الصويص الشنيبلي : في قسم اللاحق ، راجع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : المصدر السابق ص ٢١٠ فيما يتعلق بقرار احراق وهدم دور المتعاونين مع العدو .

٦٥ – مثال ذلك : قرار الجمعية العمومية بقضاء الاقليمينالغربي والشرقي تاريخ١٤ جماديثاني ٣٤٤ المبني على الامر الوارد من القيادة العامة لجيوش الثورة الوطنية «لاجل تأدية جميع المسلوبات، وكالمهد الذي أمضاه مشايخ عرمان وملح ومتان والهويا والحريسة وأبو زريق وشعف وبهم وتل اللوز وطيلين واقسموا فيه على هدر دم من يتعامل مع العدو ..

٦٦ – جاء في وقائع حكم المجلس العدلي ، الصادر في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٢٦ ، المجلد الاول ص ٤٨ : «حيث انه عثر بين الوثائق التي وجدت في جثة احمد مريود الذي قتل في ٣١ ايار ١٩٢٦ في معركة جباثا الخشب على قائمة موجهة من المجلس الوطني في الغوطة الى الثوار لاحاطتهم علما بالحوادث .

وحيث انه قد ذكر في هذه القائمة قادة فرق التقوية الذين وصلوا الى الغوطة حديثا ليشاركوا في العمليات المنظمة من قبل القائد العام وان اعضاءها هم : محمد شرف ومحمد ابو يحيى وناصيف النصار وحكمت العسلي وأديب العسلي وزيد عامر وابراهيم ابو سالم وابو حمزه » كذلك المجلد الثاني ص ٦٣ وما يليها ، والمقطم في ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٥ .

67 — B.N. Paris : Le Temps 6 Novembre 1925.

٦٨ – راجع نظام هذا المجلس والمضابط المرفقة به في قسم اللاحق .

٦٩ – راجع بعض الرسائل المتبادلة بين قيادة هذا المجلس والقيادة العليا للثورة في قسم اللاحق .

٧٠ – راجع القرار الصادر بهذا الشأن عن القيادة العامة لجيوش الثورة السورية الوطنية ، في قسم اللاحق .

٧١ ـ اسعد داغر : المصدر السابق ص ١٦٤ .

٧٢ ـ ظافر القاسمي : المصدر السابق ص ٩٨ .

٧٣ ـ الكتاب الذهبي لجيوش الشرق ، الترجمة العربية ص ١٩٨ .

الفصل السادس

١ ـ من حديث سلطان الاطرش في مقابلة خاصة مع المؤلف .

٢ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، سلامة عبيد : المصدر السابق ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

٣ ـ بلاغ اصدره ثلاثة من شيوخ «المقل» هم : احمد الهجري وحسن جربوع وعلي الحناوي بتاريخ ١٢ رمضان ٣٤٤ جاء فيه : «قد اتفقت الاراء على تأييد القرار السابق المتخذ في قرية شقئا بسوق ربع رجال القرية الى جبهة الحرب بصورة دائمة في اي موقع كان ..» وطالب البلاغ بوضع قوائم رسمية بعدد رجال كل قرية بدون استثناء ما خلا العاجز والولد .

٤ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : نفس المصدر السابق ص ٢١٨ (كلمة الناشر) .

٥ ـ منير الريس : المصدر السابق ص ٣٦٦ .

٦ ـ يذكر علي عبيد في مذكراته ان الثوار وعامة الناس في الجبل ظلوا زمنا طويلا يعللون النفس بالاشاعة التي روجها بعضهم ، تحميسا وتشجيعا واذكاء لنار الحمية ، بأن جيش «الاخوان» اي جيش الوهابيين بعد نفسه لنجدة الثورة وينتظر قدومه بين حين وآخر . وطال انتظاره عبثا ولم يأت . والحقيقة ان بعض قادة الثورة تبادلوا الرسائل مع معتمد ابن سعود في كاف على حدود الاردن . ومن مراجعة بعض هذه الرسائل الموجودة بين اوراق المرحوم علي عبيد يتضح انه لم يكن في نية ابن سعود تقديم اية مساعدة حربية ؛ ومن جانب آخر يذكر الجنرال ساراي في برقيته الى الخارجية الفرنسية من بيروت ، بتاريخ ٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٥ ان ممثل نجد في دمشق عرض عليه استعداد نجد للقيام بهجوم على الدروز .. «فشكرت له سعيه وقلت له انني سوف اتذكر اذا احوجني الامر الى ذلك ، هذا العرض السخي» .

Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol 193 p. 12 No 371 / K

ولعل ممثل نجد قد اندفع الى هذا العرض ـ اذا صح ـ متأثرا بالاشاعات التي اطلقت في بدايات الثورة ، انها تندلع استجابة لدواعي الهاشميين .

٧ ـ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : نفس المصدر ص ٢١٥ .

٨ ـ مقابلة خاصة جرت معه في القاهرة مساء الجمعة الواقع في ٨ـ١٠ـ١٩٧١ ذكر فيها انه كتب بذلك متأثرا . الى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر . وفي ١٥ يوليو (تموز) من عام ١٩٢٨ حصل نزيهالمؤيد على هذه الرسالة فنقلفترة منها فيمقاله: «الدعاية السعودية» فاضطر احسانالجابري الى الرد عليه عاتبا كيف يخون الشهبندر الامانة وينسى العرف وادب المعاشرة التي تحرم افشاء ما يرد في التحارير الخصوصية . المقطم في ١١ اغسطس (آب) ١٩٢٨ .

٩ ـ حديث سلطان باشا الاطرش مع المؤلف .

١٠ ـ راجع وصف ما اصاب دمشق من تدمير وحرائق نتيجة ضربها بالقنابل وتقدير الاضرار

والخسائر في قصر العظم الاثري ، وقدرتها بعض الانباء بأكثر من عشرة ملايين دولار : Le Temps 1e. Novembre 1925 . كذلك وصف مشهد ٢٤ قتيلا عرضتهم سلطات الانتداب في ساحة بحي الميدان في Le Temps 24 Octobre 1925 ، تم فرضت السلطات فضلا عن ذلكجباية ٤٠٠٠٠ جنيه ذهب وتأدية ٣٠٠٠ بندقية ، وفي ٢ نوفمبر ذكرت الطان تسليم ثلاثة آلاف بندقية

11 — B.N. Paris : Le Temps 31 Octobre 1925 et 1er et 2 Novembre 1925 .

١٢ ـ المقطم في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٥ وقد نشر ما يلي : «على اثر رواج اشاعات التفاوض تلقينا هذا البيان :

القيادة العامة

للثورة الوطنية السورية

جبل الدروز

شاع في داخل البلاد وروى بعض الجرائد ان اشخاصا كثيرين في جهات مختلفة يستعدون لمفاوضة المندوب السامي الافرنسي الجديد في شؤون سورية ومستقبلها واظهار رغبانها باسم الثوار الذين قابلوا الموت وقاوموا جيش الاستعمار المجهز بكل معدات الحرب . وحيث ان هؤلاء لم يقوموا بهذه المعادات الا لانقاذ الوطن وتحريره فهم لا يقبلون بما هو دون ذلك ولا بأن يتكلم بلسانهم احد غير الذين كلفناهم ونكلفهم بنشر مطالبنا وابلاغها العالم المتمدن وجمعية الامم وكل ما يجري من المفاوضات في طي الكتمان عنا وعنهم لا نتيجة له ولا يرجعنا عن عزمنا في جهادنا الوطني حتى تحقق اماني سورية ولاسيما بعد النكبة العظيمة التي انزلها ممثلو الانتداب باخواننا الدمشقيين وسكان الغوطة . فلاجل ان يكون كله معلوما لدى الجميع نرجو نشر هذا البيان في جريدتكم ولكم الفضل.

١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ قائد الثورة العام

الختم

13 — Le Temps 9 Novembre 1925 : Programme de Mr de Jouvenel (B.N. Paris) .

١٤ ـ تلك البنود الستة ، كما نشرتها المقطم في ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٥ هي : «١ ـ وقف حالة الحرب ، ٢ ـ اصدار عفو عام ، ٣ ـ اقالة حكومة صبحي بركات التي تسمي نفسها حكومة سوريا ، ٤ ـ عقد جمعية وطنية ، ٥ ـ اعلان الوحدة السورية ، ٦ ـ تعويض الخسائر والاتلاف التي نشأت عن عمل القوات العسكرية في مدن سوريا وقراها» .

١٥ ـ المقطم في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٥ .

١٦ ـ نشرة اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني : القضية السورية ، وثائق مهمة ـ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ : تقرير السيد نجيب الارمنازي الى اللجنة . عن اتصالاته في باريس ص ٦ ـ ١٣ كذلك برقية جورج لطف الله وكتاب الامير شكيب ارسلان .

١٧ ـ اسعد داغر : نفس المصدر السابق ص ١٦٧ .

١٨ ـ القضية السورية : المفاوضات مع المسيو دي جوفنيل في باريس ومصر وبيروت ـ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ . المطبعة العربية بمصر ص ٢٣ ـ ٢٩ .

١٩ ـ المصدر السابق ص ٣٠ ـ ٣١ ، امين سعيد : المصدر السابق ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

20 — B.N. Paris: Le Temps 4 Decembre 1925 .

نص الرد الكامل في عدد ١٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٥ .

٢١ ــ بيان اللجنة ص ٣٤ ــ ٣٩ وذكر البيان تلك القواعد على النحو التالي : ١ ــ تدعى لجنة تأسيسية للاجتماع بطريق الانتخاب العام المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية ، ٢ ــ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية منطبقاً على كرامتها ، ٣ ــ يفصل في مسألة الوحدة السورية في المستقبل بين اولي الشأن انفسهم، ٤ ــ تنشأ ادارة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة البلاد ، ٥ ــ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فانه يبقى لاهله . راجع : حنا ابو راشد : المصدر السابق ص ٣٠٨ ــ ٣١٤ الرسائل المتبادلة بين اللجنة والمفوض السامي في القاهرة .

٢٢ ــ القضية السورية : المصدر السابق ص ١٣ ــ ١٤ .

٢٣ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٨٢ .

٢٤ ــ القضية السورية ، المصدر السابق ص ٤٣ وما يليها .

25 — B.N. Paris : Le Temps 24 Decembre 1925, 8 Fevrier 1926 .

«في هذا اليوم يجتمع مجلس اخوانكم اللبنانيين الذي انتخبوه وقد كلفته المناقشة في القانون الاساسي وانتخاب حكومة البلاد ولو كان امر السلام مستتبا في دولتي سورية وجبل الدروز لاصبح لهما جمعية تأسيسية وقانون اساسي وحكومة ..»

٢٦ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٨٤ ؛ راجع كذلك تقرير نجيب الارمنازي الى اللجنة التنفيذية في المصدر السابق ص ٤٦ .

٢٨ ــ تقرير نجيب الارمنازي الى اللجنة التنفيذية ؛ كذلك امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٨٥ .

29 — Le Temps 6 Janvier 1926 (B.N. Paris) .

٣٠ ــ العهد الجديد (جريدة) تصدر في القدس ، في ٧ شباط (فبراير) ١٩٢٦ من اوراق نسيب البكري ، المقطم في ٢٤ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٢٥ .

٣١ ــ اوراق المرحوم نسيب البكري .

٣٢ ــ تنشر المقطم في ١٣ و١٤ و٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ مراسلات عبد الغفار باشا الاطرش مع الامير امين وبواسطته الى المفوض السامي المرسلة بصحبة الشيخ اسماعيل عبد الدين وبينها التصريح الخاص بتنقل الرسول ورسالة بتوقيع : «الشعب الدرزي» .

٣٣ ــ المقطم في ١٠ فبراير (شباط) ١٩٢٦ .

٣٤ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٨٥ اما المقطم في عدده تاريخ ١٨ يوليو (تموز) ١٩٢٦ فقد جعلها على النحو التالي : ١ ــ تأليف حكومة وطنية ، ٢ ــ انتخاب مجلس تأسيسي (جمعية وطنية) ، ٣ ــ المحافظة على الوحدة السورية ، ٤ ــ اعلان عفو عام ، ٥ ــ عقد معاهدة بين فرنسا والجمعية الوطنية والرجوع في كل خلاف بينهما الى عصبة الامم .

35 — B.N. Paris : Le Temps 25 Decembre 1925 .

٣٦ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص‌ص ٣٨٧ ــ ٣٩١ .

٣٧ ــ في حين يجعل امين سعيد في المصدر السابق ص ٣٩١ هذه الاستقالة بتاريخ ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) يجعلها ريمون اوزوكس Raymond O'zoux في ٢١ منه .

٣٨ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٩٣ ــ ٣٩٤ .

٣٩ ــ المقتبس (الدمشقية) في ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ وقد اوردت اسماء الوزراء على النحو التالي : فارس الخوري للمالية ، مصطفى برمدا للعدلية ، الشيخ نوري الكيلاني للداخلية ، غالب ابراهيم باشا للاشغال العامة ، كذلك المقطم في ٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ .

٤٠ ــ البشير ، المقتبس في ١٢ و١٣ يناير (كانون الثاني) .

٤١ ــ المقتبس في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ .

٤٢ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٨٨ : «١ ــ لا يعاقب بأعمال العصيان الذين اشتركوا مع العصابات الثائرة التي اقلقت الامن العام سنة ١٩٢٥ اذا لم يرتكب هؤلاء جريمة خاصة ولم يتولوا قيادة العصابات اذا مثلوا لدى السلطة العسكرية قبل ٨ يناير ١٩٢٦ وقدموا اسلحتهم لاجئين الى منازلهم . ٢ ــ ان الذين يعرف عنهم انهم كانوا رؤساء عصابات ثائرة تتخذ بحقهم تدابير فردية تقرر وفقا لاهمية الدور الذي مثلوه ووفقا للظروف التي قدموا فيها خضوعهم ومع هذا فاذا قدم رؤساء تلك العصابة خضوعهم قبل ٨ يناير ١٩٢٦ لا ينفذ بحقهم الاعدام الذي يصدر عليهم لاعمال العصيان التي بدرت منهم . ٣ ــ ان الاحكام المقررة اعلاه مستقلة عن الغرامات وحجز الاموال التي قد يحكم بها قصد التعويض على الضحايا وبدل العطل المتسبب من الفتنة» .

٤٣ ــ وهم عثمان الشرباتي ، توفيق شاميه ، جميل مردم بك ، عبد المجيد الطباخ ، عمر الطيبي ، خالد الشلق ، احسان الشريف .

٤٤ ــ البشير في ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ المقتبس في ١٥ منه : كتاب دي جوفنيل الى بيير آليب Pierre Alyppe .

45 — Raymond O'zoux; opt. cit p. 80 .

٤٦ ــ المهد البيروتية في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ .

٤٧ ــ المقطم في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ .

٤٨ ــ الاحرار البيروتية في ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ وقد وقع عليه : عاكف الجابري ، عبد الحميد الجابري ، ابراهيم هنانو ، المهندس اسماعيل باتي ، الطبيب رامز باقي ، الطبيب عبد الرحمن الكيالي ، الصيدلي سعاد حلبي ، المحامي عبد القادر سرميني ، الصيدلي نعمان ونس ، رشيد كتخدا ، مصطفى كتخدا ، النائب محمد ربيع المنقاري ، الصيدلي احمد الكواكبي ، المحامي احمد منير الوفائي ، عبد الودود كيالي ، صبحي الاميرلي ، المحامي احمد راشد المرعشي ، اسعد ابراهيم باشا ، النائب محمد فاخر الجابري ، الشيخ طاهر الكيالي ، محمد زكي ميسر ، الحاج نوري الجسر ، احمد الرفاعي .. وكثيرون غيرهم ..

٤٩ ــ المقطم في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ ، امين سعيد : المصدر السابق ص ٤٠٤ .

٥٠ ــ التقدم الحلبية ، الف باء ، المقتبس في ٧ و٨ و٩ و١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ ، المقطم في ١٤ منه .

٥١ ــ المقطم في ١٥ يناير (كانون الثالي) ١٩٢٦ ، امين سعيد : المصدر السابق ص ٤٠٤ .

52 — Raymond O'zoux : opt. cit p. 81.

٥٣ ــ المقتبس ، الف باء في ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ .

٥٤ ــ لطفي الحفار للزراعة (من دمشق) ، حسني البرازي للداخلية (من حماة) ، فارس الخوري للمعارف (من دمشق) .

٥٥ ـ راجع برنامج وزارة الشيخ التاج التي لم يتم تاليفها في أمين سعيد : المصدر السابق ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ وبرنامج وزارة الداماد الملحق ببيانها في ص ٤٣٢ من نفس المصدر .

٥٦ ـ لطفي الحفار : ذكريات ، جمع وجيه بيضون ص ٨٦ .

٥٧ ـ محمد الفرحاني : فارس الخوري وأيام لا تنسى ، بيروت ١٩٦٥ ص ٦٢ .

٥٨ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المراحل جـ١ ص ٥٣ ، وجيه بيضون : المصدر السابق ص ٨٧ ـ ٨٨ ، محمد الفرحاني : المصدر السابق ص ٦٢ .

٥٩ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص‌ص ٤٢٧ . ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، كان الاعتداء الاول على حي الميدان بدمشق في ١٧ فبراير (شباط) والاعتداء الثاني صباح ٢٦ ابريل (نيسان) والثالث في ٧ مايو

٦٠ ـ الف باء والمقتبس السوريتين . البشير وصوت الاحرار اللبنانيتين في ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٢٦ .

٦١ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٤٢٨ .

٦٢ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٤٢٩ .

63 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol 37 p. 102 No 1307.

«انه ـ الداماد ـ على راس الحزب الديموقراطي الاسلامي . وهذا الحزب تدعمه المحافل الماسونية والشرق الاعظم الفرنسي الذي يعتمد عليه الداماد احمد نامي لنجاحه في المهمة القادم من اجلها الى فرنسا ..»

64 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 230 p. 119 N 772 / K.

الفصل السابع

١ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٣٨١ . اسعد داغر : المصدر السابق ص ١٦٩ . نشرة اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني تاريخ يناير ١٩٢٦ .

٢ ـ تكلم دي جوفنيل امام لجنة الانتدابات فقال ان مرد انتفاض بعض المناطق في دمشق وحمص وحماه على الانتداب الى عدم استقرار روح الشرق واكد ان المعارضين اقلية وان وصول الشعب الى ان يحكم نفسه بنفسه يجب ان يتم عن طريق التعليم لتخريج رجال يصلون الى ادارة ثابتة ومستقرة عملا بتوكيل الشعب لهم : المقطم في ٢٧ و٣٠ يوليو (تموز) ١٩٢٦ .

٣ ـ سلامة عبيد : المصدر السابق ص ١٩١ : «وقف الشيخ اسماعيل الحريري ، شيخ مشايخ حوران في وجه القوات الفرنسية الزاحفة الى الجبل فتدخلت الطائرات الفرنسية لتفريق الهياج العام . فاضطر اسماعيل الحريري الى اللجوء الى شرق الاردن‌ثم التحق بالثوار في اللجاة رغم تقدم سنه وعدم تعوده على شظف العيش وحرب المصابات .»

4 — Le Temps 29 Novembre 1925; 2 - 3 Janvier 1926 (B.N. Paris).

٥ ـ راجع بعض قصائد الشيخ صالح عمار والمجاهدين ريد وصباح الاطرش .

٦ ـ علي عبيد : مذكرات (مخطوطة) .

٧ ـ يروي علي عبيد في المصدر السابق ص ٢٤ ـ ٢٥ ان الثوار ، في معركة تيصما وهي المعركة قبل الاخيرة ، قتلوا للمتطوعة ٥٢ فرسا وثلاثة جنود فقط .

٨ ـ المقطم في ٥ فبراير (شباط) ١٩٢٦ . راجع وصف تفتيش المنازل بحثا عن السلاح وتنفيذ البلاغ القاضي بجمع ثلاثة آلاف بندقية ، المقطم في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٢٦ : راجع توقيع غرامة الف ليرة ذهبية على اهالي مأذنة الشحم عقابا على مقتل جندي فرنسي .

٩ ـ راجع نص واحد من هذه التعهدات في الملاحق . وكانت سلطات الانتداب تتلو صيغة شبيهة به على شكل بلاغ على اعيان كل قرية بعد ان تدعوهم الى اجتماع عام في الساحة .

10 — Le Temps 26 Novembre 1925. (B.N. Paris) .

11 — L'Illustration 17 Avril 1926 (B.N. Paris).

١٢ ـ عبد الله بن الحسين : مذكراتي ص ١٨٠ : «ان رضيت العاصمة الاموية ان تكون مستعمرة فرنسية فالجزيرة لا ترضى وستأتيكم غضبى ..» وقد اعتبر السوريون هذا الكلام وما رافقه من بيانات ولحق بها زحفه الى عمان على راس ما يقرب من الفي جندي من البدو على شكل جيش نظامي انه يرمي فعلا الى تحرير سورية . كذلك خمن الفرنسيون نوايا للهجوم على سورية وراء الدعوات التي وجهها عبد الله الى بعض زعماء القبائل للافانه الى معان : Arch. Aff. Etr. Levant 1918-1919 Arabic vol. 12 p.135 والحقيقة ان الامير عبد الله لم يكن ملك ارادته لو انه رغب في ذلك. ثم ان ساراي يؤكد بأن عبد الله لم يلبث ان اوفد اليه رسولا يطمئنه بعدم مناصبته العداء للفرنسيين ويعرض عليه قدومه بنفسه الى بيروت :

Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol. 193 p. 70 - 71 .

١٣ ـ المقطم في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٢٧ وهذا نصه : «بما ان البلدان حول الازرق اصبحت بحالة قلق ـ اعلن لاشعار آخر ـ ان المنطقة المبينة فيما يأتي هي خاضعة للحكم العرفي وكل شخص ضمن هذه المنطقة يخالف اوامر السلطة العسكرية يعرض نفسه للمحاكم امام مجلس عسكري ويجازى بالعقوبات التي تشير بها السلطات العسكرية . ان المنطقة المعلن فيها الحكم العرفي هي محاطة بخط بين المراكز الآتية : من تلول الرقيات ـ حمام الصارة ـ قصر العمرة ـ ومن آخر نقطة واقعة الى جنوب تلول الشيهات ـ شمال تخوم شرقي الاردن الحالية» .

١٤ ـ المقطم في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٢٧ .

١٥ ـ المقطم في ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٢٧ .

16 — Arch. Aff. Etr. Levant 1918 - 1929 Syrie - Liban vol 224 p. 112 No 325 - 326 .

١٧ ـ لجنة ٣٣ المدابغ و٤٥ عابدين نسبة الى مقر كل منهما .

١٨ ـ راجع اهم البيانات الصادرة عن اللجنتين في : المقطم في ٢٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٢٧ محضر الاجتماع المعقود في منزل الشيخ محمد رشيد رضا بتوقيعه وتواقيع جمال الحسيني وخير الدين الزركلي واسعد داغر ، وفي ٢٣ منه بيان مكتب الاستعلامات السوري التابع للجنة الاخرى (جناح الامير ميشيل لطف الله والدكتور عبد الرحمن الشهبندر) ، ثم في ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ منه على التوالي . (المقطم في ٢ نوفمبر ـ تشرين الثاني) تصريح لاحسان الجابري يعلل فيه سبب الغاء رئاسة الامير لطف الله للجنة بخلاف سابق بين الوفد السوري وآل لطف الله حينما كانوا في باريس . ثم تعدى الخلاف الوفد فأصبح الوفد واللجنة وجميع أفراد الامة في جانب وآل لطف الله

في الجانب الاخر لان الخلاف كان مبدئيا يتعلق بأخذ اساسات القضية وبأماني الامة التي لا يمكن التساهل بها» . المقطم في ٣ نوفمبر تكذيب احسان الجابري لوجود خلاف بين اعضاء الوفد في جنيف ، وفي المقطم ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ مقال لخالد الحكيم ردا على اسعد داغر دفاعا عن الشهبندر وتمجيدا فيه .

١٩ ــ البلاغ (المصرية) في ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ وقد وقع البيان احمد زكي باشا واحسان الجابري اما الوسيط الثالث وهو الحاج امين الحسيني فقد استدعي الى فلسطين لامر هام وفوضهما بالتوقيع والنشر . وذكر البيان ان : الشيخ محمد رشيد رضا وشكري القوتلي ونبيه العظمة وخير الدين الزركلي واسعد داغر وعبد اللطيف العسلي والدكتور سعيد عودة والحاج اديب خير وسعيد الترمانيني مثلوا الفريق الاول . ومثل الفريق الثاني : الامير ميشيل لطف الله والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وحسن الحكيم وتوفيق اليازجي والدكتور خالد الخطيب وتوفيق حيدر ونقولا حداد ومن يقول بقولهم ، كذلك راجع المقطم في ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ .

٢٠ ــ اليرموك في ١٥ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٢٧ : من اوراق المرحوم نسيب البكري .

٢١ ــ اوراق المرحوم نسيب البكري ، راجع كذلك حول خلاف اللجنة المركزية للمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهرة :

البلاغ ٢٦ اكتوبر ١٩٢٧ ؛ كذلك عدد ٢ و٣ و٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٧ .

٢٢ ــ المقطم في ٥ يوليو (تموز) ١٩٢٨ .

٢٣ ــ المقطم في ١١ اغسطس (آب) ١٩٢٨ : قال في رده ، انه ينقل من الرسالة نفسها ، بعد حذف ما لا يجوز ذكره هنا ، الفقرة موضع التعليق كما جاءت فيها وهي : «ونظرا للاخبار الموثوقة التي وصلتني هذا الاسبوع .. (فان ذلك) ناشيء عن اسباب قاهرة وهي ... وقد ظهر بكل وضوح ان ليس ثمة تقصير او عدم اهتمام يؤاخذ عليه جلالة ملك الحجاز ونجد» .

٢٤ ــ وقد بلغ عددها سبعة : الاولى بلا تاريخ ، والثانية في ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ ، الثالثة في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ ، الرابعة في فبراير (شباط) ١٩٢٨ ، الخامسة في اول يونيو (حزيران) ١٩٢٨ ، السادسة في ٨ يونيو (حزيران) ١٩٢٨ ، السابعة بلا تاريخ وهي بعنوان «الامير شكيب ارسلان في ثوبه الحقيقي» .

٢٥ ــ المقطم في ١٨ و١٩ يونيو (حزيران) ١٩٢٩ بتوقيع عبد الوهاب مغربيه يدافع عن الامير شكيب ويعدد خدماته في زمن الدولة العثمانية وتشبثه ؛ رغم ما في ذلك من خطورة ؛ للافراج عن الوطنيين .. المقطم في ٨ يونيو (حزيران) ١٩٢٨ بقلم اليوزباشي محمد ابراهيم لطفي المصري دفاعا عن الامير شكيب .. المقطم في ٢٧ مايو (ايار) ١٩٣١ بتوقيع ملاحظ : قال بينما كان رياض الصلح منفيا في الاناضول عام ١٩١٥ كان نزيه المؤيد موظفا للتحري في بوليس يافا . وبينما كان رياض الصلح منفيا في كورسيكا مع اعضاء مجلس ادارة لبنان كان نزيه المؤيد مسجونا من قبل حكومة بلاده الوطنية بتهمة العمل ضد سلامة وطنه مع الفرنسيين .

٢٦ ــ المقطم في ٩ يونيو (حزيران) ١٩٢٩ : «اما وقد بلغ التفكك والانقسام بين الهيئات السورية الاستقلالية في الداخل والخارج حدا يتعذر معه التصافي والاتحاد والتعاون على انقاذ البلاد لا ارى غضاضه بأن اصرح من جراء ذلك بعجزي شخصيا عن القيام بأية خدمة مشتركة للوطن وان اعلن انسحابي في الحالة الراهنة من ميدان الحياة المذكورة محتفظا بروابط الصداقة الوثيقة

التي تربطني بالكثيرين فيها ومؤيدا كل عامل مخلص يسعى لتحقيق ما تنشده الامة من حرية واستقلال». القاهرة في ٨ يونيو .

٢٧ ـ المقطم في ١٤ مايو (ايار) ١٩٢٩ : مقال لنزيه المؤيد العظم نفسه حول رحلته مع المستر كراين الى نجد في منتصف يناير (كانون الثاني) ١٩٢٧ ، وهي الرحلة التي كان ينوي القيام بها عقب زيارته لسورية في عام ١٩٢٢ . وقد عثر يوما لدى تفتيش منزل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر على شيك بتوقيع المستر كراين فعلل استلامه له باعداد هذه الرحلة ومن اجل دفع نفقات زهرة العابد واليس قندلفت للالتحاق بجامعات امريكا على نفقة المستر كراين الخاصة ، ثم مقال حول زيارتهما لصنعاء . ومن فرط اعجاب كراين بالحفاوة التي لقيها عند امام اليمن قرر ان يبعث اليها عددا من المهندسين ليروا احتياجاتها . ولدى وصوله الى امريكا اختار مهندسين اثنين احدهما مختص بالمناجم والآخر بالطرق وطلب الى نزيه المؤيد مرافقتهما ففعل بكل سرور .. ثم عاد مستر كراين فأرسل مهندسا آخر ومعه عدة طلمبات ميكانيكية وسانية تدار بالريح (ناعورة هواء) رافقه كذلك نزيه المؤيد العظم في هذه «النزهة» الى اليمن لتقديمها الى الامام ..

٢٨ ـ جورج انكيري صاحب جريدة جورنال دي كير Journal du Caire وقد اتهمت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني (فرع المدايغ) الامير ميشيل لطف الله بعلاقته بهذا الصحفي وبدوره في لجنة فرنسا ـ سوريا .. الخ فنفى ان يكون لهذا الصحفي اي دور في مفاوضاته مع فرنسا وفي علاقاته مع بونسو او غيره . الا ان وثائق وزارة الخارجية الفرنسية تؤكد وجود وساطة لهذا الصحفي . كما تشير الى انه كان ينبىء دوائرها بتحركات الامير ميشيل لطفالله. فيما يتعلق بالاتهامات والرد عليها راجع اعداد المقطم في ٢٥ ابريل (نيسان) وفي ٥ مايو (ايار) و١٠ مايو ١٩٢٨ .

٢٩ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق ـ ملف الحركة العربية ، الوثيقة ٦٧/٨٦ وهي رسالة خطية من الامير شكيب ارسلان الى الدكتور احمد قدري وفيها ما يفيد عن علاقته بالخديوي وبالملك فيصل وبالملك عبد العزيز آل سعود . راجع نصها في قسم الملاحق .

٣٠ ـ راجع قسم الوثائق .

٣١ ـ حديث سلطان الاطرش .

٣٢ ـ حديث سلطان الاطرش .

٣٣ ـ المقطم في ١٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٥ : عزا البيان تشتت آراء الثوار الى وجودهم في مناطق متفرقة وانطلاقا من فكرة توحيد الآراء وتجديد الاخوة والثقة فيما بينهم حرصا على الغاية الوطنية لان البلاد الممزقة لا كلمة لها تقرر انتخاب هيئة مخصوصة تسمى : «اللجنة التنفيذية لادارة شؤون المجاهدين المنكوبين» برئاسة القائد العام وأن تودع جميع التبرعات التي ترد لاي شخص كان من اللجنة او من غيرها ، باسم الثوار . في البنك العربي . كما طالب البيان بارسال ما تجود به النفوس الى البنك العربي مباشرة . وتقرر توزيع الاعانات بمعرفة بعض الاعضاء الذين تنتدبهم اللجنة المذكورة . ولم يسم اعضاؤها .

٣٤ ـ المقطم في ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ : كان اعضاء اللجنة الموقعون على البيان هم : الامير عادل ارسلان رئيس اللجنة (حزب الاستقلال) سلامه النجم الاطرش ، محمد عز الدين ، عبد القادر سكر ، علي عبيد .

٣٥ ـ المقطم في ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٨ اذاع البيان نزيه المؤيد العظم وقال انه طبق

الاصل لبيان موقع من : عبد القادر القواص ، عبد الكريم رمضان المدفعي ، مظهر البكري ، نزيه المؤيد العظم ، الدكتور خالد الخطيب ، توفيق هولو حيدر ، الشيخ توفيق سوقية (قاضي الغوطة)، عادل الحامدي ، ابو عجاج ابراهيم الشيخ .

٣٦ ــ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : اوراق احمد قدري . راجع صورة الرسالتين : الاولى الموجهة الى الدكتور احمد قدري وباسمه والثانية المطلوب منه ارسالها الى الملك فيصل . وتجدهما كذلك في قسم الملاحق .

٣٧ ــ سلامة عبيد : نفس المصدر السابق ص ٢١٠ .

٣٨ ــ راجع تصريحات متعب الاطرش لمراسل المقطم في بيروت ــ اثناء اقامته الاجبارية في لبنان حيث اتهم لجنة الاعانة بسوء الاستعمال وذكر انه لم يوزع على الثوار اكثر من ثمانية آلاف ليرة مصرية في حين تبلغ الاموال المجموعة عشرات الآلاف .. المقطم في ٢ يوليو ١٩٢٧ .

٣٩ ــ راجع الوثيقة في قسم الملاحق .

٤٠ ــ كانت هذه اللجنة مؤلفة من امين الحسيني رئيسا وعادل ارسلان سكرتيرا ومحمود الداودي لامانة الصندوق وموسى الديري واحمد حلمي باشا ونبيه العظمة وعوني عبد الهادي والدكتور حسام الدين ابو السعود وجمال الحسيني اعضاء .

٤١ ــ المقطم في ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٧ .

٤٢ ــ الاصلاح (مجلة ادبية انتقادية تصويرية جامعة ــ بونس ايرس ــ الارجنتين) السنة الرابعة عدد ابريل ١٩٣٢ : ومن نص الكتاب الذي تلقاه مدير تحريرها الدكتور جورج صوايا من سلطان الاطرش ، وقد جاء فيها : «.. اخذت رسالتكم الطيبة المرفوق فيها شيكا قيمته اربعون جنيها انجليزيا اعانة لاخوانكم المجاهدين .. ان المجاهدين وان كانوا قد انقسموا قبل اليوم ولكن الطوارىء النازلة بالبلاد اليوم وما يتهدد مستقبلها من ويلات منظرة جماتهم يدركون جميعا بأن الاتحاد هو القوة الوحيدة التي نستطيع مقابلة خصومنا بها .. وقد اتخذنا جميع التدابير لعودة المياه الى مجاريها قريبا وعما قريب سيجتمع الجميع في صعيد واحد ولا يخشى تفرقهم ان شاء الله ....» ومن الحديثة في وادي السرحان ، في ٢٥ نيسان ١٩٣٠ ، كتب سلطان الاطرش الى السكرتير العام لحزب سوريا الجديد في المهجر : «.. وقبل ان أختم رسالتي هذه اسمحوا لي ان أطمئنكم بأن جميع المجاهدين في الصحراء بعد ان وقاهم الله شر المفسدين الذين حاولوا غير مرة شطر صفوفهم والحاق الحيف بهم خدمة لمصالحهم الذاتية والذين نرجو الله ان يقيكم شر فسادهم لتبقى اعمالكم المجيدة خالصة لوجه الله والوطن ، بعيدة عن كل تأثير من شأنه ان يعرقل نجاح قضيتنا ، فانهم وان تباعدت منازلهم لكن قلوبهم واحدة وشعورهم واحد ... وعما قريب سوف ترون الجميع في مربض واحد متلاصقي أوتاد الخيام يسيرون في صف واحد الى الامام ..» المقطم في ٤ مايو ١٩٣٠ .

٤٣ ــ اسعد داغر : نفس المصدر ص ١٦٥ .

٤٤ ــ المقطم في ٢٩ يوليو (تموز) ١٩٢٧ : انه من ستة بنود اجمعت الهيئات الوطنية في داخل سورية وخارجها على المطالبة بتحقيقه وجعلت تنفيذه شرطا لحسن التفاهم الجديد ، المقطم في ١٩ يوليو (تموز) ١٩٣٠ مقال لمحمد بدر الدين الخطيب بعنوان : عبد الرحمن الشهبندر : رايه في القضية العربية وفي مسالة سوريا .

٤٥ ــ ثورة سورية الكبرى ، اسرارها وعواملها ونتائجها (مذكرات زعيمها الشهيد الدكتور الشهبندر) ، منشورات دار الجزيرة للصحافة والنشر عمان ١٩٤٠ وفيها ان الميثاق عرض على الملك

فيصل في حزيران (يونيو) عام ١٩٣١ وفي امين سعيد : المصدر السابق انه عرض عليه في ٢ يوليو (تموز) ١٩٢٦ ص ٥١٦ ـ ٥١٧ .

٤٦ ـ المقطم في اول مايو (ايار) ١٩٢٨ : راجع نص الميثاق كاملا ، المقطم في ٤ منه اللجنة لما نشرته في العدد السابق ، وفيه راي لجنة المدابغ .

٤٧ ـ المقطم في ١٤ مايو (ايار) ١٩٢٨ .

٤٨ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق جـ١ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

٤٩ ـ روى لي احسان الجابري انه بعد ان تم لهم وضع المعاهدة ووافق دي جوفنيل على بنودها وعلق على كل منها بخط يده ضربوا موعدا للتوقيع عليها بالاحرف الاولى فلما جاءوا اليه في الموعد المضروب اذا بالحارس يبلغهم سفره . وهكذا انتهت المفاوضات . للاطلاع على نصوص هذه المعاهدة: راجع قسم الملاحق .

٥٠ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : الجهاد السياسي (وكان المؤلف قد كتبه في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦ وهو في سجن ارواد وطبع منه الفي نسخة بالعربية والفرنسية وزعها مجانا) ـ حلب السويقة ـ طبعة اولى ١٩٤٦ ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

٥١ ـ الف باء في ١٤ شباط (فبراير) ١٩٢٤ : اقترح النائب الفرنسي كشان Cachan .

52 — B.N. Paris : L'Humanité 3 Aout 1925.

53 — B.N. Paris L'Humanité 4, 5, 8 Aout 1925; Le Temps 8 Nov. 1925 .

راجع مداخلة النائب الشيوعي برتون N. Berthon في الرد على بانلفيه M. Painlevé وارستيد بريان Arstide Briand في لجنة الشؤون الخارجية ومطالبته بالجلاء عن سورية في الحال .

54 — Annales de la chambre des deputés : I.. No 2214; an . S.E. . p. 334 (Seance extraordinaire 2, Seance du 11 Decembre 1925 .

55 — E. RABBATH : opt. cit p. 71.

٥٦ ـ وجيه الحفار : الدستور والحكم في الجمهورية السورية ، مطبعة الانشاء بدمشق ١٩٤٨ ص ٣٠ وقد نصت المادة الاولى من هذا الصك الذي صدر في لندن بتاريخ ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ على ان : «تسن الدولة المنتدبة في غضون ثلاث سنوات من تطبيق هذا الانتداب قانونا اساسيا لسوريا ولبنان يوضع بالاتفاق مع السلطات الوطنية وتراعى فيه حقوق السكان القاطنين في هذه البلاد ومصالحهم ورغباتهم وتدون فيه التدابير الضامنة لارتقاء سوريا ولبنان تدريجيا الى مصاف الدول المستقلة . والى ان يوضع القانون الاساسي موضع التنفيذ تحكم سوريا ولبنان وفقا لروح هذا الانتداب» .

57 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 230 p. 14.

كتب رنيه بسنار René Besnard : «التقيت هذا الصباح في صالونات قصر شيغي chigi بالمركيز تيودالي Théodali ، الذي سيسافر قريبا الى جنيف فقال لي انه على فرنسا ان توضح بلا شك للجنة الانتدابات تأخرها في وضع الدستور موضع التنفيذ وهو ما كان ينبغي اعلانه في الشهور الستة الماضية ...»

٥٨ ـ د. مجيد حدوري : المسألة السورية ، مطبعة ام الربيعين ١٩٢٤ ص ١٢٤ وكذلك ص ١٥٨ .

٥٩ ـ وجيه الحفار : المصدر السابق ص ٣١ .

٦٠ ـ المعروف ان حلب تقع على احد الطرق التجارية الرئيسية التي تربط الغرب بالشرق ، وقد حسب الفرنسيون ان هذا الاتجاه الاقتصادي يمكن ان يلعب دورا الى جانب أمور اخرى ، في فصل حلب عن سوريا . فكانوا يثيرون بعض اتباعهم المطالبة بالانفصال واحيانا للمطالبة بأن تكون حلب هي العاصمة .. او بغير ذلك ..

٦١ ـ البشير في ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٢١ ، العاصمة في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٢١ راجع خطبة غورو .

٦٢ ـ راجع خطبة الجنرال ويغان في جمعية العلوم الاستعمارية (تشرين الثاني ـ نوفمبر١٩٢٦) وقد اشار اليها الدكتور عبد الرحمن الكيالي في كتابه المراحل ، الجزء الاول ص ١٢ .

٦٣ ـ B.N. Paris : Le Temps 1926 . راجع محاضرة الجنرال ويغان .

64 — Gustave Gautherot : La France en Syrie et en Cilici, Librairie indépendante 1920 p. 21.

65 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 227 p. 26 du 22 Janvier 1929 Note pour le Ministre.

66 — B.N. Paris : Le Temps 19 Aout 1925.

٦٧ ـ الدكتور احمد قدري : مذكراتي ص ١٦٢ : «وصلت بعض الجماعات التي كانت سابقا جزءا من المملكة العثمانية الى درجة من الرقي جعلتنا نعتبرها موقتا أمما مستقلة ، بشرط ان يرشدها في ادارة شؤونها نصائح ومعونة حكومة منتدبة الى الوقت الذي تصبح فيه قادرة على قيادة نفسها. ويجب قبل كل شيء ان تراعي اماني تلك الجماعات في انتخاب الحكومة المنتدبة » .

الفصل الثامن

١ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المراحل ، الجزء الاول ١٩٥٨ ص ٥٨ .

٢ ـ راجع تحليل فارس الخوري في الكتابين اللذين كتبا عنه وكان اكثرهما بلسانه : كتاب دكتور جورج حداد وحنا خباز وكتاب محمد الفرحاني .

٣ ـ لم يخل بيان من بيانات دي جوفنيل وبونسو من الاشارة الى ذلك . راجع الفصلين : الاول والثاني .

٤ ـ حنا خباز وجورج حداد : فارس الخوري : حياته وعصره ص ٦٩ .

5 — Les Echos (Quotidien Syrien) 22 Mais (B.N. Paris).

6 — Les Echos 31 Mars, 5 Octobre, 28 Novembre 1929 (B.N. Paris).

7 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien).

٨ ـ امين سعيد : المصدر السابق جـ٣ ص ٥٢٧ ـ ٥٢١ نص البيان بكامله .

٩ ـ الدكتور عبد الرحمن الخيالي : المراحل جـ١ ص ٥٩ ـ ٦٤ نص البيان كاملا .

١٠ ـ امين سعيد : المصدر السابق جـ٣ ص ٥٢٩ .

١١ ـ هم : محمد عارف الحسن وعبد اللطيف بيسار وعبد الحميد كرامي من طرابلس الشام ورياض الصلح وعبد الرحمن بيهم من بيروت والامير امين ارسلان والامير شكيب ارسلان من جبل لبنان وسعيد حيدر من بعلبك . وفيما بعد انتمى الامير شكيب وسعيد حيدر الى الجنسية السورية وظل الآخرون لبنانيين .

جاء في حديث لابراهيم هنانو مع شكري كيندر صاحب التقدم الحلبية :

«وضع نظام الكتلة على اساس ثلاثة مشروعات انشأها ثلاثة من رجال الكتلة كل منهم على حدة وهم فارس الخوري ونعيم الانطاكي وسعد الله الجابري وعرضت على المؤتمر وبحضور ثلاثين عضوا فدرسوها واستخلصوا منها قانونا يقع فيما يزيد على اربعين مادة اصبحت الكتلة مربوطة بموجبه بقانون اساسي كامل تألف بموجبه مكتب الكتلة من رئيس ونائبي رئيس وامين للسر وامين للصندوق وعضوين .

وانتخب هاشم الاتاسي رئيسا وفارس الخوري وابراهيم هنانو نائبي الرئيس والسكرتير هو جميل مردم وامين الصندوق هو شكري القوتلي والعضوان هما سعد الله الجابري وعفيف الصلح ولهذه الهيئة السلطة العليا في الكتلة الوطنية وللمكتب لجان في دمشق وحلب وحمص وحماه ولجان فرعية في الاقضية وبعض جهات لبنان وظيفتها السعي لاستقلال البلاد وتنفيذ أحكام القانون وتعليمات المكتب الرئيسي ... ثم اشار الى ان القانون لم يطبع لان فيه نواقص قيد الاكمال . ونفى ان تكون الكتلة حزبا «لان الاحزاب لا توجد الا في البلاد التي تتمتع بالاستقلال الصحيح والتي لها مجالس نيابية صحيحة ...»

١٢ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٨٤ الى ١٩٢ راجع النصوص بكاملها .

١٣ ـ محمد حرب فرزات : المصدر السابق ص ١١٦ .

١٤ ـ الاستقلال (الدمشقية) في ٣ يوليو (تموز) كذلك في ١٣ اغسطس ـ آب ـ ١٩٢٩ . راجع برنامج الحزب ونظامه الداخلي .

١٥ ـ الامة (دمشقية) راجع برنامج الحزب المنشور فيها : في العدد ٢١٩ وكانت تسمى قبل ذلك المرصاد ، كذلك عددها الصادر في ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٢٩ وقد تصدرته بخط عريض الدعوة التالية : «حزب الامة يدعو اعضاءه وأكابر دمشق لاجتماع عام ويقيم حفلة شاي في دار حمدي بك الكيلاني ويلقي كل من اصحاب السعادة مظهر بك البكري وعارف باشا الادلبي وشريف بك الحجار وعبد القادر بك السرميني وسعيد بك مخيش خطابات رائعة يبحثون فيها الموقف الحاضر ويذيعون مبادىء الحزب ويدعون الى الاتفاق» .

١٦ ـ الف باء في ٢٣ مارس (آذار) ١٩٣٢ .

١٧ ـ المرصاد في ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٩ راجع بيان عصبة الميثاق .

18 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien) 6 Novembre 13 et 18 Decembre 1930.

19 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien) 11 et 15 Novembre 1928.

تحت عنوان : هل توجد احزاب في بلادنا كتب جورج فارس يقول في سلسلة من المقالات : «استوقف «وطنيا» واساله رايه في مصلحة سوريا ووحدتها وفي التفاهم مع الانتداب .. ثم اسال «معتدلا» فانك لا تجد الحديث يختلف بين هذا وذاك .. ولكنك ما ان تطلب دقة اكثر وتفسيرا لتناقض هذا وذاك حتى تواجه بالقول المبهم ، والمعميات .. واذا وضعت هذه الاحزاب امام مصالحها الشخصية فانك في الحال تجد ان زعماء الامس اصبحوا مرتدي اليوم وهم الخونة : خائنو الحزب والوطن . اما حزبيهم واما الخطر السياسي الذي تنتجه اليوم والمبدأ والمثل الاعلى فانها كلها تتحول لتخدم الموقف الجديد الذي ترى فيه مصلحتها ..»

٢٠ ـ اعتبر الوفد الذي تشكل بايحاء من الداماد ، في الاجتماع المنعقد بدار نقيب الاشراف، عبارة «اسدال الستار على الماضي والتعامل على اساس روح معاهدة لوكارنو» ، الواردة في مطالب وفد الوطنيين ، ضعيفة فاستبدلها بعبارة «العفو العام» كما اعتبر مطلب الوحدة السورية غير كاف فاستبدله بمطلب «اعادة لبنان القديم الى ما كان عليه سابقا وادخال البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي في وحدة واحدة» واضافة مطلب تاليف جيش وطني .. الف باء في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٦ ، المقطم في ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٦ .

٢١ ـ المقطم في ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٧ : مقال بقلم نعيم مصيبعة بعنوان : بين الهيئات السورية السياسية .

٢٢ ـ باتريك سيل : الصراع على سورية ، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة ، دار الانوار ـ بيروت ١٩٦٨ ص ٢٢ ـ ٢٣ .

٢٣ ـ اسعد داغر : مذكراتي .. ص ١٥٧ ، راجع كذلك ص ١٥٩ ـ ١٦٠ : ظن السوريون ان «بلادا تتمتع بشيء من الاستقلال ويجتمع فيها امثال رشيد طليع ، الامير عادل ارسلان ، نبيه العظمة وغيرهم ستكون حتما محور النهضة العربية حتى لقد بلغ جموح الخيال في بعضهم ان فكر بحشد سائر رجالات العرب كعزيز علي وغيره ..»

٢٤ ـ باتريك سيل : المصدر السابق ص ٢٠ .

٢٥ ـ يستدل من اوراق الدكتور احمد قدري الموجودة في مركز الوثائق بدمشق ومن الرسائل المتبادلة بينه وبين عدد من سياسيي وصحفيي ذلك العهد انه كان عمدة الصلة مع العراق ومركز الامداد في بعض الامور . راجع بعض هذه الرسائل في قسم الملاحق ، كذلك راجع رسالة شكري القوتلي .

٢٦ ـ راجع قسم الملاحق .

٢٧ ـ اسعد داغر : المصدر السابق ص ٩ .

٢٨ ـ المقطم في ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٦ : راجع بيان وفد اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في اوربا بعنوان : «الى الامة السورية النجيبة» .

٢٩ ـ ذكر لي احسان الجابري ان امر اسناد عرش سورية لفيصل كان على وشك ان يتم . فقد وقف وكيل الخارجية الفرنسية ذات مرة بحضوره في حفلة اقيمت على شرف فيصل في باريس يشرب نخبه قائلا : يعيش مجيء فيصل ملكا على سورية . وفي الليلة نفسها طلب اليه الملك فيصل استدعاء فارس الخوري الذي كان موجودا في باريس واتفق معه على العودة في الحال الى سوريا للعمل على اقناع الكتلة الوطنية . وكان اهم ما اثر في الملك فيصل ومات بغصته ما كتبه جميل مردم بان سورية ليست بحاجة الى احد بدو الحجاز ليقودها الى التقدم . وقد عثر على ما يؤيد

هذا القول في وقائع تلك الايام .

٣٠ ـ المقطم في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٧ ؛ راجع كذلك في قسم الملاحق عريضة ترشيح نسيب البكري لامارة سورية .

31 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol. 226 p. 182 .

كذلك راجع في قسم الملاحق ترجمة التقرير المقدم من السلطات الفرنسية في سورية ولبنان الى وزارة الخارجية الفرنسية بمزايا الملكية والنظام الملكي .

٣٢ ـ المرصاد في ١٤ تشرين اول (أكتوبر) ١٩٢٨ .

٣٣ ـ المرصاد في ٩ آب (اغسطس) ١٩٢٨ : «معلوم لدى سماحتكم ان اصول الحكم في الاسلام حكم شورى يستند الى ملك يجمع الكلمة وينفذ الاحكام فهل يجوز تبديل هذا الشكل المجمع عليه الى اليوم بالشكل الجمهوري المدني الذي يرجع الى تبديل الحكم والاحكام بين حين وآخر . افتونا مأجورين » .

34 — La Syrie : 13, 16, 19 Mai 1928 (B.N. Paris) Asie Francaise : Juillet - Aout 1928 p. 302 (B.N. Paris).

٣٥ ـ المقطم في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ .

٣٦ ـ المقطم في ٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ .

٣٧ ـ المقطم في ٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ مقال محمد كامل شعيب بعنوان : موقف جبل عامل من توحيد سورية والعراق .

٣٨ ـ المقطم في ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ .

٣٩ ـ المقطم في ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ .

٤٠ ـ النداء في ٢٩ اذار (مارس) ١٩٣٢ .

٤١ ـ المقطم في ١٦ ، ١٧ ، ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣١ .

٤٢ ـ يستدل من مجموعة اوراق الدكتور احمد قدري الموجودة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق انه ظل محورا للعمل باتجاه العراق وبقي على صلة به كثيرون ممن كانوا اعضاء في العربية الفتاة كعزة دروزة ورفيق التميمي وعوني عبد الهادي . كما يستدل من رسائل امين سعيد وتيسير ظبيان وتوفيق اليازجي واسعد داغر ، على غرار اختلاف مشاربهم فيما بعد ، انه كان يمدهم بالعون المادي او انه واسطة لذلك .

٤٣ ـ يروي اسعد داغر ان السعودية كانت معارضة في عقد المؤتمر وانه تقرر ارسال الشيخ كامل القصاب لاقناعها فوافق الملك عبد العزيز على عقده في بغداد وارسل كتابا بتأييده وموافقته الا ان كامل القصاب جاء يقول ان الحجازيين يطلبون تأجيل عقده . وكان الملك فيصل ينوي زيارة لندن ويعلق على هذه الزيارة آمالا كبيرة فابلغ انه يحسن تأجيل المؤتمر . المصدر السابق ص ١٩٠ ـ ١٩١.

٤٤ ـ اسعد داغر : المصدر نفسه ص ١٨٧ ـ ١٨٨ «اعضاء العراق هم : يسين الهاشمي ، نوري السعيد ، جميل المدفعي ، علي جودة ، مولود مخلص» .

٤٥ ـ المقطم في ١٢ اغسطس (آب) ١٩٢٨ وقع عليها : الامير سعيد الجزائري وسبعة من المحامين و١٩ من اصحاب الاملاك والزراع و١٦ من التجار و٨ من اصحاب الصحف والمحررين واربعة من الاطباء وعشرة من كبار الضباط المتقاعدين .

٤٦ ـ المقطم في ٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ .

٤٧ ـ المقطم في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣١ .

٤٨ ـ اسعد داغر : المصدر السابق ص ١٩٧ .

٤٩ ـ اسعد داغر : ص ١٩٥ : «.. ثم رايت بعض اصدقائي يدعون الى مساعدته والتعاون معه كشكري القوتلي وخالد الحكيم وكامل القصاب ويوسف يسين وخير الدين الزركلي وغيرهم من اعضاء جمعية الفتاة الذين كانوا موضع ثقتي واحترامي» .

٥٠ ـ د. انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٦ ص ٢٥ . في رده على مقال صاحب جريدة الاهالي الحلبية ، شاكر نعمت الشعباني الذي جاء فيه «ان شغف الامير فيصل السعود بملك سوريا امر معلوم منذ ابتداء الثورة فقد سافر شكري القوتلي الى مكة لهذه الغاية في اوائل سنة ١٩٢٦ وحصل على مقدار كبير من الماديات باسم ترويج هذه الدعاية» . رد شكري القوتلي ينفي ما جاء فيه وقال مؤكدا : «والحقيقة ان علاقاتي بصاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود كانت قبل دخوله الحجاز وما زالت الى الان متينة لا تزداد الا قوة بالرغم من كتابات المفسدين الى جلالته تشويها للحقائق واني اصرح ان ما بيني وبين جلالته من العلاقة لا يرتكز على امر خاص وانما هو وليد اهتمام جلالته بالقضية العربية العامة وحرصي على خدمتها ...» المقطم في ١٠ يوليو (تموز) ١٩٢٨ ، راجع رد نزيه المؤيد عليه كذلك في المقطم ١٤ منه.

٥١ ـ المقطم في ١٩ ، ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٤ .

٥٢ ـ المقطم في ١٨ ابريل (نيسان) ١٩٣٤ .

٥٣ ـ ام القرى في ٦ ابريل (نيسان) ١٩٣٤ .

٥٤ ـ المقطم في ٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٤ .

٥٥ ـ الاستقلال (السورية) في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٢٨ : عللت تنقل الشيخ كامل القصاب بين حيفا واللد ونابلس وشيوع انباء عن ذهب يحمله لانفاقه في الدعوة للامير فيصل آل سعود ، بانتظار رد سلطان الاطرش على طلبه للمجيء الى النبك وانه اخيرا تلقى رسالة جاء فيها : «على اثر تسلم كتابكم دعونا الزعماء المجاهدين الى اجتماع عام اخترنا عقده في النبك للبحث بما جاء فيه نزولا على ما قررنا الجري عليه منذ تسلمنا ادارة الشؤون العامة مما لا يتعدى الامر الالهي القائل : «وامرهم شورى بينهم» وقد لبى الزعماء دعوتنا وتذاكرنا في المسألة التي اوردتموها في كتابكم المذكور وهي اسناد العرش السوري الى الامير فيصل نجل عاهل الحجاز نقرر الاخوان باجماع الاراء ان نبلغكم ان المجاهدين سبق فقرروا ان يكون حكم لبلاد ملكيا وتبليغ الجمعية التأسيسية ذلك لاجل اقراره في صلب الدستور اما تسمية الشخص المرشح للعرش فهذا من وظائف البرلمان السوري ولا يجوز للجماعات ان تبحث فيه ولذلك فانهم (اي الزعماء) رغبوا الينا تبليغكم عدم السماح بدخول منطقة الجهاد فليكن ذلك معلوما لديكم والسلام» .

الا ان سلطان الاطرش كذب هذا الامر من اساسه وقال ان كامل القصاب زار النبك فعلا زيارة شخصية لا علاقة لها بالعرش السوري «ومع اننا بذلنا الجهد في اكرامه نعتقد اننا قصرنا لما له من الخدمات العظيمة» المقطم في ٢٥ اغسطس (آب) .

٥٦ ـ المقطم في ١٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٤ .

٥٧ ـ المقطم في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٤ .

٥٨ ـ المقطم في ١٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٠ .

٥٩ ـ المقطم في ١٤ ، ١٩ سبتمبر (ايلول) وفي ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩ ، في وثائق

وزارة الخارجية الفرنسية اشارات كثيرة لمثل هذه العرائض وقد عثرنا على احداها كاملة . راجع قسم الملاحق .

60 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 227 p. 26 : Eventualité d'un traité entre la France et la Syrie pour regler les conditions d'application du Mandat.

61 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 225 p. 91.

62 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol 225 N 960 / P.

راجع كذلك نص الكتاب الموجه الى الداماد من دي جوفنيل في نفس المصدر . ولم نر فيه ما يؤيد مزاعم الداماد .

63 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol. 206 p.p. 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7.

برقيات من : تجار وأصحاب صناعة في حلب ، من محمد نوري اصفري وفؤاد عبد الكريم نائبي ادلب وسرمين ، من وجهاء حلب ومن نواب حلب والاسكندرونة ، من الهيئات الطبية في حلب ، ومن اصحاب البنوك . وكلها تبدأ بجملة : نضع ثقتنا برجل الساعة الداماد .. نشكر فرنسا على وضع ثقتها في الداماد وعلى رغبتها في التفاهم معه لحل الازمة وحفظ المصالح المتبادلة ..

٦٤ ـ يقال انه متحدر من اسرة عربية تنتمي الى الامويين ممن هاجروا الى اسبانيا في سنتي ٥٤٠ ـ ٥٤١ هـ (١١٤٥ ـ ١١٤٧ م) وتولى احدهم حكم مرسية كما يستدل على ذلك من قطعتين من النقود الذهبية في مجموعة الانواط في المكتبة الوطنية بباريس وقد نقش عليهما : «الامير عبد الله بن عياد امير المؤمنين» . ثم عادت اسرته فسكنت طرابلس وعززت نفوذها لدى الاسرة القرمانية في ليبيا . والدته هي رفية فاضل من اسرة محمد علي وزوجته عين الحياة بنت الامير محمد ابراهيم شقيقة الملك فؤاد . تقر فرنسا لجده الامير محمد بفضل الذي غمره لويس ـ فيليب بأمجاده ومنحه اعظم وسام في عهده ولجده الاعلى الامير الجنرال محمد بن عياد الذي جاء يقيم في فرنسا وكان صديق نابليون الثالث الحميم والذي تكرم فمنحه الجنسية الفرنسية مع احفاده وسام صليب الحرب الرفيع الذي تقلده جده تقديرا لخدماته العظيمة لفرنسا . حقا انه عريق المحتد ولكن في خدمة فرنسا . راجع :

B.N. Paris Les Echos (Syriens) 1929 ainsi que :

65 — L'eclaireur de Nice, 3 Novembre 1928.

66 — B.N. Paris Les Echos 19 Septembre, 4 Octobre 1929.

67 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 37 p. 98 du 4 Oct. 1921 .

٦٨ ـ المصدر السابق .

69 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 226 p. 145, p. 182.

٧٠ ـ لم نتعرض هنا لنشاط الامير سعيد الجزائري والخديوي عباس حلمي لان نشاطهما ودورهما بل ما اريد لهما ان يقوما به قد تعدى عرش سورية الى الخلافة .

71 — B.N. Paris : Les Echos 24 Juillet 1930.

٧٢ ـ المرصاد في ٢١ و٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٩ .

٧٣ ـ المرصاد في ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٩ .

٧٤ ـ المرصاد في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٩ .

٧٥ ــ القبس في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٩ .

٧٦ ــ المرصاد في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٨ .

٧٧ ــ المقطم في ١٠ مارس (اذار) ١٩٣٢ .

٧٨ ــ المقطم في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٣٣ .

وكان الامير شكيب ارسلان قد كتب من جنيف في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١ رسالة الى المجاهد المرحوم علي عبيد جاء فيها : «.. واما الكتلة الوطنية فمع الاسف فيها رجال يريدون ان يتلذذوا بالحكم في الشام فلذلك نراهم مصرّين على الجمهورية ، ولما علموا ان الملك علـى ترشـح لعرش سورية ناوموا هذه الفكرة مقاومة شديدة ونحن لم نعارضهم في ذلك اذ شكل الحكم عندنا امر ثانوي متروك لرأي السواد الاعظم من الامة ، ولكن قد جرى فيما بعد ان بعض رجال فرنسا فكروا في جعل (الملك) فيصل ملكا على القطرين حتى تنحل جميع المشكلات ويصير للعرب قوة في وجه الترك والبولشفيك فكان من الكتلة الوطنية او من بعضها ان قامت ايضـا مشاغب ورفضت اتحـاد القطرين ..» ــ اوراق المرحوم علي عبيد ، راجع كذلك سلامة عبيد : المصدر السابق ص ٤١٦ .

الفصل التاسع

١ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٢٣ .

٢ ــ المقطم في ٢٥ و٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٦ : عريضة وفد دمشق وديـر الزور ؛ المقطم في ٣ ديسمبر (كانون الاول) : عريضة اهالي حماة ؛ المقطم في ١٨ منه عريضة الصحفيين وفي ٢٢ برقية من اهالي حمص ؛ المقطم في ١٢ مارس (اذار) ١٩٢٧ عريضة اهالي حمص . المقطم في ٩ و١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٧ مقابلة وفد طرابلس برئاسة الشيخ عبد الحميد كرامه ؛ المقطم في ٩ و١٠ و١٢ و١٩ و٣١ مارس (اذار) برقيات من دمشق والقنيطرة وعريضة من حماه تحمل اكثر من الفي توقيع .

3 — B.N. Paris : L'illustration 6 Novembre 1926.

4 — C. Brockelmann : Histoire des peuples et des Etats Islamique p. 402 .

٥ ــ المقطم في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٢٧ ، المقطم في ٢٦ و٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٧ بيان الكتلة الوطنية » راجع امين سعيد المصدر السابق : بيان المفوض السامي ص ٥٢٧ ــ ٥٣٠ ، بيان الكتلـة .

٦ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٢١ راجع البيان الوطني كاملا من ص ٥٢٢ ــ ٥٣٦ .

٧ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٢١ .

٨ ــ المقطم في ١٦ مارس (اذار) ١٩٢٦ .

9 — Arch. Aff. Etr. Levant 1918 - 1929 Arabie 13 p. 15 et 16 Beyrouth le 7 Avril 1927.

١٠ ــ راجع نشرة مؤتمر ابناء الساحل .

11 — B.N, Paris : Les Echos 8 Juillet 1929.

١٢ ــ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ٥٨ .

١٣ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٨٢٧ .

14 — Raymand O'zoux opt. eit p. 86 - 87.

المقطم في ١٧ فبراير (شباط) ١٩٢٧ وقد ضمت : سعيد محاسن للداخلية (دمشق) ، صبحي النيال للعدلية (حلب) ، جميل الالشي للمالية (دمشق) ، محمد كرد علي للمعارف ـ دمشق ـ ، توفيق شامية للنافعة (دمشق) ، عبد القادر الكيلاني للزراعة والتجارة (حماه) .

١٥ ـ وجيه الحفار : الدستور والحكم في الجمهورية السورية ، مطبعة الانشاء بدمشق ١٩٤٨ ص ٣٨ ـ ٣٩ ، المقطم في ١٩ فبراير (شباط) ١٩٢٨ .

١٦ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٣٩ ـ ٥٤١ .

استثنى قرار العفو من اللائحة الاولى : الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، حسن الحكيم ، سعيد الترمانيني ، الدكتور علي الشواف ، عثمان الشراباتي ، مصطفى وصفي ، الدكتور محمود حمدي ، يحيى حياني ، الشيخ كامل القصاب ، شكري القوتلي ، نبيه العظمة ، نزيه المؤيد العظم ، احسان الجابري ، فتاح المرعشلي ، الدكتور خالد الخطيب ، سعيد العاصي (من دولة سوريا) ومن دولة لبنان : توفيق هولو ، سعيد حيدر ، الامير شكيب ارسلان والامير عادل ارسلان وفوزي القاوقجي وشكيب وهاب . ومن دولة جبل الدروز : سلطان الاطرش ، زيد الاطرش ، علي الاطرش . فضل‌الله النجم ، سلامه الاطرش ، علي عبيد ، فرحان العبد الله ، محمد عز الدين واثنين من عائلة ابوبكر.

١٧ ـ المقطم في ٣ ابريل (نيسان) ١٩٢٨ : «البيان الوطني» ؛ المقطم في ٣٠ مارس (اذار) ١٩٢٨.

١٨ ـ المقطم في ١٠ ابريل (نيسان) ١٩٢٨ .

19 — Raymond O'zoux opt. cit p. 87 - 88.

ذكر ان نسبة الناخبين في دمشق وضواحيها كانت ٦٩ بالمئة وفي حماة ونواحيها ٥٠ بالمئة وفي حلب وضواحيها ٣٥ بالمئة وقد امتنع المسيحيون فيها عن التصويت . وفي الدوائر الريفية الاخرى كانت النسبة ٧٠ بالمئة وكان عدد النواب جميعا ٦٨ منهم ٥١ سنيا و٣ علويون و٣ ارمن غريغوريون وواحد كاثوليكي و٢ مسيحيون كاثوليك واسماعيلي واحد واسرائيلي واحد و٣ بدو و٣ من الاقليات الاخرى ؛ المقطم في ١٤ ابريل (نيسان) ١٩٢٨ .

٢٠ ـ وجيه الحفار : المصدر السابق ص ٤٠ .

٢١ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٤٢ .

٢٢ ـ بعد خطبتي المفوض السامي ورئيس الوزراء واعلان افتتاح الجمعية التأسيسية جرت الانتخابات للرئاسة ففاز هاشم الاتاسي زعيم الكتلة الوطنية ، متصرف لواء عكا في الدولة العثمانية، رئيس المؤتمر السوري في عهد فيصل ، رئيس الوزارة في فترة الازمة مع غورو والصدام ، وقد فاز نائبا بالتزكية عن حمص في الانتخابات للجمعية التأسيسية . ثم انتخب فوزي الغزي وفتح الله أسيون لوكالة الرئاسة . المقطم في ١١ يوليو (تموز) ١٩٣١ .

٢٣ ـ جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية : وثائق ونصوص ص ١١٢ ـ ١٣٠ . ومن الجدير بالذكر ان فقرة دين رئيس الدولة الاسلام قد عدلت في عهد رئاسة شكري القوتلي الثانية فجعلت دين الدولة الاسلام .

٢٤ ـ المرصاد في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٨ ، وجيه الحفار : المصدر السابق ص ٤٣ ـ ٤٤ ، راجع المعترض عليها في قسم اللاحق .

٢٥ ـ وجيه بيضون : المصدر السابق ص ١١٠ ـ ١١٤ .

٢٦ ـ وجيه الحفار : المصدر السابق ص ٤٥ ـ ٤٦ ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٠٤ : «وافقت الجمعية على الاقتراح باستثناء ستة من اعضائها» .

٢٧ ـ وهم : فوزي البكري ، ابراهيم هنانو ، الشيخ عبد القادر الخطيب ، شكري الجندي، جورج سحناوي .

٢٨ ـ وهم : وديع الشيشكلي ، فارس الزعبي ، فاضل المحاميد ، محمد الفياض ، قرقره سل ، محمود نديم ، حوران بوزانشيان ، موسيس ، محمد الشماط .

٢٩ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٠٦ .

٣٠ ـ محاضر الدورة الاولى من جلسات المجلس التأسيسي السوري رقم ١٨٤٥ ط ٣ .

٣١ ـ المرصاد في ١١ آب (اغسطس) ١٩٢٨ .

32 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 226 p. 115.

هذه التحفظات هي : «ان كافة احكام هذا الدستور هي غير مخالفة ولا يجوز ان تخالف الواجبات التي اتخذتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية خاصة نحو جمعية الامم .

«هذا التحفظ ينطبق خاصة على المواد التي تمس الحفاظ على النظام وعلى الامن العام والدفاع عن البلاد وعلى المواد التي تتعلق بالصلات الخارجية . في كل المدة التي تبقى الواجبات الدولية فيما يختص بسورية ، ملقاة على فرنسا لا تكون احكام هذا الدستور التي من شأنها ان تمس هذه الواجبات قابلة التنفيذ الا ضمن الشروط المعينة في اتفاقات تعقد ما بين الحكومتين الفرنسية والسورية . بناء عليه فالقوانين المنصوص عليها في مواد هذا الدستور والتي قد يمس تطبيقها هذه المسؤوليات لا يبحث فيها ولا تنشر طبقا لهذا الدستور الا بموجب تنفيذ هذا الاتفاق.

«لا يجوز نقض القرارات التشريعية والتنظيمية التي اتخذها ممثلو الحكومة الفرنسوية الا اذا تم الاتفاق على ذلك مقدما بين الحكومتين» ، راجع كذلك الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٠٩ وما بعدها .

٣٣ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٥١ .

٣٤ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٥١ .

٣٥ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣ .

36 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 226 p. 20 (14 Juillet 1928) .

37 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 225 p. 215 (18 Juillet 1928) .

38 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 225 p. 217.

39 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 225 p. 131. (du 7 Janvier 1928).

40 — Raymond O'zoux opt. cit. p. 91.

41 — B.N. Paris : L'Asie Francaise, Juillet - Aout 1928 p.p. 264-68.

42 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien), 17 Fevrier 1929.

٤٣ ـ القبس في ١٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٨ .

٤٤ ـ وجيه الحفار : المصدر السابق ص ٤٧ .

٤٥ ـ زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الاوسط ص ٢٣٢ حاشية رقم (١٢) .

46 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 227 p. 26 (du 22 Janvier 1929).

راجع كذلك في قسم الملاحق نص التقرير المرفوع الى الخارجية الفرنسية حول اهمية اختيار ملك لسوريا .

٤٧ ـ المرصاد في ١٧ يوليو (تموز) ١٩٢٨ : بيان فارس الخوري .

٤٨ ـ حنا خباز وجورج حداد : المصدر السابق ص ٦٧ .

٤٩ ـ صوت الاحرار (اللبنانية) اول سبتمبر (ايلول) ١٩٢٩ : بيان مؤتمر عين زحلته .

٥٠ ـ المقطم في ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٢ .

٥١ ـ المقطم في ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٣٠ .

٥٢ ـ المقطم في ٤ فبراير (شباط) ١٩٣٢ .

٥٣ ـ المقطم في ١٣ اغسطس (آب) ١٩٢٩ : فكرة عقد المؤتمر ؛ المقطم في ١١ اكتوبر (تشرين الاول) : بيان سلطان الاطرش ؛ المقطم في ٢٥ سبتمبر (ايلول) المجاهدون يعقدون مؤتمرا خاصا بهم ويفوضون سلطان الاطرش باذاعة الدعوة لمؤتمر عام يعقد في ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) ؛ المقطم في ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) واول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩ المؤتمر ومقرراته .

الفصل العاشر

1 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 224 p. 192 Genève 20 Sept. 1926.

٢ ـ المرصاد في ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٨ : «اما وقد قرب موعد وصول العميد السامي الى سورية وصار من الطبيعي ان تعالج الازمة التي نشأ عنها تأجيل جلسات الجمعية التأسيسية فاني ادعو ابناء الوطن العزيز الى الهدوء والسكون والاتحاد والتضامن شأن الامم الحية التي تنبذ الخلاف في ايام الشدائد . ان مظهر الاتحاد الذي ظهرت فيه الامة في ايام الانتخابات قد دل على نضوج الامة ورقيها السياسي . لذلك انا واثق بان جميع الاحزاب والكتل الوطنية (في الداخل والخارج) المتفقة في غاياتها على تأمين رغائب البلاد وأمانيها ستلبي هذه الدعوة الخالصة التي تدعو بها الى الاتحاد والوفاق والسكون والهدوء وستكون صفا واحدا في خدمة المصالح العامة والسلام : هاشم الاتاسي .

3 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 225 p. 69 ainsi que 227 p. 131.

٤ ـ قرار المفوض السامي رقم ٢١١١ المذاع في دمشق في ٢٢ مايو (ايار) ١٩٣٠ .

5 — B.N. Paris : Les Echos 22 Mai 1930.

المقطم في ٢٧ مايو (حزيران) ١٩٣٠ .

6 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 227 p. 280.

٧ ـ كراس بالدساتير الاربعة والنظام الاساسي للمصالح المشتركة محفوظ في مكتبة البرلمان السوري : «مجلس الشعب» الحالي بلا رقم ، مع كتاب المفوض السامي الذي رفعها به الى وزير

الخارجية لتقديمها الى عصبة الامم ، كذلك راجع : دساتير البلاد العربية في وثائق ونصوص رقم(١) اصدار معهد الدراسات بجامعة الدول العربية ص.ص ١١٢ ـ ١٣٠ .

٨ ـ نفس المصدر السابق : كتاب المفوض السامي .

9 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol. 28.

10 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 224 p. 2 : Note peur le H.e. de la F. en Syrie et au Liban.

11 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 224 p. 208 (14 Mai 1926) .

12 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban 224 p. 122 (15 Juin 1926) .

١٣ ـ المقطم في ١١ يوليو (تموز) ١٩٣٠ .

١٤ ـ البرق في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٣٠ .

١٥ ـ البرق في ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٣٠ .

١٦ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٦٢ .

17 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien) 9 Janvier 1930 .

راجع افتتاحية جورج فارس .

١٨ ـ المقطم في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣١ .

١٩ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٢٧ : عين فيه : جميل الالشي ، رئيس الحكومة الموقتة عام ١٩٢٠ ، حقي العظم ، حاكم دولة دمشق ١٩٢٠ ، مصطفى برمدا حاكم دولة حلب عام ١٩٢٣ ، صبحي بركات رئيس اتحاد دولة سورية عام ١٩٢٣ ورئيس دولة سورية عام ١٩٢٦ ، الداماد احمد نامي رئيس دولة سورية عام ١٩٢٦ ، الشيـــخ تاج الدين الحسيني رئيس الوزارة السورية عام ١٩٢٨ ، رضا سعيد عميد جامعة دمشق ، ابراهيم مؤمن رئيس مجلس سنجق الاسكندرونة ، سليم جنبرت رئيس غرفة تجارة حلب ، عارف الحلبوني رئيس غرفة تجارة دمشق ، هاشم الاتاسي رئيس المجلس التأسيسي عام ١٩٢٨ ورئيس الحكومة العربية ايام فيصل .

٢٠ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٦٤ .

٢١ ـ المقطم في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣١ : ان صلاحيات المواد المذكورة هي علـــى التوالي : تعيين عدد الممثلين عن كل منطقة انتخابية والطائفة التي يجب ان يكونوا منها ؛ كيفيــة اجراء الانتخابات في قضائي حسجة وكيروفان واناطة اختيار الممثلين بمجلس اختيارية القبيلة مقيمة او نصف رحل ويحدد الناخبين الواجب تعيينهم من الدرجة الثانية رئيس الدولة ؛ دعوة الهيئات الانتخابية ، كيفية اجراء الانتخابات ، تعيين مدة تعيين يوم الانتخاب بعد انتخاب الدرجة الاولى ؛ كيفية اعلان النتائج .. الخ .

٢٢ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٦٣ .

٢٣ ـ المقطم في ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣١ ، النداء في ٧ نيسان (ابريل) ١٩٣٢ : بيان فارس الخوري وعفيف الصلح وسعيد الغزي بنفي الاشاعات القائلة باذاعة ابراهيم هنانو بيان ضد مرشحي دمشق الوطنيين .

٢٤ ـ النداء في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٢ .

٢٥ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٣٢ ـ ١٣٥ .

٢٦ ـ النداء في ٣٠ اذار (مارس) ١٩٣٢ .

٢٧ ـ امين سعيد : المصدر السابق . ص ٤٣٠ .

٢٨ ـ يروي امين سعيد ان المندوب السامي قال لهاشم الاتاسي وهو يقدم له مضابط احتجاج وقعها عشرون الف من الحلبيين: «ان انتخابات حلب كانت قانونية واصحابك هم الذين تركوا صناديق الاقتراع فلو عملوا مثل ما عملت دمشق وقبضوا بيدهم على السارق لاوقفت الانتخابات . والآن لا يمكن اعادتها وليس من اختصاصي النظر في المضابط ..» : المصدر السابق ص ٥٧ ، راجع بيان الكتلة الوطنية بدمشق عن الانتخابات الثانية في حلب التي اضربت بضعة عشر يوما احتجاجا على العبث بالانتخاب .. في النداء (البيروتية) ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٢ ، كذلك المقطم في ٢ و٩ و١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٢ حول الانتخابات في كل من دمشق وحلب وحماه . المقطم في ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣١ حول حوادث الانتخابات في دمشق وعدد القتلى ، المظاهرات بعد صلاة الجمعة ، تشييع جنازة خمسة من القتلى ، الهجوم في دوما على مقر الانتخابات ، اطلاق النار على رجال البوليس، الاستنجاد بالجيش بعد تغلب الاهالي على قوى الامن . واخبار المظاهرات.. النداء في ٧ نيسان (ابريل) بيان من عائلات الشهداء بتأييد الوطنيين في الانتخابات الثانوية .

٢٩ ـ المقطم في ١٦ و١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٢ : طرد الطلاب ومحاكمتهم .

٣٠ ـ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٧١ .

٣١ ـ حقي العظم للرئاسة والداخلية ، سليم جنبرت للاشغال العامة. ومن الوطنيين جميل مردم لوزارتي المالية والزراعة ، مظهر رسلان للحقانية والمعارف . كانت نتيجة الانتخابات في دمشق على النحو التالي : في الجولة الاولى يوسف لينيادو ٦٠٧ جميل مردم ٥٤٢ فائز الخوري ٥٣٠ لطفي الحفار ٥٢٤ زكي الخطيب ٥١٨ فخري البارودي ٥٠٦ احسان الشريف ٤٩٠ محمد علي العابد ٤٠٩ حقي العظم ٣٣٢ . وفي الجولة الثانية فاز نسيب البكري بعد انسحاب منيف العائدي ورضا الركابي : النداء في ٨ و١٢ نيسان (ابريل) ١٩٣٢ .

٣٢ ـ النداء (البيروتية) في ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٢ ، المقطم في ٢٥ و٢٦ و٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٢ . راجع بيان الكتلة الوطنية في : النداء في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٢ .

٣٣ ـ المقطم في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ ، الاحرار (البيروتية) في ١٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٣ في حديث للطفي الحفار انه كان هناك رأيان : احدهما يقول بترك الحكم والبقاء في صفوف النواب ومقاومة كل عمل ضار ضمن قاعة المجلس وراي يقول بالخروج من الحكم ومن المجلس .

٣٤ ـ المقطم في ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ .

٣٥ ـ المقطم في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ .

٣٦ ـ المقطم في ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ .

٣٧ ـ المقطم في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ .

٣٨ ـ المقطم في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ .

٣٩ ـ المقطم في ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٢ .

٤٠ ـ النداء ـ البيروتية ـ في ٤ و٥ و٦ و٨ و١٤ فبراير (شباط) ١٩٣٤ (مقالاتها في تنظيم الكتلة

ومؤتمراتها) ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٨٥ : نصت المادة السادسة على ان «يتألف مكتب الكتلة الدائم من سبعة اعضاء ينتخبهم مجلس الكتلة من بين اعضائه لمدى الحياة وقد تألف هذا المكتب من السادة هاشم الاتاسي رئيسا وابراهيم هنانو زعيما وسعد الله الجابري نائبا للرئيس وجميل مردم وشكري القوتلي والدكتور عبد الرحمن الكيالي وفارس الخوري اعضاء . وبعد وفاة هنانو انتخب لطفي الحفار عضوا مكانه» .

٤١ ــ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٨٤ وما بعدها : نصت المادة الاولى على : الكتلة الوطنية هيئة سياسية غايتها : ا ــ تحرير البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية من كل سلطة اجنبية وايصالها الى الاستقلال التام والسيادة الكاملة وجمع اراضيها المجزاة في دولة ذات حكومة واحدة على ان يبقى للبنان الحق في تقرير مصيره ضمن حدوده القديمة . ب ــ تأليف المساعي مع العمل القائم في الاقطار العربية الاخرى لتأمين الاتحاد بين هذه الاقطار ، على ان لا يحول هذا المسعى دون الاهداف الواجب بلوغها في كل قطر .

المادة ٢ : تعتبر الكتلة الوطنية ان الامة جمعاء بكل ما لديها من قوة معنوية ومادية وقف على هذا الجهاد الوطني حتى تبلغ اهدافها .

راجع كذلك المقطم في ٢٢ اغسطس (آب) ١٩٣٤ : نظام الكتلة الوطنية في حديث لابراهيم هنانو ، المقطم في ١٨ فبراير (شباط) ١٩٣٣ : نظرية الساسة السوريين ان تعقد المعاهدة على اساس الوحدة السورية . مؤتمر الوطنيين في حلب ، المقطم في ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٣ : تنظيم الكتلة ووضع برنامج لها وميثاق عمل .

المقطم في ٦ فبراير (شباط) ١٩٣٤ مؤتمر الكتلة في حمص .

٤٢ ــ المقطم في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٣٣ .

٤٣ ــ الايام في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٢ .

٤٤ ــ جلسات المجلس النيابي لعام ١٩٣٢ ــ ١٩٣٣ ، المقطم في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٣ (عريضة النواب الـ ٤٦) .

٤٥ ــ بيان المفوض السامي امام لجنة الانتدابات .

٤٦ ــ بيان المفوض السامي امام لجنة الانتدابات .

47 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol. 136 p. 51.

٤٨ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٧٥ ــ ٥٧٦ ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

49 — C. Brockelman : opt. cit. p. 402.

٥٠ ــ المقطم في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٣ ، اذاعته الكتلة ، على اثر اجتماعها في منزل فارس الخوري ، وجاء فيه : «جاء المفوض السامي الجديد يعرض على البلاد معاهدة ليس من ورائها الا قرار التجزئة المنيخة بويلاتها على سوريا المنكوبة وهو يعد العدة لحمل المجلس الذي اوجده سلفه على اقرار هذه النصوص وجعلها غلاً يشد على اعناق السوريين الى ما شاء من الزمن . امام هذه المخاطر المحدقة بالبلاد المهددة كيانها بالتمزيق والدمار رأينا الواجب الوطني يدعونا اكثر من كل وقت آخر الى النضال في ساحة الشرف والدفاع عن حقوق بلادنا المعرضة لخطر جديد مداهم وهذا الواجب المحتوم يفرض على كل فرد من افراد الامة ان يبذل قصارى جهده سواء اكان داخل المجلس او خارجه لمقاومة هذا المشروع وشل المساعي الرامية التي تقيد الامة بمعاهدة تحرمها من الاستقلال

الحقيقي والوحدة الصحيحة . ولا نحسب ان بين ابناء هذه الامة احد يخرج عليها ويبيح لنفسه ان يكون مطية للمطامع الاجنبية مهما كانت الظروف التي وصل بها الى مقام من المقامات المسؤولة» .

٥١ ــ امين سعيد : المصدر السابق : كتاب رئيس المجلس النيابي الى مندوب المفوض السامي ص ٥٩٢ ، المقطم في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٣ ؛ المقطم في ٣١ اغسطس (آب) ١٩٣٤ : مقال امين سعيد .

٥٢ ــ وقائع جلسة المجلس النيابي يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٣ ، المقطم في ٢٢ و٢٥ منه ، محمد الفرحاني : فارس الخوري وايام لا تنسى ، بيروت ١٩٦٥ ص ٦٤ ــ ٦٦ .

٥٣ ــ امين سعيد : المصدر السابق ص ٥٩٠ ــ ٥٩٥ راجع نص الرسالتين المتبادلتين بين رئيس المجلس النيابي والمفوض السامي بشأن سحب مشروع المعاهدة من البرلمان وكذلك كتاب المفوض السامي الى رئيس الجمهورية .

54 — Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Syrie - Liban vol 112 p. 35.

55 — B.N. Paris : Le Populaire : 11 Janvier 1939 : Le Traité Franco - Syrien.

٥٦ ــ المقطم في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٣٣ .

٥٧ ــ ظافر القاسمي : وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى .. ص ٧٩ .

الفصل الحادي عشر

1 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien) 4 Octobre 1930.

٢ ــ المقطم في ١٠ يوليو (تموز) ١٩٢٨ : تصريح النائب السنيور فييرا Fierra عن انتداب ايطاليا على سورية الداخلية واكتفاء فرنسا بالساحل ، المقطم في ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٨ : تصريح بوانكاريه Poincarré وثورة الصحف الايطالية عليه ، المقطم في ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٥ : اثر النزاع الايطالي ــ الحبشي على الانتداب في سورية ، المقطم في ١٩ منه : اثر حرب الحبشة في سورية .

٣ ــ المقطم في ٢٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٥ : جاء في احتجاج الكتلة الوطنية ما يلي : «والكتلة الوطنية ازاء هذا السكوت الذي تظهره السلطات المسئولة على مقدرات البلاد السورية واعمالها واجبانها في وقف اعمال السماسرة المأجورين والحيلولة دون تغريرهم بالسذج من الاهلين تسجل على هذه السلطات اعمالها وتقصيرها وتجد من واجبها ان تناشد ضمائر السوريين الاباة ليقوموا بواجب تذكير هؤلاء الذين يغرر بهم دعاة ايطاليا بالاخطار التي يتعرضون لها في عقد اتفاقات مع نكرات لا قيمة قانونية ولا حقوقية لها ــ وليس ما يمنع ان يعودوا عنها وترجو ان يقدر الجميع مسؤوليتهم الادبية والوطنية من معاونة الاطماع الاستعمارية في محاولاتها لتهديد استقلال امة شرقية يجدر بجميع الامم المغلوبة على امرها الاخذ بناصرها والعطف عليها» .

٤ ــ المقطم في ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٥ منشور بدعوة مواليد ١٩١٢ من الايطاليين للخدمة العسكرية ، شبرا (مصرية) في ٢٦ اغسطس (آب) ١٩٣٧ : خطاب الكونت شيانو في مجلس النواب.

٥ ــ المقطم في ٦ يوليو (تموز) ١٩٣٤ .

٦ ــ النداء في ٢٠ ابريل (نيسان) ١٩٣٤ : افتتاحية كاظم الصلح : الالمان والعرب ؛ ومع ذلك فان تنظيمات الشبيبة ، كفرق القمصان الحديدية والشباب الوطني والكشافة المتفرعة عن الكتلة الوطنية او التي نشأت في كنفها .. لم تكن تخلو من مظاهر النزوع الى القوة .. بتأثير النظامين الفاشستيين : الالماني والايطالي ، وكراهية بالاستعمار الفرنسي . ولعل النزعة الى القوة وما يستتبعها من عنف ليست من طبيعة الشعب العربي كما خيل لبعض المحللين حينئذ وانما هي نزعة الضعيف في بلدان العالم الثالث بازاء المستعمّر وما يعانيه من قهر . واقرب تحليل الى فهم هذه الحالة هو ما كتبه فرانز فانون في مؤلفه : «المعذبون في الارض» منشورات دار الطليعة ــ بيروت ؛ راجع دستور الشباب الوطني في اللاحق .

7 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien) 14 Octobre 1930.

٨ ــ القبس في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٠ .

٩ ــ المقطم في ٧ مارس (اذار) ١٩٣٦ .

١٠ ــ المقطم في ١١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥ .

١١ ــ فتى العرب (الدمشقية) في ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥ .

١٢ ــ المقطم في ٣ مارس (اذار) ١٩٣٦ ، كذلك المقطم في ٧ فبراير (شباط) ١٩٣٦ حيث كان قد صرح قائلا : «لا نسمح لاحد أن يؤول سياستنا مع السوريين بغير المعنى الذي لها فانما هي سياسة تفاهم وتعاون وتعاضد بين ابناء بلاد واحدة لها لغتها وعاداتها وعقلياتها . وهو اتفاق نشده آباؤنا وأجدادنا من قبلنا ووصلنا اليه نحن بعون الله تعالى فرمينا بنزعاتنا المتخالفة جانبا وتناسينا المشادات والخلافات الطائفية ومحونا تاريخا ملوثا بالدم وتصافينا وتصالحنا في سبيل المصلحة والكرامة.. ثم اطرى سياسة الاخاء المسيحي الاسلامي وقال ان اعطاء الفرنك الى فخري البارودي كان فاتحة عهد المسيحي الاسلامي الذي يسود البلادين اليوم» .

١٣ ــ المقطم في ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ . تآخي السوريين واللبنانيين في بكركي بقلم امين سعيد، وفي ١٢ منه : فرنسا واتحاد الطوائف ، وفي ١٥ منه : دماء السوريين والموارنة اشتركت قديما في الدفاع عن البلاد ، بيان من البطريركية يبارك عواطف الوفود التي تؤمها للتهنئة ، المقطم في ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ .

١٤ ــ المقطم في ١٢ مارس (اذار) ١٩٣٦ .

١٥ ــ حنا خباز والدكتور جورج حداد : فارس الخوري ــ مطابع صادر ريحاني ــ بيروت ١٩٥٢ ص ٧١ ، المقطم في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ كانت بنود الميثاق الوطني الذي القاه فارس الخوري باسم الكتلة كما يلي :

«١ ــ تحرير البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية من كل سلطة اجنبية وايصالها الى الاستقلال التام والسيادة الكاملة وجمع اراضيها المجزاة في دولة واحدة . ٢ ــ رفض وعد بلفور ومقاومة الوطن القومي الصهيوني . ٣ ــ تأليف المساعي مع الاقطار العربية لتأمين الاتحاد بين هذه الاقطار . ٤ ــ تأمين الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات بين افراد الشعب كافة . ٥ ــ اعتبار الامة جميعها بكل ما لديها من قوى معنوية ومادية وقفا على هذا الجهاد الوطني . ٦ ــ اعتبار هذه المبادىء جوهرية في حياة الامة .» ، المقطم في ١٢ و١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ : مقال بقلم امين سعيد في هذا الميثاق .

١٦ ـ علي حاج بكري : العقلية العربية بين الحربين ص ٧٨ .

١٧ ـ المقطم في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ : تحرج الحالة في سورية وبيان الكتلة الوطنية . المقطم في ٢٣ يناير ١٩٢٦ وصف مواكب الطلاب والمصلين وهي تتجمع حول منزل نسيب البكري حيث يعقد رجال الكتلة اجتماعهم ، والمعارك التي دارت بينها وبين رجال البوليس .

١٨ ـ محمد الفرحاني : المصدر السابق ص ٦٦ ـ ٦٧ ، المقطم في ١٣ فبراير (شباط) ١٩٣٦ : بلاغ القائد العام للجيش ، اعتصام الف شاب في منحدرات قاسيون على اثر اعتقال نسيب البكري وجميل مردم ، المقطم في ١٧ منه بيان الكتلة الوطنية على اثر اعتقال نفر من زعمائها .

١٩ ـ المقطم في ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٣٦ .

٢٠ ـ حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٧٢ ـ ٧٣ .

٢١ ـ المقطم في ٨ فبراير (شباط) ١٩٣٦ : اضطرابات جديدة وخطيرة في حماه وسقوط سبعة قتلى ، بلاغ فرنسي بجرح ٣٦ من رجال الامن . ثلاث قتلى في حمص ، باري سوار والبتي باريزيان تؤكدان صحة الحوادث مع ذكر التفاصيل ١٢ جنديا و١١ من رجال الجندرمة و١٤ من الفرسان بينهم ضابط ، قتل شخص في مظاهرات بحلب وجرح كثيرين ... المقطم في ٢٢ فبراير (شباط) الاضراب يشمل سورية الطبيعية من غزة حتى قرقحان واعزاز في اقصى الشمال ومن بيروت حتى دير الزور في الشرق ..

٢٢ ـ المقطم في ٥ فبراير (شباط) ١٩٣٦ .

٢٣ ـ المقطم في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٣٦ .

٢٤ ـ المقطم في ١٥ فبراير (شباط) ١٩٣٦ راجع نص احتجاج النواب العراقيين .

٢٥ ـ المقطم في ٥ فبراير (شباط) ١٩٣٦ نص الاقتراح على ان تتضمن المذكرة ما يلي : « ان البلاد الاردنية التي تشعر بوجوب تحقيق الآمال العربية والاماني القومية في سورية بحدودها الطبيعية ولا يسعها الا العطف على المجاهدين للحرية والاستقلال في سورية كانت تأمل من الحكومة الفرنسوية التي تفاخر بماضي شعبها وتضحياته في سبيل الحرية ان تنظر بعين الانصاف والعدل للمطالب الوطنية والاماني القومية في سورية الشمالية .

«ولا يسعني وحوادث سورية الدامية تقع بصورة مؤثرة لا ترتاح لها البلاد العربية بأسرها الا ان أحيي من على هذا المنبر الذي يمثل العرب في شرق الاردن اخواننا الوطنيين المجاهدين في سبيل الاستقلال والحرية في سورية الشمالية واستنكر كل تصرف يراد به خنق الحرية واضطهاد رجالها في سورية الشمالية» فوافق المجلس عليه بالاجماع .

٢٦ ـ المقطم في ٢٨ مارس (اذار) ١٩٣٦ لاهمية هذه المذكرة وما تتضمنه من الاشارة الى مساعدة السلطات الفرنسية على انهاء الثورة عام ١٩٢٦ في عهد اللورد بلومر ودي جوفنيل رأينا اثباتها في قسم الملاحق .

٢٧ ـ المقطم في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ ، يبدو ان النحاس باشا زعيم الوفد لم يشأ الخروج عن مجاملة فرنسا فجاءت برقيته الى هاشم الاتاسي رقيقة للغاية ولكنها لم تنوه بمطالب سورية الوطنية . وهذا نصها :

«ادمت قلوبنا حوادث سورية ، فأبعث اليكم والى القطر الشقيق باسم مصر خير ما تكنه نفوسنا من عطف على ما أصابكم في محنتكم ، واعجاب بوطنيتكم ، واسترحام لشهدائكم ، وارجو

الله ان يكلل جهادكم بالفوز والفلاح» : الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ، الجـــزء الرابع ص ٢٧ .

٢٨ ـ راجع في قسم الملاحق ترجمة لاحد تلك التقارير او بالاحرى لاحدى تلك الدراسات حول المزايا التي تتوفر بوجود ملك او امير على راس البلاد الخاضعة للاستعمار .

29 — Pierre Vienot: Le Traité Franco - Syrien (articles parus dans le Populaire) le 11, 12, 13, 14 Janvier 1937 p. 7.

٣٠ ـ ألف باء ، القبس ، النداء (البيروتية) في ١٨ شباط (فبراير) ١٩٣٦ : بلاغ قلـــم المطبوعات .

٣١ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ١٠٦ ـ ١٠٧ : كان الوفد الذي قابله مؤلفا من السادة : احمد اللحام ، امين دياب ، خالد العظم ، عارف الحلبوني ، مسلم السيوفي ، الامير بهجة الشهابي ، عبد الوهاب المالكي . ص ١٠٤ .

٣٢ ـ المقطم في ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٣٦ : تاريخ الاستقالة في ٢٣ منه ، المقطم في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٣٦ : نص كتاب رئيس الجمهورية بقبول الاستقالة . وقد صدر بتاريخ الاستقالة .

٣٣ ـ عطا الايوبي : خريج المدرسة الملكية في الاستانة ، متصرف لواء اللاذقية في ١٩١٣ ثم متصرف سلفكه في الاناضول . كان ميالا للاتحاديين ، عاد الى دمشق فـــي ١٩١٩ حيث اوصدت الابواب في وجهه ليله للفرنسيين ، وزير داخلية بعد ميسلون في وزارة الدروبي . نجا يوم ٢١ اغسطس (آب) ١٩٢٠ من هجوم اهالي حوران على الوزارة لانه اندس بين الركاب ووصل الى حيفا ، عين مديرا للداخلية مدة سنتين وفي ١٩٢٢ عين وزيرا للحقانية في حكومة الاتحاد السوري واعتزل الحكم بعد الغاء الاتحاد عام ١٩٢٤ . كان وزيرا للحقانية في الوزارة المستقيلة ، وقد اشترك معه في وزارته التي الفها : سعيد الغزي وزيرا للعدلية والامير مصطفى الشهابي للمعارف ومصطفـــى القصيري للاقتصاد الوطني وادمون حمصي للمالية .

٣٤ ـ المقطم في ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٣٦ ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابـق الجزء الرابع ص ١١٣ ـ ١١٤ .

٣٥ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق راجع نص البيان كاملا من ص ١٢٠ ـ ١٢٣ ، المقطم في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٣٦ .

٣٦ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٢٨ .

٣٧ ـ المقطم في ٦ مارس (اذار) ١٩٣٦ : اجاب فائز الخوري ردا على سؤال لماذا لم يلحوا على الوحدة : «هناك دساتير لحكومة اللاذقية وحكومة جبل الدروز مصدقة من عصبة الامم يتعين التريث قليلا لاقناعها بالغائها وهذا ما تعني به المفاوضة للمعاهدة . اما لبنان فلم نشأ ايضا التعرض له نظرا لموقف البطريرك الاخير» . كما قال : «عزمنا ان ننهج في المفاوضة على مثالين اقتبسنا اولهما من مصر وهو المفاوضة فورا بوفد اهالي لا ينتسب الى هيئة نيابية والثاني من العراق وهو ان تكون لنا معاهدة لا تقل عن معاهدة العراق» .

٣٨ ـ المقطم في ٨ مارس (اذار) ١٩٣٦ ، كذلك راجع بيان هاشم الاتاسي في نفس اليوم في الدكتور عبد الرحمن الكيالي نفس المصدر السابق ص ١٥٩ ـ ١٦١ .

٣٩ ـ هاشم الاتاسي رئيسا وعضوية فارس الخوري وجميل مردم وسعد الله الجابري من أركان الكتلة الوطنية والامير مصطفى الشهابي وزير المعارف وادمون حمصي وزير المالية من رجال الحكومة

ونعيم الانطاكي كمشاور حقوقي واحمد اللحام كخبير عسكري : المقطم في ١٦ مارس (اذار) ١٩٣٦ ، محمد الفرحاني : المصدر السابق ص ٦٨ .

٤٠ ـ وقعها من الجانب السوري : جميل مردم رئيس الوزراء ، سعد الله الجابري وزير الداخلية والخارجية ، شكري القوتلي وزير الدفاع والمالية . ومن الجانب الفرنسي المفوض السامي: الكونت دي مارتيل .

٤١ ـ مذكرات مجلس النواب السوري رقم (٥) لعام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ مجلد ١٨٤٩ / ٢ ط ٣ ص ٧٠ ـ ٧١ وما يليهما .

٤٢ ـ مذكرات مجلس النواب السوري : المصدر السابق : راجع مناقشة المشروع ص ٧١ ـ ٨١ . قال فارس الخوري في محاضرته عن المشروع : «فمع التصريح والتوثق من ان الروح التي سادت هذه المفاوضات كانت روح مودة وولاء تجلى فيها عزم جلي علىالتخلي عن سورية فانه يجب على الشعب السوري ان يكون كامل الاهبة مستمرا في الاستعداد لمواجهة المستقبل بنشاط وعزيمة فاذا كانت النصوص تعني قوة الحق فان عزيمة الشعب تعني حق القوة» : حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٨٠ .

الفصل الثاني عشر

١ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ١٢٢ . كذلك راجع بيان هاشم الاتاسي كاملا ص.ص ١٢٠ ـ ١٢٣ .

٢ ـ راجع في قسم الملاحق كتاب فارس الخوري الى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر .

٤ ـ رسالة الشريف حسين الثالثة (في ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ ـ ١ ايلول ـسبتمبرـ ١٩١٥) الى مكماهون .

٥ ـ رسالة مكماهون الرابعة المؤرخة في ١٦ـ١٠ـ١٩١٥ الى الشريف حسين .

٦ ـ رسالة الشريف الى مكماهون .

٧ ـ الدكتور صلاح العقاد : المصدر السابق ص ٣١ .

للمزيد من الاطلاع على تصرفات السلطات الفرنسية والتأكد من تفريطها راجع مجلة اللاايللوستراسيون L'illustration في مقالها عن الحدود التركية ـ السورية حيث جاء: «[...] لا شك في انه كان عليها قبل كل شيء ان تكون حريصة على المحافظة على سلامة البلدان الموضوعة تحت وصايتها من التجزؤ ولم يكن لها الحق في ان تقبل بالاقتطاعات التي كانت تطالب بها تركيا .. »

L'Illustration, 1er Janvier 1927 (B.N. Paris).

٨ ـ الدكتور احمد قدري : المصدر السابق ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

9 — Gabriel Puaux : Deux années au Levant : Souvenirs de Syrie et de Liban 1939 - 1940, Hachette 1952 p. 49 - 50.

١٠ ـ راجع في قسم الملاحق اتفاقية بويون Bouillon وبخاصة المادة السابعة منها .

١١ ـ الافكار في ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢١ ، كذلك راجع نص الكتاب التركي في قسم الملاحـق .

12 — Gabriel Puaux : opt. cit. p. 50.

١٣ ـ وزارة الخارجية في الجمهورية السورية صفحة ٣١١ ـ ٣١٥ : عنوان الوثيقة : اتفاقيات المواصلات الحديدية ٦ تموز ـ يوليو ـ ١٩٢٦ .

14 — B.N. Paris : Le Temps 23 Fevrier 1926.

١٥ ـ الدكتور مجيد خدوري : قضية الاسكندرونة ـ مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليفوالنشر بدمشق ١٩٥٣ ص ١٠ ـ ١١ .

16 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien) 29 Janvier 1930.

١٧ ـ الدكتور مجيد خدوري : المصدر السابق ص ٢١ وقد ذكر في ص ٢٠ على لسان جميل مردم «انه حاول اقناع المسيو سان كنتان Quintan (رئيس الوفد الفرنسي المفاوض والذي كان قد حضر مؤتمر مونترو) ان تشترط الحكومة الفرنسية على الحكومة التركية مقابل موقفها الودي في مؤتمر منترو الا تثير قضية الاسكندرونة امام سورية الا ان الحكومـــة الفرنسية لم تغتنم هـــذه الفرصة ..» ولكن ليس ثمة ما يؤيد هذا القول .

١٨ ـ مذكرات مجلس النواب السوري لعام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ رقم ١٨٤٩ / ٢ ط٣ ص ٧١ .

١٩ ـ الدكتور مجيد خدوري : المصدر السابق ص ٣٠ .

٢٠ ـ مجلة عصبة الامم في عددها الصادر في يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧ ص ٤٣ ـ ٤٤ نقلا عن الدكتور مجيد خدوري : المصدر السابق ص ٣١ .

٢١ ـ الدكتور صلاح العقاد : المصدر السابق ص ٣١ ـ ٣٢ .

22 — Gabriel Puaux : opt. cit. p. 50 - 51 : .

«.. كان النظام الاساسي يجب ان يصبح ساري المفعول في ٢٩ سبتمبر (تشرين الاول) ١٩٣٧ . ولما كان لا يرضي الاتراك تمام الرضى فانه لم يطبق في نصوصه العسكرية . وفي يوليو (تموز) عام ١٨٣٨ قررت اتفاقات وقعها اركانات الحرب في انطاكية احتلال المنطقة في آن واحد بكتيبة فرنسية وكتيبة تركية . وفي نفس الوقت قام تدبير من طبيعة سياسية بتسوية مسألة الانتخابات . فكـان ذلك عمليا يعني التخلي عن السنجق ، اذ مهما بدا من غرابة الامر ، فقد وجدت في فرنسا عندئذ ، حكومة تستخف بالرأي العام استخفافا كافيا حتى تضمن للحكومة التركية تأمين اكثرية لها فـــي المجلس .

وأصبح السنجق ،بعد تغيير اسمه ، جمهورية هاتاي ، تدار عمليا بموظفين اتراك ..»

٢٣ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق ـ ملف المشاكل الكبرى ـ اوراق الاسكندرونة : راجع في قسم الملاحق نص التقرير المقدم الى المفوضية الفرنسية في بغداد .

٢٤ ـ كتب غابرييل بيو Gabriel Puaux في المصدر السابق ص ٥١ ـ ٥٢ وقد شهد هذه المأساة كمفوض سامي لفرنسا في سورية ولبنان ، فقال : «في انقره ، قد عيل صبرهم . كانت «مهزلة» جمهورية هاتاي قد طالت وأصبحت الكتيبة الفرنسية مزعجة . وبدت الفرصة فـــي يناير ١٩٣٩ قد حانت لوزير الخارجية التركية لطرح مسألة الضم . فشرح الامر بصراحة تامة مع سفيرنا في انقرة ، قائلا بأن تركيا لم تكن تلاحق هدفا اقليميا ، فالمسألة بالنسبة لها هي من نوع فني وعاطفي . وهي على استعداد لاعطاء فرنسا الوقت الكافي لاعداد الرأي العام السوري ولكنها لن

لتراجع قيد شعرة عما احرزته من نجاح في هذه القضية . وبعد ايام كان يوضح بدقة بأن بلاده لم تفكر بالانضمام الى معسكر الدول ذات الحزب الواحد للضغط على فرنسا وانما كانت ترجو الوصول الى ضم اللواء بالتراضي . على هذا النحو كانت تتراءى شروط الصفقة» .

٢٥ ـ مذكرات مجلس النواب السوري لعام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ الجلسة الخامسة المنعقدة يوم السبت ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ .

٢٦ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : ملف المشاكل الكبرى . اوراق قضية الاسكندرونة : رسالة من الدكتوراحمد قدري الى شكري القوتلي . راجع هذه الرسالة في قسم الملاحق .

٢٧ ـ العروبة في ٢ و٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٧ تقرير نبيه العظمة .

٢٨ ـ مذكرات مجلس النواب السوري رقم (٥) في دورة انعقاده الاولى مجلد ١٨٤٩ / ٢ ط٣ ص ٨٧ وما يليها .

٢٩ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق الجزء الرابع ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .

٣٠ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق نفسه ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

٣١ ـ في سلسلة المقالات التي دافع بها بيير فيينو Pierre Vienot عن المعاهدة ، اطرى في المفاوضين السوريين «حنكتهم السياسية وسداد رأيهم» لاقتناعهم منه بعدم التمسك بدقة بمبادىء المعاهدة الانجليزية ـ العراقية الاخيرة ، عندما وجد نفسه مضطرا ، مرتين ، بالاتفاق التام مع ليون بلوم Léon Blum وإيفان ديلبوس Ivan Delbos ، الى اخطارهم بوقف المحادثات اذا لم يقبلوا بوجهة النظر الفرنسية ، في الاولى : ببقاء الجيوش الفرنسية في المناطق الآهلة بالاقليات ، وفي الثانية : بالتزامات الدولة السورية قِبَل فرنسا ـ وليس قبل عصبة الامم فحسب ـ المتعلقة بحقوق الاقليات ، فوافقوا في المرتين على ما يرضيه .

Pierre Vienot : Le Traité Franco - Syrien p. 8 - 9.

٣٢ ـ راجع نصوص بعض العرائض المقدمة بهذا الشأن في قسم الملاحق .

٣٣ ـ في عام١٩٣٦ كشف الجنرالغاملان رئيس اركان الجيش الفرنسي وهو القائد الذي اعاد فتح سورية بعد ثورة عام ١٩٢٥ ، النقاب عن مدى امتداد الثورة وسيطرتها على القسم الكبير من هذه الاقضية وتهديدها لمركز الفرنسيين في لبنان . راجع :

L'Illustration, 9 Mai 1936: Un épisode ignoré de la campagne de Syrie, (B.N. Paris).

٣٤ ـ العاصمة (جريدة الحكومة الرسمية) في ١٦ اغسطس (آب) ١٩٢٠ : عريضة من علماء المسلمين والوجهاء والتجار والمختارين وأرباب الصنائع الحرة وسائر الاهالي في طرابلس ، الى المراجع العليا تطالب بالوحدة مع سورية ، نقلا عن صحف لبنان ، المقطم في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٢٨ برقية سامي شمس باسم دروز حاصبيا ، المرصاد في ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٢٨ المقطم في ١٢ و١٣ مايو (ايار) ١٩٣١ مؤتمر احتجاج على تصريحات الشيخ عبد الحميد الجسر في مجلس نواب لبنان ، وبيان بتوقيع عبد الحميد كرامه والدكتور عبد اللطيف بيسار وحسني الدوق وسعدي المنلا وعارف حسن الرفاعي وعزت مقدم ، كذلك : ظافر القاسمي : وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى وهو ينقل عن مخطوطة لادمون رباط ص ١٣٩ ـ ١٤١ ، راجع كذلك انباء المؤتمرات التي عقدت في دمشق وضمتمندوبين منبيروت وطرابلس وعكا والعلويينوصيدا وصور ووادي التيم والبقاعوبعلبك فياعداد المقطم تاريخ ٢٦ و٣٠ يونيو (حزيران) ٣ و٤ يوليو (تموز) ١٩٢٨ وعدد ١٤ نوفمبر ـتشرين الثاني ـ

١٩٢٩ ، البلاد لصاحبها الشيخ يوسف الخازن في ١٠ و١١ مارس (اذار) ١٩٣٦ . كتاب سليم علي سلام الى هاشم الاتاسي ، المقطم في ٢٠ مارس (اذار) ١٩٣٦ اغلاق جريدة البلاد ، وانذار سليم علي سلام بالكف عن الدعوة للوحدة ...

٣٥ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق نفسه : ص ١٤٧ عريضة صلاح اللبكي الى المفوض السامي بطلب الوحدة واجراء الاستفتاء ، ص ١٤٩ برقيات شباب طرابلس بتأييده ، ص ٢٠٦ عريضة اهالي راشيا والبقاع ص ٢١١ ، ابعاد الامير احمد الشهابي من حاصبيا وراشيا لنشاطه الوحدوي ، ص ٢٢٠ اضراب صيدا وسور والنبطية احتجاجا على اضطهاد حكومة لبنان للمنادين بالوحدة ، ص ٢٢١ بيان حكومة لبنان وتهديدها للصحف بالتعطيل لمناداتها بالوحدة.. الخ.

٣٦ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : ملف الحركة العربية : الوثيقة رقم ٨٢/١٠١ وهي رسالة مخطوطة بخط وتوقيع شكري القوتلي موجهة الى الدكتور احمد قدري . هذا نصها : «الحالة في باريس لا جديد فيها انما يظهر ان الامور تسير سيرها الطبيعي مما عدا قضية اقتطاع الاراضي الملحقة بلبنان ولذلك سيلجأ الاخوان هناك بعد لبنان كدولة اجنبية ورفض كل اشتراك معهم في الدفاع او في المصالح المشتركة او في غير ذلك وجعل جمرك بين البلدين مما سيؤثر على اللبنانيين. وقد بدأ الاضطراب في جبل عامل وفي طرابلس احتجاجا على عدم الحاقهم بسورية . وسنرى ما يكون في الاسبوع القادم .»

٣٧ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : ملف المهجر : رسالة مخطوطة بخط وتوقيع فارس الخوري موجهة الى الياس قنصل ، كذلك راجع استكمالا للصورة بروتوكول رقم (٥) الملحق بالمعاهدة. ومناقشات البرلمان في المصدر السابق ص ٩١ ـ ٩٢ .

٣٨ ـ المقطم في ١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٦ وهو ينقل عن صحف الاسكندرية الصادرة في ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) .

الفصل الثالث عشر

1 — Le Matin, Le Temps, L'Humanité, 10 Sept. 1936 (B.N. Paris).

2 — Pierre Vienot: opt. cit. p.p. 8 - 10.

3 — L'Illustration, 9 Mai 1936: Un Episode ignoré de la Campagne de Syrie .

٤ ـ كانت السلطات الفرنسية تتذرع بنظام القمصان الحديدية وطريقة التحية فيه وبنظام الشباب الوطني المتأثرين بمظاهر التنظيم لدى الشباب الهتلري .. لتدعي بأن الكتلة الوطنية معادية لفرنسا . مع انها تعلم علم اليقين ارتباط كثير من قياداتها .

5 — Pierre Vienot: opt. cit. p. 10.

٦ ـ حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٨٥ .

7 — Pierre Vienot : opt. cit. p. 11.

كذلك حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٨٦ ؛ وكذلك الدكتور صلاح

العقاد : المصدر السابق ص ٣٨ .

8 — Pierre Vienot: opt. cit. p. 11 - 12.

٩ - حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٨٧ ؛ وقد كتب بيير فيينو :

«صحيح كذلك ان ثمة مؤامرات خسيسة - انا على اتم استعداد لفضحها اذا اقتضى الامر ، الا انني امسك عن ذلك الان ، حفاظا على سمعة فرنسا الطيبة في المشرق - قد جرت في لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ فحملتها على التراجع عن مضمون التقرير الرائع الذي كان قد تدمه المرحوم لوسيان هوبيرت Lucien Hubert لصالح الموافقة والتصديق على المعاهدة..»

١٠ - الدكتور صلاح العقاد : المصدر السابق ص ٣٨ .

١١ - راجع في قسم اللاحق صلاحيات المستشار الاداري .

١٢ - حفظ المرحوم نسيب البكري من ايام ان كان محافظا للسويداء » بين اوراقه عددا من البرقيات والمراسلات يلقي ضوءا على تلك المرحلةالتي اتخذ فيها الخلاف بين الانفصاليين والوحدويين، بين من يريدون «استقلال الجبل» ومن يطالبون بوحدته مع سورية ، شكل النزاع حول اختيار المحافظ : من ابناء الجبل انفسهم ام من غير الجبل . كما يوضح اتجاه التكتلات العائلية حول هذا الاختيار او ذاك . مثلا : أ - صورة برقية من المحافظ الى رئيس الوزراء ، وزير الداخلية تفيد ان تعيين محافظ او توكيله من ابناء الجبل يقابله الشعب «الدرزي» بالثورة وان القرى مستعدة للحضور بالبيارق الى السويداء لمساندة محافظ من غير ابناء الجبل . ويطالب الحكومة بتأييد ودعم هذا الاتجاه القومي الصحيح . ب - صورة برقية من سلطان الاطرش يرفض بها الموافقة على ما تقترحه الحكومة من حل لمشكلة المحافظ فهو «غير موافق ، غير جائز » يتنافى مع المصلحة والحالة الراهنة». ج - صورة برقية الى وزارة الداخلية توضح تأييد الانفصاليين والفرنسيين من ورائهم لاختيار محافظ من ابناء الجبل وتعتبر ذلك تمكينا للنعرة الطائفية ..

١٣ - اظهرت اول وزارة «وطنية» عجزها عن تصريف الامور بحزم في المحافظات . وهي ما تزال بعد في أوج قوتها وتمتعها بالتأييد الشعبي . وبالتالي ارساء قواعد متينة للحكم الوطني . وهذا واضح من كتاب وزير الداخلية التالي الى محافظ السويداء : «حضرة الاخ الكريم نسيب بك الافخم .

تحية وسلام وبعد لقد أعلمنا الاخ نبيه بك بعد عودته من لديكم جميع ما جرى معه ابان وجوده في السويداء ثم تباحثنا مع المندوب والكولونيل ومستشاركم وبنتيجة هذه الابحاث قررنا بقاءكم في السويداء مدة عشرة ايام لحين ما تتخذ الحكومة قرارها النهائي .. وأما بقاؤكم على هذه الصورة فسيكون دون ان تصدر قرارا بوكالتكم او ان نستصدر مرسوما بتجديد مدتكم . لهذا نرجو ان يكون بقاؤكم من قبيل الاستمرار على القيام بأعمال المحافظة بدون ان تعلموا بذلك احدا لا رسميا ولا خصوصيا ..

ونظرا لما ذكرنا ارى ان لا تقوموا بأعمال اساسية كالتعيين او العزل او اصدار المقررات القانونية خشية ان تكون مثل هذه الاعمال موجبة للنقد القانوني وان تكتفوا بتسيير الامور بصورة عملية دون ان يشعر احد بأي تبدل في الوضع . ودمتم» .

دمشق في ٢٧ تموز ١٩٢٧ التوقيع : وزير الداخلية - سعد الله الجابري

١٤ - راجع في قسم اللاحق تقرير مندوب المفوض السامي المرفوع الى رئيس الوزراء السوري.

١٥ - راجع كتاب سكرتير الحزب الشيوعي . خالد بكداش ، الى الكتلة الوطنية بهذا الشأن

في قسم الملاحق .

١٦ ـ مذكرات المجلس النيابي السوري في جلسته الثالثة عشر من الدورة العادية الرابعة في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٨ .

١٧ ـ القبس ، الف باء ، الايام ، الانشاء في ٢٦ اذار (مارس) ١٩٣٨ ، مذكرات المجلس النيابي السوري في جلسته المنعقدة يوم ٢٢ اذار (مارس) : راجع الجريدة الرسمية ، كذلك راجع كلمة فارس الخوري في الجلسة نفسها .

١٨ ـ محمد الفرحاني : المصدر السابق ص ٧٥ .

١٩ ـ حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٩٣ ، محمد الفرحاني المصدر السابق ص ٨٤ .

٢٠ ـ مرسوم رقم ١٦٩ ومرسوم رقم١٧٠ لعام ١٩٣٩ في ٢٣ فبراير (شباط) : الجريدة الرسمية: لطفي الحفار للرئاسة والمعارف ، مظهر رسلان للداخلية والدفاع ، سليم جنبرت للاقتصاد الوطني، فائز الخوري للمالية والخارجية ، نسيب البكري للعدلية .

٢١ ـ راجع مثلا على ذلك كتاب مندوب المفوض السامي بدمشق الى رئيس الوزارة السورية ، في قسم الملاحق .

٢٢ ـ حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٩٥ .

٢٣ ـ حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٩٧ .

٢٤ ـ الف باء في ٩ تموز ١٩٣٩ راجع مناقشة كتاب فارس الخوري الى رئيس الوزارة، الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ٤٢٢ ـ نص الكتاب كاملا .

٢٥ ـ المصدر السابق نفسه .

٢٦ ـ راجع نص كتاب هاشم الاتاسي الى المجلس النيابي في الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

٢٧ ـ الدكتور صلاح العقاد : المصدر السابق ص ٣٩ .

٢٨ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ٤٣٧ .

٢٩ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ٤٣٦ .

٣٠ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي : المصدر السابق ص ٤٣٧ .

الفصل الرابع عشر

١ ـ كانت عودة الوفد بالقطار السريع من باريس الى تركيا. ولم تقتصر استقبالاته على منظمات «القمصان الحديدية» والكشافة وانما زحفت الجماهير من كل مكان وخاصة من دمشق بقيادة فخري البارودي ، بما يشبه الاستقبالات التي كان يواجه بها عبد الناصر .

٢ ـ تستحق حركات الطلاب ان يفرد لها بحث خاص يتقصّى ابراز ذلك التأجج العاطفي الذي كان يحرك البلاد من اقصاها الى اقصاها ؛ فقد لعب المثقفون ـ وكان الطلاب في المدارس محور توتهم ـ دورا رئيسيا في فضح الكتلة الوطنية في مواقف المهادنة .

٣ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : ملف المنظمات : اوراق الاتحاد الوطني العام .

٤ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : اوراق احمد حلمي العلاف : شباب الاتحاد الوطني العام .

٥ ـ محمد حرب فرزات : المصدر السابق ص ١٣٦ .

٦ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : ملف الاحزاب ، حزب الجبهة الوطنية المتحدة : منهاج الجبهة .

٧ ـ حددت المادة الثانية من منهاج الجبهة اهدافها كما يلي : «ان سورية بحدودها الطبيعية جزء لا يتجزأ من الوطن العربي العام وان الهدف الاصلي لهذه الجبهة تحرير سورية والغاء جميع قيود الانتداب وكل سلطة اجنبية عنها واستقلالها استقلالا فعليا صحيحا ضامنا لها سيادتها الحقيقية وجميع حقوقها وحرياتها السياسة والدستورية لتتمكن من الوصول في المستقبل الى الهدف الاسمى بالانضمام الى الوحدة العربية» . ونصت المادة الثالثة على انه : «لا طائفية ولا تفريق بين ابناء الوطن وكلهم متساوون في الحقوق والواجبات لا فضل لواحد على آخر الا بنسبة كفاءته وتضحيته واخلاصه لامته ووطنه» .

٨ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : الجبهة الوطنية المتحدة . نشرة عامة ، كذلك راجع خلاصتها في المقطم تاريخ ٨ مارس ١٩٣٦ .

٩ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : اوراق الدكتور احمد قدري. وفيها نص رسالة منه بهذا المعنى وأخرى من شكري القوتلي اليه ، كذلك راجع نص رسالة هاشم الاتاسي الى الدكتور الشهبندر بتاريخ ١٤ مارس ١٩٣٦ في المقطم عدد ١٨ مارس (اذار) ١٩٣٦ وفيها : سيدي : نهار امس حضرت الى بيروت لاجل تقديم الوفد السوري المفاوض الى المفوض السامي واجراء التعارف بينهما قبل سفره الى باريس وبعد اتمام ذلك خلوت به وطلبت منه مرة ثانية التوسط بالعفو عن جميع المحكوم عليهم السياسيين والمحرومين من العودة الى الوطن فطلب تأخير هذا البحث الان فأجبته بأن هنالك اشخاصا لا بد من حضورهم الى باريس في اثناء المفاوضات لنفوذ كلمتهم وقيمة رأيهم فقال انه سيسعى لاستصدار امر بالترخيص لهم بالمجيء الى باريس بعد وصوله اليها ..»

١٠ ـ ام القرى في ٢٨ شعبان ١٣٥٥/١٣ ديسمبر (كنون الاول) ١٩٣٦ . المقطم في ٢٥ اكتوبر وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

١١ ـ حنا خباز والدكتور جورج حداد : المصدر السابق ص ٩١ ـ ٩٢ .

١٢ ـ مذكرات المجلس النيابي السوري جلسة ٢١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٩ .

١٣ ـ بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي ـ اللجنة المركزية ، بيروت ، تشرين الثاني ١٩٣٨ .

١٤ ـ علي حاج بكري : العقلية العربية بين الحربين ص ٥٦ ـ ٥٧ .

١٥ ـ نشرة عمدة الاذاعة في الحزب السوري القومي ، العدد السادس تاريخ ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ : «ان فلسطين جزء من وطن كامل غير قابل التجزئة لامة واحدة هي الامة السورية» ، كذلك في : المحاضرات العشر : المحاضرة الرابعة ص ٦٧ : «لا يوجد في فلسطين عرب ومسيحيون بل شعب هو جزء من الامة السورية التي تحمل رسالة تنص في جملة موادها على انهاض العالم العربي اجمع» .

١٦ ـ مبادىء الحزب طبعة عام ١٩٣٦ : «١ ـ سورية للسوريين والسوريون امة واحدة .

٢ ـ القضية السورية قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن اية قضية اخرى .

٣ ـ [illegible] السورية هي قضية الامة السورية والوطن السوري ،

٤ ـ الامة السـ[illegible] من تاريخ طويل يرجع الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي .

٥ ـ الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الامة السورية وهي ذات حدود طبيعية جغرافية تميزها عن سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال الى قناة السويس في الجنوب ، شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر السوري في الغرب حتى الالتقاء بدجلة .

٦ ـ الامة السورية هيئة اجتماعية واحدة .

٧ ـ تستمد النهضة السورية القومية روحها من مواهب الامة السورية وتاريخها القومي والسياسي .

٨ ـ مصلحة سورية فوق كل مصلحة .

١٧ ـ انطون سعادة : نشوء الامم ـ الكتاب الاول ١٩٣٨ ص ١٦٦ .

١٨ ـ انطون سعادة : المحاضرات العشر : المحاضرة الرابعة ص ٦٧ .

١٩ ـ مبادىء الحزب .

٢٠ ـ خضر الامين : ابحاث في القومية الاجتماعية ، منشورات دار الجيل الجديد بدمشق ١٩٥٤ المحاضرة الثانية ص ١١ .

٢١ ـ المبادىء لعام ١٩٣٦ وصورة القسم هي : «انا (...) أقسم بشرفي وحقيقتي ومعتقدي على انني انتمي الى الحزب السوري القومي بكل اخلاص وكل عزيمة صادقة وأن أتخذ مبادئه عقيدة لي ولعائلتي وشعارا لبيتي وأن احتفظ بأسراره فلا ابوح بها لا بالقول ولا بالكتابة ولا بالرسم ولا بالحفر ولا بأية وسيلة او طريقة اخرى لا تطوعا ولا تحت اي نوع من انواع الضغط وان احتفظ قوانينه ونظاماته وأخضع لها وأن احترم قراراته وأطيعها وأن انفذ جميع ما يعهد فيها اليّ بكل امانة ودقة وأن اسهر على مصلحته وأؤيد زعيمه وسلطته لا اخون الحزب ولا اي فرع من فروعه ولا واحدا منهم وأن اقدم كل مساعدة اتمكن منها الى اي فرد عامل من أفراد الحزب متى كان محتاجا اليها وأن اقوم بواجبي نحو الحزب .. عن كل هذا اقسم» .

٢٢ ـ خطاب الزعيم في مارس (اذار) ١٩٣٨ ص ١٩ .

٢٣ ـ خالد بكداش : حركة التحرر الوطني والنضال في سبيل الاشتراكية ص ٥ .

٢٤ ـ مقابلة مع خالد بكداش في دمشق مساء ٢١ـ١ـ١٩٧٣ ومعنى ذلك ان خالد بكداش يسقط من تاريخ الحزب عصبة سبارتاكوس التي ألفها في بيروت ارتين مادويان وهيكازون بويادجيان عام ١٩٢٠ .

٢٥ ـ الياس مرقص : تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي . منشورات دار الطليعة ـ بيروت طبعة اولى ١٩٦٤ ص ١٦ .

٢٦ ـ خالد بكداش : حركة التحرر الوطني والنضال في سبيل الاشتراكية ص ٦ .

٢٧ ـ خالد بكداش : حركة التحرر الوطني والنضال في سبيل الاشتراكية ص ٧ .

٢٨ ـ محمد حرب فرزات : المصدر السابق ص ١٩٤ .

٢٩ ـ البرق في ٢٦ آب (اغسطس) ١٩٣١ كان ابرز الشيوعيين حينئذ : ارتين مادويان وزاديك دادوريان وبانوس امانوسيان واغوب دربدوسيان وميسك ارمنيكيان وجرجي يوسف راشد .

٣٠ ـ الياس مرقص : المصدر السابق ص ٢٦ .

٣١ ـ ولتر لاكور : الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط ـ المكتب التجاري ـ بيروت ١٩٥٩ ص ١١٨ ـ ١١٩ .

32 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien) 10 Juillet 1930.

٣٣ ـ خالد بكداش : المصدر السابق ص ٩ .

34 — B.N. Paris : L'Humanité 15 Octobre 1925.

٣٥ ـ البرق في ٢٦ آب (اغسطس) ١٩٣١ .

٣٦ ـ البرق في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٣٠ ، النداء في ٢٣ اذار (مارس)

37 — B.N. Paris : Les Echos (Quotidien Syrien 20 Septembre 1930.

٣٨ ـ «البروجرام» الشيوعي : مطبوعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري عدد ١ لسنة ١٩٣١ : كراس من ٣٨ صفحة : راجع بعض الصفحات منه في الملاحق .

٣٩ ـ ولتر لاكور : المصدر السابق ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

٤٠ ـ خالد بكداش : المصدر السابق ص ١٠ ـ ١١ .

٤١ ـ صوت الشعب في ١٩ مايو (ايار) ١٩٣٧ .

٤٢ ـ صوت الشعب في ٦ ابريل (نيسان) ١٩٣٨ .

٤٣ ـ الياس مرقص : المصدر السابق ص ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ .

٤٤ ـ محمد حرب فرزات : المصدر السابق ص ١٩٩ .

خاتمة

١ ـ راجع في قسم الملاحق ، منشور تحت عنوان : «من الطلاب الى الامة» .

٢ ـ راجع في قسم الملاحق نشرة : «حركة اليقظة العربية القومية» .

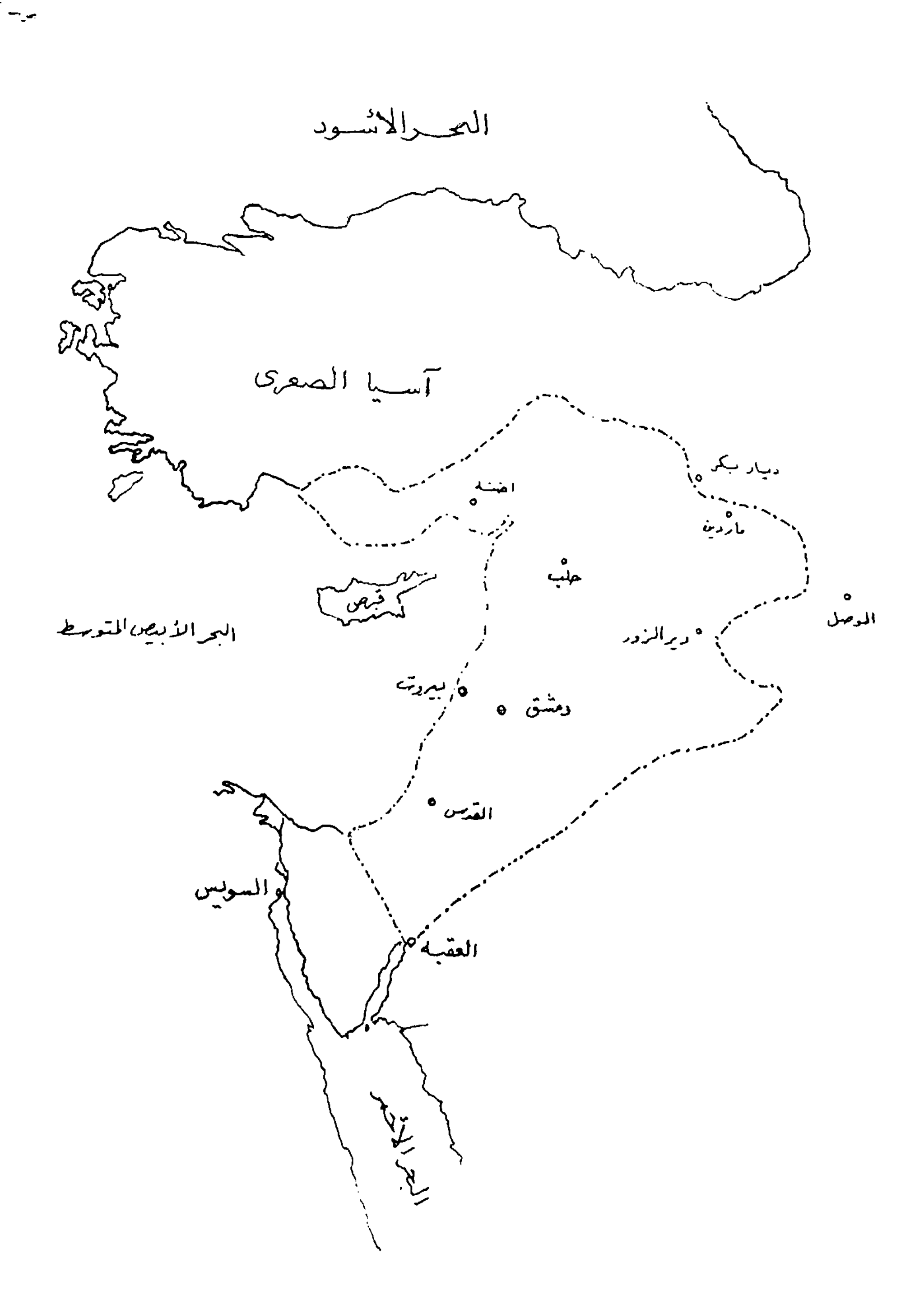
٣ ـ مركز الوثائق التاريخية بدمشق : الوثيقة ٩١ـ٧٥ـ٢١٩ كتاب مكتوم من محافظ حمص الى وزير الداخلية بخط اليد ؛ كذلك الوثيقة رقم ٩١ـ٧٥ـ٢٢٤ رسالة من محافظ درعا الى وزير الداخلية بتاريخ ١٩ اذار (مارس) ١٩٣٩ وتقرير الشرطة الى محافظ حوران في الوثيقة رقم ٩١ـ٧٥ـ٢٢٣ .

٤ ـ بيان مكتب الكتلة الوطنية في حمص .

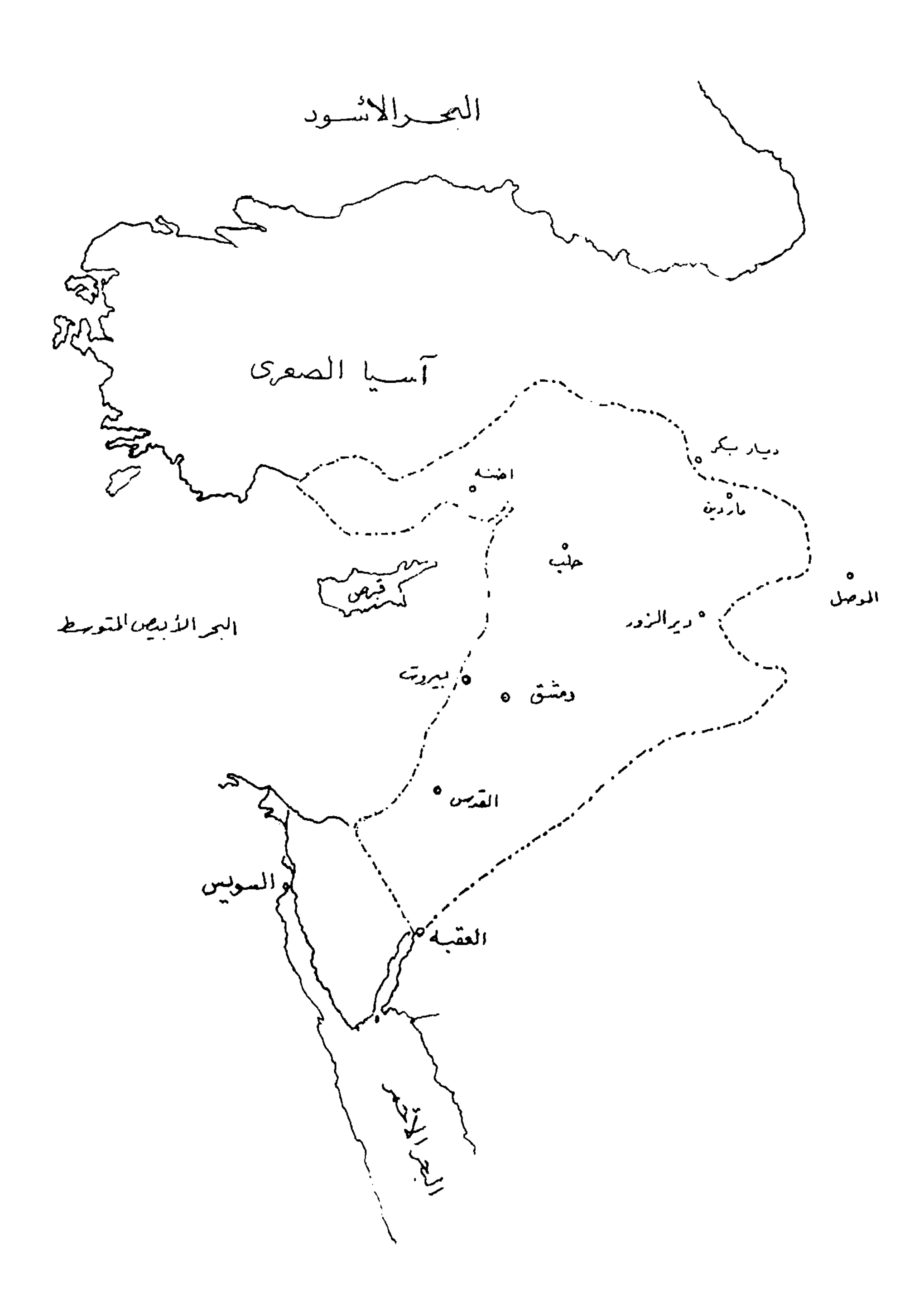
٥ ـ راجع في قسم الملاحق احد البيانات الصادر عن مكتب من مكاتب الكتلة الوطنية .

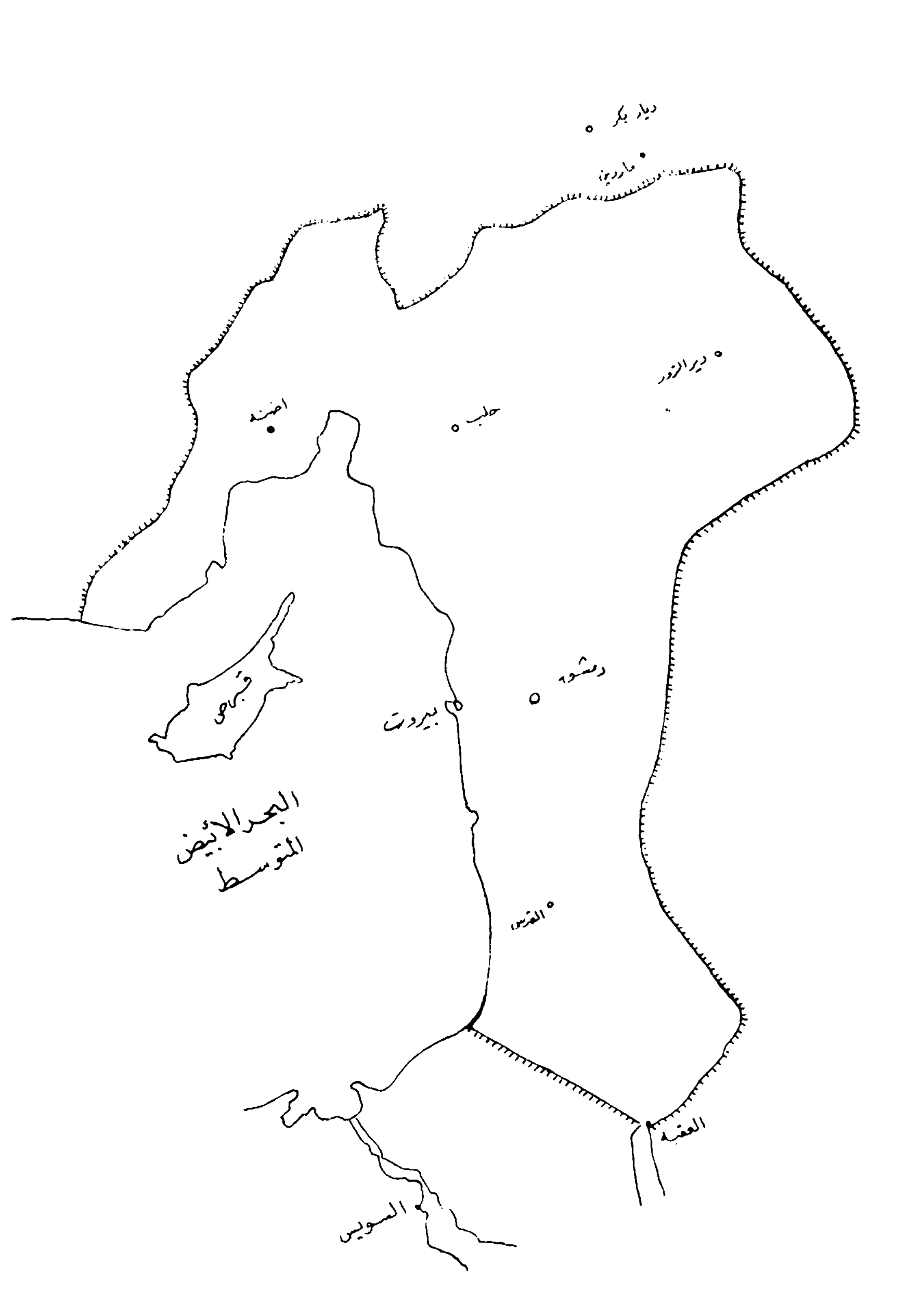
٦ ـ «بروغرام» الحزب الشيوعي ص ٣٠ ـ ٣١ ؛ راجع قسم الملاحق .

٧ ـ راجع احدى نشرات هذه «الحركة» في قسم الملاحق .



البحر الأسود
آسيا الصغرى
اضنه
ديار بكر
ماردين
حلب
قبرص
الموصل
دير الزور
البحر الأبيض المتوسط
بيروت
دمشق
القدس
السويس
العقبة
البحر الأحمر


البحر الأسود
آسيا الصغرى
ديار بكر
اضنه
ماردين
حلب
الموصل
دير الزور
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
بيروت
دمشق
القدس
السويس
العقبة
البحر الأحمر



ديار بكر
ماردين
دير الزور
اضنه
حلب
قبرص
دمشق
بيروت
البحر الابيض المتوسط
القدس
العقبة
السويس

ملحق رقم ـ٢ـ

نماذج من العرائض لضم بعض المناطق الى لبنان :

١ ـ من كهنة ووجوه قصبة اهدن .

نتشرف برفع عريضتنا هذه انا لما كان القصد من حرب دولتي فرنسا وانكلترا في الشرق تحرير الشعوب المظلومة وتأسيس حكومات وإدارات تنشأ فيها حسب ما يود الاهلون مخيرين وبما اننا من تلك الشعوب نسترحم من عدالتها اجابة مطلوبنا الآتي :

اولا : توسيع نطاق جبل لبنان توسيعا موافقا لحدوده الطبيعية .

ثانيا : توسيع امتيازاته بما يناسب حالة الاهلين الحاضرة وطبائعهم .

ثالثا : حماية وإدارة الجمهورية الفرنساوية .

مكررين الاسترحام بقبول التماسنا داعين لمعاليكم بالنصر .

٦ كانون الاول ١٩١٨
التواقيع وعددها عشرون

٢ ـ من قضاء راشيا .

لمعالي حضرة القوميسير الاعلى في ولاية بيروت المسيو جورج بيكو الافخم .

نحن الموقعين امضاءاتنا بذيله من طائفة الروم الكاثوليك بقضاء راشيا نتشرف بأن نعرض لحضرتكم ما يلي : انه لما كان قضانا راشيا من ضمن لبنان الكبير بمقتضى الخريطة التي وضعتها دول اوربا سنة ١٨٦٠ وقضت سياسة اوربا بفصل قسم كبير منه وحرم قضانا تلك المساعدة التي وضعتها يد الدول العظمى واليوم هذه الدول وضعت على مسؤوليتها اعادة الحقوق المهضومة فإليها نرفع صوتنا مستغيثين باسم العدل اعادتنا الى النقطة التي حذفتنا منها تركيا من الخريطة القديمة واعتبار قضانا من ضمن لبنان الكبير تحت حماية فرنسا راجين رفع عريضتنا هذه للمؤتمر العالي لينظر بحالتنا ويتذكر اننا بيده وضعنا مع لبنان الكبير وهو اليوم المسؤول تجاه الله والعالم المتمدن لاعادة حقوقنا المهضومة .

تواقيع : مختار الكاثوليك عضو مجلس ادارة براشيا وكيل متروبوليتان الروم الكاثوليك بقضاء راشيا

٣ ـ من مختلف الطوائف المسيحية في قضاء راشيا :

نحن الموقعين اختامنا وامضاءاتنا في ذيله سكان قضاء راشيا الواقع في سفح جبل حرمون الغربي لكون بلادنا هي من حدود لبنان القديمة الطبيعية كما تثبت

ذلك الادلة التاريخية والجغرافية والجيولوجية وقد فصلت بلادنا عن لبنان السياسة التركية منذ نصف قرن فنريد ان تنضم الى لبنان الكبير المنوي تأسيسه على ان يكون حائزا على امتيازاته واستقلاله ويكون مربوطا في سورية ربطا اقتصاديا تكفله الدولة الوصية على لبنان وسورية وعلى هذا نرفع طلبنا بواسطتكم الى مؤتمر السلام المعظم واننا نتمنى بأن تكون الجمهورية الفرنسوية الفخيمة الدولة الوحيدة المساعدة لنا وبهذا نكون قد نلنا مراحما عظيمة يجود بها علينا المؤتمر العالي .

التواقيع والاختام وتبلغ اكثر من ٤٠٠ من الطوائف المسيحية .



ملحق رقم -٣-

اتحاد الدول السورية

ان المفوض السامي للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان

بناء على مرسومي رئيس الجمهورية الصادرين في ٨ تشرين الاول سنة ١٩١٩ و٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

وبعد اخذ مطالعة مدير المالية ووكيل رئيس المباحث التشريعية وبناء على اقتراح السكرتير العام قرر ما يلي :

الفصل الاول

المادة ١ ـ قد انشيء اتحاد بين الدول السورية المستقلة المؤلفة من دولة حلب ودولة دمشق وأراضي العلويين .

المادة ٢ ـ ان الدول الواقعة تحت الانتداب الافرنسي داخلة كانت في الاتحاد او لم تكن يكون لها عين النظام فيما يتعلق بالنقود والمعاملات الجمركية . ولا يمكن ان يفصل بينها بأدنى حاجز جمركي او تجاري .

الفصل الثاني
سلطة الاتحاد التنفيذية

المادة ٣ ـ تخول السلطة التنفيذية لرئيس الاتحاد الذي يمكنه تكليف حاكمي الدول بالنيابة عنه لتنفيذ قرارات المجلس الاتحادي .

ان رئيس الاتحاد هو رئيس المجلس الاتحادي . وينتخب رئيس الاتحاد من قبل المجلس الاتحادي من بين الاعضاء بأكثرية الاصوات المطلقة لممثلي الدول .

ويكون انتخابه لسنة كاملة ، يقوم فيها بوظيفته بصورة دائمة ولا يمكن تجديد هذا الانتخاب للسنة التي تلي انتهاء مدة وظيفته . وهو مكلف بان يعد الميزانية ويضمن تنفيذها ويدرس ويهيء ويقترح المشاريع من اي نوع كانت التي ستعرض على المجلس الاتحادي ويعهد اليه امر موظفي الاتحاد وله الحق بتحويل هذه الصلاحية الاخيرة لغيره . وهو يعين ايضا ممثلي الاتحاد الذين يوكل اليهم امر المفاوضة في الاتفاقات مع الدول غير الداخلة في هذا الاتحاد وهو ينشر القوانين ويكلف الدول بتعميمها .

المادة ٤ ـ يساعد رئيس الاتحاد في مهام وظيفته مديرون اتحاديون ومجلس اتحادي . وهذه المديريات الاتحادية تتكون بصورة موقتة كما يأتي :

١ ـ مديرية المالية ٢ ـ الاشغال العامة ٣ ـ الامور الحقوقية ويرشد هؤلاء المديرين مستشارون افرنسيون .

الفصل الثالث : المجلس الاتحادي

المادة ٦ ـ يؤلف المجلس الاتحادي من خمسة ممثلين لدمشق وخمسة لدولة حلب وخمسة لبلاد العلويين . وينتخب هؤلاء الممثلون لمدة سنة من قبل مجالس الحكومة حينما يصير تشكيلها على الطريقة الانتخابية . على انه لا يجب ضرورة ان يكون اعضاء المجلس الاتحادي من اعضاء مجلس الحكومة الذين يعينهم بل يجري تعيينهم بصورة مؤقتة من قبل حكومات الدول .

المادة ٧ ـ يلتئم المجلس الاتحادي بالمناوبة تارة في الشام وتارة في حلب في كل منها سنة واحدة ويتخذ له دائرة تمثل فيها كل البعثات وهذه الدائرة تتألف كما في المادة الثالثة من رئيس ويكون رئيسا للاتحاد ومن نائبي الرئيس .

والمادة ٨ ـ تحدد التآم المجلس في اول نيسان وفي اول تشرين الثاني من كل سنة ولمدة ثلاثة اسابيع يمكن الرئيس تمديدها .

الفصل الرابع : صلاحية المجلس الاتحادي

المادة ١١ ـ يكون للاتحاد قانون واحد في المواد الآتية : ١ ـ قانون العقارات والامتلاك ٢ ـ قانون المدني (الانفاقات والعقود) ٣ ـ قانون التجارة ٤ ـ اصول المحاكمات الحقوقية والتجارية ـ طرق الاجراءات ٥ ـ قانون الجزاء ٦ ـ محافظة المتلكات الصناعية والتجارية والادبية .

والفصل الخامس : في الميزانية المشتركة . في وارداتها وكيفية صرفها .

والفصل السادس :في حق المجلس في سؤال الرئيس خطا عن الاجور المتعلقة بالاتحاد .

والمادة ٢٣ منه في تعيين بقرار ثان بتشكيل وصلاحية المحكمة التي تكلف في مسائل سوء الاستعمال الذي تقترحه السلطة الاتحادية .

ملحق رقم ـ٤ـ

١ ـ نماذج من التصرفات التي كان يشكو منها اهالي جبل حوران ويرفعون عرائض بها الى المفوض السامي

١ ـ حصر جميع السلطات ليده اذ لا يستطيع موظف ما عمل بصلاحية وظيفته من عموم الدوائر الحكومية بجبل الدروز حتى ولا راس البلدية وايضا ناطور الزرع والحرش بلا امره .

٢ ـ منع الدروز من نزول الشام الا من اراد ذلك فيعمل له وثيقة بعد ان يدفع ثمنها ريالين مجيدي لمدة ثلاثة اشهر فقط .

٣ ـ فرض الغرامات على القرى بموجب الوشايات الكاذبة دون تروي ولا تحقيق ابدا . فرض الغرامات الاسلحة على كل قرية تتشاجر مع بعضها حيث يجبر الاعزل لشراء بندقية من مونة عياله ليقدمها له .

٤ ـ اكراه القرى على الاستقبالات له مع الرقص واللعب والتعظيم والويل كل الويل لمن يقصر بهذا الواجب .

٥ ـ طلب الحملة لقرى الحلبية وتكليفهم نفقتها بسبب وشاية ان احد رؤساء الحلبية سعيد بك عز الدين طلب الوحدة السورية بأحد صحف دمشق .

٦ ـ حادث الرجل الوجيه الشيخ حامد قرقوط من قرية ذيبين وما جرى به من الفظائع بسبب عدم ملاقاته مع اهل بلدته للحاكم ..

٢ ـ نموذجان لفرض الغرامات بالذهب

أ ـ المديرية العامة لدرك حكومة جبل الدروز

حضرة رئيس السرية الشمالية حسني افندي صخر المحترم

فور اطلاعكم على كتابنا يقتضي ان توعزوا الى اهالي ام الزيتون بدفع غرامة مائة ليرة عثمانية بناء على تمنعهم عن الحضور الى العاصمة وعدم اجابة طلبنا . ويجب ان تدفع الغرامة هذه نهار الاثنين مساء الواقع في ٢٢ الجاري لصندوق الحكومة بدون مراجعة : ثم يقتضي ان تخطروا القرى هناك وتنذروهم الانذار النهائي ان يطيعوا أوامر الحكومة ويسلكوا السبيل الاقوم وإلا يجري سجنهم كما جرى بأهالي أم الزيتون قطعيا وما لومهم بعد صدور امرنا الا على انفسهم والسلام.

٢٠ـ١ـ١٩٢٣

عن الحاكم العام (للدرك)

(التوقيع)

ب ـ قيادة حكومة درك جبل الدروز
عدد ١٤٩

لحضرة الرئيس حسني افندي المحترم

١ ـ بالاهتمام يقضي بتحصيل خمسون ليرة عثمانية ذهب عين من اهالي قرية بثينة جزاء وارسالهم بظرف اربعة ايام برفق أوجه البلد .

٢ ـ تحصيل خمسون ليرة عثمانية ذهب عين من اهالي قرية الحقف وارسالهم بظرف اربعة ايام برفق أوجه البلد .

٣ ـ اذا حصل تأخير بالمادتين الاولى والثانية يضاعف المطلوب .

٤ ـ اجراء التحقيقات المدققة عن قرية عراجة اذا كان حوّل فيها (اي منزل) احد من رجال العصبة الشريرة (جماعة سلطان) .

٥ ـ اقبلوا عطر تحياتي .

في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٢٣

القائد العام (للدرك)
(التوقيــع)

***

ملحق رقم ـ٥ـ

باعلان الشريف حسين ثورة العرب على السلطان والدولة العثمانية انشق اهالي الجبل «جبل حوران» الى اتجاهين : مؤيد للثورة وعلى رأسه سلطان الاطرش ومتمسك بالدولة العلية وعلى رأسه سليم الاطرش خليفة يحيى في دار عرى ، مقر الزعامة التقليدية . وقد عرضت الرسالتين التاليتين المتبادلتين بين زعيمي هذين الاتجاهين ، على سلطان باشا الاطرش ، فتذكرهما وصادق على صحتهما :

١ ـ كتاب سليم باشا الاطرش الى سلطان :

لجناب معالي قائد الجيش الدرزي دولتلو سلطان باشا المعظم .

بعد السلام عليكم اطلعت على تحريركم المرسل‌منكم الى اهل القرى (ام الرمان) والغارية وحوط وعنز والمغير وبكه وتطلبوهم يوافوكم الى بصرى اسكي شام لاجل تتوجهوا عند الشريف ، لاجل انتقامكم من الدولة العثمانية ، الابدية القرار انشاء الله ، ايها القائد العظيم اسلافنا عند اختلاف الدولة واهل الشمال انقسمت الدروز قسمين قسم مع الدولة وقسم مع اهل الشمال والآن لا تحوجونا تقسم الدروز قسمين ، بل اهجعوا وارجعوا عن طفيكم وبفيكم . ثانيا : نستغني عنكم ونحسب ان سلطان ما كان . ثالثا : لا تسبحوا على شبر من الماء. رابعا: تخبروا

الناس وتفشوهم ان نابلس لحد الناصر ، سقطت مع ثلاثين الف عسكــري يسرا (اسراء) ولا نعلم عندكم تلقون بلا سلك لحتى فهمتوا الحقيقة وعمال تطفوا جهلاء الدروز للاشتراك مع جيش علبة العطارة جيش الشريف .

واعلموا اذا بقيتم معولين على فكركم . ان قرياكم وجيشكم الجرار ونحــن ليس غشاشين ولا هوكار اسلافنا الغش للطاقة ، اذا كان تعنوا عن اسلافنا هم الذين ثبتوا عرش الدولة العثمانية في وقت حرب السلطان سليم وملك الغوري . وايضا وقت ابراهيم باشا المصري ثبتوا عرش الدولة ، هكذا منهج اسلافنا ويعزّوا المغلوب وليس كان مثل منهجكم . ينغشوا فــــي المال ويضيعوا احساساتهــم واحساسات الطائفة . عساكم خلف ، لا عن سلف . هذا ولا خلافه ودمتم .

في ١٧ ذي الحجة ١٣٣٦

كاتبــه

سليم الاطرش

٢ ـ كتاب سلطان :

لجناب معالي قائد الجيش التركي سليم باشا الاطرش الافخم .

بعد السلام عليكم ابدي . انه اطلعت اليوم على رسالتكم الوهمية التي لقنت عليكم من صناع الترك وكنت اريد ان اجيبكم على كل حرف منها غير ان وقتنــا الثمين لا يسمح لنا وخاصة على ذكركم الدولة التركية البائدة ووصفكم اياهــا بأسماء وصفات هي لا تقبلها على نفسها ، لانها تقر بقصر باعها وعجزها وكفاها ذلك باستنادها عليكم فيا حضرة ابن العم المحترم لسنا المفشوشين . لاننا لم نطعم من مأكل (دامسكوس بالاس) ولا دخلنا جنينة البلدية بالشام . ولا قابلنا تركيا قاتل آبائنا وهاتك عرض بلادنا . اقرا شعار جدّك شبلي رجل الدروز الذي هو اليوم يناديك من أعماق قبره وينهيك لعدم اطاعتك تعليماته التي يتسلح بها العدو قبل الصديق ليأخذ احتياطه من خيانة الترك الظالمين . ونحن اعلنا الحرب المقدسة على بواقي جيوش الترك الجائعة وننصحك ان تعود الى جادة الصواب لئلا بعد قليل تندم حيث لا ينفع الندم . وان الاخبار التي سمعناها عن سقــوط بلاد نابلس والناصرة وطبريا بيد دولة العالم وسيدة البحار بريطانيا العظمى صديقتنا القديمة وخاصة دمار طائفة الدروز هي حقيقة وليست اخبارا مصنوعة في المانيا او آتية بطريقة الاجانس العثماني ... اما اتراك اللئام فهم قوم جالطة يوك اي كل شيء عندهم مفقود حتى الجند وعليه باسم عائلتنا الكريمة التي اريد ان اخرج من صف رجالها كما تريد انت انصحك ان ترعوي وتعود الى صوابك لئلا تصبح محروما من ان تكون طرشانياً بطبيعة الحال اما جيش علبة العطارة فهو جيشك الفارّ ونحن الان بصف الدول العظمى ... ونحن انشاء الله سنكون خير سلف وسنحافظ على

شرف الدروز ومستقبلهم ولا نجعلهم ان يداسوا كما تريد ان تضعهـــم انت تحت اقدام اسقط واوحش دويلة في العالم ودمتم .

في ١٩ ذي الحجة ١٣٣٦
ابن عمكم
سلطان الاطرش



ملحق رقم ـ٦ـ
برنامج استقلال «دولة جبل الدروز»

رفع بعض رجال الدين في السويداء الكتاب التالي مرفقا ببرنامج الاستقلال الذي قيل انه تم الاتفاقعليه بعد اجتماعات جرت في لاهثة والكفر وصلخد وقنوات وكان خاتمتها مؤتمر السويداء :

لحضرة رئيس البعثة الافرنسي في دمشق الافخم .

بناء على بلاغاتكم المتكررة للرؤساء الروحيين ، لنا الشرف ، ان نقـــدم لسيادتكم بالنيابة عن الشعب الدرزي في جبل حوران ، برنامج الاستقلال ، المدرج أعلاه الذي يطلبه الشعب لكي تتكرموا بتقديمه لحضرة صاحب الفخامـــة المندوب السامي راجين ان يتوسل بالتصديق عليه ، من قبل حكومة الجمهورية الافرنسية المعظمة .

واقبلوا فائق احترامنا .

في ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ الامضاءات
الرؤساء الروحيون ومشائخ الجبل

١ ـ حكومة جبل الدروز هي حكومة شورية ومستقلة استقلالا داخليا تاما .
٢ ـ تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنساوي بشكل لا يمس استقلالها .
٣ ـ تسمى هذه الحكومة ، مشيخة جبل حوران ، ويدخل ضمنها كامل وعرتي واللجاة والصفا وتمتد الى حدود دير علي من الجبهة الشمالية والى حدود الازرق من الجبهة الجنوبية .
٤ ـ يراس هذه الحكومة ، حاكم اهلي تنتخبه الاهالي وفقا لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات . ويكون لها مجلس استشاري كبير ، تنتخب اعضاؤه وفقا لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات ايضا . .
٥ ـ يقوم هذا المجلس ، مقام المجلس الملي ، ولا يقل اعضاؤه عن الثلاثين عضوا.
٦ ـ تعين وتحدد صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه عموم اهل البلاد بجمعية عامة .

٧ ـ تستمد حكومة الجبل ما تحتاج اليه من المساعدة المالية والفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة .

٨ ـ لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بأمور الجبل الداخلية ولا تجنيد اهالي جبل حوران ، ولا تنزع الاسلحة منهم ضمن المنطقة الفرنسوية .

٩ ـ يعهد بأمور الجبل السياسية ، الخارجية ، لأموري الحكومة المنتدبة السياسيين ولا يكون للحكومة الوطنية مأمورون سياسيون لا في الشام وفلسطين وجبل لبنان .

١٠ـ واردات الحكومة تكون :

اولا : ما يصيبها من حصة الجمارك السورية والفلسطينية .

ثانيا : ما يصيبها من واردات ممالح اثري وكاف .

ثالثا : واردات قرى املاك الدولة ، التي ستدخل ضمن حدود حكومة الجبل.

رابعا : ما يطرحه المجلس الملي ، من الضرائب ، عند الاحتياج المبرم . على انه لا يحق لهذا المجلس ، ان يقرر استيفاء ضريبة الاعشار ، من حاصلات الاراضي انما الاموال التي يجوز له ، ان يقرر استيفاءها من الاراضي ، يجب ان تكون مقطوعة ، ومصدقا عليها ، من عموم اهل البلاد بجمعية عامة .

١١ـ اذا خالف رئيس الحكومة ، منافع الجبل العمومية ومصالحه الحيوية ، واخل بالقوانين الموضوعة الاساسية واعطى قرارا من المجلس بتنحيته واستحصل على فتوى من مشايخ العقل بذلك ، فحينئذ يتنحى وينتخب خلافه .

١٢ـ مشائخ العقل ، يكونون منصوبين ، لقيد الحياة ، ولا يعزلون ، ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة ، المداخلة بوظائفهم الدينية .



ملحق رقم ـ٧ـ

انشا المندوب السامي الذي كان يملك صلاحيات التشريع دون اللجوء الى استشارة الحكومة السورية المحكمة الاستثنائية في ١٠ـ٩ـ١٩٢٥ بالقرار رقم٣٦٤ بعد ان نظرت في ست دعاوي هامة الغاها لان احكامها لم تأت وافية بالغرض وانشا المجلس العدلي بالقرار رقم ٢٨ تاريخ ٢٤ـ١٢ـ١٩٢٥ .

وهذا احد احكامه :

«حيث ثبت من التحقيق والمحاكمة ان المتهمين سعيد حيدر وحسن الحكيم واحمد عمر وتوفيق الحلبي ان ارتكبوا الجرائم التي اسندت اليهم في قرار الاحالة وفي مضبطة الاتهام .

وحيث ان ارتكابهم لهذه الجرائم ثابت بتصريحات ٧ ايلول ١٩٢٥ ومن التقارير

العديدة الصادرة عن الامن العام بتاريخ ١ و١٦ و٢٥ ايلول ١٩٢٥ و٥ و١٣ تشرين الاول ١٩٢٥ و١٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ والتي توجد خلاصاتها في الاضبارة .

وحيث ان مجموع هذه الحوادث تبين بوضوح :

أ ــ ان سعيد حيدر قد التحق بالثوار في جبل الدروز منذ اوائل آب ١٩٢٥ ثم مر منه الى الاردن حيث اعتبر مشبوها فوضع تحت المراقبة .

ب ــ ان حسن الحكيم قد انضم ايضا الى الثوار الدروز الذين كانوا يريدون السير نحو دمشق بعد ٣ آب ١٩٢٥ وانه ذهب الى الاردن مع سعيد حيدر ، وانه اخيرا اشترك في الحكومة الثورية المسماة (الحكومة الوطنية السورية) بناء على اوامر الدكتور شهبندر .

جـ ــ وان احمد عمر ، شيخ (باطنة) قد شوهد يوم ٣ آب ١٩٢٥ على راس ٤٠٠ فارس درزي كانت مهمتهم قطع الخط الحديدي بالقرب من دير علي .

د ــ وان توفيق الحلبي ذهب الى الجبل في أول آب ١٩٢٥ مع ثوار دمشقيين آخرين لتشجيع الدروز في ثورتهم ولوعدهم بمعونة الدمشقيين وان وجوده لحظ في الرابع من آب ١٩٢٥ في الكفر مع رجال سلطان الاطرش .

وحيث ان هؤلاء المتهمين من الوجهاء الذين يعلمون كل العلم النتائج المشؤومة لتصرفاتهم وان احدهم وهو سعيد حيدر قد حكم عليه قبلا مرتين بتهمة العصيان والتمرد .

لهذه الاسباب

حكم المجلس عليهم غيابيا بالاعدام .

قرارا صدر في دمشق في ١٢ تموز ١٩٢٦

***

ملحق رقم ــ٨ــ

ثبت بأسماء القرى التي ضربتها الطائرات الفرنسية ودمرتها او اصابتها بأضرار خارج جبل الدروز .

اسم القرية	التابعية الادارية	مصدر الخبر
الحراك	حوران	جريدة الف باء في ٢٨ اغسطس ١٩٢٥
الحريك	حوران	جريدة الف باء في ٢٨ اغسطس ١٩٢٥
نعيمة	حوران	الاهرام في ٦ اكتوبر ١٩٢٥
سهوة القمح	حوران	الاهرام في ٦ اكتوبر ١٩٢٥
مجدل‌شمس	وادي العجم	الف باء ١١ اكتوبر ١٩٢٥

سحيتا	وادي العجم	الف باء ١٠ سبتمبر ١٩٢٥
حضر	وادي العجم	الاهرام ١٠ سبتمبر ١٩٢٥
حرفة	وادي العجم	الاهرام ١٠ سبتمبر ١٩٢٥
عين الشعرة	القنيطرة	الف باء ١٧ نوفمبر ١٩٢٥
الريمة	وادي العجم	الف باء ١٧ نوفمبر ١٩٢٥
المعرة	حلب	المقطم ٢٣ اكتوبر ١٩٢٥
خان‌شيخون	حلب	المقطم ٢٣ اكتوبر ١٩٢٥
جوبر	دمشق	المقطم ٢٣ اكتوبر ١٩٢٥
سقبا	دمشق	المقطم ٢٣ اكتوبر ١٩٢٥
قابون	دمشق	المقطم ٢٣ اكتوبر ١٩٢٥
المحمدية	دمشق	المقطم ٢١ اكتوبر ١٩٢٥
الاشرفية	دمشق	المقطم ٢٣ اكتوبر ١٩٢٥
جرمانا	دمشق	الف باء في ١٦ اكتوبر ١٩٢٥
المليحة	غوطة دمشق	الف باء في ١٦ اكتوبر ١٩٢٥
جسرين	غوطة دمشق	الف باء في ١٦ اكتوبر ١٩٢٥
الهيجانة	غوطة دمشق	الف باء في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٥
تل مسكي	غوطة دمشق	الف باء في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٥
الغزلانية	غوطة دمشق	الف باء في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٥
حران	غوطة دمشق	الف باء في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٥
تل العواميد	غوطة دمشق	الف باء في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٥
عتيبة	غوطة دمشق	الف باء في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٥
نشابية	غوطة دمشق	الف باء في ٢٨ اكتوبر ١٩٢٥
مضايا	غوطة دمشق	الف باء في ١٧ ديسمبر ١٩٢٥
كفر سوسة	غوطة دمشق	الف باء في ٢٩ ديسمبر ١٩٢٥

واذاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني تحقيقا قام به احد ابناء دمشق عن اسماء قرى اخرى اصابتها قنابل الفرنسيين بأضرار كبيرة او دمرتها فبلغت اربعين قرية غير المذكورة .



ملحق رقم -٩-

قرار بالحكم على شفيق القزاز ـ سالم صويص الشنيبلي

بناء على قرار جمعية شقا العمومية المنعقدة في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٦ القاضي بعقاب الخونة والمفسدين والجواسيس وبناء على ثبوت جاسوسية

الشخصين المذكورين اعلاه وهم شفيق القزاز وسالم صويص الشنيبلي وسعيهم بالفساد في خدمة اعداء الوطن .

وبناء على الحكم الشرعي القاضي في قصاص الذين يعيثون فسادا في تقتيلهم او تقطيع ايديهم او ارجلهم قد حكمت هذه الهيئة المتجمعة في ٨ شباط ١٩٢٦ الموافق لليوم ٢٧ رجب سنة ٣٤٤ بقطع اليد اليسرى لكل من الشخصين المذكورين تبديلا لحكم الاعدام الذي كان تقرر لامثالهم وإناطة تنفيذ هذا الحكم بقيادة الدرك الوطني تحريرا في ٢٧ رجب سنة ٣٤٤ .

التواقيع — عادل ارسلان

جاد الله خليل كيوان ، حمزة درويش ، سليمان نصار ، نجم الاطرش ، حسن الاطرش ، قاسم رعد ، سلمان الشوفي، يوسف العيسمي ، فهد الشومري، رشيد البربور قائد الثورة العام (وقد شطب على هذه الاحالة) .

لحضرة قائد الدرك الوطني المحترم .

بما ان القرار المعطى من اللجنة اي الذوات المحررة اسماؤهم اعلاه الى القيادة وهذا جرى في حضورنا لا شك فيه فعليه يقتضي احالته الى الاطباء رحمة بالانسانية فعليه حرر ما فوق الشرح بطال .

٨ شباط ٩٢٦

القائد العام
سلطان الاطرش

لحضرة اطباء مستشفى السويداء المحترمين .

ان هذا القرار في قطع أيدي الخونة يلزم يكون فني في خدمة الانسانية ورحمة بهم كي لا يموتوا من النزيف ارجوكم اجراء العملية في البنج الاصول(...) لحضراتكم مزيد الشكر .

٢٢ شباط سنة ٩٢٦

قائد الدرك الوطني
حسني صخر

الحكم على احد قادة الثورة : رمضان باشا شلاش

مجلس قيادة الثورة الوطنية في الغوطة وضواحي دمشق .

القرار عدد ٩١ تاريخ ٢٦ ــ ٢٧ جمادي الاولى سنة ١٣٤٤ .

اجتمعت اللجنة في ليل ٢٦ ــ ٢٧ جمادي الاولى عام ١٣٤٤ في قرية سقبا برئاسة السيد نسيب البكري وحضور الاعضاء السادة علي الاطرش وزيد عامر ومحمد عز الدين الحلبي وسعيد العاصي ونزيه المؤيد وعبد القادر سكر وزكي

الدروبي وزكي الحلبي وكاتم اسرار اللجنة السيد فائق العسلي. وبعد ان تلا هذا الاخير محضر الجلسة السابقة وجرت المصادقة عليه نظرت اللجنة في شكاوي سكان قرى مديعة والقسة وصران العواميد من اعمال المرج من تعديات السيد رمضان الشلاشي وتلقت التقارير الواردة عليها من شعبة الاستخبارات بهذا الشأن ايضا وقررت بأكثريتها بعد ان ثبت لها ان المذكور قد خرج عن غرض الثورة السورية الوطنية النبيل بجمعه من القرى المذكورة غرامات فادحة لجيبه الخاص باعترافه بنفسه ، ان يحرم من لقب ثائر وان تنزع منه البسته واوسمته على ان يبقى له مطلق الحرية في المقام اين شاء وتحفظ عليه حياته وانه يعهد الى القائد السيد حسن الخراط بإنفاذ هذا القرار .

توقيع مجلس لجنة الثورة الوطنية
من اوراق نسيب البكري



ملحق رقم -١٠-

من اوراق المرحوم نسيب البكري : رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة في الغوطة

تنظيم الثورة حول دمشق

اجتمع جميع رؤساء الثوار في الغوطة وضواحي دمشق في ٢٥ فبراير وبعد المداولة استقر رايهم على ما يأتي :

١ ـ أن يؤلف من مجموع عصابات الغوطة وضواحي دمشق وحدة تامة توزع على المناطق الحربية بحسب الضرورة الحربية واحوال المنطقة .
٢ ـ ان يؤلف مجلس عام يسمى «المجلس الوطني للجنة الثورة السورية في الغوطة وضواحي دمشق» ينتخب اعضاؤه من قبل رؤساء الثوار بتفويض خطي .
٣ ـ ان تقوم كل عصابة بالحركات الحربية في منطقتها برأي شاورها العسكري اما الحركات العامة فتكون بقرار من المجلس .
٤ ـ ان تخصص كل عصابة مفرزة من رجالها لتوطيد الامن في منطقتها وتأمين المواصلات مع المناطق المجاورة لها .
٥ ـ ان يحمل رجال كل عصابة شارة خاصة بهم تميزهم عن سواهم ولا يجوز لاي مجاهد ان يترك عصابته المسجل فيها ويلتحق بغيرها .
٦ ـ الجاسوس الذي يقبض عليه في احدى مناطق الثوار يحال (بعد ان يضبط زعيم تلك المنطقة افادته الاولية) الى المجلس الوطني لينظر في امره ويصدر بحقه الحكم النهائي .

٧ ـ يلاحق المجلس الوطني ملاحقة شديدة الاشخاص الذين يعتدون على الاهلين ويدعون انهم من الثوار ويعاقبهم اشد عقاب ويطرد من صفوف المجاهدين المجاهد الذي ياتي عملا يخرج به عن غرض الثورة النبيل .
٨ ـ المناطق الحربية تبين وتحدد في نظام توزيعها .
٩ ـ صلاحية المجلس ووظيفته توضح في نظام تأليفه ومضبطة انتخاب اعضائه .

★★★

تنظيم مناطق الثوار في الغوطة وضواحي دمشق

المنطقة الاولى ـ اراضي باب السريجة وقبر عاتكة وما بين المزة وداريا والحد بينهما وبين المنطقة الثانية الخط الحديدي .

المنطقة الثانية ـ تمتد من اراضي حي الميدان والشاغور وقرى ببيلا ويلدا وعقربا حتى قرية هيادة والحد بينهما وبين المنطقة الثالثة نهر بردى .

المنطقة الثالثة ـ تمتد من حدود نهر بردى حتى جسر نهر تور والحد بينهما وبين المنطقة الرابعة الطريق بين دوما ودمشق .

المنطقة الرابعة ـ تمتد من حدود المنطقة الثالثة الى مركز قضاء دوما .

المنطقة الخامسة ـ تمتد من حي الاكراد حتى عدرا .

المنطقة السادسة ـ من سهل القابون حتى صيدنايا ومن دمشق حتى الزبداني .

المنطقة السابعة ـ من غدرا الى النبك حيث تتصل بعصابات الشمال .

★★★

صلاحية المجلس ووظيفته

١ ـ يؤلف المجلس من عشرة اعضاء ينتخبهم زعماء الثورة في المناطق المذكورة آنفا.
٢ ـ ينظر المجلس بهيئته المجتمعة في القضايا العدلية والادارية .
٣ ـ ينقسم المجلس الى ثلاثة شعب وهي : ١ ـ الشعبة المالية ٢ ـ شعبة الحركات الحربية ٣ ـ شعبة الدعاية والاستخبارات .
٤ ـ وظيفة الشعبة المالية جمع الاموال والاعانات لتأمين اعاشة الثوار ومهماتهم وفقا لنظام خاص يضعه لها المجلس الوطني .
٥ ـ وظيفة شعبة الحركات الحربية تنظيم الخطط الحربية وقيادةالثوار في مواطن القتال وابلاغ التعليمات الى المشاورين العسكريين والسهر على توطيد الامن في مناطق الثوار وتأمين المواصلات بينها وبين المناطق المجاورة .
٦ ـ وظيفة شعبة الدعاية والاستخبارات بث الدعاية وحض الاهالي على الثورة

والقتال في مناطق الثوار ومدينة دمشق وجمع الاستعلامات السرية عن حركات الجيش الافرنسي ومقاومة دعايته واذاعة النشرات الاسبوعية عن اخبار الثوار وحركاتهم .

٧ ـ المجلس الوطني طابع رسمي خاص .



صورة مضبطة انتخاب اعضاء المجلس الوطني

نحن عموم رؤساء الثوار في مناطق الغوطة وضواحي دمشق قد انتخبنا اعضاء المجلس الوطني كلا من : السادة زكي الحلبي ، شوكت العائدي ، نزيه المؤيد ، فائق العسلي ، احمد الحصني ، جميل شاكر ، صبري فريد، اسماعيل القلعجي ، محمد الشيخ ، علي ديبو ، وفوضنا اليهم تفويضا مطلقا ليسيروا في اعمالهم حسب قرارنا الذي اتخذناه في ٢٥ شباط ١٩٢٦ باجماع الآراء وان كافة القرارات والاحكام التي يصدرها المجلس الوطني بعد الان تسري على الجميع وان زعماء الثوار هم القوة التنفيذية لهذا المجلس وعليه نظمنا مضبطة انتخاب اعضائه هذه الموقعة بامضاءاتنا .

تحريرا في ٢٧ شباط سنة ١٩٢٦



ملحق رقم ـ ١١ ـ

هذه نماذج من المراسلات التي كانت تجري بين مناطق الثورة والتبليغات الى مخاتير القرى واعلان زعماء العشائر عن استجابتهم لدواعي الثورة : وقد عثرنا عليها جميعها بين اوراق المرحوم نسيب البكري : رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة في الغوطة واكثرها ممهور بخاتم المجلس الوطني وتحمل توقيع رئيسه :

أ ـ رسالة خطية الى نسيب البكري غير واضح التوقيع جاء فيها :

«سرّنا ما ذكرتموه بخصوص حركتكم مع الاخ فوزي بك مستصحبين القوة المطلوبة نحو ضمير قاصدين الجهة المعلومة كما ان الاخبار الاخيرة الواردة من الجبل ترغب الينا الاهتمام في شريع الاعمال هناك لاشغال العدو وتحريج مراكزه في جميع الانحاء وقد ورد الينا اليوم لتامين هذه الغاية في منطقة ثانية عطوفة الامير عادل وحضرة احمد بك مريود مع قوة كافية من الدروز فنرجو من حضرة الاخ فوزي بك ان يواصلنا دوما في الاخبار لنكون معه على ارتباط دائم وعند عودتكم من الضمير لنعلم ما تم وما سيتم من الاعمال التي سيبدأ بها وما يتصوره لها بكتاب

مفصل في يده عطوفة الامر يهديكم فائق التحية ..»

في ٨ شوال ٣٤١

رسالة بخط سلطان الاطرش وتوقيعه الى المجاهد الامير احمد الشهابي هذا نصها :

تحية واحترام وبعد اخذت مذكرتكم وحمدت الله لوجودكم بخير . ان البحث الذي جرى بيننا في قرية الرشيدي واوعدناكم به قد تم الان وبهذين اليومين سيتوجه ابن عمنا متعب بك الاطرش لجهة الغوطة ليقوم بالاعمال التي عائدها خيرا ان شاء الله ولرضاء الطرفين وآملين بعونه تعالى بوجودي بتلك المنطقة ستسير الامور حسب رغبة العموم كونوا براحة .»

٢٩ ذي الحجة ٣٤٣ ١٠ تموز ٩٢٦ **سلطان الاطرش**

ب ــ ورسالة من سلطان الاطرش بخطه وتوقيعه الى نسيب البكري يعلمه فيها انه سيتخذ مركزا حربيا في قرية جدل ويطلب اليه موافاته الى هناك «لاسعافنا في المخابرات وما يلزم للمصلحة العامة انتظر حضوركم بحال وصول كتابي هـذا راجيا ان لا تتخلفوا عن الحضور ..»

٢ شعبان ٣٤٣ ٢٥ شباط ٩٢٥ التوقيع : **سلطان الاطرش**

جـ ــ رسالة بخط سلطان الاطرش وتوقيعه موجهة الى «سعادة الاخ الفاضل رئيس القوة التنفيذية للغوطة عادل بك نكد جاء فيها :

«وقد ساءتنا جدا اضطراب الحالة في منطقة الغوطة والاختلاف الذي حصل بين زعماء الثورة هناك وبما اننا وجدنا ان المصلحة تقضي باقرار ما قررته اللجنة العسكرية مع رؤساء العصابات فقد اقرينا قرارات اللجنتين المذكورتين وبلغنا ذلك لرئاسة المجلس الوطني ولزعماء الثورة وعسى ان يكون بذلك الدواء الشافي لحسم الخلاف وتوحيد الكلمة فالامل من همتكم ان تثابروا على السعي الحثيث لتوحيد الكلمة وحيث وجدنا مادة في قرار اللجنة المذكورة تصرح بتعيينكم رئيسا للقوة التنفيذية ومدعيا عاما للهيئة الحاكمة فلم يبق لزوم لان نكتب لكم خطابا بهذا الشأن فالامل الاجتهاد في تأليف القوة ...

ان اقتراحكم لجعل بريدا منظما بينكم وبين الامير عادل هو اقتراح خصيب فنرجوكم الاهتمام بتنفيذه» .

.. (١٠ تموز ١٩٢٦)

رسالة خطية بخط وتوقيع سلطان الاطرش القائد العام للثورة السورية لحضرة رئيس المجلس الوطني بالغوطة نسيب البكري يطلب حضوره للمذاكرة صادرة من الهوية في ٦ حزيران ١٩٢٦ .

د ــ صورة رسالة خطية من نخبة المجاهدين موجهة بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٢٧ الى سلطان باشا الاطرش القائد العام للثورة السورية جاء فيها :

«.. كنا قد فوضنا نسيب بك ومحمود افندي ان يصادقا باسمنا على المواد الاثني عشر فقط ولم نخولهم حق التصديق على غيرها فاعتبرنا ان هذه اللجنة اصبحت ملغاة بطبيعة الحال لانها بنيت على أسس لم نقرها ونعترف عليها مطلقا

ولما كنا من جهة اخرى لا نعترف الا على قيادتكم العامة لثورتنا هذه المقدسة ورئاستكم الطبيعيةلها فرفعنا هذا الكتاب لسعادتكم لتحيطون علما بذلك ولتتفضلوا تبليغ اللجنة المذكورة بأننا لا نقرها بصورة من الصور .. وبما اننا نواصل الجهود في ارسال المجاهدين منذ اكثر من شهر لتأمين دوام واستمرار الحركات على العدو والمستعمر فيضطر لتفريق قوته في سائر المناطق الامر الذي ينعش مجموع المجاهدين ويجعل العدو ضعيفا في كل منطقة له فيها قوة ويمنعه من تجميع قواه المتفرقة في المناطق التي يعتقد فيها الفتور لدفعها لجنبة واحدة ..»

هـ ـ رسالة خطية من سلطان الاطرش بخط يده وتوقيعه الى نسيب البكري بتاريخ ١٣ ايار ١٩٢٧ يخبره فيها وصول رسالته ورسالة المجاهدين من صحبة عقله القطامي ويقره على ما جاء فيها ورسالة اخرى بخطه وتوقيعه بتاريخ ٢٥ ايار (مايو) ١٩٢٧ الى نسيب البكري ايضا جاء فيها :

«من اللازم وجود كل فرد منا بساحات الجهاد نشد ازر بعضنا بعضا حيث حياة البلاد متوقفة على موقفنا الحالي التي اذا اتوجدنا اقوياء ستنال البلاد رغائبها والعكس بالعكس لذلك الامل حضوركم مع اخواننا الكرام لعندنا اولا لاجل المذاكرة باللازم وثانيا لنتمكن من انعاش اخواننا الموجودين في ساحات الجهاد . الامل عدم التاخير عند اطلاعكم على كتابنا هذا حيث الاخ عقلة بك يعلمكم محل وجودنا» .

نص القرار المتخذ من قبل رؤساء عصابات الغوطة المجتمعين في اجتماع فوق العادة باعتبار فوزي القاوقجي قائدا عاما «لان المجلس قد وجد بأن تعدد السلطات في مناطق الثورات يعرقل سير الامور» .

يحمل عشرة تواقيع وتاريخ ١٦ حزيران ١٩٢٦

و ـ صورة رسالة من نسيب البكري الى سلطان الاطرش بتاريخ ١٥ نيسان ٩٢٧ هذا نصها :

لسعادة القائد العام سلطان باشا الافخم .

بالنظر لاعتراض عموم ممثلي الدائرة الشمالية على المواد الاربعة التي اضيفت على برنامج اللجنة العليا المتفق عليه والتي من شانها ابعادكم عن رئاستها ثم مصادقتي عليها مع زميلي السيد ابو عمر خبتي فقط قبل حصولي على اخذ رايهم كما يتضح ذلك من مراجعة التواقيع على المقررات المذكورة الى آخر ما جاء بالبيان من الاسباب المتقدم صورتها طيا لسعادتكم الامر الذي اوجب اصرارهم على طلب انسحابنا من اللجنة بإلحاح فنزولا على ارادتهم فانني اقدم استقالتي لسعادتكم من عضوية اللجنة التي اعتبروها ملغاة وعلى الاخص لتعذر اجتماع الاعضاء عموما على اثر الطوارىء الحديثة التي طرات كما لا يخفى وبناء على ما تقدم فقد قرر قواد ورؤساء مجاهدي الدائرة الشمالية على تجديد انتخاب هيئة تنظر في الشؤون المالية والادارية والانتخابية الى اخر ما هنالك من المسائل الحيوية التي تنشط الحركة وتعيد الثورة الى سيرتها الاولى من القوة والمنعة واجبار العدو على تقسيم قواه وإضعافها فحرصا على المصلحة العامة التي تقضي بوجوب توقيف

العمل وسير الحملات المستعدة للذهاب الى ميادين القتال بكل شوق وباندفاع المستميت وبذلك تخف الوطأة عن الجبل واللجاة بإشغال جيش السلطة الافرنسية في سائر المناطق الشمالية وثقوا يا حضرة القائد بأنني ما زلت مخلصا لسيادتكم ومستعدا لتنفيذ كل ما فيه خير الامة وسعادة الوطن والله يحفظكم ويدعيكم ذخرا للشعب السوري .

الى مخاتير ووجوه واهالي قرى مرجلة ، العدلبه ، البويضة ، سهيا ، حجيرة، قبرالست ، حوش قويل ، بحدلية ، المحترمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد بناء على قرار المجلس الوطني للغوطة وسائر جهات الشمال قد تقسمت الغوطة الى مناطق متعددة وتعين لكل منطقة مدير يكون ساهرا على راحة الاهلين وارسال كل من يعبث او يخل في الامن الى محكمة الاستقلال ليشمل العدل والطمأنينة عموم الاهلين وعهد اليه امر المحافظة على اموالكم وجمع الاموال العشرية الى المجلس الوطني والمذكور يسلمها لامناء الصندوق كل من الاستاذين العالم المجاهد الورع الشيخ محمد الاشمر والاستاذ الشيخ محمد الفحل والشاب النشيط الامير نسيب شهاب لتصرف تلك الاموال في سبيل الجهاد الوطني المقدس وعليه نامل من غيرتكم ان تساعدوا المجاهد محمد اغاسكير الذي تعين بالاشتراك مع الوطني الغيور نوري اغا خير الله مامورا لمنطقتكم وتقدموا له الدفاتر المسعرة بمقدار العشر المقطوع عن كل قرية من القرى المذكورة اعلاه والتي من مجموعها تشكلت منطقتكم ولنا ملء الثقة في انكم ستكونون قدوة للجميع في الاخلاص للدين والوطن ودمتم محترمين .

٣ ذي الحجة ١٣٤٤ — رئيس المجلس الوطني في الغوطة وسائر جهات الشمال

حضرة اخونا العزيز المحترم رئيس المجلس الوطني نسيب بك البكري وجميع اخواننا المجاهدين ادام الله بقاهم آمين .

بعد السلام عليكم والسؤال عن شريف خاطركم الكريم أعرض لجنابكم انه انني موجود عند عرب المعجل واعلم انني دربي ودربكم واحد وانا وانتم على الكافر الفرنساوي والذي يجزي خرابه على القرايا من العربان فانا متعهد برفعه والذي يضركم يضرني والذي يصالح لكم يصالح لي وأنا رهين امركم على الخير والشر والسلام .

مجحم الشعلان
الختم

***

ملحق رقم -١٢-

قـرار

ـ أ ـ

حبا في زيادة تنظيم الثورة والحصول على معاونة الامة بصورة نافذة ثابتة واسترشادا بحكمة الزعماء المحنكين وتجاربهم القيمة ونزولا على ارادة المجاهدين الكرام لقد تقرر في جلسة عامة عقدت في اليوم الثاني من شهر تشرين الاول٩٢٦ في قرية خازمة ان تؤلف لجنة للثورة برياسة القيادة العامة تدعى اللجنة العليا وظيفتها الاشراف العام على الثورة والقيام بشؤونها السياسية والمالية والادارية وتقديم الملاحظات الفكرية ويتفق بين اعضائها الكرام بحسب البرنامج الداخلي على تعيين مواعيد اجتماعات اللجنة ومكانها وتقرر ان يكون موقع الاجتماع موقتا في الغيضعة وان يكون تأليفها على الوجه الآتي : الرئيس القائد العام لجيوش الثورة السورية الوطنية : الاعضاء : حضرات الزعماء : عبد الغفار باشا الاطرش . عبد الرحمن بك شهبندر ، نسيب بك البكري ، الامير عادل ارسلان ، اسماعيل بك الحريري ، صياح بك الحمود ، متعب بك الاطرش ، سعيد بك حيدر ، مصطفى بك وصفي ، محمد بك عز الدين ، سليمان بك نصار ، علي بك ملحم ، السكرتير نزيه بك المؤيد ، معاونه علي بك عبيد .

على ان يبقى الحق للغوطة ولسائر المناطق الثائرة ان تضيف من قبلها بحسب نسبة الاعضاء الموجودين عن الجبل .

وبناء على التنظيم الذي تقرر باتفاق زعماء الثورة فان كاتم اسرار اللجنة العليا والسكرتير يفضي الرسائل الواردة الى اللجنة في جلساتها .

اما المال الذي يرد الى لجنة اعانة منكوبي سورية في القدس او غيرها من اللجان سيكون امانة باسم اللجنة العليا ولا يجوز التصرف بشيء منه مطلقا بل هي وحدها لها حق هذا التصرف بحسب مصالح الثورة .

وللبيان حرر قرية خازمة ٢ تشرين الاول ١٩٢٦ ٢٥ ربيع الاول ١٣٤٥

القائد العام لجيوش الثورة السورية الوطنية

ـ ب ـ

قـرار ثـان

لما كانت الثورة السورية الوطنية تتعلق بجميع انحاء سورية ولها ارتباط متين بعامة مناطقها فقد تقرر في جلسة عقدت في قرية خازمة في اليوم الثاني من شهر تشرين الاول ١٩٢٦ ان يضاف الى حضرات اعضاء لجنة اعانة منكوبي سورية في القدس الذين هم موضع ثقتنا اعضاء يمثلون هذه المناطق . ولهم اتصال بها وهم السادة حسن بك الحكيم مفتشا عاما والسيد سامي بك البكري وجاد الله بك

الاطرش وعقلة بك العطامي وحلمي افندي ابو خضرة اعضاء دائمين وأن يكون السيد عثمان افندي الشرباني عضوا طبيعيا في جميع لجان الاعانات .

* * *

وللبيان حرر ٢ تشرين الاول ١٩٢٦ ٢٥ ربيع الاول ١٣٤٥

القائد العام لجيوش الثورة السورية الوطنية

صورة طبق الاصل

وجه كتاب الى الحاج امين الحسيني لابلاغه بهذا القرار .

* * *

ملحق رقم -١٣-

من زعماء الثورة الوطنية في جبل الدروز الى ممثلي السلطة المحتلة في سورية

تناولنا اليوم دعوتكم الكريمة الى السلم مع القنابل المتفجرة من الطيارات فلم يزدنا هذا التناقض الغريب علما بالوضعية الحاضرة .

ان ما جاء فيها من التهديد المشرب بروح العطف يلفت الانظار لان الجيش الذي تتهدد به سورية هو كطياراتكم السامية من عادته عند سنوح الفرصة ان ينفذ صامتا خطط الفتح من غير التفات الى عويل الاطفال وبكاء الامهات !

تقولون قد اقتربت الساعة التي نعرف فيها قوى جيشكم ويتحمل فيها نتائج الثورة : ان انكار بسالة الجيش الفرنسوي لما كان يدافع في الحرب العامة عن كيان فرنسة وحريتها هو انكار لشمس في رابعة النهار . لكن الجيش القادم الى جبل الدروز لتأمير الكابتين كاربيه ومن حدا حذوه وتاييد الاستعمار بأفظع معانيه في امة آمنة كامتنا هو غير الجيش الفرنسوي . ومن انقض على خصومه في الكفر والمزرعة كما انقضضنا لا يأبى ان يتحمل نتائج الثورة .

تذكرون مضاء سلاحكم في معركة «المسيفرة» ولم تذكروا مضاء العزائم التي اغتنمت هذا السلاح في عقر استحكاماتكم وسحبت الخيول من ايدي اصحابها المقتولين في سبيل الفتح والاستعمار . واذا كانت فرانسة كما تقولون لا تقاتل مدفوعة بعامل البغض بل تعاقب المجرمين بحسب جرمهم فثقوا اننا لا نقاتل الا دفاعا عن الشرف القومي الذي عبث به موظفوكم والحرية التي مات تحت اقدامها رجال ثورتكم الباهرة . اما مسئلة المجرمين ـ الذين سودوا وجه الانسانية بسيرتهم الخصوصية والعمومية وجعلوا اسم الانتداب عارا وشنارا ـ فالاجدر ان نتركها الى يوم الحساب .

تقولون ان الاشخاص من ذوي البصيرة الذين يتركون منذ الان السلاح يكونون في مأمن على حياتهم : ان في البصيرة وترك السلاح تناقضا ما كنا لندركه لو لم

يكن له سابقة على عهد الحكومة الوطنية السورية لما آمنت بمواعيد سلامكم فحلت جيشها في اواخر تموز ١٩٢٠ وحكم على زعمائها بالموت في اوائل اوغستوس !!!

ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين . وقبل الوقوع في مثل هذا الفخ عليكم ان تبيضوا الصفحات السود وتعيدوا الى الشرق حسن السمعة التي كنتم تتمتعون بها قبل ان تطأ اقدامكم هذا الوطن المقدس .

تدعوننا الى القاء السلاح وان نتقلد بدلا منه المحراث ، اننا ما حملنا السلاح الا دفاعا عن هذا المحراث الذي هو فخرنا . اننا نريد ان نحمل المحراث لنحصد منه الخير لنا ولاولادنا ، ولكن اذا كانت ثمرة اتعابنا تذهب الى بطون رجال امثال من غرمونا آلاف القروش لفقد هرة في السويداء وصفعوا اشرافنا واخيارنـــا لاستنزاف اموالهم فان السلاح يكون خير ضامن لهذا المحراث .

اننا نرغب في السلم من صميم الفؤاد اذا آنسنا في خصومنا اليـــوم هذه الرغبة الاكيدة فاننا نمد اليهم ايدينا ، نمدها ولكن على الشروط التي اذعناها للملأ في منشوراتنا السابقة .

جبل الدروز ٢١ مايو ١٩٢٥

***

ملحق رقم -١٤-

عمدت السلطات كأسلوب لانهاء الثورة الى احد التعهدات الجماعية من القرى بالتضامن والتكافل بالعمل على مكافحة الثوار والتعاون مع السلطات المحلية بكافة الوسائل . فكانت المفارز العسكرية تداهم القرية وتجمع اهاليها لتقرا عليهم نص التعهد وتأخذ منهم احيانا اقرارا جماعيا به اما شفهيا او خطيا . وهذا احد هذه التعهدات، وقد وضعه واقر به ٤٩ شخصا من مختاري الدروز وشيوخهم واعيانهم في الاقليم بينهم سليم نوفل ، علي عامر وبعض آل قيس في حاصبيا .

«نظرا للحوادث المتوالية المؤسفة التي تعاقبت في اراضي قرانـــا والتي لا يحبذها لسفالتها بشر. نحن اعيان الطائفة الدرزية في قرى وادي التيم والكفير وخلوات الكفير وميمس الموقعين ادناه على هذا العقد نتعهد بلسان جميع ابناء الملة الدرزية في هذه القرى متكاتفين متضامنين لحكومة الجمهورية اللبنانية والسلطات الفرنسوية العسكرية والادارية في شخص وحضور الضابط الشيخ اميل الخازن قومندان الفرقة المختلطة في محافظة مرجعيون بالتقيد منذ تاريخ هذه الاسطـر بالشروط التالية :

اولا : عدم ايواء كل شخص درزي مطلوب او مشبوه مسلح او غير مسلـح وعدم مساعدته فعلا وفكرا ادبيا وماديا والقبض عليه حين دخوله لاراضي قرانا.

ثانيا : اعلام ضابط استخبارات مرجعيون الفرنسوي او احد الموظفين وطنيين

كانوا ام فرنسويين فورا بكل الاخبار التي تتصل بنا .

اننا نتعهد متكافلين متضامنين مقابل كل خلل يقع بهذين الشرطين بدفع مبلغ مئتي ليرة عثمانية ذهب للسلطة ذات الشأن ونتعهد ايضا اثباتا لاخلاصنا للدولة المنتدبة ولحكومتنا تكاتفا وتضامنا بدفع مبلغ خمسمائة ليرة عثمانية ذهبية وبتقديم خمس وعشرين بارودة حربية للسلطة المكلفة عن كل حادث قتل فردي يقع في نطاق اراضي قرانا يفهم منه اقلاق الامن والراحة والاعتداء على المسالمين يصدر عن فرد او افراد من الدروز من جميع الانحاء بحيث يحق للسلطات العسكرية الفرنسوية اعتقال ستة اشخاص ممن ترتاب بهم منا ويتراءى لها ان باعتقالهم مصلحة الامن هذا اذا لم نسلمها القاتل والقتلة بعد وقوع الحادث بأربعة ايام كذلك نتعهد بدفع مبلغ مئتي ليرة عثمانية ذهب وبتقديم عشر بواريد حربية للحكومة حين يقع في اراضي قرانا حادث سلب ما تقتضيه الظروف وذلك اذا لم نسلم السلطة المكلفة القائم او القائمين من الدروز بحادث السلب والاعتداء بعد اربعة ايام من حصوله ولقد خط هذا العقد اثباتا لاخلاصنا للدولة المنتدبة ولحكومتنا الوطنية اذ لا يحق لاحدنا او لاحد من دروز قرانا الآخرين عند تعرض السلطة بحق بما تضمنته هذه الشروط الاعتراض كيما لا ندع للسلطة المنتدبة والوطنية مما لا شك باخلاصنا لها وبعدم ارتياحنا للحوادث المؤسفة التي تمثل بفظاظة وسفالة على مسرح البلاد تحت ستار الوطنية واظهارا لاشمئزازنا في كل ما يجري وقعنا على هذه الشروط بملء ارتياحنا متكافلين متضامنين فردا او افرادا نزولا عند ما حوته .

تحريرا في ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢٦

من اوراق المرحوم نجيب قيس .



ملحق رقم -١٥-

وهي رسالة مخطوطة بخط الامير شكيب وتوقيعه موجهة الى الدكتور احمد قدري؟ على ما نظن لانها وجدت بين اوراقه وهي محفوظة في مركز الوثائق بدمشق.

جنيف ١٠ يونيو ١٩٣٢

اخي الأجل المحترم

من اربعة ايام كتبت لك مطولا وشكرتك لك سعيك في منع نشر المكاتيب في مثل هذه الاحوال التي نحن مشغولون فيها بما هو اهم وافيد .

وذكرت لك ان اخي الجابري ذهب الى باريس بعد تليفون طويل مع الخديوي . ولقد اتفق معه على عدم نشر المكاتيب بشرط اني انا لا اذكره بسوء لا قالا ولا قلما وانه هو ايضا لا يذكرني لا بخير ولا بشر . وجاءني منه مكتوب فيه

هذه الخلاصة وغدا او بعد غد يعود من باريز ويخبرني بالتفاصيل .

نجئت الان اخبركم بما حصل لتطمئنوا واكرر شكري لكم على ما ظهر لي من حميتكم ومروءتكم وشفقتكم وهذا لا أنساه ما بقيت في هذه الحياة . انا اكتب لكم ما به الكفاية وفي مكتوبي الى سمو الخديوي ما به كفاية ولو أصر سموه على نشر مكاتيبي لنشرت كتابا فيه شرح واقعة كل مكتوب بمفرده ولاثبت له بالادلة المحسوسة اني لم اكن ذا سياستين ولا متلونا وانما رجحت الملك فيصل على الخديوي بعد ان استقل العراق وتعلق الامل باتحاده مع الشام فليس في المصلحة العربية القومية ما تقوم له الاهواء الشخصية والعلاقات الخصوصية . ابن سعود اهم عندي من الخديوي وابر بي من الخديوي وفيه من الشرف والوفاء والذمام ما لا جدال فيه ولقد صرحت له بمكاتيب طويلة عريضة اني كعربي وكسوري وكمسلم لا اتردد في تأييد اتحاد سورية مع العراق طرفة عين . اذن انا ترددت اكون ساقطا . ولقد احيينا ابن سعود لانه جمع كتلة عربية نحو اربعة ملايين في الجزيرة . أفنحب اجتماع كتلة عربية في الجزيرة ونكرهها في وسط بلادنا ونحن على ما نحن فيه من ذل وما يتهددنا من اخطار .

واما راتب الخديوي فانا هذا الفقير بذلت على قضية بلادي اكثر مما وصلني به الخديوي بأضعاف فماذا يقدر هو او غيره ان يعيرني به ؟ هل يعير بقبول المساعدات رجل لم يقبلها الا في سبيل مصلحة وطنه ولم هو الساعي بها ثم هو يبيع من ملكه بالوف من الجنيهات ليحفظ شرف المهمة التي هو قائم بها .

برغم هذا سررت بكون سمو الخديوي رجع عن تلك الفكرة التي انفاذها كان سيضره ويضرني ويضر قضية سورية . ولا عدمت اخوتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اخوكم : شكيب ارسلان



ملحق رقم -١٦-

اهتم رجال الثورة بمسألة التموين . فقبل ان يسارعوا للالتحاق بصفوف المقاتلين (راجع ص ١٠١ وهوامشها) عملوا على تأليف لجنة عامة للاعانة برئاسة الحاج امين الحسيني في القدس . وفي ١٤ مارس (اذار) ١٩٢٦ اورد المقطم نبأ تأليف لجنة لتلقي الاعانات من البلدان الخارجية من الامير عادل ارسلان والشيخ حسين الهجري وعبد الغفار باشا الاطرش وعبد الرحمن الشهبندر وعقلة القطامي، على ان تقوم بابتياع الادوية والعقاقير الطبية والاقوات الضرورية فقط ولا توزع نقودا . ويؤخذ من بعض الاوراق التي بين ايدينا ان احد اعضاء هذه اللجنة كان مكلفا بابتياع الذخيرة .

وفي ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٦ اعيد تشكيل اللجنة وابلغ الحاج امين الحسيني بقرار القيادة العامة للثورة (راجع ملحق رقم ١٢) وبعد ان توقف مد الثورة اخذ بعضهم يحس باستغلال أموال الاعانات . وذكر لي سلطان باشا في حديث مدون بتاريخ ٢٩ـ٨ـ١٩٧٢ «ان التلاعب بالاعانات واموال التبرعات كان يجري لصالح حزب الاستقلال ولما كثرت اخبار عدم ورود كثير من الاموال الينا وتواترت الحوادث كتبت الى الحاج امين اشكره على عمله واقول بما ان اشغاله كثيرة ولبعده عنا فقد اعتمدنا التاجر حمدي منكو في عمان ..» ولكن الطمع بالمال لم يكن من جانب واحد وان كان سلطان باشا لم يتبينه في الآخرين كما تكشف له في جماعة حزب الاستقلال . وكان للطمع اوجه غير وجه المال . صحيح ان سلطان باشا في بداية الامر كاد يفتك بعبد الغفار باشا الاطرش وبمتعب الاطرش دفاعا عن الامير عادل ارسلان (حزب الاستقلال) فكان ذلك سببا في انشقاقهما وتسليمهما للفرنسيين .. الا ان طول انعزاله في الصحراء ووجود ممثلين لحزب الاستقلال قريبا منه يرى اعمالهم ويرصد اقوالهم ، وبعد رجال حزب الشعب والاتحاد السوري عنه اخفى عن بصيرته حقيقة مراميهم . ولعل هذا الموقف هو اهم ان لم يكن الوحيد الذي استطاع الطرف الثاني اخذه به .

كتب الامير شكيب ارسلان يقول في احدى رسائله : «.. وانما اكثر ما انقده على سلطان هوليس اختلافه مع اخي لان المنافسة بينهما وهما في محل واحد كان لا بد منها ولكن انحيازه الى اولاد لطف الله الذين ليست وطنيتهم الا حكاية وظائف وامارات ومناصب وخزعبلات مما لم يعد خافيا على احد وكذلك انحيازه الى الشهبندر الذي منذ رحل المجاهدون الى النبك لم يترك وسيلة لقطع الاعانات عن المجاهدين الا أجراها وملأ امريكا مكاتيب بتزهيد الناس في ارسال الاعانات الى النبك بحجة انها توكل ولا توزع وبحجة ان الدروز اخذوا حقوق المسلمين في الاعانات وقد احدث بهذه الواسطة شقاقا في امريكا بين المسلمين والدروز لو لم يتداركه عقلاء الفريقين لكان اتسع كثيرا . وما زال هو الذي يهيج المهاجرين الشوام الذين كانوا بمصر وفلسطين وعمان قائلا لهم ان حزب الاستقلال العربي والحاج امين الحسيني حصروا الاعانات في الدروز واكلوا حقوقهم ... الخ ..»

ولعل الدهاء السياسي من جانب هؤلاء هو الذي استجر سلطان باشا للوقوف في وجه بعض افراد حزب الاستقلال وإدانة تصرفاتهم فقادوه بذلك الى مواقع التحيز وهو قائد الثورة العام ، ولم تكن له حنكتهم .. ولم يكن قادة حزب الشعب او غيره افضل من قادة حزب الاستقلال ..

فيما يلي ثلاث وثائق : الاولى تشير الى بعض الاوجه التي كانت تنفق فيها اموال الاعانات بطلب من سلطان باشا . الثانية تدل على محاولات استغلال الاعانات للصالح الشخصي لان الجهة التي طلب توزيع الطحين عليها كانت قد استسلمت للفرنسيين . ولذلك لم يصدع فارس فرج وحامد قرقوط بما طلب منهما بل قاما بنقل الطحين الى الجهات المخصص لها . الثالثة هي مضبطة تأليف اللجنة العليا

لاعانة المنكوبين في النبك :

ا ـ حضرة قائد الدرك المحترم

تحية وسلام حيث يلزم للمصلحة ديناميت جلاتين .. الامل بهمتكم ان تفتشوا بكامل جهدكم على الفتيل والاصابع وعرّفوا اخونا عبد الغفار باشا الاطرش عن الثمن الذي تدفعوه وسعادته يدفع لكم القيمة كون الخط انقطع من جهة المسمية فصار من اللازم قطعه من جهة محجة وقد وجد ان قطع الحديد بالالغام انفع لكون اللغم يقطع الحديد شقف شقف ...

وجدنا جملين عند حمد عزام واشتريناهم لاجل ارسال الطحين على الطف الى الجيش (جيش الثورة) بلغوا عبد الغفار باشا يرسل لنا دراهم لاجل شراء جمل ثالث حيث لا يكفي اثنين في ارسال الطحين الذي سيأتي من عمان (المفرق) لان القوة التي بالطف ستماية مقاتل ونيف .

٢٦ رمضان ٣٤٤	التوقيع : سلطان الاطرش
١٠ نيسان ١٩٢٦	القائد العام لجيوش الثورة الوطنية

ب ـ جناب الاجل المحترم قائد الدرك الوطني الافخم

أسعد الله مساكم ثم بعد اطلاعكم على الاخبارات يجب ان تعرفوا الجنود ان يسوقوا الحنطة التي باقية في الفدين الى عنز بأسرع ما يمكن وان يسلموها الى حسين باشا واسماعيل عبد الدين بموجب وصل (ايصال) منهم وذلك بعد ما تخابرنا مع مشايخ الدين ومتعب بك خوفا من مباغتة العساكر الى عرى وتروح الحبوب فاكدوا على الجنود بسرعة تحويل الحنطة الى عنز وايضا عرّفوا فارس فرج وحامد قرقوط بذلك ولا تفهموهم القصد من احالتهم الى عنز . ودمتم .

٢ شوال ٣٤٤	التوقيـــع
١١ نيسان ١٩٢٦	**عبد الغفار الاطرش**

ج ـ مضبطة تاليف اللجنة العليا في النبك لاعانة المنكوبين :

بالنظر لعزم اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سورية في القدس على الاستقالة فقد اجتمعت الهيئة العامة للمنكوبين السوريين في (النبك ـ قريات الملح) بحضور عطوفة سلطان باشا الاطرش وتذاكرت في الحالة الجديدة التي نشأت عن ذلك فقررت ما يلي :

اولا : تشكيل لجنة مؤلفة من رئيس وستة اعضاء ثلاثة منهم عن الدائـــرة الجنوبية وثلاثة عن الدائرة الشمالية تسمى اللجنة العليا للاعانة واعاشة المنكوبين السوريين ويكون مركزها في الوقت الحاضر بموقع النبك في قريات الملح .

ثانيا ـ وظيفة هذه اللجنة التوسل بكافة الاسباب لجمع الاعانات وتسلـــم

الاموال والمؤن التي تجمع وترسل من قبل اللجان في الخارج او من اصحاب البر والاحسان وتقرر توزيعها على المنكوبين السوريين الموجودين في النبك على السواء وان تبذل الجهد لتأمين اعاشة المنكوبين .

ثالثا ــ تتخذ اللجنة مقرراتها بالاجماع او بأكثرية الآراء .

رابعا ــ يحق للقائد العام الاطلاع على مقررات اللجنة وابداء رايه فيما يراه موافقا للمصلحة العامة .

خامسا ــ تسن اللجنة لنفسها قانونها الداخلي وتسير بموجبه .

سادسا ــ يعطى بيان من عطوفة سلطان باشا الاطرش الى عموم الصحف والمتبرعين عن تشكيل هذه اللجنة وعن المعتمد الذي يعين في القدس لتسلم الاموال التي ترد باسم المنكوبين وارسالها الى اللجنة .

سابعا ــ تقرر باجماع الآراء اعتماد حضرة صاحب السماحة الحاج امين افندي الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في القدس بصفته الشخصية على ان يستمر على تسلم كافة الاعانات التي ترد بواسطته باسم المنكوبين السوريين وارسالها الى اللجنة العليا في النبك بواسطة معتمد هذه اللجنة واللجنة هنا تقرر تعيين هذا المعتمد على مسؤوليتها .

ثامنا ــ على اللجنة ان تعلن عند نهاية كل شهر نتيجة اعمالها الى الهيئة العامة لاجل اطمئنان الراي العام .

تاسعا ــ رئيس وأعضاء اللجنة لا يتقاضون راتبا ما من أموال الاعانات ولا يحق لهم تقرير معاشات خصوصية لسواهم وعند خلو مركز عضو واحد او اكثر ينتخب بدل عنه وفقا للقانون الداخلي .

عاشرا ــ ان حق الصرف محصور باللجنة العليا للمنكوبين في النبك قريات الملح . فجميع الاموال والتبرعات التي ترد باسم المنكوبين السوريين سواء بواسطة سماحة الحاج امين افندي الحسيني او بأي واسطة اخرى ترسل جميعها الى هذه اللجنة .

حادي عشر ــ تقرر باجماع الآراء انتخاب عطوفة الامير عادل ارسلان رئيسا للجنة العليا للمنكوبين في النبك وكل من سلامه بك الاطرش ومحمد بك عز الدين وعلي بك عبيد اعضاء عن الدائرة الجنوبية وكل من السيد عبد القادر آغا سكر والسيد عبد الغني افندي خيثي والسيد اديب عمر آغا ديبو اعضاء عن الدائرة الشمالية وبذلك تم تشكيل هذه اللجنة وعلى الله الاتكال ــ النبك ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٢٧ .

التوقيعات

نصادق على هذه القرارات

النبك ــ قرية الملح ــ سلطان الاطرش

١ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧

المقطم ١١٧١٥ ــ الاحد ١١ سبتمبر ١٩٢٧

ملحق رقم -١٧-

رسالة مخطوطة ، بخط شكري القوتلي وتوقيعه صادرة من القاهرة في ١٧ اكتوبر ١٩٢٧ الى شخص يظن انه الدكتور احمد قدري (وقد كان حينئذ في الاسكندرية في قنصلية العراق) هذا نصها :

القاهرة ١٧ اكتوبر ١٩٢٧

ا ــ حضرة الاخ الاعز حفظه الله آمين

اهديك تحياتي وسلامي واشواقي وبعد فاني مرسل اليك طيه كتابا واردا اليّ من الامير عادل باسمكم وكذلك فانني مرسل اليكم كتابا لتبعث به للملك فيصل واما ان امضائك بذيله او امضاء رجل تختاره انت او تجعل الامضاء مغفلا او مستعار وتكتب كتابا من قبلك للملك فيصل تقول له ان هذا الكتاب اتاك من رجل تعتمد عليه وتثق به وباخلاصه للملك وتبعث عندئذ بالكتاب للملك فيصل واقفا على حقيقة الشهبندر ولكي يمتنع عن دفع دراهم للشهبندر منذ الان فصاعدا .

انني بحثت مطولا مع الامير امين اثناء وجوده هنا وهو سيحدثك عما لدينا من الاخبار وعما شاهده هنا من احوال الشهبندر وجماعته .

ان امر البيت المراد استئجاره في الاسكندرية لاجل العائلة فانني منتظر خبرا من دمشق يعلموني فيه عزمهم على السفر لابعث اليك وللاخ عباس افندي ودم لاخيك .

توقيع : شكري القوتلي

ــ ب ــ

رسالة مخطوطة باليد ملحقة برسالة من شكري القوتلي الى احمد قدري يطلب ارسال هذه الرسالة التي تشرح حقيقة عبد الرحمن شهبندر الى الملك فيصل ، وهذا نصها :

مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم ايده الله .

اقدم لجلالة الملك واجب الاحترام واسال الله له التوفيق ، اما بعد فقد علمت من كثير من اخواننا السوريين في سوريا ومصر وعمان وفلسطين ومن كتب وردت من سلطان باشا الاطرش ومن الامير عادل ارسلان ان معونة صاحب الجلالة الملك لمنكوبي سورية المعطاة للدكتور شهبندر بيده خاصة والتي ترسل اليه من قبل جلالتكم في كل شهر لم تصل لجان الاعانة ولا المنكوبين منها بارة الفرد، فخوف ان تتجه الافكار العامة اتجاها لا يتناسب مع كرم صاحب الجلالة ومعونة الضيافة ، بسبب حصر الدكتور شهبندر جميع الاعانات من قبلكم بنفسه . الامل ان تصدروا ارادتكم بايصال الاعانات لاربابها لكي يفرح انصاركم بكرمهم الهاشمي ويكون لهم وجه امام السوريين .

وما كنت لاذكر ذلك لو لم اطلع على مقدار ما سلم للشهبندر من لجان اعانات المنكوبين التي خص بها نفسه من دون المجاهدين اللائذين بالصحراء المعوزين للقوت والدواء وكل شيء .واني اقدم نسخة من مجموع ما وصله من مختلف اللجـــان والجهات لتطلعوا على اعمال الرجل فتعلمون استغلاله ثقة جلالتكم لمنفعة نفسه وهو الان يخابر ابن سعود لاجل ان لا يترك ساقا الا ممسكا ساقا واقبلوا في الختام فائق اخلاصي واجلالي وتعظيماتي لجلالتكم .

هذه صورة عن المبالغ الواردة على الدكتور عبد الرحمن شهبندر :

جنيه مصري

بتاريخ ٣ فبراير ١٩٢٦ بموجب وصل محفوظ ــ حوالة ديتروين ستيفان

٨٠٢ لاجل مستشفيات جرحى الحرب السورية ــ بواسطة سعد باشا .

١٤٨ بتاريخ ٣ فبراير ١٩٢٦ من لجنة اعانة جرحى الدروز .

٧٠ بواسطة نديم ظبيان بموجب وصل .

١٠٠٠ بواسطة نسيم افندي صبيعة من لجنة اعانة المنكوبين في البلاد السورية.

٥٠ من بني اهل الخير .

٤٥٠ ما جمع من تجار مصر بموجب وصل عند السادات حلبوني من يد الحاج اديب خير .

١٠٠ لاجل منكوبي العلمون من لجنة اعانة القاهرة بموجب وصل .

٢٥٠ من لجنة التجار بمصر بواسطة توفيق القيس بموجب وصل .

١٥٠٠ هذا عدا ما وصله من الحوالات الخمس من امريكا بواسطة حلبوني لم يظهر مقدارها بعد وتقدر .

٣٥٠ ما صرف على الدكتور من لجنة عمان بموجب ايصالات محفوظة وتقرب على التقريب .

٢٠٠ مما جمع بواسطة الشربجي ابو صلاح من الكرك .

٢٠٠ وما ارسل اليه من مصر من لجنة القاهرة .

١٥٠٠ المبلغ الذي قبضه من مستر كراين الاميركي باسم سوريا يقدر .

١٠٠٠ وما قبضه من العراق من جهة خاصة باسم سورية .

٢٠٠٠ وسنبحث من لجنة اعانة المنكوبين بالقدس عما اخذه الدكتور على دفعات متوالية من المبالغ التي نقدرها بما يقارب الفي جنيه .

هذا عدا عما يدفع له من جهة وهو (٥٠٠) جنيه مصري شهريا وذلك مـــن عودته من العراق على ان يدفع ذلك للجان اعانة المنكوبين ولكنه لم يدفع منه شيئا.

المصدر : مركز الوثائق بدمشق : اوراق الدكتور احمد قدري .



ملحق رقم -١٨-

في ٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣ نقلت المقطم حديثا للامير شكيب في الفيجارو نوه فيه بالمعاهدة التي وضعها بالاتفاق مع دي جوفنيل ، بعد ان جاء الى سورية في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٥ والثورة في أوجها يحمل على ما قيل برنامجا لحل القضية . وفي ٨ فبراير (شباط) ١٩٣٦ نشرت صوت الاحرار البيروتية هذا المشروع وسمته معاهدة تموز لعام ١٩٢٦ وقالت ان المفاوضات بشأنها جرت بين دي جوفنيل من جهة والامير شكيب ارسلان واحسان الجابري والامير ميشيل لطف الله من جهة ثانية . وايد لي احسان الجابري هذا القول وان ملاحظات دي جوفنيل عليها كتبها بخط يده والنص الاصلي يتضمنه تقرير ارسل في حينه الى اللجنة التنفيذية بالقاهرة : وهذا نصها :

١ ـ الاعتراف باستقلال سورية (ملاحظة دي جوفنيل ـ بنفس الشرائط التي يتمتع بها العراق) .

٢ ـ ان فرنسا بالنظر للصداقة والتحالف اللذين يربطانها بسورية تتعهد باقتراح قبولها عضوا في جمعية الامم (ملاحظة دي جوفنيل : يكون تعهد فرنسا من نوع تعهد بريطانيا للعراق) .

٣ ـ ان دول سورية يجب ان يشكل منها دولة واحدة وبعبارة اخرى يجب اعادة تاليف الوحدة الى الاراضي السورية بما فيها بلاد العلويين (ملاحظة دي جوفنيل : اذا كانت هناك موافقة من سكان العلويين وبطريق المفاوضة) .

٤ ـ يجري استفتاء في الاراضي الملحقة بلبنان ويكون لسكان تلك المناطق الحق في اختيار الدولة التي يتبعون لها اختيارا حرا . (ملاحظة دي جوفنيل : تكون فرنسا حكَما في الموضوع ويستأنف الحكم لجمعية الامم) .

٥ ـ تنتخب جمعية تأسيسية انتخابا حرا لسن دستور البلاد ووضع القوانين (ملاحظة دي جوفنيل : ولكن بعد انتهاء الاضطرابات) .

٦ ـ يجلو الجيش الفرنسوي عن الاراضي السورية تدريجيا عندما تتألف نواة للجيش الوطني بمساعدة مدربين فرنسويين تطلبهم الحكومة الجديدة لهذه الغاية ويكون للجيش الفرنسوي الخيار في اقامة حامية في لبنان .

٧ ـ تتفضل فرنسا بتخصيص مبلغ من المال في سبيل اعادة بناء المناطق التي خربتها القنابل .

٨ ـ تعلن الحكومة الجديدة عفوا عاما بلا قيد ولا شرط ولا يكون للحكومة الفرنسوية اي اعتراض او طلب في هذا الموضوع (ملاحظة دي جوفنيل : بعد انتهاء الاضطرابات) .

٩ ـ يحق لسورية تعيين ممثلين دبلوماسيين لها فيالخارج على انه في البلاد التي لا يكون لها ممثلون يمثلها المثلون الفرنسويون (ملاحظة دي جوفنيل : في باريس وفي الخارج بعد قبولها عضوا في جامعة الامم) .

١٠ـ تقبل سورية في حكومتها وفي دوائرها مستشارين فنيين فرنسويين تابعين

للحكومة السورية بموجب عقود تعقد معهم بملء الحرية .

١١ـ يكون للصناعة ورؤوس الاموال الفرنسوية حق الرجحان في جميع المشروعات التجارية والصناعية وفي استخراج الثروات الطبيعية في البلاد هذا في حالة عدم استطاعة رؤوس الاموال الوطنية القيام بتلك المشروعات .

١٢ـ تعقد القروض عامة في فرنسا بواسطة الحكومة الفرنسوية .

١٣ـ تعقد محالفة بين فرنسا وسورية تتعهد فيها فرنسا بالدفاع عن سورية في كل اعتداء خارجي ومقابل ذلك تتعهد سورية في حالة نشوب حرب ضد فرنسا بوضع قسم من جيشها تحت تصرف فرنسا ويعين هذا المقدار فيما بعد على ان تتولى فرنسا تسليحه وتجهيزه .. انتهى .

***

ملحق رقم ـ١٩ـ

بين اوراق الدكتور احمد قدري ما يشير الى انه كان احد المحاور الرئيسية للعمل للقضية العربية باتجاه العراق . فقد كان ركيزة الزمرة التي تدور في فلسطين في فلك التميمي وعوني عبد الهادي وعزة دروزة وركيز الزمرة او اكثر من زمرة في مصر تدور في فلك الدكتور عبد الرحمن الشهبندر او اسعد داغر او شكري القوتلي او امين سعيد وحركة الصحافة . ومعظمهم كانوا اعضاء في العربية الفتاة الا ان مشاربهم السياسية اختلفت فيما بعد فمنهم من صار في حزب الاستقلال وحزب الشعب والاتحاد السوري .. الخ .

نورد فيما يلي بعض المراسلات لعلها تكون حافزا لدراسة اوسع :

١ ـ رسالة من امين سعيد على ورق من ادارة المقتطف والمقطم بخط يده الى الدكتور احمد قدري يخبره فيها عن حفلة التكريم التي اقيمت في بيت الدكتور عبد الرحمن الشهبندر لوزير العراق المفوض .

سيدي الدكتور

١ ـ جرت الحفلة امس مساء وقد بلغ عدد الذين حضروها ٤٠ بالتمام والكمال فقط لا غير ما عدا صاحب البيت وحاشيته وقد كتبت عنها كلمة مناسبة في المقطم وارسلت كلمة الى البلاغ ومثلها الى الكوكب وسأكتب بعد الظهر الى صحف فلسطين وسورية والعراق. اما النفقات فهي بسيطة جدا لا تستحق الذكر. واذا كان عندكم ما تستطيعون معه ان ترسلوا راتب فارس فأرجو ان لا يتأخر .

٢ ـ قابلت الكيلاني امس واطلعته على كتابكم وعرفت منه انكم كتبتم اليه بهذا الشأن .

٣ ـ عرفت ان روفائيل بطي يرسل كتبا خاصة الى رجال الوفد والى الصحافيين

يحشوها بالتذمر من سوء الحالة في العراق ومن اضطرابها ومن شدة الضغط والارهاق والظلم ويقول ان السبب في ذلك هو وجود السوريين هنالك وتدخلهم في الصحف بمصر واستيلائكم عليها . وربما تمكنت من الحصول على صورة من هذه الكتب اقدمها لكم غدا او بعده وسأتخذ التدابير اللازمة عند الوفد للقضاء على حركته وسأوالي النشر بعد الان في البلاغ والمقطم والاهرام .

هذا ولا خلافه وارجو موافاتي بخدمكم واوامركم .

التوقيع

الذين حضروا الحفلة من المعروفين : الشهبندر . السيد رشيد . (اسم غير مقروء) . حسني احمد . نقولا حداد . حنا خباز . رشيد مرتضى . توفيق اليازجي . حبيب زحلاوي . ولم يحضر احد من التجار ووصل عبد الرحمن العابد ونحن منصرفون .



– ٢ –

رسالة بتوقيع محمد جميل المدفعي الى الدكتور احمد قدري يعلمه برفع استقالته – تحسين هو تحسين قدري واسعد مجهول ويعلمه عن ارسال خمسين دينارا واظن ان اسعد هو اسعد داغر .

اخي الدكتور بك قدري .

بعد التحية لا شك وانه بلغكم خبر استقالتي وربما قبلت اليوم او غدا اما الاسباب فهي دسايس بعض زملائي الذين يرغبون في تولي الحكم من بعد قبول استقالتي واظنهم لا يخفون عليكم وان لمجيء جعفر باشا علاقة في هذه القضية . لا شك وان الاخ تحسين سيعلمكم مفصلا عن هذه الامور .

اوعزت لبعض الاخوان ان يعلموا بعض الاخوان في طرفكم فارجو اذا كنتم متصلين باسعد ان تعلموه بالامر .

حولت لكم خمسين دينار ارجو ان تعطوا منها ثلاثين للاخ امين سعيد وعشرون للجهات التي ترغبون بها . اقدم فائق احترامي لكم وللجميع والله يحفظكم لاخوكم .

التوقيع : محمد جميل

***

٣ – من امين سعيد . الرابطة لنشر الثقافة العربية وتقرير الروابط القومية في ٢٢ يونيو ١٩٣٦ .

سيدي المعظم .

اشكرك كل الشكر على ما تكرمت به فقد رفعت راسي واعليت شاني واخذت بيدي فبارك الله فيك واحسن اليك ووفقني الى مكافاتك على جميلك وصنعك .

اظن انني املك كل ما تحتاجون اليه من وثائق وبيانات ومعلومات سواء في القضية السورية او في القضية العربية او عن بلاد العرب فتكرموا بطلب ما تشاءون مما ينقصكم وانا مستعد تقديمه فورا فقد حصلت اخيرا على مجموعة من الوثائق كانت تنقصني .

ارجو ان تتكرموا عليّ من وقت الى آخر بمقالات وقطع تنشر في الرابطة فترفع شانها وتعزز مقامها .

تكرموا ختاما بقبول احترام المخلص .

تاريخ ٢٢ يونيو ١٩٣٦ التوقيـــع

٤ ــ رسالة من امين سعيد الى شخص يظن انه الدكتور احمد قدري :

سيدي الدكتور المعظم .

١ ــ اقدم لكم طيه الحديث الذي ارسلناه الى فتى العرب فقـــد وصلني صباح اليـــوم .

٢ ــ ارسلت اليوم الي البلاغ مقاله عن الوزارة وبيانها ارجو ان تنشر غدا او بعده.

٣ ــ اقدم لكم طيه قصاصات جرائد مختلفة (صح وضعها بمغلف خاص) .

٤ ــ وضعت بيانا باسم الجمعية السورية العربية بمصر بشأن ما جاء في جريدتي العالم العربي ولسان الاحرار سلمته الى الرئيس الجديد وينشر قريبا .

٥ ــ نحتفل يوم الخميس مساء بذكرى استقلال سورية وقد طبعنا البطاقات .

٦ ــ ارسلت مقالة للكوكب عن القضية السورية .

٧ ــ زارني الاستاذ صبيح المحرر في الكوكب وقال ان صحف الوفـــد (الكوكب) و(الجهاد) تريد تبديل سياستها ازاء العراق بسبب اضطراب الحالة هناك ولان الامور صارت تدار على النواد في مصر ثم اتفقنا على ان نجتمع ثانيـــة للبحث في هذه القضية .

ارجو مواصلتي بخدمتكم واوامركم ادامكم الله للمخلص .

٢٣ مارس ١٩٣٤ التوقيع : **امين سعيد**

بعد ما كتبت هذا اليكم اخرته الى صباح الاثنين ريثمــــا اطلعت (الرئيس الجليل) (في راي المركز هو عبد الرحمن الشهبندر) على البيان فقال انه عديـــم القيمة لا تدعو الحاجة الى نشره فرايت ان ارسله اليكم لتروا رايكم فيه وانا بانتظار الامر فانه في الامكان ارسال مقالة الى احدى الصحف السورية بشأنه» .



٥ ــ رسالة من محمد جميل المدفعي الى الدكتور احمد قدري يمده فيها بتعليمات وببعض المال .

بغداد ١٨ شباط ١٩٣٤

اخي الدكتور احمد بك قدري .

بعد التحية لا شك وانه بلغكم خبر استقالتي وربما قبلت اليوم او غدا اما الاسباب فهي دسائس بعض زملائي الذين يرغبون في ان تولي الحكم من بعد قبول استقالتي واظنهم لا يخفون عليكم وان لمجيء جعفر بات علاقة في هذه القضية . لا شك وان الاخ تحسين سيعلمكم مفصلا عن هذه الامور .

اوعزت لبعض الاخوان ان يعلموا بعض الاخوان في طرفكم فارجو اذا كنتم متصلين بأسعد ان تعلموه بالامر .

حولت لكم خمسين دينار ارجو ان تعطوا منها ثلاثين للاخ امين سعيد وعشرون للجهات التي ترغبون بها . اقدم فائق احتراماتي لكم وللجميع والله يحفظكم لاخوكم .

التوقيع

محمد جميل المدفعي

٦ ــ رسالة من امين سعيد في ادارة المقتطف والمقطم ــ الورق المكتوب عليه يحمل هذا العنوان :

الى الدكتور احمد قدري يعلمه عن استلام الرسالة من الكيلاني. ويظن المركز ان رشيد عالي واظن انا انه سعيد الكيلاني الذي يظهر في رسالة الى فؤاد مفرج في ٢١ــ١ــ١٩٣٨ رقم ٢٠٧/١٢٦ اهتمامه وهو في بيروت بالقضية السورية ... الخ . خلاصة الرسالة ــ تاريخها : مصر ٢١ مارس ١٩٣٤ .

سيدي الدكتور الكريم .

سلمني امس الكيلاني بك كتابكم وما ضمنه فشكرت فضلكم لاعدمنكم .

٧ ــ من امين سعيد الى الدكتور احمد قدري :

الاخ اسعد (اظن ان داغر) وصل بالسلامة وقد قال لي وللكيلاني بك انه اتفق واخوانه على تجديد الدعوة لعقد المؤتمر العربي من دون ان يكون للعراق صلة به. وقال لي ايضا انهم قرروا ان يضيقوا دائرة صلتهم بالعراق ولما قلت له امس انني كتبت مقالة عن ميلاد جلالة الملك غازي قال لي يجب ان تكون معتدلا ولا تسرف فقلت له ان الامر يتعلق بالملك لا بغيره وابهتنا ولعلك توافينا في فرض العيد فتتكلم مليا في هذه الامور . ما رأيك في سفري الى الشام وفي الوزارة الجديدة هل تفضل بقائي هنا ام سفري الى هنالك مع العلم اننا امام دور جديد من النضال في مصر مع هؤلاء .

انا في انتظار اوامرك وخدمك ادامك الله للمخلص المشتاق .

التوقيـــع
امين سعيد

وهذه الرسائل جميعها موجودة في مركز الوثائق العربية في دمشق : في ملف الحركة العربية او في ملف الدكتور احمد قدري .



ملحق رقم -٢٠-

عريضة موقعة من بعض وجهاء واعيان بيروت بترشيح نسيب البكري اميرا لعرش سورية ، رفعت الى الجنرال غورو .

الى معالي فخامة الجنرال غورو .

يا فخامة القائد الباسل المعظم .

من المعلوم لدى الشعب السوري ان من اقصى اماني الحكومة المنتدبة الفخيمة ان يكون القطر السوري مناطق متعددة تجمعها الوحدة السياسية والاقتصادية على قواعد اللامركزية حفظا للمصلحة المشتركة لكونه مجموع بلاد متحدة في العادات والاخلاق واللغة . ولما كان لا بد لهذه الولايات والمناطق اللامركزية من راس او امير يمثلها فقد راينا بعد الروية والتبصر وإدامة النظر وإطالة الفكر ان نرشح لامارة القطر السوري رجلا جمع من الصفات السامية التي تؤهله لهذا المنصب العالي ما لا يجتمع في غيره فلم نر سوى سليل بيت الجد والشرف السيد نسيب البكري صاحب المقام السامي الذي يرجع نسبه الى اول امير في العرب بعد الاسلام . وقد كان لهذا البيت الكريم شأن كبير منذ ثلاثة عشر قرنا حتى يومنا هذا ونبغ عنه افراد كل دور من ادوار سورية خدموا هذه الامة خدمة صادقة نزيهة مسطرة لهم على صفحات التاريخ بمداد الفخر وان مفاداته مع اخوانه الكرام ابان الحرب العامة حبا بخدمة وطنهم وجيوش الحلفاء المعظمين بتضحيتهم بكل مرتخص وغال فقد ركبوا الاخطار وامتطوا غارب الاسفار وحازوا الفيافي والقفار وساعدوا بأنفسهم واموالهم في ذلك السبيل ما جعلهم موضع الثقة والاعجاب والتقدير . وقد كان للسيد نسيب المشار اليه اكبر نصيب في هذه الخدمة واعظم سهم في هذه التضحية . وان لنا في غيرتهم في سبيل المحافظة على اخوانهم المسيحيين يوم استعرت نار الشغب في دمشق ولعبت ثورة الجهل والطيش ببعض الرؤوس التي سببت المشاكل بين حكومتي المنطقتين لاكبر دليل على بعد نظرهم ورزانة عقلهم وتفانيهم في سبيل المصلحة الوطنية المشتركة.

ولما كان السيد نسيب البكري المشار اليه ثقة اسرته وجميع الشعب السوري على اختلاف طبقاته واديانه ومذاهبه فضلا عما توفر فيه من الصفات الكريمة والاخلاق النبيلة والمعلومات السامية فقد رشحناه لامارة سورية المتحدة التي تزدان بوجود بطل مثله على راسها . لذلك رفعنا عريضتنا هذه الى الدولة المنتدبة المعظمة بواسطة بطلها المغوار قائد جيش الشرق ومندوبها السامي في سورية وكيليكية فخامة الجنرال غورو المعظم ملتمسين اجابة طلبنا وتحقيق امانينا والله نسال ان يوفق الامتين الكريمتين الى ما فيه سعادة البلاد ونفع العباد» انتهى وفي ذيل هذه المضبطة مئات التواقيع من البيروتيين والطرابلسيين والمسيحيين .

المقطم عدد ٩٦٠١ الجمعة ١٥ اكتوبر ١٩٢٠

* * *

ملحق رقم — ٢١ —

عرش سورية

تقرير مغفل من التوقيع مؤرخ في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٢٦

عندما وصلنا ، الى هنا ، مقال السيد هنري دي كوراب Henri de Korab المنشور في صحيفة الماتان Le Matin حول موضوع عرش سورية بادرت الصحف بنشر ترجمته وكان مجال تعليقات واسعة النطاق من جانب الجمهور ، فضلا عن الصحافة . اما وقد سمعت اقوال الفئتين المتناحرتين في البلاد : الموالين للانتداب الفرنسي والمعارضين له . فاني اقدر هنا على عرض راي هؤلاء واولئك .

يفكر أنصار الانتداب الفرنسي على النحو التالي :

١ ـ تثبت واقعة وجود عدد كبير من المتنافسين في التطلع الى العرش في سورية بأن فكرة العرش قد اصبحت واضحة في الاذهان وان الشعب ميال الى قبول تحقيقها .

٢ ـ تواجه فرنسا حاليا صعوبات ضخمة سواء من اجل تشكيل حكومة مسؤولة ام من اجل ايجاد اشخاص ثقة قادرة على التعاون بفعالية في هذا الوضع الدقيق ، المحاطة به في الوقت الحاضر . فمن المتفق عليه والحالة هذه ، انه لو كان للبلاد عرش لصار هو الوسيلة الاصلح لتسهيل مهمة الدولة المنتدبة . فان الاهالي يسلسون قيادهم لحكم الملك اكثر من انقيادهم للزعماء الحاليين الذين يغذون ، في معظمهم ، طموحات شخصية ويضعون مصلحتهم الخاصة فوق المصلحة العامة . وهم من جهة اخرى ضعاف الثقافة ، تنقصهم الاستقامة . وما

تلك الحمية الوطنية التي يتباهون بها الا تضليل للوصول الى اهدافهم الشخصية.

٣ ــ مهما اشتدت البغضاء التي يكنها مسلمو سورية لفرنسا فلا يمكن ان تعدل بغضاء المصريين للانجليز . ومع ذلك فان انجلترا تجد بفضل عرش مصر ، على الرغم من مبالغة الوطنيين في مطالبهم ، وسيلتها للحفاظ على مصالحها بدون ان تضطر للاصطدام بكرامة الشعب المصري . فالشعب يحسب نفسه مستقلا ولا يفقد الانجليز من نفوذهم شيئا .

٤ ــ وهذا هو عين ما جرى في العراق حيث اتخذت الثورة وجهــا شبيها بالثورة في سورية . وبعد اخمادها فرضت انجلترا فيصلا ملكا على العراقيين وبواسطته حصلت على كل ما ارادت .

٥ ــ وعلى هذا المنوال جرى الامر في شرق الاردن حيث خلق الانجليز امارة أولوا شأنها للامير عبد الله ، وبواسطته تمكنوا من صيانة علاقات وثيقة التفاهم مع البدو وعرفوا كيف يتجنبوا غاراتهم على حدود شرق الاردن وفلسطين . وهي غارات ، لو لم يكن على راس شرق الاردن امير مسلم ، كان لا بد من حدوثهــا لعداوة البلاد للصهيونية ولكانت بريطانيا العظمى ، في هذه الحالة ، تنساق الى اتخاذ اجراءات قمع ضد العرب تلزمها بإبقاء قوى كبيرة على اهبة الاستعداد .

٦ ــ تكن شعوب الشرق عامة ، والمسلمون بوجه خاص ، احتراما عميقــا لاشخاص الملوك الذين ينظر اليهم نظرة تقديس .

٧ ــ تلاشي شخصية الملك ، عندما يكون قائما على العرش ، اي شخصية اخرى بارزة . وعلى العكس في حال عدم وجود الملكية ، يطلق الزعماء العنــان لطموحهم ليحصل كل منهم على الاولوية والاحتفاظ بها وهو امر يوقع الدولــة المنتدبة في ارتباك دائم لانه يقود باستمرار الى صعوبات جمة يتوجب عليهــا وحدها ان تعمل على حلها . ناهيك عن ان كل واحد من هؤلاء الزعماء يهاجــم باقصى الجهد الدولة المنتدبة لكي يؤمن لنفسه شعبية اكبر بين الجماهير .

٨ ــ ولن يكون في وسع الملك ، الذي تتوصل الدولة المنتدبة الى اقناعــه بقبول العرش ، اذا هي احسنت اختياره ، الا الاخلاص لهذه الدولة لانه يكــون مقتنعا تمام الاقتناع بأن بقاءه على العرش منوط بها .

٩ ــ وما الذين يعارضون فكرة انشاء عرش في سورية الا زعماء مشاغبون من قادة المعارضة او من أولئك الذين سبق لهم ان ذاقوا حلاوة السلطة كالدكتــور الشهبندر وفارس الخوري وصبحي بركات .. الخ. ولئن كان هؤلاء الزعمــاء يطالبون بالجمهورية فلأنهم واثقون من ان الملك يمكن ان يتفق تمام الاتفاق مــع الدولة المنتدبة ويعمل على ان يسير الشعب نفسه وراءه على هذا الطريق . وبهذا الشكل لن يبقى لهم نفس التأثير .

١٠ ــ الصعوبة الوحيدة التي يمكنها ان تحول دون تحقيق هذه الفكرة هــي اختيار شخص يقبل به الاهلون بسهولة . الا ان فرنسا تستطيع دائما تذليل هذه الصعوبة ، وذلك بأن يقع اختيارها على امير من اسرة مسلمة حاكمة . وثمة عدد

من الامراء تلقوا تثقيفا أوربيا فرنسيا . تستطيع فرنسا التفاهم مع احدهم . اما مسألة العمل على قبول سورية بهذا الامير الذي يقع عليه الاختيار ملكا عليها ، وهو امر يبدو لاول وهلة محفوفا بالصعاب ، فيكفيها التضحية بقليل من المال للقيام بحملة دعاية ناجحة ، واسعة النطاق ، ولن يتلكأ السوريون في الانحناء لملك يحظى بتقدير سام من جانب الامراء الآخرين . تشهد على صحة هذا فرحة الشعب السوري العارمة عندما نودي بفيصل ملكا على سورية وكذلك ما أظهره من تعلق عميق به ساعة رحيله .

كان العراق يمقت شخص فيصل اما لذاته او بسبب الاختلافات الدينية التي تباعد ما بينهما اذ ان اكثرية المسلمين في العراق هم من الشيعة في حين ان فيصلا سني . ومع ذلك تغلب الانجليز بفضل دعايتهم الفعالة ، النشطة ، على المعارضة وجعلوا من فيصل ملكا على العراق .

لسوف تكون هذه المحاولة اسهل في سورية لبلوغ الغاية ، لاسيما اذا كان للشخص المختار اعتباره السامي في الشرق .

١١ ـ يطالب معظم السكان ـ ولا يخلو ذلك من حق ـ ببقاء سورية موحدة، غير مجزاة . فاذا بوشر ، تحقيقا لهذه الامنية ، بالعمل على اقامة وحدة سورية ، بدون لبنان ، وذلك بتأسيس عرش واحد لها فان المخاوف من احتمال ثورة البلاد الموحدة بالدولة المنتدبة سوف تقل .

١٢ ـ يعمل الملك دائما بدافع بطانته من الرجال . فباختيار فرنسا لهيئة موظفي الديوان الملكي بنفسها من بين الشخصيات المخلصة لها تستطيع قيادة زمام الدولة على احسن ما يفيد مصالحها الخاصة .

اما خصوم الانتداب فيفكرون كما يلي :

١ ـ يسلمون ، هم ايضا ، بضرورة ايجاد زعيم مسلم ؛ عالي المقام ، سواء أكان وسيطا للتفاهم بين الشعب والدولة المنتدبة ام لتكون له الكلمة الاخيرة الحاسمة في ادارة البلاد .

٢ ـ يريدون ان يروا سورية موحدة وان يكون على راس وحدتها ملك يضع حدا لتنافس الزعماء في طموحهم الى السلطة . ففي النظام الملكي تتركز السلطة العليا في الملك وحده ، ويكون قادرا وحده على كشح الاغراب عنها . وتنبثق منه جميع السلطات التي لا يمنحها الا لمن يكونون جديرين بها .

٣ ـ وهم مقتنعون بأن وجود العرش يكون اشارة واضحة على الاستقلال والسيادة وهما الامران اللذان يروق لهم ان يطالبوا بهما بإلحاح وضجيج ، كما يكون هذا العرش ضمانة لهما لا غنى عنها .

تلك هي الحجج المؤيدة والمناهضة لاقامة عرش في سورية .

وثمة ضرر قد ينتج عن تنفيذ هذا المشروع وهو ان يتم التفاهم بين الملك والشعب للعمل ضد الدولة المنتدبة . ولكن تجنب هذا الضرر ممكن على نحو آخر . وهو ان لا ترتكب فرنسا خطأ في اختيار المرشح للعرش .

يتوجب على الدبلوماسية الفرنسية اذن ان تبذل جهودها من اجل اختيار موقف يتيح لها ان تقرن مصالحها الخاصة بمصالح الامة الموضوعة تحت الانتداب.
Arch. Aff. Etr. 1918 - 1929 Levant, Syrie - Liban vol 225 p.p. 129-134.



ملحق رقم -٢٢-

دستور الشباب الوطني :

المادة الاولى : الشباب الوطني هيئة قومية غايتها تحرير سورية الطبيعية وتوحيدها والعمل في سبيل تقارب البلاد العربية واتحادها .

المادة الثانية : الشباب الوطني هيئة تدرس الاوضاع والاحوال السياسية وتحدد موقفها منها وتشترك في هيئة الحركات السياسية وتوجهها شطر تحقيق المقاصد الوطنية .

المادة الثالثة : الشباب الوطني هيئة تهذيبية تعمل على نشر مبادىء الاخلاق الانسانية والوطنية ورفع مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

المادة الرابعة : الشباب الوطني هيئة كفاحية تقوم على اساس الطاعة والنظام والتضحية وتدرب الشبيبة على اساليب مستمدة من التعاليم الرياضية العسكرية .

المادة الخامسة : الشباب الوطني هيئة تعاونية تقوي روح الاخوة بين اعضائها وتنشط مواهبهم وتشد أزرهم .

المادة السادسة : دمشق مقام الشباب الوطني .

المادة السابعة : يؤلف الشباب الوطني فرقا باسم «القمصان الحديدية» .

المادة الثامنة : شعار الشباب الوطني ساعد مفتول يقبض بشدة على مشعل ملتهب اشارة الى ان رسالة الشباب هي الحرية والحق والقوة .

المادة التاسعة : تحية الشباب الوطني رفع الذراع اليمنى الى الاعلى مع بسط الكف .

المادة العاشرة : لباس الشباب الوطني قميص وبنطلون حديديان .

المادة الحادية عشرة : قسم الشباب الوطني هو : «اقسم بالله ان اخدم بلادي بشرف واخلاص وتضحية واقسم بالله ان اتقيد بمقررات المجلس السياسي الاعلى واطيع من دون تردد أوامر اللجنة العليا» .

ولمزيد من الاطلاع على تفرعات الشباب الوطني وفرق القمصان الحديدية يراجع : ملف المنظمات في مركز الوثائق التاريخية بدمشق .

***

ملحق رقم -٢٣-

اثناء اضراب سورية الكبير رفع الامير عبد الله ، امير الاردن مذكرة للمندوب السامي البريطاني نقتطف منها ما يلي :

[...]

«انني ومن يعلم علمي لا نشك في ان الحكومات المنتدبة تصرف جهودا غير قليلة للنهوض بأمانة الانتداب غير انه لا نكران ان الوسائل المتخذة والطرق المتبعة قد لا تطابق في كثير من الاحيان الغايات السياسية المنشودة. لذلك ترى سورية منذ الاستيلاء الفرنسوي عليها في عدم استقرار مستمر يعود على ما جاورها بمخاوف سياسية ومتاعب اقتصادية لا يدري المفكر فيها الى اي حد تبلغ ومتى تنتهي وبالاخص لوجود انتدابين في بلاد كانت تابعة لسلطة واحدة وترغب في ان تصل الى حقها كي يتاح لها الاستقرار وان تتبوا مقامها اللائق بها في المجموعة الشرقية الحاضرة .

«انني منذ طلب اليّ وزير المستعمرات المستر ونستون تشرشل في القدس أن افسح المجال للمرحوم الملك فيصل ليرشح نفسه لعرش العراق لتعذر رضاء فرنسا برجوعه الى سورية وان البث في شرق الاردن ساعيا في تأسيس سياسة ولاء وسلم تلفت نظر فرنسا المنتدبة في سورية وتستجلب اقتناعها كي تعود فترضى باعادة السياسة القائلة بوحدة المدن الاربع لسورية وشرق الاردن – عملت على ذلك **وأوقفت شرق الاردن مع فلسطين في الثورة السورية السابقة على عهد اللورد بلومر موقفا ساعد الحكومة الفرنسوية مساعدات جليلة اثنى على بذلنا لها اللورد بلومر نفسه في مناسبات جمة** وكان الامل بحلول الاستقرار السوري الدائم منظورا اليه الى ان دارت السنون وجاءت سياسة الجمهوريات الفاشلة فيسورية وطوحت بالبلاد الى ما هي عليه اليوم من موقف مقلق ...

«والمفهوم ان المطلوب مني حينما قبلت بنصائح وزير المستعمرات المستر ونستون تشرشل هو مساعدة فرنسا على النهوض بمهامها في سورية وعدم الرضا عن اي حركة استفزاز يكون مقرها شرق الاردن والتحفظ من ناحية اناس من شأنهم اتباع سياسة عدم الرضا الفعلية وبهذا عملت .

«فاذن ارى من الواجب عليّ ان الفت نظر فخامتكم لتتوسلوا برفع ما يلوح لي من افكار الى حكومة فرنسا بأن هذا الموقف الغائم والظاهر والنزيه الباطن ليس بمتعسر الحل وانه ليس في سورية من يجهل ما لفرنسا من قوة عظيمة وبأس شديد او من يرغب في تعريض سورية لعداء فرنسا بل السنون دفعتهم الى الرغبة الشديدة في تقرير الموقف السوري تقريرا يرتكز على صداقة فرنسا ويتوقف على الطريقة التي عولجت بها المسالة العراقية هيالبلسم الشافي للمرض السوري الذي لا يضر » .

التوقيع : عبد الله

ملحق رقم -٢٤-

الجمهورية السورية صفحة ١٩٥ ـ ٢٠٩
وزارة الخارجية

تحديد الحدود التركية السورية

٢٠-١٠-١٩٢١

اتفاق انقرة

المادة الاولى : يصرح الطرفان الساميان المتعاقدان انه منذ توقيع هذا الاتفاق، تتوقف حالة الحرب فيما بينهما ، وتعلم بذلك حالا الجيوش ، والسلطات المدنية والسكان .

المادة الثانية : منذ توقيع هذا الاتفاق ، يطلق سراح كل اسرى الحرب من الطرفين ، وكل الاشخاص الفرنسيين او الاتراك الموقوفين او المسجونين ويعاد سوقهم . على نفقة الطرف الموقوفين لديه ، الى اقرب مدينة تعين لهذه الغاية . تشمل الاستفادة من هذه المادة ، كل الموقوفين والسجناء لدى الطرفين ، مهما يكن تاريخ ومكان توقيفهم او سجنهم او اسرهم .

المادة الثالثة : خلال مهلة قصوى امدها شهران اعتبارا من تاريخ توقيع هذا الاتفاق ، تنسحب الجيوش التركية الى (شمال) والجيوش الفرنسية الى جنوب الخط الذي عين في المادة الثامنة .

المادة الرابعة : يجري الجلاء ، واعادة التسليم اللذان سيتمان خلال المهلة المحددة في المادة الثالثة حسب الطرق التي ستحدد باتفاق مشترك ، من قبل لجنة مشتركة تعينها القيادة العسكرية لكل من الطرفين .

المادة الخامسة : يمنح الطرفان المتعاقدان عفوا كاملا شاملا في المناطق التي تم الجلاء عنها منذ استلامها .

المادة السادسة : تصرح حكومة المجلس الوطني التركي الكبير بأن حقوق الاقليات المعترف بها رسميا في الميثاق الوطني ، تثبت من قبلها على الاساس نفسه المتخذ بموجب الاتفاقيات المعقودة لهذه الغاية بين دول الحلف ، وخصومهم وبعض حلفائهم .

المادة السابعة : يوضع نظام اداري خاص لمنطقة الاسكندرونة . فان سكان هذه المنطقة الاتراك يتمتعون بكافة التسهيلات الضرورية لانماء زراعتهم . وتكون للغة التركية في هذه المنطقة صفة رسمية .

المادة الثامنة : يحدد الخط المذكور في المادة الثالثة ، ويعين بدقة على الوجه التالي :

يبتديء خط الحدود من نقطة تنتخب فوق خليج اسكندرون ، مباشرة جنوب

ناحية باياس ويتجه قليلا نحو ميدان اكبس على ان تبقى محطة السكة الحديد والناحية الى سوريا .

ومن هناك ينحني نحو الجنوب ، بشكل يدع لسوريا ناحية مارسوقا ، ولتركيا ناحية كرنبا ومدينة كلز . ومن هناك يتصل بالخط الحديدي في محطة جوبان بك . ثم يتبع خط بغداد الحديدي الذي تبقى ساحته فوق الاراضي التركية حتى نصيبين .

ومن هناك يتبع الطريق القديمة بين نصيبين وجزيرة ابن عمر حيث يلتقي بالدجلة . وتبقى ناحيتا نصيبين وجزيرة بن عمر والطريق ، لتركيا، ولكن البلدين يتمتعان بنفس الحقوق فيما يتعلق باستعمال هذه الطريق . ان المواقف والمحطات في منطقة جوبان ونصيبين تخص تركيا على اعتبار انها تشكل جزءا من ساحة الخط الحديدي .

تؤلف لجنة ، مشكلة من مندوبي الطرفين ، خلال مهلة شهر اعتبارا من تاريخ توقيع هذا الاتفاق ، لتحديد الخط المبين اعلاه . وتشرع هذه اللجنة بالاعمال خلال المهلة نفسها .

المادة التاسعة : ان قبر (سليمان شاه) جد السلطان عثمان مؤسس السلالة العثمانية والقبر معروف باسم المزار التركي «تورك مزاري» الواقع في جابر قلعة سي (قلعة جابر) يبقى مع ملحقاته ملكا لتركيا ، التي تستطيع الابقاء فيه على حراس وترفع فوقه العلم التركي .

المادة العاشرة : تقبل حكومة المجلس الوطني التركي الكبير نقل امتياز جزء خط بغداد الحديدي ، بين بوزانتي ونصيبين ، ومختلف التفرعات المنشأة في ولاية اضنا لهيئة فرنسية تعينها الحكومة الفرنسية مع كافة الحقوق والامتيازات والمنافع الملحقة بالامتيازات ولاسيما فيما يتعلق بالاستثمار والتجارة .

ويحق لتركيا اجراء نقلياتها العسكرية بواسطة الخط الحديدي من ميدان اكبس الى جوبان بك ، في المنطقة السورية ، كما يحق لسوريا اجراء نقلياتها العسكرية بواسطة الخط الحديدي من جوبان بك الى نصيبين فوق الاراضي التركية .

لا يمكن ، من حيث المبدأ ، وضع اية تعرفة متباينة فوق هذا الجزء او هذه التفرعات على ان الحكومتين تحتفظان حين الاقتضاء بحق دراسة امر الشذوذ عن هذه القاعدة ، وذلك باتفاق مشترك ، حين يصبح الشذوذ ضروريا .

وفي حالة استحالة الاتفاق ، يستعيد كل طرف حريته في العمل .

المادة الحادية عشرة : تؤلف لجنة مشتركة ، بعد تصديق هذا الاتفاق بغية عقد اتفاق جمركي بين تركيا وسوريا ، وتحدد شروط ومدة هذا الاتفاق من قبل اللجنة المذكورة . ويحتفظ البلدان ، حتى عقد الاتفاق المذكور بحريتهما في العمل .

المادة الثانية عشرة : توزع مياه نهر قويق بين مدينة حلب ، ومنطقة الشمال،

التي بقيت لتركيا بصورة ترضي الطرفين بشكل عادي .

وتستطيع مدينة حلب ان تنشيء على نفقتها مآخذ ماء على الفرات في الاراضي التركية لتلبية حاجات المنطقة .

المادة الثالثة عشرة : ان السكان المقيمين او نصف الرحل ، الذين يتمتعون بحق الرعي ، او الذين يملكون املاكا في احد جانبي الخط المحـــدد في المادة السابقة ، يثابرون ، كما في الماضي ، على ممارسة هذه الحقوق ويمكنهم نقل مواشيهم وصغارها ، وأدواتهم وآلاتهم ، وبذارهم ، ومحاصيلهم الزراعية من احد جانبي الخط الى الجانب الآخر بصورة حرة ، وبدون ان يدفعوا اي رســم جمركي او رسم الرعاية او اي رسم آخر . وذلك لضرورات استثمار هذه الاموال. على انهم يخضعون لدفع الضرائب والرسوم عن هذه الاموال في البلاد التي يقيمون فيها .

يوسف كمال **هنري فرانكلان ـ بويون**

***

ملحق رقم ـ ٢٥ـ

معالي السيد هنري فرانكلان بويون ، المفوض المطلق الصلاحية عن الجمهورية الفرنسية

انقرة في ٢٠ تشرين اول ١٩٢١

يا صاحب المعالي :

يسرني ان آمل بأن الاتفاق المعقود بين حكومة المجلس الوطني التركي الكبير وحكومة الجمهورية الفرنسية ، بغية تحقيق صلح نهائي دائم ، سيكون من نتائجه اعادة وتمتين العلاقات الوثيقة التي كانت قائمة في الماضي بين الامتين ، وذلك ان الحكومة الفرنسية ما زالت تجهد ، بروح التفاهم الودي لحل كل القضايا المتعلقة باستقلال وسيادة تركيا .

وقد كلفتني حكومة المجلس الوطني الكبير ، رغبة منها بتقوية العلاقات المادية بين البلدين بأن اصرح لكم بانها على استعداد لمنح امتياز مناجم الحديد والكروم والفضة الموجودة في وادي هارسيت لمدة تسع وتسعين عاما ، لهيئة فرنسيـــة التي ستباشر خلال مدة خمس سنوات من تاريخ توقيع هذا الاتفاق اعمال استثمار هذا الامتياز من قبل شركة مؤلفة وفقا للقوانين التركية باشتـــراك رؤوس الاموال التركية حتى نسبة ٥٠ بالمئة . وعلاوة على ذلك ، فان الحكومة التركية علـــى

استعداد لان تدرس بروح العطف ، الطلبات الاخرى التي ستقدمها اليها هيئات فرنسية ، بشأن امتياز المناجم ، والخطوط الحديدية ، والمرافىء والانهر شريطة ان تكون الطلبات المذكورة مطابقة لمصالح تركيا وفرنسا المتبادلة .

ومن جهة اخرى فان تركيا راغبة بالاستفادة من التعاون مع الاساتذة الاخصائيين الفرنسيين في مدارسها المهنية ، وستعلم الحكومة الفرنسية فيما بعد عن مدى حاجاتها بهذا الشأن .

واخيرا ، فان تركيا تأمل بان تسمح الحكومة الفرنسية لاصحاب رؤوس الاموال الفرنسيين منذ تاريخ عقد الاتفاق بأن ينشؤوا علاقات اقتصادية ومالية مع حكومة المجلس الوطني التركي الكبير .

وتفضلوا يا صاحب المعالي بقبول اسمى عواطف الاعتبار .

التوقيع : يوسف كمال



ملحق رقم -٢٦-

المصدر : مركز الوثائق التاريخية بدمشق ـ ملف المشاكل الكبرى ـ اوراق اسكندرونة .

الموضوع: وثيقة مضروبة على الآلة هي «التقرير المرفوع للمفوضية الافرنسية في بغداد لتنبيهها الى نوايا الاتراك بخصوص فصل الاسكندرونة عن سورية وضرورة الاهتمام بذلك» في ١٥-١٢-١٩٣٦ هذا نصها :

تأسست في تركيا جمعية اسمها هاتاي اركيتليك لها فروع في معظم البلدان الهامة سيما المجاورة لحدود لواء الاسكندرون كارفة ومرسين وعنتاب غايتها العمل على استقلال السنجق وفصله عن سورية توطئة لضمه لتركيا وهي تحت رعاية الغازي اتاتورك وقد انضم معظم الساسة الترك وجرائدهم الى المجهود المبذول الان لتحقيق تلك الغاية مهما كلفهم الامر. وقد كتبت جريدة جمهوريت بتاريخ ١-١-١٩٣٧ بامضاء بيامي صفا تقول : لقد اتخذ الاتراك قرارهم بخصوص استقلال لواء الاسكندرون ونأمل ان لا تكون هناك ضرورة تلجئنا الى تنفيذه بالقوة اننا اذا كان الامر عكس ذلك فلن نتقهقر . وكتب يونس نادي رئيس اللجنة النيابية الخارجية يقول ان الموظفين الافرنسيين في سورية يحرضون على خلق العداء بين الترك والعرب وان كل السوريون يعترفون بعد ان خبروا النظام الاستعماري الفرنسي بأن الحكم العثماني كان يمكن اعتباره نعمة بالنسبة الى ذلك النظام .

وكتب ايضا بان تركيا تنسحب منجمعية الامم اذا لم تحل مشكلة الاسكندرون حلا مرضيا لها وانها ستعود الى احضان تركيا وستظل تركية ابدا ونحن واثقون

من قوتنا . ونشرت الجريدة المذكورة ايضا عن ان تركيا ستصر ولو كان ذلك سيقودها الى محاربة فرنسا .

والحكومة التركية تذيع بالراديو باللغة العربية في الساعة التاسعة والنصف (بغداد) اذاعات كلها تهجم على فرنسا بعبارات يقصد بها بذر النفور بين العرب عامة والسوريين خاصة. وفرنسا وكثيرا ما تردد مظالم فرنسا بفصلها لطرابلس عن سورية وستلقي في هذه الليلة ترجمة خطاب فالح رفقي .

ملاحظة الكلام بالخط الاحمر تعليق على الوثيقة بقلم الرصاص تقول مسؤولة المركز انها بخط صاحبها .

***

ملحق رقم -٢٧-

المصدر : مركز الوثائق التاريخية بدمشق ملف المشاكل الكبرى اوراق قضية الاسكندرونة .

الموضوع: رسالة من الدكتور احمد قدري الى شكري القوتلي - من بغداد الى دمشق مضروبة على الآلة الكاتبة هذا نصها :

بغداد في ٢٧ حزيران ١٩٣٧

اخي شكري

لقد ابنت لكم بانني لست مرتاحا الى الخطة المتبعة بقضية اسكندرون وان ذلك سيجلب لكم متاعب جمة واستغربت كثيرا القرار الذي اتخذه المجلس برفض التنفيذ بقرار جمعية الامم انا افهم فائدة الاصرار على تمسكنا بحقنا باللواء واظهار المجلس ذلك التمسك بكل حماس ولكن ما كان يجب اعطاء قرار صريح الصراحة كلها برفض التقيد بقرار جنيف قبل النظر برفض المعاهدة او عدمه اذ يظهر لي ان الراي الغالب عندكم هو العمل على تنفيذ المعاهدة والتخلص من الانتداب بأسرع ما يمكن فرفض قرار جنيف من قبل المجلس لا يلتئم مع هذه الرغبة فاتباع الحسيات وان كان يوجب تصفيق الجماهير وسهل الا انه لا يتفق ومنافع الوطن دوما . لقد بحثت الحكومة هنا مع رشدي اراسي واجتمعت معه مرتين لبحث وضع اللواء ونوايا تركيا نحو سورية فأكد لي بأن سياستهم نحونا حبية للغاية وانهم يودون وسيساعدون على تأسيس حكومة قوية في سورية واننا يمكننا ان نعتمد عليهم اذا تصرفنا تصرفا حسنا ولم نظهر العداء لهم فأجبته ومسألة اللواء؟ فاجابني بأنكم في غنى عن توجيه كل جهودكم للواء قبل ان تؤسسوا كيانكم وتقووا انفسكم فيصيبكم ما اصاب الدولة العثمانية اذ اضعفت نفسها في سبيل اليمن ولم تتمكن من تحمل الصدمات التي اتتها بسبب ذلك الضعف فكونوا بعيدي النظر واستفيدوا من عبر التاريخ فقلت ان اكثرية سكان اللواء عربية وان تطبيق نظام

اللواء الجديد ليس هو الا مقدمة لضمه لتركيا فتصبح حلب بخطر وها قد بدأ الاتراك في لواء الاسكندرون يستفزون غيرهم من السكان ويحدثون المشاكل فأجابني لقد نصحناهم بالاخلاد الى السكون وليس لنا اي غاية بضم شبر ارض الى ارضنا وكل رغبتنا ان لا توجد تحكيمات وقوى عسكرية في حدودنا الجنوبية وان نستفيد من خليج الاسكندرون الذي ستكون له اهميةعظيمة بعد ربط خطوطنا الحديدية بخطوط ايران ونحن سنعمل على تطبيق قرارات جنيف بأمانة ويجب ان تكون مشيئة سكان اللواء هي التي يعمل بها وستجري انتخابات محلية تحت اشراف هيئة منتدبة من العصبة وزاد بأن عدد العرب باللواء عشرون الفا ونحن لا نرغب في تتريكهم وقلت بعجب والعلويون فأجاب : بأنهم ليسوا ولا يودون ان يكونوا عربا وسيظهر ذلك للجنة العصبة فما علينا اذن الا ان نتقيد بقرارات العصبة ونحن مستعدون لمساعدتكم ومساعدة العراق بكل قوانا وان نتعاون معا اقتصاديا وسياسيا وبذلك يزيد رفاهكم ورفاهنا فاطلبوا ما تشاؤون ما عدا تغيير الوضع بهاتاي تروا حسن نوايانا وانني مستعد لمقابلة جميل بك في اغسطس باستنبول والاتفاق معه على كل ما تريدون وفقا لما ذكرت لك وثق بأننا نتمكن من التأثير على فرنسا لاجل ان تنصفكم واذا لم تقبلوا الامر الواقع في اللواء لا يمكن لسورية الدخول لعصبة الامم .

فرجائي ان تتركوا الضجيج والاستفزاز وتعملوا بهدوء لاجل تعليم وتدريب العرب باللواء بدون انيوجب ذلك شكوى ما وساقابل معالي ناجي الاصيل واخبركم ما يراه عما تقدم .

الدكتور احمد قدري



ملحق رقم -٢٨-

المصدر : اوراق نسيب البكري .

الموضوع: صورة مترجمة عن قرار المفوض السامي رقم ٢٨ ري سي تاريخ ٦ تموز ١٩٣٦ المحدد لوظيفة وصلاحيات المستشار الاداري لحكومة جبل الدروز.

المفوض السامي للجمهورية الافرنسية

بناء على قرار رئيس الجمهورية الافرنسية تاريخ ٢٣ ت ١٩٢٠. و١٦ تموز١٩٣٣

يقـــرر

مادة اولى ــ ان وظيفة وصلاحيات المستشار الاداري لحكومة جبل الدروز محدد كما يلي :

اولا : مراقب جميع الدوائر الملكية .

ثانيا : له الحق بالصرف في الميزانية منتدبا عن الحاكم لكل الصرفيات المتعلقة بالموظفين ولكل الصرفيات التي لا تتجاوز الخمسين ليرة سورية .
ثالثا : مراقب المصارف .
رابعا : مفتش المصالح المالية والبنك الزراعي ومصلحة التبغ .
خامسا : مدير المصالح الاقتصادية والزراعية .
سادسا : مفتش العدلية .
سابعا : مدير المعارف .

مادة ثانية : يقبض المستشار الاداري من مخصصات الميزانية المحلية اضافة الى راتبه تعويضا مناسبا للصلاحيات المعطاة له بموجب المادة الاولى اعلاه ومحددا بـ ٦٠٠ ليرة سورية سنويا .

مادة ثالثة : امين السر العام ومندوب المفوض السامي لدى حكومة جبل الدروز مكلفين كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار .

امين السر العام — بيروت ٦ تموز ١٩٣٦ — الامضاء دي مارتيل
الامضاء لاغارد — المستشار التشريعي — مستشار المفوضية العليا للمصالح
الامضاء مازاس — المالية ـ الامضاء : ابادي غاسكان

***

ملحق رقم ـ٢٩ـ

المصدر : مركز الوثائق التاريخية بدمشق ملف الادارة في عهد الانتداب .
الموضوع: كتاب على الآلة الكاتبة صادر عن المفوضية العليا بدمشق الى رئيس الوزارة السورية لطفي الحفار تاريخ ١٢ مارس ١٩٣٩ هذا نص ترجمته الفرنسية :

دمشق في ١٢ مارس ١٩٣٩

سيدي الرئيس

عهد اليّ حضرة المندوب السامي على اثر الحديث الذي جرى بينه وبينكم وبين اعضاء الحكومة السورية ان ادرس بقصد التوصل الى حل نهائي للمسائل الثلاث التي اثيرت في تلك المناسبة الا وهي :

١ ـ تعيين محافظ للاذقية .
٢ ـ تعيين قضاة في جبل الدروز .
٣ ـ تسوية الحالة في الجزيرة العليا .

١ ـ لقد ذهبت الى منطقة العلويين لكي اكوّن لنفسي رايا مباشرا وواضحا في مسألة تعيين محافظ للاذقية فأجريت تقصيا لذلك لدى ممثلي جميع الاحزاب

ومختلف الجماعات في تلك الربوع وادى بحثي الى الملاحظات الآتية :

ان العلويين مصممون تصميما لا يتزعزع على ان لا يقبلوا الا بمحافظ من عنصرهم ويرشحون شوكت العباسي . والزعماء العلويون الذين اتيح لي ان اجتمع اليهم عازمون جميعهم على اختلاف ميلهم على العمل لتحقيق نجاح قضية مرشحهم . وازيد على ذلك بأن شوكت العباسي ، بالرغم من صغر سنه قد ظهر لي انا شخصيا ، معتدلا في آرائه ومقدرا للظروف واعتقد انه لا يوجد علوي اقدر منه على القيام بمهمة ادارة المنطقة تلك المهمة الدقيقة ضمن نطاق الوحدة السورية .

ويكاد المسيحيون ، مع التحفظ بمراقبة دقيقة من قبل السلطة الافرنسية ، ان يجمعوا تقريبا على ترشيح شوكت العباسي .

اما السنيون ، ولرايهم بلا شك قيمة خاصة لدى حكومة دمشق ، فقد استطعت ان اتأكد من ان نصف عددهم تقريبا يعتبر بأن تعيين علوي ، وبالاخص شوكت العباسي هو احسن حل لاعادة الامن والهدوء في تلك المنطقة ، اما النصف الآخر فقد صرحوا لي ، ما عدا بعضهم بأنهم يقبلون من يتم انتخابه لهذه الوظيفة بالاتفاق بين حكومتكم والمفوضية العليا . ولم يعربوا عن اي تحفظ ضد اي شخص . فمن الممكن اذن الاستنتاج بأن الاكثرية الساحقة من سنيي منطقة اللاذقية تقبل بقرار يصدر بتعيين شوكت العباسي محافظا من الحكومة السورية.

واني لاذكر بهذه المناسبة نفسها بأن ممثلي الحزب السني من السكان اجمعوا تقريبا ، امامي على انتقاد ادارة المحافظ السابق المعين من قبل دمشق وكان هذا الانتقاد في بعض الاحيان شديد اللهجة .

فنظرا لتلك الاسباب يرى المفوض السامي بعد ان اطلعته على نتيجة تحقيقي ان تعيين شوكت العباسي محافظا للاذقية لا يمكن ان يؤجل ، وفي الظروف الحالية ان هذا التعيين هو الوحيد الذي يمكن ان يوافق عليه سكان اللاذقية وقد وعد ممثلو الكتلة الوطنية اثناء مباحثات سابقة جرت في سنة ١٩٣٦ ان يحترموا رغبات هؤلاء السكان ، وكان المفوض السامي كفيلا لذلك الوعد .

٢ ــ بالنظر لعدم امكان وجود حكام دروز يتمتعون بالكفاءة المطلوبة من جهة، وبالنظر لعدم امكان قبول حكام سوريين من قبل السكان فقد فوضني حضرة المندوب السامي ان اطلب منكم بأن تتفضلوا وتعينوا ، على الاقل بصورة موقتة حاكما افرنسيا لرئاسة محكمة استئناف السويداء وحاكما افرنسيا آخر لرئاسة محكمة البداية في المدينة نفسها وحيث انه من الضروري ان تحل بسرعة القضايا الحقوقية المعلقة في تلك المنطقة فانه من المصلحة ان توافق الحكومة السورية بأقرب وقت على تلك الاجراءات .

٣ ــ اما في الجزيرة العليا ، كما جرى الاتفاق مبدئيا من قبل ، فان تسريح الياس مرشو ورفاقه يسمح بتعيين بهيج الخطيب محافظا الذي ستعمل السلطات الافرنسية على دعم عمله لدى سكان المنطقة وتكون مهمة بهيج الخطيب ايجاد قواعد

لحكم لا مركزي اداري يرغب فيه جميع اهالي الجزيرة .

تلك هي الاقتراحات التي لي الشرف بأن اقدمها لدولتكم بأمر من المفوض السامي ، راجيا منكم ان تفيدوني بجوابكم باقرب مهلة ونرجو من الحكومة السورية ان تلاحظ بأن تلك الاقتراحات تحترم مبدا الوحدة السورية تمام الاحترام وبقبول دولتكم بها . كما هو امل المفوض السامي الوطيد يساعد بلا ادنى شك على اعادة السلام والهدوء اللذين لا بد منهما لاقامة حكم ثابت ونهائي في بعض المناطق التي يسود فيها الاضطراب الان . وهذا القبول يساعد في الوقت نفسه على منع احتمال اتخاذ بعض التدابير التي سيرى حضرة السفير نفسه مرغما لان يلجا اليها ، مدفوعا بتعلقه بحفظ النظام بل وبحفظ النظام وحده .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي .

مندوب المفوض السامي

هوتكوك



ملحق رقم -٣٠-

فقرات من «بروغرام» الحزب الشيوعي السوري
ماخوذة من كراس ، عدد صفحاته ٣٨ ، صدر يحمل رقم ١ لعام ١٩٣١

(...)

الخمسين سنة منذ ظهور «الكابيتال»

ان كارل ماركس وانجلس اعلنا منذ خمسين عاما ان لا بد للنظام الراسمالي من السقوط والاضمحلال بسبب المناقضات الكثيرة الموجودة فيه. تلك المناقضات تسبب الثورات والحروب التي هي نتيجة لازمة لهذا النظام الفاسد . وقد تنبئا عن وقوع الحرب العالمية الكبرى ١٩١٤ — ١٩١٨ ، وعن الثورة الروسية، وثورات المستعمرات ، والضائقة الاقتصادية الحالية التي ستدفع بالعالم الى حروب وثورات جديدة .

وشرح ماركس القواعد والطرق والوسائل الواجب اتخاذها لتقويض النظام الراسمالي واقامة النظام الاشتراكي .

وقد سار الزعيم الاكبر للطبقة العاملة في العالم كله وقائدها المفكر العظيم ، الرفيق نيقولا لينين على هذه القواعد فأظهر لنا صحة نظريات ماركس وصوابية تعاليمه . وقد راينا ذلك في نجاح الثورة الروسية الكبرى والفوز العظيم في انشاء النظام الاشتراكي وتقدمه المطرد في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية .

فمما تقدم يتضح ان الغاية الاساسية للشيوعية لا ترتكز على العواطف

فحسب بل انها شيء جوهري يرتكز على سنّة التطور الاجتماعي . وغايتنا الاساسية تتفق تماما مع التقدم الاجتماعي وتنطبق على مقتضيات الانسانية والتمدن الصحيح .

فلهذا نرى الشيوعيين يبذلون التضحيات الكبرى التي يوجبها عليهم النضال في سبيل الاشتراكية لانهم ينظرون الى المستقبل بطمأنينة وهم واثقون من فوزهم النهائي ، وكما انه ليس بالمستطاع ايقاف سير الحوادث التاريخية فكذلك ليس بالمستطاع تجنب سقوط النظام الرأسمالي وانشاء النظام الاشتراكي على انقاضه.

فيا اخواننا العمال والفلاحون السوريون ، افتحوا اعينكم وطالعوا ما كتبه الرفاق ماركس ولينين وغيرهما من واضعي اسس الاشتراكية الصحيحة (ان الحزب الشيوعي السوري يبذل جهده لترجمة الكتب الشيوعية اللازمة وطبعها) .

(....)

***

النضال لتحرير سوريا هو الغاية الاولى للحزب

لما كان الافرنسيون يحتلون سوريا فهم يستعمرونها ويستثمرون قوى شعبها ويستخدمون كل وسائل الضغط والارهاب ليظل الشعب خانعا مستعبَدا .

فالسياسة التي يتبعها المستعمِرون في سوريا هي سياسة شديدة الخطر على البلاد . اذ ان جميع الموارد اصبحت بيد المستعمِرين الذين يسرقون الشعب السوري وينهبونه بجميع الوسائل . فالمرافىء والسكك الحديدية والترامواي والنور والمياه والثلج الخ . كل هذه المصالح الحيوية اصبحت بأيدي الراسماليين الاجانب . ومالية البلاد تديرها المصارف الافرنسية وتراقبها . وقد احتكر الاجانب اراض واسعة يستثمرونها لانفسهم بالزراعات المختلفة كالقطن وغيره . والتجارة الخارجية يديرها ويراقبها معتمدون من قبل المستعمِرين . وسرايات الحكومة والبلديات ملأى بكبار الموظفين الافرنسيين الذين يتقاضون رواتب ضخمة تزيد اربعة اضعاف عما يتقاضاه الموظفون الوطنيون .

وهناك جيش الاحتلال الافرنسي الذي يكبد خزينة البلاد نفقات باهظة . والجمارك يسيطر عليها المستعمِرون فينفقون معظم ايراداتها في سبيل توطيد سلطتهم الاستعمارية . وفوق ذلك كله فحكومة الاستعمار تفرض من حين الى آخر غرامات حربية على الشعب السوري وتستوفيها بقساوة وفظاعة .

فالمبالغ التي يغتصبها المستعمِرون من الشعب السوري لا يمكن حصرها ولكن من المؤكد انها تقدر بمليارات الفرنكات . زد على ذلك الخسائر الفادحة التي نزلت بتجارة البلاد الخارجية مدة العشر سنوات المنصرمة والتي لا يمكن تقديرها.

وعلاوة على جيش الاحتلال والدرك الافرنسي فقد انشأ المحتلون جيشا ودركا

من ابناء البلاد ، وقسموا البلاد السورية الى حكومات او «دويلات» كما يسمونها وعينوا لها الحكام والرؤساء وجيوشا من الموظفين مما أثقل كاهل الشعب السوري.

* * *

ملحق رقم -٣١-

نداء من الهيئات الوطنية في الجزيرة الى اهل الجزيرة الكرام

ايها الاخوان الابرار :

عرفتم موقف البلاد السورية عامة من تخلف فرنسا عن تصديق المعاهدة السورية التي وقعها وزراؤها المسؤولون ، كيف ان البلاد وقفت وقفة واحدة لتفهم ممثلي فرنسا ان سوريا لا تحيد عن مطالبها المشروعة الحيوية ولا تتنازل عن حقها بالوحدة والاستقلال .

وبلغتكم قرارات المجلس النيابي الذي يمثل الامة اصدق تمثيل والتي اعلن فيها ارادة الامة بصيانة كل قطعة من ارضها وذرة من سيادتها وبرفض اي تعديل للمعاهدة واي اتفاق يمسها لان المعاهدة هي الحد الادنى الذي يمكن للمجلس ان يرضى به .

وتعرفون ما يجري في الجزيرة على يد عمال السلطة ونفر من المأجورين المسخرين لخدمة المستعمرين وبلغكم ان سفير فرنسا ينوي زيارة الجزيرة لدرس الحالة على ما يقول . ان الحالة لا تحتاج الى درس . فعمال السلطة ادرى الناس بأسباب القلق الذي احدث في الجزيرة واعلم الناس ببواعثه واسبابه ومحركيه وما على سفير فرنسا الا ان يسأل عمال السلطة ، فيأخذ عنهم العلم اليقين ويدرك ان الواقع هو غير هذه الحوادث المصطنعة وان الواقع هو ان اهل الجزيرة كلهم اخوان لم يوجد بينهم ما يعكر صفوهم الا السياسة المفتعلة التي يقوم بها نفر من الدساسين لارضاء المستعمرين . السياسة التي يراد بها فصل الجزيرة عن سوريا العزيزة لتصبح لقمة سائغة لهم يستعمرونها ويذلون اهلها ويوزعون اراضيها وخيراتها على الافراد المسخرين لمطامع الاجنبي يفسدون في ارض الجزيرة منذ وطأتها اقدامهم .

ايها الاخوان الابرار :

ان الموقف هام والامة السورية والامة العربية بأسرها تنظر اليكم لترى ما انتم فاعلوه . يجب ان تظهروا للناس اجمع عند زيارة سفير فرنسا انكم شرفاء تغارون على اوطانكم من عبث العابثين كرماء تترفعون عن مجاراة الدساسين

المفسدين وانكم مدركون تعلمون خفايا السياسة التي يراد بها فصل الجزيرة عن سوريا من اجل اذلالها وانتهاك حرمات كرامها واغتصاب اراضيها وتسليمها للمأجورين ويجب ان تظهروا للناس اجمع انكم احرار لا يخيفكم غضب ضابط الاستخبارات اذا قلتم الحق ولا حنقه منكم على موقفكم الوطني المشرّف . ويجب ان يفهم سفير فرنسا والناس ان اهل الجزيرة الذين لهم حق القول فيها ليسوا اعضاء لجان الدساسين وانما هم رجالها وسراتها الوطنيون فيها الذين سكنوها كابرا عن كابر وكانوا حماة الوطنية فيها والشرف .

ايها الاخوان :

تبصّروا بما يريده الافرنسيون وعمالهم واذنابهم بكم . ادركوا ذلك جيدا واعلموا انكم ان تساهلتم في حقكم يضيع واذا حرصتم عليه يصان . تنبهوا ان لا تخرج ارض الجزيرة من ايديكم ويصير امرها الى المستعمرين واذنابهم فيتحكم فيكم المتحكمون من الدساسين وتنفصل ربوعكم عن وطنكم . اعلموا ان سوريا والامة العربية باسرها معكم . وان لا حياة لكم الا معها وبها . اصمدوا وكونوا اقوياء بحقكم ان الباطل كان زهوقا . تمسكوا بأمانيكم فسيعلم الدساسون والظالمون اي منقلب ينقلبون . احرصوا على استقلال بلادكم ووحدتها وشرفها وكرامتها والعاقبة للوطنيين المخلصين واذكروا ان سوريا والامة العربية تشدان ازركم ولا تتخليان عنكم .



ملحق رقم -٣٢-

من الطلاب الى الامة

ان طرق الاستعمار واضحة لمن يعرف ان ينفذ الى ما وراء المظاهر .

لقد عمل المستعمِر منذ ثلاث سنوات بالوعود والمماطلات على قتل قوى النضال في الشعب .

ولكن روح الشعوب لا تقتل بسهولة .

والآن يفيق الشعب من غفلته ليعود الى حياة النضال .

غير ان الاستعمار يسعى لاخماد هذه الروح وهي بعد في بدء صحوتها **فيجرد لمحاربتها اسلحة من الشعب نفسه** ويبقى هو في مأمن وراء الستار .

فلنحذر حيل الاستعمار .

ان الذين يسترون الاستعمار ويحولون دون ظهور حقيقته بكل فظاعتها

بتحويلهم هذا النضال الى خصومات داخلية وحزازات شخصية يخدمون اغراضه من حيث لا يدرون او من حيث يدرون .

او ان الوضع الحاضر يضر بمصالح الاستعمار او يسيء اليها لكان وضع له حدا في يوم واحد .

ان الطلاب الذين كانوا في كل وقت غصة مرة في حلق الاستعمار لان مفاسده لم تصل اليهم . ولان تعاليمه لم تعكر بصيرتهم وتشوه نظرتهم يرون اغراضه بوضوح ويتبينون حيله وهم مصممون على كشفها ومحاربتها .

يظهر من ارتباك الحكومة وتجاهلها الواقع انها لا تقدر على انقاذ البلاد من هذا المأزق الحرج .

ويظهر بالنتيجة ان لا نجاة للبلاد في هذه الساعة الخطرة الا اذا **ظهر الشعب كله بمظهر الوحدة المعنوية التامة امام المستعمر .**

فالطلاب بما اتصفوا به من غريزة سليمة . ونظرة صادقة نزيهة . ودم حار فتي مصممون وقادرون **باستنادهم على قوة الشعب** ان ينقذوا البلاد **من انقسامها** الذي لا يسوء الاستعمار بل يفيده كثيرا .

يريد الطلاب ان يكون الشعب السوري صفا واحدا ضد الاستعمار يريدون حكومة تمثل الوحدة السورية تمثيلا صحيحا واذا لم يكن بد من الاصطدام بالسلطة الفرنسية فلتقف سورية في وجهها حكومة وشعبا .

هذه شعاراتنا . وهذه مطالبينا ولذلك نقترح :

١ ـ ان يفسح لفخامة رئيس الجمهورية باعتبار ان مركزه الرسمي **يجعله** فوق الاحزاب . المجال ليدعو الى **تأليف وزارة تمثل الوحدة السورية** . فيؤيدها الشعب السوري كافة لتعزيز موقفها تجاه المستعمر .

٢ ـ ان تتبع الوزارة برنامجا اسسه :

ا ـ **تسلم كافة صلاحياتها كحكومة تمثل شعبا مستقلا** . وعدم التخلي عن هذه الصلاحيات للسلطة الاستعمارية .

ب ـ الاسراع في العمل وتنوير الراي العام بصراحة واستمرار .

ج ـ التقيد الفعلي بالدستور وتامين الحريات .

د ـ بحث الاعتداءات الاخيرة ومعاقبة الذين قاموا بها .

هـ ـ تقويم الدوائر الرسمية وابعاد الموظفين الذين اساءوا استعمال صلاحياتهم والذين برهنوا على عدم كفاءتهم والذين كانوا حربا على القضية الوطنية .

و ـ القيام بأعمال ايجابية تزيل سوء التفاهم الذي وقع خلال السنين الاخيرة في بعض اجزاء الوطن السوري وترجع للشعب وحدته المعنوية .

ز ـ العمل على بث الروح القومية في نفوس النشء الحاضر وخلق شعور عربي بين مختلف طبقات الامة .

هذا هو بنظرنا نحن الطلاب **الحل العملي** الذي يضمن انقاذ البلاد من الوضع الحالي ولذا فاننا ندعو الشعب كافة ان يدعم مطالبينا هذه بتأييده المعنوي

وقوته الفعلية كما اننا نرجو من سائر الزعماء والاحزاب السعي الصادق السريع لتحقيق هذه المطاليب ونعلن اننا متعاهدون على متابعة نضالنا حتى نلمس من ذوي الصلاحيات رغبة صحيحة في سلوك هذا السبيل .

لجنة طلاب التجهيز
في دمشق



ملحق رقم -٣٣-

المصدر : مركز الوثائق التاريخية بدمشق ـ ملف المنظمات .
منظمة حركة اليقظة العربية القومية
الموضوع: منشور بلا تاريخ ـ يظن انه في اواخر ١٩٣٦ او أوائل ١٩٣٧ .
هـذا نصـه

نـداء للشعب

ان من حق الشعب السوري العربي ان يعرف الحقيقة عن الاحداث التي تتناوبه . ولكن هذه الحقيقة محجوبة عنه فقد احيطت بحجب كثيفة والدعايات فالحاجة الان ماسة لاطلاع الشعب على هذه الحقيقة كي لا يقع في المستقبل في الاخطاء التي وقع فيها في الماضي .

ان جهاد سورية عشرين عاما يرتكز الى ارادة الشعب السوري وحده في الحرية والحياة فالشعب اي التاجر والصانع والعامل والفلاح والطالب رفض الاستعمار وقدم الاضاض اللازمة لتحقيق ارادته في الحياة الحرة ولكن فئة من المضللين استغلت بمهارة فائقة تلك الارادة وتلك التضحيات فاحتكرت لذاتها شرف العمل وجردت الشعب السوري من كل فضيلة وانتدبت ذاتها للقيادة وسدت الطريق في وجه كل المخلصين هذه الفئة هي ما يسمى (الكتلة الوطنية) وكان الاولى ان تنعت بالكتلة الاستثمارية .

ان الامور الظاهرة في اعمال هذه الكتلة يعرفها الناس منذ عودة وفدها من فرنسا ولكن الذي يجهلونه هو ما خفي من الاعمال والنيات وهذا ما نريد ان يطلع عليه الشعب السوري العربي .

١ ـ ادرك الفرنسيون بعد الاحتكاك الاول بهذه الفئة ان اصابهم زفرة انتهازية نفعية انانية لا يهمها غير اشباع نيمها ومطامعها الذاتية . وبذلك فقد نضال الشعب قيمته الحقيقية اذ ان قيادته كانت مزيفة لا تعمل على تحقيق ارادة

الشعب بل على استغلاله واستثماره . وهكذا فقدت القضية السورية حرمتها التي اكتسبتها بالتضحية المستمرة وبالدم المسفوك وهبطت الى عالم الدسائس وتبادل المنافع الشخصية .

٢ ـ سارت الكتلة في حكمها على خطة دنيئة هي اقتسام الغنائم بين افرادها وكان نصيب كل منهم متناسبا مع درجته في الاهمية وكان الحظ الاوفر من نصيب جميل مردم وسعد الله الجابري . وكم سبب الخلاف على اقتسام هذه الغنائم في مشاحنات داخلية ومن غضب ونفور ثم استرضاء ورجوع للحظيرة . كل ذلك في طي الكتمان ولم يطلع الشعب الا على قسم ضئيل من هذه الاعمال المخزية .

٣ ـ قتلت الكتلة الروح الوطنية وخدرت الاعصاب والمشاعر . وكان ذلك امرا لا مفر منه لتحقيق خطة اقتسام الغنيمة ولتمهيد السبيل للتراجع امام الفرنسيين من جهة ثانية .

٤ ـ ارتكزت السلطة الكتلوية على الاوباش والرعاع حينما ظهر ان الفئة النيرة تستنكر اعمال الكتلة وان قوة الشرطة ورجال التحري لا تكفي لخنق كل صوت وقتل كل حركة .

٥ ـ استعانت الكتلة بكل وسائل الدعاية الممكنة لوضع حجاب كثيف على كل ما يجري في طي الخفاء وتردي الشعب في جهل تام بما يجري حوله لاستثماره واستنزاف آخر نقطة في دمه .

ان كل ذي لب يستنتج مما سبق الحقائق الواقعية التالية التي ينبغي ان يعرفها الشعب السوري العربي وهي :

١ ـ ان جميل مردم وسعد الله الجابري قد ارتكبا الخيانة العظمى وانهما ساقا البلاد الى الهاوية فينبغي ان ينالا الجزاء العادل الذي تحمله الشعوب للخونة.

٢ ـ ان بعض أفراد الكتلة قد تآمر مع مردم والجابري وساعدهما في حبك الدسائس وتنفيذ خطط الخيانة فيجب ان ينال ذات الجزاء .

٣ ـ ان في الكتلة نفرا لم يشارك في الخيانة ولكنه اطلع عليها ولم يحرك ساكنا فهو جبان ضعيف ينبغي ان ينال نصيبه من الجزاء .

٤ ـ ان الكتلة بمجموعها ليست اكثر من فئة استغلالية لا مزية فيها وهي لو تولجت شؤون دولة عظيمة لانهارت بين يديها فكيف يمكنها ان تنتشل دولة من براثن الاستعمار .

٥ ـ ان نفرا من الكتلة ومن الاحزاب المشاركة لها في الغنيمة والجريمة سايروها طوال مدة سيطرتها وسكتوا عن جناياتها حتى الساعة الاخيرة من حكمها يقومون اليوم فيتبراون منها ويتنصلون من مسؤولية اعمالها ويريدون ان يظهروا كأنهم جسم سليم وما هم في الواقع الا اشلاء ذلك الجسم الميت المتفسخ ويحاولون ان يفرضوا انفسهم لقيادة الشعب من جديد معتقدين ان الشعب يجهل حتى الان خبثهم وحيلهم وأعمالهم التي تدل على مرض عضال

في النفس وانحطاط الاخلاق .

٦ – ان بقية الاحزاب السورية بما فيهم المعارضة لا تختلف عن النـــوع الكتلوي المعروف .

ايها الشعب : ان فرنسا لا تحترم حقك في الحياة والحرية الا اذا تجلت فيك الارادة الحازمة والتعلق المستميت بحقوقك المقدسة واستعدادك لتقديم كل تضحية في هذا السبيل .

ان فرنسا لا تحترم حقك في الحياة والحربة اذا تركت قيادتك بين ايدي الخونة والاستغلاليين والجبناء .

ايها الشعب : ينبغي ان تفهم فرنسا ان سورية من اقصاها الى اقصاها لا تود الا ان تعيش بهدوء وسلام ولكن بحرية تامة وان كل تعد من فرنسا على الوطن السوري مهما كانت اسبابه المنتحلة (اقليات او غير اقليات) لا يمكن الا ان يقابل بمنتهى الحزم والصلابة وان سوريا اذا طلبت صداقة فرنسا فهي غير مستعدة لتضحية حقوقها المشروعة ثمنا لهذه الصداقة وأن فرنسا في سياستها الخرقاء تجاوزت كل حد في التحدي والاعتداء ولكن القلوب التي كرهناها بها لا تزال بين اضلعنا والعزائم التي قاومناها بها لا تزال قاطعة لا تفل .

ايها الشعب :

عاقب الخونة ابعد عنك القادة الدجالين تهيأ للنضال .

حركة اليقظة العربية القومية



ملحق رقم –٣٤–

بيـــان

يجتاح البلاد عاصفة من الاضطراب الفكري وتشتيت الراي بسبب الموقــف الحرج والدور الخطير الذي تجتازه القضية السورية في هذه الآونة . وان هذا الموقف ليحتاج الى كثير من الدقة والروية والحكمة وجمع الكلمة والتضامن .

وقد شاع في اليومين الاخيرين في المدينة شائعات مختلفة ومنها ما يدعو الى الاضراب اظهار لشعور الاستياء الذي تشعر به البلاد .

ولما كانت الكلمة اصبحت متفقة على القيام بعمل سلبي مؤشرة يضمن للبلاد تحقيق اهدافها وكان هذا العمل السلبي مهما كان نوعه لا ياتي بالفائدة المطلوبة اذا كان منظما وعاما في سائر انحاء البلاد ، وكانت التدابير المؤدية الى ذلك التنظيم العام لا تزال تحت البحث وربما أقرت في وقت قريب فان من الفائدة بل ومن

العمل الوطني ان لا تظهر كل مدينة بمظهر يختلف عن المدينة الاخرى .

ولهذا فان مكتب الكتلة الوطنية في حمص يرجـــو ان لا يؤخـــذ الناس بالشائعات وان لا يضربوا قبل اعلان الخطة النهائية ، وان ينتظـــروا ويستعدوا للعمل السلبي المنظم وما يقتضيه من تضحيات وجهود لا نعتقد ان واحد مـــن السوريين يحجم عن تقديمها .

في ٤ شباط ١٩٣٩ **مكتب الكتلة الوطنية**

المصادر

اولا : وثائق غير منشورة :

ا ـ اوراق المرحوم الدكتور احمد قدري .

ـ اوراق المرحوم نسيب البكري .

اوراق المرحوم حسني صخر (قائد درك جبل الدروز) .

ب ـ وثائق مجموعة في ملفات مختلفة في مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

ج ـ وثائق وزارة الخارجيةالفرنسية وهي ما يرمز لها باختصار arch. Aff. Etr.

د ـ مناقشات البرلمان الفرنسي Annales de la chambre des Deputés

هـ ـ مناقشات مجلس النواب السوري .

و ـ مجموعة قرارات المفوضين السامين .

ز ـ وثائق هرمة من اخبار فلسطين جمعمحمد سعيد الطوآف ـ دمشق٧٢.

ثانيا : مذكرات :

الدكتور احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى .

اسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية .

حسن الحكيم : مذكراتي، صفحات منتاريخ سورية الحديث ١٩٢٠ـ١٩٥٨.

عبد الله بن الحسين : مذكراتي .

الدكتور عبد الرحمن الشهبندر : مذكرات ... دار الارشاد ـ بيروت ٩٧٦ .

ثالثا : نشرات : صادرة عن الكتلة الوطنية بمركز الوثائق التاريخية بدمشق .

كراين وسورية: نشرة صادرة عن حزب الشعب السوري ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٩٢٧ الصحائف السود .

مجموعة نشرات الحزب السوري القومي الاجتماعي .

تقارير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني : القضية السورية :

وثائق مهمة يناير ١٩٢٦ .
المفاوضات مع دي جوفنيل في باريس ومصر وبيروت يناير ١٩٢٦ .
ثورة سورية الكبرى : اسرارها وعواملها ونتائجها : منشورات دار الجزيرة للصحافة والنشر عمان ١٩٤٠ .
نشرات عصبة العمل القومي .

رابعا : المؤلفات العربية :

امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ـ ثلاث مجلدات ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .
احسان هندي : كفاح الشعب العربي السوري : دراسة تاريخية عسكرية ١٩٦٢ .
انطون سعاده : نشوء الامم ، الكتاب الاول ١٩٣٨ .
الياس مرقص : تاريخ الاحزاب الشيوعية ، دار الطليعة بيروت ١٩٦٦ .
د. انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى . دار الطليعة بيروت ١٩٥٢ .
حنا خباز ود. جورج حداد : فارس الخوري ، حياته وعصره ، مطابع صادر ريحاني ـ بيروت ١٩٥٢ .
حنا ابو راشد : جبل الدروز المطبعة التجارية الكبرى ـ مصر ـ حوران الدامية ١٩٢٦ .
خالد بكداش : حركة التحرر الوطني والنضال في سبيل الاشتراكية .
خضر الامين : ابحاث في القومية الاجتماعية ، دار الجيل الجديد ـ دمشق ـ ١٩٥٤ .
خير الدين الزركلي : عامان في عمان ، مصر ١٩٢٥ .
د. زين نور الدين زين : الصراع الدولي على الشرق الاوسط ـ دار النهار للنشر .
منشأ القومية العربية ـ دار النهار للنشر .
سعيد الجزائري (الامير) : جهاد نصف قرن .
سلامة عبيد : الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر ـ مطابع دار الغد ـ بيروت .
د. صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ـ الانجلو المصرية ٧٠ .
ظافر القاسمي : وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٦٥ .
د. عبد العزيز محمد عوض: الادارة العثمانية فيولاية سورية ١٨٦٤ـ١٩١٤.
د. عبد الرحمن البزاز : محاضرات عن العراق ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ ١٩٦٠ .
د. عبد الرحمن الكيالي : المراحل ، اربعة أجزاء ـ مطبعة الضاد بحلب ـ الجهاد السياسي ـ حلب السويقة ١٩٤٦ .

علي حاج بكري : العقلية العربية بين الحربين ، دار الرواد للتأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢ .
عبد اللطيف اليونس : ثورة صالح العلي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، سلسلة رواد التحرر العربي .
د. فؤاد مرسي : محاضرات عن النقود والبنوك في البلاد العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٨ .
لطفي الحفار : ذكريات : منتخبات من خطب واحاديث جمع وجيه بيضون ، مطابع ابن زيدون بدمشق ١٩٥٤ .
لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم موسكو ١٩٧١ .
د. مجيد خدوري : قضية الاسكندرونة ، مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق ١٩٥٣ .
المسألة السورية ـ مطبعة أم الربيعين ١٩٣٤ .
محمد الفرحاني : فارس الخوري وأيام لا تنسى ، بيروت ١٩٦٥ .
ميخائيل مشاقة : مشهد العيان في تاريخ سوريا ولبنان .
محمد كرد علي : خطط الشام جـ٣ .
محمد حرب فرزات : تاريخ الاحزاب السورية .
د. نجيب الارمنازي : سورية في الاحتلال حتى الجلاء ـ معهد الدراسات العربية ١٩٥٤ .
د. نادر العطار : تاريخ سوريا في العصور الحديثة .
وجيه الحفار : الدستور والحكم في الجمهورية السورية ، مطبعة الانشاء بدمشق ١٩٤٨ .
ولتر لاكير : الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط ، المكتب التجاري بيروت ١٩٥٩ .



خامسا :

الصحف العربية

الدفاع (الفلسطينية)
الافكار
المجلة العسكرية السورية
القبس
البشير
الف باء (الدمشقية)
المقطم

البلاغ
النظام
العاصمة (جريدة الحكومة الرسمية)
العمران
المقتبس
الاحرار (البيروتية)
البرق (البيروتية)
البيرق (البيروتية)
العهد (البيروتية)
التقدم (الحلبية)
المرصاد (من محفوظات السيد سهام الترجمان بدمشق)
النداء
الايام
العهد الجديد (القدس) بين اوراق المرحوم نسيب البكري
الاصلاح (مجلة تصدر في بوينس ايرس ـ الارجنتين)
العروبة
سورية الجديدة
فتى العرب (الدمشقية)



سادسا :

المؤلفات الاجنبية

Bremand, E. : Le Hedjaz dans la guerre mondiale Paris 1931.

Brockelmann, C. : Histoire des peuples et des Etats islamiques poyat , Paris 1949.

Gontaut-Biron, Comte R. de: Comment la France s'est installée en Syrie.

Gautherat, Gustave de : La France en Syrie etCilicie.

Lamy, Etieme : La France du Levant, Paris 1900.

O'zaux, Raymond : Les Etats du Levant sous Mandat Francais, Larase, Paris 1931.

Puaux, Gabriel : Deus années au Levant, souvenirs de Syrie et de Liban (1939 - 1940), Hachette, 1952.

Rabbath, Edmond : L'evolution Politique de la Syrie sous Mandat, Paris 1928 .

Samné, Georg (or) : La Syrie, Edit. Bossard, Paris 1921.

Vienat, Pierre : Le traite Franco - Syrien Paris 1931.

Weinstock, Nathan : Le Mouvement revolutionnaire Arabe, Fr. Maspero, Paris 1970.

La Question de Mossoul de la signature du traite de Maudraus. 30 Octobre 1918 ou 1er Mars 1925, Publiee en 1925 a Constantinople.



سابعا :

الصحف والمجلات الاجنبية (والعربية بلغة اجنبية) وجميعها في مكتبة باريس الوطنية ويرمز لها في الهوامش ب : B.N. Paris

Echos de Paris
L'Asie Francaise
Le Matin
L'Humanité
L'Action
Le Populaire
Le Temps
L'Illustration
L'Europe Nouvelle
Les Echos (Quotidien Syrien)
Bulletin de L'Asie Francaise
Journal officiel : Debats parlementaires
Revue Politipue et Parlementaire .

فهرست

هذا الكتاب

ما تزال المكتبة التاريخية العربية تفتقر الى الدراسات التفصيلية حول تاريخنا العربي بشكل عام والتاريخ الحديث والمعاصر لارتباطها بواقعنا الراهن بشكل خاص .

ويتناول هذا الكتاب تاريخ الحركة الوطنية في الفترة الممتدة من سقوط الدولة العربية التي اقامها فيصل في دمشق ومؤتمر سان ريمو حتى نشوب الحرب العالمية الثانية .

وتعتبر هذه الفترة من اهم فترات تاريخنا الحديث ،ففيها تم تجزىء المشرق العربي فدفن الاستعمار آمال هذا المشرق في الحرية والاستقلال ولما تكد تولد بعد ، فما كادت البلاد تتخلص من النير التركي البغيض معلقة الامال على دول الغرب حتى وجدت نفسها تقع في براثن هذه الاخيرة فتتمزق شر ممزق على الرغم من الجهود والتضحيات الكبيرة التي بذلتها الحركة الوطنية من اجل الحفاظ على وحدة البلاد والحصول على الاستقلال، كما شهدت هذه الفترة التحضير الفعلي لاقامة الدولة الصهيونية دولة تفصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه .

وبالاضافة الى اهمية الفترة التي تتناولها هذه الدراسة فانها تكتسب مزيداً من الاهمية من كونها اعتمدت على الوثائق السرية لوزارة الخارجية الفرنسية وغيرها من الوزارات ، ووثائق اخرى لم تدرس ولم تنشر بعد .

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ١٥ ل. ل.